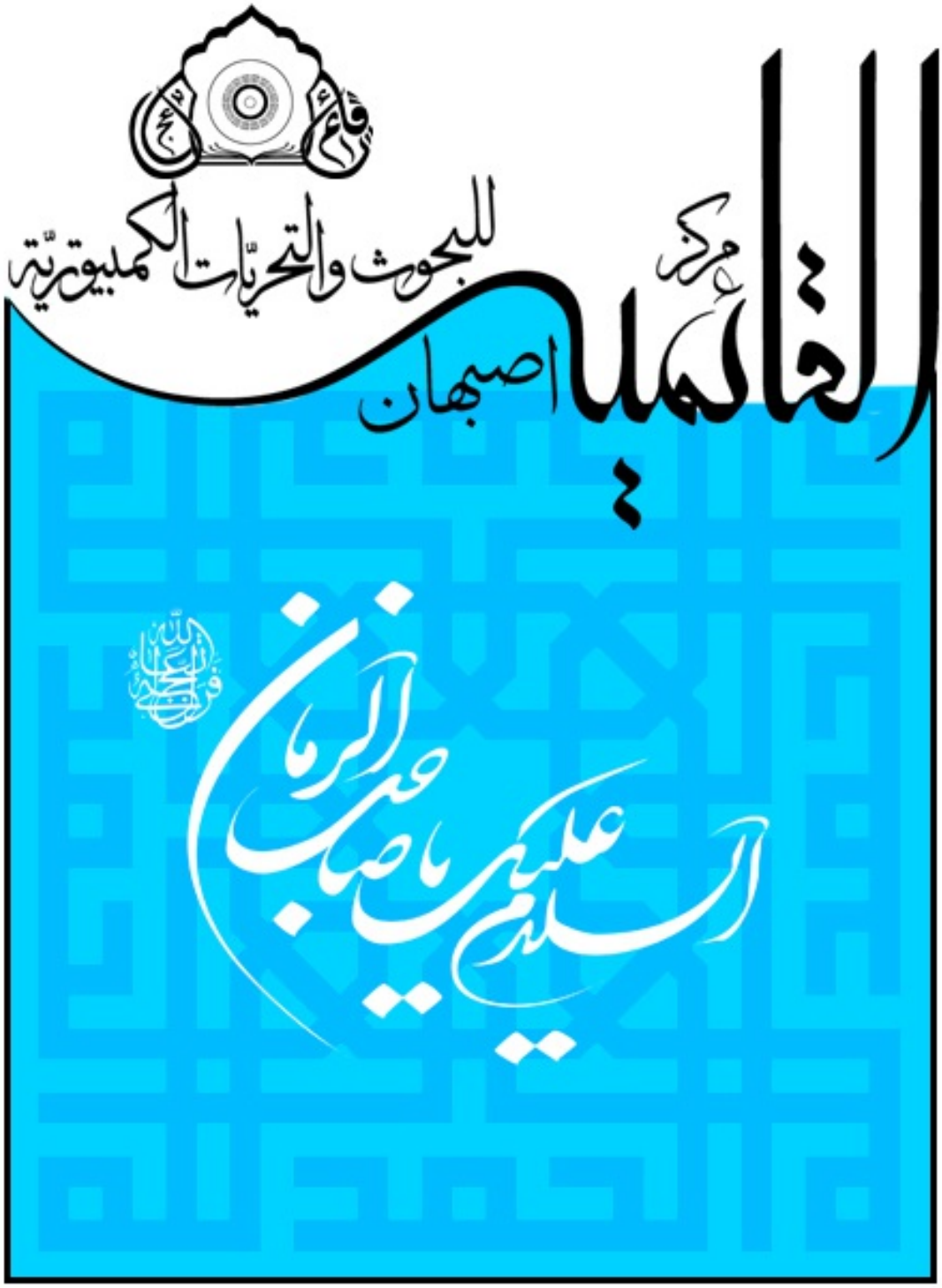

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار

رحلة إلى فرنسا بقلم خطأ إلى محطة إلى محطة إلى محطة

1876

إدريس الجعيدي العلوي

حققها وقدم لها د. عز الدين معيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار

كاتب:

ادريس جعيدى

نشرت فى الطباعة:

دار السويدى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اتحاف الاخیار بغرایب الاخبار ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
[تصدیر] ----- ۱۹
استهلال ----- ۲۰
المقدّمة ----- ۲۱
الفصل الأول: رحلة الجعیدی نموذج للرحلات المغربیة لأوربا خلال ق ۱۹ م ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
التعریف بالمخطوط ----- ۲۱
المتن ----- ۲۲
الصفحات الفارغة من المتن ----- ۲۲
ترجمة صاحب الرحلة: ترجمة مختصرة لآل الجعیدی ----- ۲۲
شجرة آل الجعیدی ----- ۲۳
نسبه ----- ۲۳
نشأته و دراسته أما تاریخ ولادة الشریف سیدی إدریس بن محمد بن إدریس ----- ۲۳
أهم شیوخه فی علم الفلک ----- ۲۴
حیاته العائلیة ----- ۲۵
وفاته ----- ۲۶
الفصل الثانی الإطار التاریخی للرحلة ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
المشروع الأول لسفارة الزبیدی ----- ۲۷
المشروع الثانی لسفارة الزبیدی ----- ۲۸
دوافع تسجیل الرحلة ----- ۲۹

منهجیة الجعیدی ----- ۲۹
طریقتنا فی التحقیق ----- ۳۰
الفصل الثالث الجانب السیاسی و العسکری فی الرحلة: ----- ۳۱
سیاسیا ----- ۳۱
انطلاقا من الرحلة ----- ۳۲
الأنظمة السیاسیة ----- ۳۴
عسکریا ----- ۳۴
الجانب العلمی و الفنی فی الرحلة: ----- ۳۷
البحث العلمی ----- ۳۷
علم الحیوان، ----- ۳۸
متاحف التاریخ الطبیعی ----- ۳۸
المعارض الصناعیة الدولیة ----- ۳۸
اهتمامات الرحالة ----- ۳۹
الجانب العمرانی و المنشآت العمومیة و الاجتماعیة فی الرحلة ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
العمران ----- ۴۱
بعض المظاهر الاجتماعیة: ----- ۴۲
الطعام و المجتمع الأوربی و المغربی ----- ۴۲
المرأة ----- ۴۴
مظاهر التقدم الصناعی و المالی و الفلاحی فی الرحلة: ----- ۴۵
الصناعة ----- ۴۵
الفحم الحجری ----- ۴۵
الجانب المالی ----- ۴۷
دار ضرب السکة بباریس ----- ۴۷

دار ضرب السکة بلندن ---- ۴۸
حصول فرنسا علی الصفقة ---- ۴۸
النتیجة النهائیة ---- ۴۹
الزراعة ---- ۴۹
التسییج ---- ۴۹
وفرة الإنتاج الفلاحی ---- ۵۰
الاهتمام بغرس الورود ---- ۵۰
الجانب الفکاهی فی الرحلة ---- ۵۰
مستملحة ---- ۵۰
السرقة التی تعرضت لها السفارة المغربیة ---- ۵۱
الرمز کتعبیر ثانی ---- ۵۱
من تهکماته الهزلیة ---- ۵۲
دیباجة المؤلف ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
۱ [حمدا لمن فضل هذه الأمة المحمدیة علی سائر الأمم ...] ---- ۵۲
۲ أقوال طالبا من الله الإعانة و بلوغ المأمول ... ---- ۵۴
نصّ الرّحلة ---- ۵۵
الجزء الأول: ---- ۵۵
/ ۱۰/ ذکر الدخول لثغر طنجة و مدة المقام فیها إلی الوصول لمرسیلیة ---- ۵۵
دخول الرئیس و مرافقیه لطنجة ---- ۵۶
ورود الفرکاطة للسفر ---- ۵۷
الخروج من ثغر طنجة و الرکوب فی البحر إلی الوصول لمدینة مرسیلیة ---- ۵۸
طلوع الباشدور للفرکاطة ---- ۵۸
علة عدم خروج المدافع ---- ۵۹

مدة السفر فی البحر إلی مرسیلیة ----- ۵۹
الجزء الثانی: ----- ۶۰
أخبار مرسیلیة و باریس ----- ۶۰
/ ۲۹/ طلوع الکبراء من مرسیلیة لملاقاة الباشدور ----- ۶۰
ذکر الدخول لمرسیلیة و المقام فیها و الخروج منها ----- ۶۰
صفة الدار التی نزل بها الباشدور و أصحابه ----- ۶۱
صفة الصالة المعینة للباشدور ----- ۶۱
/ ۴۳/ کراء هذه الدار فی السنة ----- ۶۳
بعض أوصاف مرسیلیة ----- ۶۴
هیئة رأس الماء الجاری علیها ----- ۶۵
فابریکة صنع السکر القالب ----- ۶۶
نشر قوالب السکر و تقریضها ----- ۶۷
الخروج إلی باریس ----- ۶۸
بعض أوصاف الطریق بینهما ----- ۶۸
وصف الدار المعینة للنزول ----- ۶۹
الحمّامات ----- ۶۹
أوصاف هذه الصالات ----- ۷۰
صائر هذه الدار و تحفها ----- ۷۰
بعض أوصاف باریس ----- ۷۱
الخروج لملاقات عظیم دولتهم ----- ۷۱
فرجة المسابقة ----- ۷۲
فابریکة أوانی المعدن ----- ۷۳
صفة تذهیب بعضها ----- ۷۴
الدار التی تباع فیها أوانی البلار ----- ۷۴

فابریکات صنع الماریوس ---- ۷۵
قشلة مرضی العسکر و قبر نابلیون ---- ۷۶
و بقرب هذه القشلة قبر ملکهم نابلیون الأول ، قیل لی إنه أوصی بأن یدفن بتلک القشلة، لأن فیها عسکره، و هم أولاده، و هو أحب أن یدفن بین أو
صور المحاربین و آلات الحرب فی سالف الزمان ---- ۷۶
الحضور لتسراد العسکر و کیفیته ---- ۷۷
ضیافة عظیم الدولة للباشدور مرحبا به ---- ۷۸
الطلوع بالهدیة لعظیم الدولة ---- ۸۰
جنان الوحوش ---- ۸۰
بعض أوصاف دور السکة ---- ۸۳
دار المطبعة ---- ۸۵
دار الکتب المطبوعة ---- ۸۶
بعض صفات دار الفرجات ---- ۸۷
صفة طرق باریس و أحوال الخدمة ---- ۸۹
الجزء الثالث ---- ۹۰
الإکرام الذی وجهته الدولة للباشدور و أصحابه ---- ۹۰
الخروج من باریس إلی جنس البلجیق و ما رأیناه فی بعض مدنهم ---- ۹۱
صفة الدار التی نزلنا بها فی ابرکصلاص ---- ۹۲
الملاقات مع الوزیر ---- ۹۲
بعض أوصاف هذه المدینة ---- ۹۲
الملاقات مع عظیم دولتهم ---- ۹۳
فابریکات المدافع و الرمایة بها ---- ۹۴
الملاقات مع أخ عظیم الدولة و عامل البلد و صفة داره ---- ۹۵
توجهه مع الباشدور لمحل صنع الغاز و شرح کیفیته ---- ۹۶
دار الوحوش المیتة ---- ۹۸

دار فابریکة النحاس و الصفر ----- ۹۹
الحوائج المصنوعة عندهم فی بعض الأماکن ----- ۱۰۰
صورة آدم و حواء علی ما زعموا ----- ۱۰۰
التوجه إلی مدینة الیاج لرؤیة فابریکاتها ----- ۱۰۱
الدار القدیمة بها و بعض صفاتها و ما فیها ----- ۱۰۲
فابریکة الصفر و النحاس ----- ۱۰۲
فابریکة صنع الفلایل ----- ۱۰۳
دار فابریکات صنع المکاحیل و غیرها ----- ۱۰۳
الفابریکة العظمی فی مدینة سراین و ما یخدم فیها ----- ۱۰۴
مکینة البلار و الزاج ----- ۱۰۶
فابریکة صنع الملف ----- ۱۰۷
القبة العظیمة القریبة من دار عظیم الدولة و الأثاث و عینات الحوائج التی فیها ----- ۱۰۸
ما رأیناه فی ساقیة الماء الجاری فی البلد ----- ۱۰۹
الطلوع للضیافة لدار کبیر دولة البلجیق ----- ۱۱۰
دار العدة و آلة الحرب ----- ۱۱۰
شکل السلم الذی توضع علیه المکاحیل ----- ۱۱۱
فابریکات المرایا الکبار من الزاج فی مدینة شارلروا ----- ۱۱۲
ورقات الزاج العظام التی تصنع فی طامیر ----- ۱۱۳
مدینة فانطی و الفابریکة التی فیها ----- ۱۱۴
الجزء الرابع ----- ۱۱۵
أخبار بلاد النجلیز ----- ۱۱۵
ملاقات کبار مدینة دوفر للباشدور ----- ۱۱۵
/ ۲۳۰/ محل النزول باللوندریز ----- ۱۱۶
قدوم کبراء البلد علی الباشدور للتهنئة ----- ۱۱۶

بساتین النوار التی فی الطرق و فی العراصی ---- ۱۱۶
صفة سجن بحومة اللوندریز ---- ۱۱۷
الکونبطی أی کرامة فی عرصة ولد السلطانة ---- ۱۱۸
الملاقات بالوزیر ---- ۱۱۹
إکرام زوجة وزیر الأمور البرانیة بالهند للباشدور ---- ۱۱۹
الدار التی فیها صور الآدمیین و الخروج لدار العلماء ---- ۱۱۹
دار الفرجة و أخری فیها السلاح القدیم و الهدایا ---- ۱۲۰
دار البانکة و ضرب السکة ---- ۱۲۱
النهوض للملاقات مع عظیمة دولتهم ---- ۱۲۳
صفة دار البلار و بعض ما رأیناه ---- ۱۲۳
مثال جامع قرطبة ---- ۱۲۴
الرجل الذی یغوص بصهریج الماء و کشف الحیلة فی ذلک ---- ۱۲۵
طیاطرو دار البلار و لعبة الأفیال فیه ---- ۱۲۶
لعبة الکلاب و وصف الریاض المجاور لها ---- ۱۲۷
التوجه إلی مدینة ولت لرؤیة دار بها ---- ۱۲۸
التوجه إلی مدینة و نزه ---- ۱۳۰
الحیلة المستنبطة لتغریق المراکب فی البحر ---- ۱۳۱
کیفیة خدمة الخفیف ---- ۱۳۱
کیفیة صنع الکور ---- ۱۳۲
کیفیة صنع المدافع العظام ---- ۱۳۲
وصف هذا المدفع ---- ۱۳۳
إکرام بعض التجار للباشدور باللوندریز ---- ۱۳۳
الجزء الخامس ---- ۱۳۳
الرجوع إلی بر الفرنصیص و التوجه منه للطلیان ---- ۱۳۳

الدخول إلی مدینة باریس ----- ۱۳۴
القبة التی تطیر بمن یعلو بها ----- ۱۳۴
الدار التی تصنع الخبز للعسکر ----- ۱۳۵
فابریکات الکور و غیره و العدة التی فی الخزین ----- ۱۳۵
سکویلة العسکر و الخروج من باریس إلی الیون ----- ۱۳۶
زیارة رأس بعض جبال لیون ----- ۱۳۶
فابریکات خدمة الحریر و الدیباج به ----- ۱۳۶
مستملحة استظرفتها هنا ----- ۱۳۷
الجزء السادس ----- ۱۳۹
أخبار بعض بلاد الطالیان ----- ۱۳۹
الدخول إلی طورین ----- ۱۴۰
مدینة فرینسی و ما رأیناه فیها ----- ۱۴۰
الدخول إلی دار المهندسین و الفلکیین ----- ۱۴۱
التوجه إلی رومة ----- ۱۴۴
الملاقات مع وزیر الأمور البرانیة و کبیر الوزراء ----- ۱۴۴
دار المرضی بها ----- ۱۴۵
المحل القدیم البناء برومة ----- ۱۴۶
قدوم أصحاب الطرب علی الباشدور و کیفیة خدمتهم ----- ۱۴۷
الفرجة التی أنشأت إکراما للباشدور و فرجة الطیاطرو ----- ۱۴۷
قدوم أصحاب الطرب علی الباشدور و کیفیة خدمتهم ----- ۱۴۹
وصف مدینة رومة ----- ۱۴۹
الرجوع من رومة إلی فرینسی ----- ۱۴۹
الرجوع إلی طورین ----- ۱۵۰
اللقاء بعظیم دولة الطلیان و ببعض الأمراء ----- ۱۵۱

الفرجة التی أنشأها عامل طورین ----- ۱۵۲
زیارة سجن مدینة طورین ----- ۱۵۲
الإکرام بدار عظیم الدولة ----- ۱۵۳
الخروج لی الصید مع ولد عظیم الدولة و الوزراء ----- ۱۵۴
الخروج لرمی الإشارة مع الطبجیة ----- ۱۵۵
کیفیة عمارة هذا المدفع ----- ۱۵۶
هیئة السواد الذی فی وسط لوحة الإشارة ----- ۱۵۷
الخروج لفابریکات الحریر بطورین ----- ۱۵۸
الدخول لمیلان ----- ۱۵۹
فابریکات الفخار ----- ۱۵۹
کیفیة تزویق الفخار ----- ۱۶۰
التوجه إلی جنوة ----- ۱۶۱
ناذرة من نواذر الزمان ترشد إلی اتخاذ الحذر فی بلاد الأمان ----- ۱۶۱
زیارة مدینة بیلی ----- ۱۶۳
ملاقات رئیس الفرکاطة ----- ۱۶۴
الخروج من جنوة ----- ۱۶۴
مکینة صنع ماء الثلج ----- ۱۶۵
الوصول إلی مدینة طنجة ----- ۱۶۵
ملاحق ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶
ملحق ۱ ترجمة للأعضاء المرافقین للرحالة فی السفارة ----- ۱۶۶
ترجمة الحاج محمد الزبیدی (۱۲۲۰ ه- ۱۳۰۲ ه) ----- ۱۶۶
ملحق ۲ ترجمة أمین السفارة ابن ناصر (بناصر) ابن أحمد غنام (۱۲۶۲ ه، ۱۳۳۴ ه). ----- ۱۶۷
ملحق رقم ۳: اعتذار من مقیده للمحب الصادق الأمین الطالب السید عبد القادر غنام ----- ۱۶۸

اشارة ----- ۱۶۸
تقییم القصیدة من حیث الشکل ----- ۱۶۸
ملحق رقم ۴: بعض قصائد إدریس الجعیدی التی لم ترد فی الرحلة ----- ۱۶۹
ملحق، رقم ۵: خزانة الکتب التی ترکها سیدی إدریس الجعیدی السلاوی حسب التریکة ----- ۱۷۱
اشارة ----- ۱۷۱
کما ترک سیدی إدریس الجعیدی العدید من آلات الرصد الفلکیة ----- ۱۷۱
کشاف حضاری و فهارس ----- ۱۷۱
اشارة ----- ۱۷۱
کلمات و عبارات عامیة و أجنبیة وردت فی الرحلة ----- ۱۷۱
- أ- ----- ۱۷۱
- ب- ----- ۱۷۲
- ت- ----- ۱۷۲
- ج- ----- ۱۷۲
- ح- ----- ۱۷۳
- خ- ----- ۱۷۳
- د- ----- ۱۷۳
- ذ- ----- ۱۷۴
- ر- ----- ۱۷۴
- ز- ----- ۱۷۴
- س- ----- ۱۷۴
- ش- ----- ۱۷۵
- ص- ----- ۱۷۵
- ط- ----- ۱۷۵
- ع- ----- ۱۷۶

- غ- ۱۷۶
- ف- ۱۷۶
- ق- ۱۷۶
- ک- ۱۷۷
- گ- ۱۷۸
- ل- ۱۷۸
- م- ۱۷۸
- ن- ۱۷۹
فهرس الأعلام البشریة ۱۷۹
- أ- ۱۷۹
- ب- ۱۸۱
- ت- ۱۸۱
- ج- ۱۸۲
- ح- ۱۸۲
- خ- ۱۸۳
- د- ۱۸۳
- ر- ۱۸۳
- س- ۱۸۳
- ش- ۱۸۴
- ص- ۱۸۴
- ط- ۱۸۴
- ظ- ۱۸۴
- ع- ۱۸۴
- غ- ۱۸۶

- ف- ۱۸۶
- ک- ۱۸۷
- ل- ۱۸۷
- م- ۱۸۷
- ن- ۱۸۹
- ه- ۱۸۹
- و- ۱۹۰
- ی- ۱۹۰
فهرس الأماکن الجغرافیة و المدن ۱۹۰
- ا- ۱۹۰
- ب- ۱۹۱
- ت- ۱۹۲
- ج- ۱۹۲
- ح- ۱۹۲
- د- ۱۹۳
- ر- ۱۹۳
- ز- ۱۹۳
- س- ۱۹۳
- ش- ۱۹۳
- ص- ۱۹۴
- ط- ۱۹۴
- ع- ۱۹۴
- غ- ۱۹۴
- ف- ۱۹۴

- ق- ۱۹۵
- ک- ۱۹۵
- ل- ۱۹۵
- م- ۱۹۶
- ن- ۱۹۶
- ه- ۱۹۷
- و- ۱۹۷
- ی- ۱۹۷
فهرس المصادر و المراجع ۱۹۷
- أ- ۱۹۷
- ب- ۱۹۸
- ت- ۱۹۸
- ج- ۱۹۹
- د- ۱۹۹
- ر- ۱۹۹
- س- ۲۰۰
- ط- ۲۰۰
- ع- ۲۰۰
- ف- ۲۰۰
- م- ۲۰۰
- ن- ۲۰۰
- و- ۲۰۱
الموسوعات و المعاجم: ۲۰۱
الدوریات ۲۰۱

* مجلة دعوة الحق: ---- ۲۰۱
* مجلة الوثائق: ---- ۲۰۲
المراجع الأجنبية ---- ۲۰۲
۱- الكتب الأجنبية: ---- ۲۰۲
۲) الموسوعات و المعاجم: ---- ۲۰۲
۳) الوثائق و الجرائد الأجنبية مع الاختزالات المستعملة: ---- ۲۰۲
المحتويات ---- ۲۰۲
صدر فی سلسلة ارتیاد الآفاق ---- ۲۰۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۰۹

اتحاف الاخيار بغرايب الاخبار

اشارة

نام كتاب: إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار

نويسنده: جعيدى، ادريس

تاريخ وفات مؤلف: ۱۳۰۸ ق

محقق / مصحح: معنينو، عز المغرب

موضوع: شرح حال

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: الموسسة العربية للدراسات و النشر- دار السويدى

مكان چاپ: بيروت- ابوظبى

سال چاپ: ۲۰۰۴ م

إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار رحلة إلى فرنسا، بلجيكا، انكلترا، إيطاليا ۱۸۷۶

ithaf ala'khyar bghraa'b ala'khbar rhlah ila frnsa bljika enkltra iitalya ۱۸۷۶

تأليف: إدريس الجعيدى السلوى تاريخ النشر: ۰۱/۱۲/۲۰۰۴

تقديم: عز المغرب معنينو

ترجمة، تحقيق: عز المغرب معنينو

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر السلسلة: ارتياد الآفاق النوع: ورقى غلاف عادى، حجم: ۲۴×۱۷، عدد الصفحات: ۴۸۰

صفحة الطبعة: ۱ مجلدات: ۱

[تصدير]

«... و استنبطوا عقوبة للسارق، و ذلك أنهم اتخذوا صندوقا مقسوما نصفين، مقبوضا من غاربه بقريقيات، و فتح لوحته العليا دائرتين نصفهما فى كل نصفى اللوحة الفوقية، يفتح هذا الصندوق و يدخل إليه السارق و يسد على ما فوق ركبتيه، و تغل يداه بين خشبتين منصوبتين فوق الصندوق، ثم يضرب بسياط خمسين سوطا بين كتفيه، و قد نزعت ثيابه، و صاحب السوط يضرب به بغاية جهده، و صفة السوط قضيب رقيق، طوله يزيد على ذراع يسيرا فى رأسه جلدة ركب فيها تسعة خيوط من القنب الرقيق فيها، عقد طول هذه الخيوط كطول القضيب، قيل كل ضربة به يتفجر منها الدم، و أن من ضرب به خمسين سوطا يموت لا محالة»

نص الرحلة ص ۲۷۷

«و رأينا فى نسائهم حياء كبيرا لأنهن يرفعن إلينا من بعد، فإذا قربن و وقع بصرنا على إحداهن نكست بصرها إلى الأرض.»

نص الرحلة ص ۲۸۲

«... فبينما نحن مارون بتأن و مهلة إذ رأينا شعاعا عظيما خارجا من كوة عالية فى جدار مرتفع، جرم تلك الكوة مستدير فيما يظهر كجرم الشمس و الشعاع كشعاعها، إلا أنه أبيض يميل إلى الخضرة، و يمكن للإنسان إمعان النظر فيه، و بانتشار ذلك الشعاع انتشر الضوء على جميع تلك الخلائق الذين كانوا هناك حتى كأنه النهار، و يرى البعيد منهم كما يرى القريب، و يرى ظلال المارين على

الأرض و بالجدران كما ترى الظلال بالنهار، و تعجبنا من عقول هؤلاء الشطار كيف تخيلوا و صيروا الليل كالنهار، و ليس ذلك من قبيل قلب الأبصار و الأعيان، بل هو محقق الوجود ظاهرة للعيان ...».

نص الرحلة ص ۳۵۵

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷

استهلال

تهدف هذه السّلسلة بعث واحد من أعرق ألوان الكتابة فى ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيّات أدب الرّحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب و رحّالة عرب و مسلمين جابوا العالم و دوّنوا يوميّاتهم و انطباعاتهم، و نقلوا صورا لما شاهدوه و خبروه فى أقاليمه، قريبة و بعيدة، لا سيما فى القرنين الماضيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النّخب العربية المثقفة، و محاولة التعرّف على المجتمعات و النّاس فى الغرب، و الواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربى بالآخر عن ظاهرة الاستشراق و المستشرقين الذين ملأوا دروب الشّرق، و رسموا له صورا ستملأ مجلدات لا تحصى عددا، خصوصا فى اللغات الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية و الإيطالية، و ذلك من موقعهم القوى على خارطة العالم و العلم، و من منطق المستأثر بالأشياء، و المتهيء لترويج صور عن «شرق ألف ليلة و ليلة» تغذّى أذهان الغربيين و مخيّلاتهم، و تمهّد الرأى العام، تاليا، للغزو الفكرى و العسكرى لهذا الشرق. و لعل حمله نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية و الفكرية فى ثقافتنا العربية، هى النموذج الأتمّ لذلك.

فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸

لتؤسس للظاهرة الإستعمارية بوجهيها العسكرى و الفكرى.

على أن الظّاهرة الغربية فى قراءة الآخر و تأويله، كانت دافعا و محرضا بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التى وجدت نفسها فى مواجهة صور غربيّة لمجتمعاتها جديدة عليها، و هو ما استفز فيها العصب الحضارى، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافع و الأسباب لتشدّ الرحال نحو الآخر، بحثا و استكشافا، و تعود و معها ما تنقله و تعرضه و تقوله فى حضارته، و نمط عيشه و أوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناس، و لينبعث فى المجتمعات العربية، و للمرة الأولى، صراع فكرى حاد تستقطب إليه القوى الحيّة فى المجتمع بين مؤيد للغرب موال له و متحمّس لأفكاره و صياغاته، و بين معاد للغرب، رافض له، و مستعدّ لمقاتلته.

و إذا كان أدب الرحلة الغربى قد تمكن من تنميط الشرق و الشرقيين، عبر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيّلة جائعة إلى السّحرى و الأيروسىّ و العجائبىّ، فإن أدب الرحلة العربى إلى الغرب و العالم، كما سيتّضح من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساسا، على تتبع ملامح النهضة العلميّة و الصناعيّة، و تطوّر العمران، و مظاهر العصرنة ممثلة فى التطور الحادث فى نمط العيش و البناء و الاجتماع و الحقوق. لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة فى تلك المجتمعات، مدفوعين، غالبا، بشغف البحث عن الجديد، و بالرغبة العميقة الجارفة لا فى الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفى، و إنما، أساسا، من باب طلب العلم، و استلهام التجارب، و محاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، و اقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشّلل الحضارىّ التى وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب و حضارته، و هى نظرة التطلّع إلى المدنيّة و حداثتها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹

من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسّر على ماضيه التليد، و التّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعى بالآخر الذى تشكّل عن طريق

الرحلة، و الأفكار التى تسرّبت عبر سطور الرّحالة، و الانتباهات التى ميّزت نظرتهم إلى الدول و الناس و الأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكّل ثروة معرفيّة كبيرة، و مخزنا للقصص و الظواهر و الأفكار، فضلا عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوى على الطريف و الغريب و المدهش مما التقطته عيون تتجوّل و أنفس تنفعل بما ترى، و وعى يلمّ بالأشياء و يحلّلها و يراقب الظواهر و يتفكّر بها.

أخيرا، لا بد من الإشارة إلى أن هذه السّلسلة التى قد تبلغ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس، و للمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربىّ فى ارتياد الآفاق، و استعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة، و هى إلى هذا و ذاك تغطى المعمور فى أربع جهات الأرض و فى قارّاته الخمس، و تجمع إلى نشدان معرفة الآخر و عالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب و المسلمين من خلال تلك الرحلات التى قام بها الأدباء و المفكرون و المتصوفة و الحجاج و العلماء، و غيرهم من الرّحالة العرب فى أرجاء ديارهم العربية و الإسلامية.

محمد أحمد السويدى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱

المقدّمة

الفصل الأول: رحلة الجعيدى نموذج للرحلات المغربية لأوربا خلال ق ۱۹ م

اشارة

إن حقبة القرن ۱۹ على الصعيد المغربى، تبدو إلى حد ما غنية بالتصورات المبدعة من قبل النخبة المثقفة، اتجاه النهضة الأوربية الحديثة، فطبيعة الظروف الدولية التى كانت قد أحاطت بالمغرب خلال هذه الحقبة و التى تتجلى فى تزايد الأطماع الأوربية و تراجع مركز المغرب الدولى، نشطت الديبلوماسية المغربية بشكل مكثف صوب أوربا، محاولة التأثير فى هذا الواقع، فكانت لها مردودية سياسية كما أنها أسهمت فى بلورة العديد من الإنتاجات الفكرية التى اهتمت بتصوير المدنية الأوربية الحديثة،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲

و يؤرخ هذا الانتاج الفكرى لأولى انطباعات المغاربة عن أوربا. و تندرج رحلة الجعيدى فى هذا الإطار كأكبر رحلة سفارية إلى أوربا، بقيت مخطوطة أكثر من قرن من الزمن قابعة داخل إحدى الخزانات العائلية السلاوية لا نجد ذكرا لها فى كل الدراسات التى تعالج فترة حكم السلطان الحسن الأول. حتى تفضل حفيد صاحب «الرحلة» سيدى محمد الجعيدى مشكورا فزودنا بها، كما أننا لم نعثر على نسخة أخرى للمخطوط، إن وجدت رغم قيامنا بالتفتيش الجدى فى مظان وجود المخطوطات المغربية، لذلك اعتمدنا على هذه النسخة الأصلية التى هى بين أيدينا، و واصلنا البحث داخل خزانة ولده سيدى عبد القادر الجعيدى الكائنة بباب حسين بسلا.

التعريف بالمخطوط

إن المخطوط الذى نحن بصدد تحقيقه و دراسته هو رحلة سفارية من تأليف إدريس الجعيدى كاتب سفارة الحاج محمد الزبيدى الرباطى إلى أوربا سنة ۱۸۷۶ م، و تبلغ عدد ورقات هذه النسخة ۱۷۸ ورقة. و بكل ورقة صفحتان واحدة عن اليمين و الثانية عن اليسار، ما عدا الأوراق التالية، ۳ و ۱۰ و الأخيرتين ۱۷۷ و ۱۷۸، بها صفحة واحدة فقط. إذن عدد الصفحات الموجودة بهذه النسخة ۲۵۶ صفحة، و مقياس كل ورقة ۱۸* ۲۶ سم و فى كل صفحة ما بين ۱۱ و ۱۸ سطرا، و فى كل سطر ما بين ۱۰ إلى ۱۸

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳

كلمة، و هى نسخة سليمة من الخروم، كتبت بخط مغربى رقيق عدلى بيد صاحبها بالحبر الأسود فقط، إضافة إلى هذا لاحظنا أن

المؤلف قد لجأ فی البدایة إلی کتابة فهرس عناوین رحلته مع أرقام الصفحات دون أن یوظف هذه العناوین بکاملها فی مکانها المناسب أو یکتفی بالإشارة إلیها فی الهامش مما اضطرنا إلی إعادة توظیفها بکاملها کعناوین بارزة تساعد القارئ علی التعرف عن الأحداث التی یتحدث عنها.

تتخلل المخطوط أحیانا نقط مثلثة () یبدو أن الجعیدی وضعها بدل الفواصل و النقط دون الرجوع إلی السطر، و قد حرص علی وضع التعقیبة فی آخر کل صفحة حتی یطمئن القارئ علی تسلسل المضمون. و تتضمن هذه النسخة العدید من الحواشی بعضها من نفس خط المتن و تکون فی اتجاهه، و هی مرتبة بالمتن کتخریجات أو توقیفات أو تصحیحات أو تعلیقات، أدرجتها فی مکانها المناسب داخل المتن بین نجمتین، و بعض هذه الحواشی بخطوط مختلفة تبین لنا أن أحدها خط ابنه عبد القادر الجعیدی، و الثانیة خط المؤرخ ابن علی الدکالی السلاوی. فأشرت إلی کل حواشیهما باسم صاحبها.

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۱۴

المتن

وردت فی النص أخطاء لغویة و إملائیة کثیرة، قمنا بتصحیحها و أثبتنا فی الهامش العبارة فی شکلها غیر الصحیح، و إذا تکرر الخطأ نصححه دون ذکر ذلک علی الهامش تلافیا لإثقال النص بالهوامش، أما بالنسبة لبعض الأخطاء الناتجة عن استعمال الکلام الدارج فإننا آثرنا ترکها کما وردت حتی لا یؤدی ذلک إلی تشویه النص، و قمنا بشرح بعضها فی الهامش، و إذا تکررت کثیرا أحلنا القارئ إلی ملحق خاص لشرح الکلمات العامیة المغربیة. و قمنا بترک الأشعار الواردة کما هی بدون تصحیح و ذکرنا بحورها العروضیة فقط. و استعملنا المزدوجتین للآیات القرآنیة و الأحادیث، أما العلامات (//) التی تتخلل النص فقد وضعناها لتشیر إلی المکان الذی تنتهی فیه کل صفحة من صفحات المخطوط.

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۱۵

الصفحات الفارغة من المتن

ذکر صاحب الرحلة فی فهرس رحلته و کذلک فی الصفحة/ ۱۲۵/ «.....» . و فی الصفحة/ ۲۳/ «هذا الفصل سیقدم و یلحق بموضعه المناسب بحول اللّه»، نستنتج من کلامه هذا أن رحلته ما زالت مسودة أی مبیضة و أنه لم ینته بعد من کتابة جمیع أجزاءها.

لهذا توجد بعض صفحات هذه الرحلة بیضاء فارغة و هی حسب الجدول التالی:

۱- فهرس العناوین الذی وضع صاحب الرحلة جزءه الأخیر غیر کامل .

۲- مقدمة الجعیدی جزءها الأخیر ناقص «... الطالب السید ...» عند الصفحة/ ۹/.

۳- الصفحات الفارغة فی المخطوط .

۴- الصفحة الوحیدة التی یوجد بها بثر فی وسطها بواسطة آلة حادة/ ۲۰۲/ هی رقم/ ۲۰۲/.

۵- الصفحتان/ ۱۲۳/ و/ ۱۲۴/ مکررتان.

۶- تنفرد رحلة الجعیدی السفاریة بوجود بعض الرسوم التوضیحیة بحواشی بعض الصفحات، کما أننی طعمتها ببعض الرسوم الأخری تقریبا للفهم (انظر جدول الرسوم بالملحق).

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۱۶

ترجمة صاحب الرحلة: ترجمة مختصرة لآل الجعیدی

ينتمى إدريس الجعيدى السلاوى إلى أسرة شريفة، كانت تستوطن مدينة تطوان، التى يوجد بها ضريح جده الشيخ أبو الحسن على بن مسعود الجعيدى المتوفى عام ۱۰۳۲ ه. «... و دفن بزاويته الخاصة قرب جامعه الكبير بحومة العيون، و ما زال ضريحه قائما تقام به الصلوات، و يزوره الناس و يتبركون به، و مسجده من أعظم مساجد تطوان» و قد احتفظ أبناء الشيخ بعد وفاته بكل احترام و توقير و مكانة هامة.

احتل حفدته مناصب مخزنية هامة فى الدولة المغربية أيام السلطان سيدى محمد بن عبد الله، الذى عين عبد السلام بن الخياط بن على الجعيدى قائدا بأحواز فاس لحل المشاكل و الدعاوى عام ۱۱۹۸ ه. و تولى محمد الجعيدى قيادة مدينة صفرو و أحوازها أيام السلطان مولاى سليمان عام ۱۲۳۵ ه. و عين عبد القادر بن الخياط الجعيدى كاتب الديوان الجهادى بسلا، كما جاء ذلك عند ابن زيدان : «أنه فى سنة ۱۲۰۳ ه أرسل السلطان سفارة مهمة للسلطان عبد الحميد كما جاء بخط كاتب الديوان الجهادى بسلا فى ذلك العهد سيدى عبد القادر الجعيدى أوائل شعبان ۱۲۰۳ ه ...».

و بالتالى هو أول من استوطن مدينة سلا من آل الجعيدى بسبب الوظيفة المذكورة،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷

و اتصل إذ ذاك بالقبطان الشهير الحاج الهاشمى عواد، و انعقدت بينهم المصاهرة التى ما زالت محكمة بين العائلتين و بعد حوالى نصف قرن من استيطان الجعيديين مدينة سلا، ولد صاحب الترجمة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸

شجرة آل الجعيدى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹

نسبه

سيدى إدريس ابن محمد بن إدريس بن عبد القادر بن الخياط بن على بن عبد الله بن الوالى الصالح سيدى على ابن مسعود، دفين تطوان، ابن مسعود حسب وثيقة خطية .

و يستمر نسب صاحب الترجمة مسترسلا، حسب قعود آل الجعيدى الموجود ب.

خ. ص. بسلا، و المكتوب فى ورقة عدلية من الحجم الكبير بتاريخ أواسط جمادى عام ۱۱۰۸ ه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰

مسعود بن تكال بن يجعد بن سليمان بن محمد بن إسماعيل بن عيسى ابن يعلى بن عبد العزيز بن خليفة بن هاشم بن سمرة بن هلال بن عمر بن كثير بن إدريس بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن فاطمة بنت مولانا رسول اللّه ... حتى نصل إلى بن عدنان. (رقم الوثيقة ۲۲) و مصادق على صحة هذا القعدود اثنا عشر من الشهود من أهل مدينة تطاوين بتاريخ رجب ۱۱۰۸ ه.

و قابل هذا القعدود عدلان و شهدا بصحة المقابلة و المماثلة بتاريخ ۱۹ جمادى الأولى عام ۱۳۲۸ ه، كما اطلع عليه عدلان من حضرة فاس يوم ۱۵ شعبان عام ۱۳۲۹ ه.

نشأته و دراسته أما تاريخ ولادة الشريف سيدى إدريس بن محمد بن إدريس

عبد القادر الجعيدى، إلى حد الآن لم أستطع أن أضبطها أو أعثر عليها، و إنما أقدرها فقط أوائل الخمسينات من القرن ١٣ ه. و هى تصادف الفترة التى ولد فيها المؤرخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى، المزداد بسلا بتاريخ ٢٢ ذى الحجة ١٢٥٠ ه، الموافق (٢٢ مارس عام ١٨٣٥ م).

إذن يمكننا أن نستشف و نتلمس من خلال ترجمة سيدى أحمد الناصرى- المنشورة بالاستقصا . الجو الثقافى و العلمى و الأدبى الذى كانت تعيشه مدينة سلا، و بالتالى نتعرف على نشأته و دراسته عن طريق المقارنة و المماثلة، لأن كلا من الناصرى و الجعيدى قرينان فى العمر و من أبناء مدينة واحدة.

تقول ترجمة الناصرى «... كانت هذه المدينة (سلا) إذ ذاك زاهرة بالعلوم الإسلامية و العربية، و فيها جماعة وافرة من العلماء و المدرسين و الأساتذة القراء الذين يعتمد عليهم فى تحقيق الفنون و درس أصول العلوم و المتون».

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ٢١

و ذكرت الترجمة العديد من الأساتذة و الشيوخ منهم «... الأستاذ محمد العلو السلاوى ... الأستاذ محمد بن الجيلانى الحمادى فى مبادئ علوم قراءة القرآن ...

الأستاذ محمد بن طلحة الصباحى ... الأستاذ عبد السلام بن طلحة ... العلامة محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوى ... العلامة أبى بكر بن محمد عواد السلاوى ...»، و غيرهم.

مما لا شك فيه أن صاحب الترجمة سيدى ادريس الجعيدى، لما يوصف به من شغف بالعلم و حب أهله، أنه درس هو الآخر على هؤلاء الأساتذة و انتفع بعملهم و استفاد من الجو الثقافى الذى كانت تعرفه مدينة سلا، و كانت «... تصل إليها بعض المجلات العلمية و الجرائد السيارة تأتى من مصر و الشام و فرنسا ...». هذا فى ما يخص الدراسة أو الثقافة العامة، غير أن إدريس الجعيدى اهتم بدراسة العلوم الحديثة كالرياضيات، و علم الفلك الذى برع فيه كاختصاص.

أهم شيوخه فى علم الفلك

كما جاء عند ولده عبد القادر الجعيدى فى إحدى أوراقه المخطوطة بخزانته بباب حساين بسلا «إن والدى رحمه الله كان تبرز فى هذا الفن و غيره، و تميز تحقيقا و تدقيقا و تنظيرا و استخراج الكنوز الغامضة من قعر معادنها، و قد أخذ هذه العلوم عن عدة علماء ... منهم سيدى الجيلانى الرحالى بمكناس هو الذى صنع رخامات بجامع مكناس ... ثم أخذ والدى أيضا على الشريف المتفنن سيدى عبد السلام العلمى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ٢٢

و له تآليف عديدة و صنع رخامات ...، كما أخذ والدى المقدس عن مولاى أحمد السويرى قرأ الفنون بأوربة بأمر مولوى، و أخذ عن علماء أربعة قرأ بإيطاليا و غيرها، منهم الحاج ادريس الشاوى برز فى الهندسة و علم الرماية بالمدافع و غيرها، و عن السيد المختار الرغاى .

و عن السيد أحمد بنانى الفاسى الذى، كلف آخر عمره بمكينة ضرب السكة بفاس، و كلفهم مولاى الحسن رحمه الله بتصوير البلدان، و والدى كان يأخذ عنهم و يباشر معهم العمل، و أخذ والدى رحمه الله عن العلامة أحمد بورقية ، كان يدرس تأليف أقليدس فى الهندسة برباط الفتح، و إذا أصابه عذر كالمرض يستنيب والدى فى الدروس بالرباط ... و أخذ عن الحاج محمد التريكى الرباطى و هلم جرا، كما أخذ أيضا عن الأحبابى الكبير الموقت بالقرويين عام ١٣٠٣ ه ...».

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ٢٣

و قد شهد له بذلك المؤرخ الناصرى «... الفقيه الأديب فلكى العصر و حاسبه الشريف أبو العلاء ادريس بن محمد الجعيدى السلاوى

...».

كما وصفه الأستاذ عبد الله الجرارى «... أبو العلاء الجعيدى من المولعين بالرياضيات و الهندسة و التعديل و الرصد، مع ولوع بالأسفار و التجوال، رحل إلى أوربا و سواها ... له تقييد حافل يقع فى ثمانية كراريس ...». و بنفس الوصف ذكره العباس بن إبراهيم « ... الشريف الأديب فلكى العصر ...»، و وصفه الأستاذ أحمد الصبيحى «... و كان رحمه الله بارعا فى الأدب و العلوم الرياضية إليه المنتهى فى الهندسة و أحكام النجوم و التوقيت و التعديل و الحساب و الفرائض و غير ذلك، مع مشاركة فى فنون شتى و جال فى بلاد الشرق و حج ...» ، أكد هذا صاحب الترجمة فى رحلته المخطوطة: ۱۲۳ «... فى أواسط شعبان عام ۱۲۷۷ ه كنا نتهيأ للسفر لحج بيت الله الحرام ...».

كما هو معروف و متوارث أن جل من يقصد البلاد الحجازية من الأدباء و العلماء ... ينتهز فرصة هذا السفر الطويل لطلب العلم و لقاء المشايخ الكبار و نيل الإجازات و ارتياد المكاتب المشهورة، فكثير ما كانت الغاية الدراسية تتحد مع أداء فريضة الحج، و مما لا شك فيه أن صاحب الترجمة استفاد من سفريته هذه إلى الشرق العربى الناهض. و بعد عودته من رحلته السفارية إلى أوربا عام ۱۲۹۴ ه، و فد على حضرة السلطان و مدحه بقصيدة جيدة نشر بعضها الناصرى (انظر نصها بالملحق: ۲) و بعدها همش من أية مهمة مخزنية، حتى عينه السلطان الحسن الأول فى ربيع الثانى من سنة ۱۲۹۷ ه لإحصاء صائر بمراكش بدلا عن الفقيه عبد الله بن خضراء، فمدح السلطان بقصيدة طويلة نشرها الناصرى حوفظ فيها على الأوزان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴

الشعرية (نصها الكامل بالإستقصا).

يقول فى مطلعها:

لبيك يا منقذى من لجة العدمسعيا على الجفن لا مشيا على القدم

فذا أوان سعود كنت أوصدهو ذى منای كما فى سابق القدم

إلى أن يقول:

مولای أنت الذى تغنى الضعيف إذاما الدهر أفضى به لقبضة الهرم

مولای جد برضاك لى و خذ بيدىو احرس جنابى به من سائر الألم

حياته العائلية

زواجه الأول كان من السيدة خديجة الصابونجى عام ۱۲۷۱ ه. حسب عقد الصداق (رقم الوثيقة ۱) ب. خ. ع. ص. بسلا.

«عقد بين الشاب سيدى إدريس بن الشريف الحاج محمد الجعيدى، و الطالب الشريف سيدى محمد بن الشريف مولای أحمد الصونجى». الأول عقد على نفسه و الثانى على ابنته خديجة بتاريخ ۱۱ ذى القعدة عام ۱۲۷۱ ه.

السيدة الصابونجى خلفت معه عائشة و مولای محمد و الطاهرة و البتول و زينب و صفية و مولای محمد، و ماتت نفاسا يوم ۶ ربيع الثانى عام ۱۲۹۰ ه، حسب كناشة بخزانة ولده عبد القادر الجعيدى، و كتب صاحب الترجمة بخطه تواريخ ازدياد أولاده من السيدة الصابونجى.

و بنفس الخزانة عثرت على تريكة صاحب الترجمة، و التى تذكر أنه تزوج بعد وفاة زوجته خديجة الصابونجى، بالسيدة فاطمة بنت الأمين الطالب السيد الحاج

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵

محمد بن أحمد عواد و خلفت معه.

- سيدى عبد القادر (صاحب الخزانة بباب حساين بسلا).

- سيدى محمد دعى ابن إدريس، و سيدى أحمد، و زهراء و حبيبة.

و ترك كذلك خزانة مهمة من الكتب الفقهية و الأدبية المتداولة فى عصره، بالإضافة إلى العديد من الكتب فى علم الفلك و التوقيت و علم التنجيم، و مجموعة من أدوات الرصد و القياس (انظر لائحة الكتب و الأدوات بالملحق).

وفاته

و توفى- رحمه الله تعالى- فى عصر يوم الأحد الثانى و العشرين من صفر عام ثمانية و ثلاثمائة و ألف (۱۳۰۸ ه)، و دفن بضريح ولى الله تعالى سيدى على المليح- رضى الله عنه- من بلده سلا حرسها الله .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶

الفصل الثانى الإطار التاريخى للرحلة

اشارة

عرفت العلاقات المغربية الأوربية فى السنوات الأولى من القرن ۱۹ م تقلصا كبيرا بسبب انشغالهم بحروب الثورة الفرنسية و حروب نابليون بونابرت، و يتجلى هذا فى ضعف التمثيل القنصلى المتركز بطنجة، و إغلاق السلطان مولاى سليمان جل الموانئ المغربية أمام التجارة الخارجية و إبطال سنة الجهاد البحرى سنة ۱۸۱۷ م، إلا أن سياسة الاحتراز التى تبناها المولى سليمان لم تعد ممكنة فى عهد السلطان المولى عبد الرحمن الذى شعر بخطورة احتلال فرنسا للجزائر سنة ۱۸۳۰ م و التى أخلّت بالتوازن السياسى و العسكرى فى المنطقة» و أرغمت المغرب على الدخول فى حرب مفتوحة مع فرنسا عند وادى إيسلى سنة ۱۸۴۴ م، فكانت أول معركة عسكرية ينهزم فيها المغرب منذ أزيد من قرنين، و قد انهار على أثرها صيته العسكرى، و اضطر المولى عبد الرحمن إلى التوقيع مع فرنسا على معاهدة سنة ۱۸۴۵ م و التى قسمت الحدود المغربية الجزائرية من الشواطئ المتوسطية إلى مدينة فكيك.

كما شهدت هذه الفترة نموا ملحوظا فى المبادلات التجارية مع أوربا نظرا لحاجتها إلى الأصواف و الجلود و الحبوب و غير ذلك من المواد الخام، بيد أن هذا النمو لم يكن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷

منتظما و كان مرتبطا بالظروف الدولية، و ظل المغرب بالنسبة للتجارة الأوربية سوقا تكميليا تلتجئ إليه فى فترة الأزمات. فى هذه المرحلة كان المخزن ما زال مسيطرا نسبيا على الموقف فى تعامله مع الدول الأوربية، و كان التشريع الجمركى سلاحه الفعال فى ميدان التجارة البحرية، إلا أن الأوساط الأوربية المهتمة بالمغرب تضايقت من هذا الوضع، و أمام ضغطها تجندت الدول الأوربية لإرغام المغرب على عقد معاهدات تجارية لترسيخ قواعد التحكم الأجنبى فى التجارة المغربية، و ربط مصالح الخزينة السلطانية بمصالح التجارة الأوربية، و قد تحقق هذا الهدف بعقد ثلاث معاهدات ، الأولى مع أنجلترا سنة ۱۸۶۵ م و الثانية مع إسبانيا بعد حرب تطوان مباشرة سنة ۱۸۶۱ و الثالثة مع فرنسا سنة ۱۸۶۳ م، غيرت بعمق طبيعة العلاقات المغربية الأوربية، لأنها نصت على تقوية مكانة الحماية القنصلية بالمغرب، و التى أصبحت فى تصاعد مستمر، و بالتالى انعكس كل هذا على مالية المخزن فأصبحت الحماية حاجزا أمام كل إصلاح. من هنا ندرك مدى اهتمام السلطان الحسن الأول لإيجاد حل لهذا المشكل الذى اعتبره أصل جميع الخلافات القائمة بينه و بين أوربا.

فخلال هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ المغرب المعاصر، نشطت الديبلوماسية المغربية، بشكل مكثف محاولة التأثير فى هذا الواقع، و

الدفاع عن وضع المغرب الدولى، و مستهدفة فى آن واحد استثمار التناقضات السائدة فى صفوف القوى الأوربية لمصلحتها.

أوفد المخزن المغربى خلال هذه الحقبة الممتدة من سنة ۱۸۴۵ إلى سنة ۱۸۷۶ م

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸

أربع بعثات دبلوماسية. الأولى بقيادة الحاج عبد القادر أشعاش إلى فرنسا على عهد المولى عبد الرحمن، و الثانية برآسة إدريس العمراوى إلى فرنسا و الحاج عبد الرحمان العاجى صحبة الكاتب محمد الطاهر الفاسى إلى أنجلترا، أما الثالثة فبقيادة محمد بن عبد الكريم الشرقى سنة ۱۸۶۶ م صحبة محمد بن سعيد السلاوى، أما الرابعة فكانت بقيادة محمد الزبيدى الرباطى و الكاتب إدريس الجعيدى و ذلك على عهد السلطان الحسن الأول إلى فرنسا و بلجيكا و أنجلترا و إيطاليا دون إسبانيا التى حاولت عرقلة سفر الزبيدى و رفاقه إلى أوربا، بقيامها بتحركات عسكرية شمال المغرب، بهدف استفزاز المخزن المغربى و تخويفه من مغبة الإقدام على ما يتعارض مع المصالح الإسبانية بالمغرب مما دفع وزارتى الخارجية لكل من فرنسا و أنجلترا أن تطلب من الحكومة الإسبانية عن طريق سفيريهما بمدريد توضيحات عن هذه التحركات

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹

العسكرية قصد منعهم من أية حملة عسكرية جديدة على المغرب، كما أخبر بذلك سفير إيطاليا بلندن وزارته بروما، بعد حديثه مع الوزير البريطانى اللورد دربى الذى أكد له «بكون الحكومة الإسبانية ستبعث بمجموعة من الجنرالات إلى المغرب لملئ أوقات فراغهم و إشباع رغباتهم و ذلك لعدم إيجاد شغل لهم، و أنجلترا و ألمانيا قد أخبروا بهذه البعثات الإسبانية و لم تعارض على ذلك، و لهذا فإن سفارة الزبيدى ستحاول الوصول إلى معرفة رأى الحكومات الثلاث فرنسا و أنجلترا و إيطاليا عن هذه الحالة، و الذى أظن أنه فى صالحنا استمرار استقلال المغرب و عدم احتلاله خصوصا من طرف إسبانيا، و الكونت دربى يشاطرنى هذا الرأى، و الحالة المحتملة هو كون أنجلترا و إيطاليا مع فرنسا يمكنهم عرقلة ما تريد القيام به إسبانيا بالمغرب ... و بهذه العرقلة سنصل إلى رتبة ممتازة لعلاقاتنا التجارية مع المغرب ...» .

فى هذا الجو من الضغوط العسكرية و الملابسات السياسية، توجهت سفارة الزبيدى إلى أوربا فى صيف سنة ۱۸۷۶ م على متن الفركاطة الحربيةCassard إلى فرنسا ثم بلجيكا و أنجلترا و إيطاليا، بعدما فشل مشروعها الأول سنة ۱۸۷۵ م حيث كانت ستقتصر فى رحلتها على فرنسا فقط.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰

المشروع الأول لسفارة الزبيدى

عين السلطان الحسن الأول محمد الزبيدى الرباطى، الرجل الخبير فى المشاكل التى عرفها المغرب منذ بداية القرن ۱۹ م. سفيرا عنه إلى دولة فرنسا فقط فى البداية و هى تأتى ردا عن زيارة السفير الفرنسى طيسوTissot لمدينة فاس سنة ۱۸۷۳ م حسب ما جاء فى الرسالة السلطانية التالية إلى نائبه بطنجة محمد بركاش.

«... و بعد، فقد وجهنا حامله خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبيدى بقصد التوجه سفيرا لدولة الفرنصيص للغرض الذى قدمناه لك، فقد حملناه ما يتكلم فيه من المصالح مع الدولة التى تعود بدوام الخير بين الدولتين، و دفعنا له تقييدا متضمنا لذلك. فلا بد تفاوض معه فيه، و تبين له ما يحتاج إليه من كيفية الكلام معهم فيه، و الأمور التى تسهل له التوصل لقضاء الغرض المطلوب، و لا بد. و قد وجهنا معه من يرافقه من الأمناء و المخازنية المقيدين بالطرة ، و فى الأثر يرد عليكم الكتاب

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱

الشريف الذى يصحبه معه لعظيم الدولة و السلام». فى ۲۱ من ذى القعدة عام ۱۲۹۲ ه.

بالفعل أشعر بركاش القائم بأعمال فرنسا بطنجة بنية السلطان الحسن الأول إرسال سفارة مغربية إلى فرنسا فى شهر غشت عام ۱۸۷۵ م.» إلّا أن بعض الحوادث قد أخرت تطبيق المشروع إذ لم يغادر مندوب السلطان مدينة طنجة إلّا فى السنة التالية عام ۱۸۷۶».

أما أسباب التأخير الحاصل فى توجه الزبيدى إلى فرنسا فهى مجهولة ربما نرجعها للوضعية المغربية الداخلية التى كانت تعرف الكثير من الفتن و الثورات و كذلك إلى الظرفية السياسية التى كانت تعرفها أوربا خاصة دولة فرنسا سنة ۱۸۷۶ م.

كما أن الجعيدى أكد فى رحلته أن الخروج الأول لسفارة الزبيدى كان من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲

مدينة مراكش، و ليس من فاس عند الانطلاقة الثانية لسفارة الزبيدى.

فى نفس التاريخ وجه السلطان رسالة إلى خديمه الحاج محمد بن سعيد السلاوى يخبره بتعيينه الزبيدى سفيرا إلى فرنسا، و يطلب منه مساعدته على اختيار أحد الكتاب من أهل سلا لمرافقته و هذا نصها:

«... و بعد فقد عينا خديمنا الحاج محمد الزبيدى للتوجه سفيرا لدولة الفرنصيص، فإن عين لك كاتبا يصحبه معه من خدامنا أهل سلا فامره بالتوجه معه لقضاء الغرض و السلام، ۲۱ ذى القعدة عام ۱۲۹۲ ه ..». و بعد تفاوض الزبيدى مع بعض أعيان الرباط يقول الجعيدى «.. .. أشاروا عليه بصاحب هذا التقييد ...» فطلب الزبيدى من القائد بن سعيد أن يرسله عاجلا إليه «... فتوجهت إلى الباشدور فتلاقيت به ... فأخبرنى بخبر هذه الحركة السعيدة ...».

بسبب العديد من المشاكل تأجل موعد ذهاب سفارة الزبيدى إلى فرنسا من أبريل سنة ۱۸۷۵ م إلى شهر يونيو سنة ۱۸۷۶ م و هذه المرة إلى أربعة دول و هى فرنسا و بلجيكا و أنجلترا و إيطاليا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳

المشروع الثانى لسفارة الزبيدى

بسبب النشاط الديبلوماسى المكثف الذى قام به سفراء أنجلترا و إيطاليا إبان هذه المدة القصيرة من حكم السلطان الحسن الأول، ففى أبريل ۱۸۷۵ م، قام ممثل بريطانيا بطنجة دريموند هاى بمقابلة السلطان بفاس، و عرض عليه مشروع إصلاح الإدارة المغربية، التى قال عنها أنها أكثر الإدارات فسادا فى العالم، كما أخذ موافقة السلطان على إرسال ۲۰۰ جندى مغربى لجبل طارق، و لا يستبعد أن د. هاى طلب مرور الزبيدى على أنجلترا، و وعده أن ابنه روبرت سيكون الترجمان المرافق لهم أثناء هذه الزيارة. أما ممثل بلجيكا بطنجة دالوان، فقد طلب هو الآخر إرسال بعثة طلابية من المغاربة للتدريب على الأسلحة الحديثة ببلاده، و كذلك لزيارة العديد من المعامل الحربية و أخبر المخزن المغربى بتوفرهم على سلاح خفيف متعدد الطلقات (الرشاش)، كما أبدى رغبة سلطانهم فى تجديد المحبة القديمة و تعزيز العلاقات التجارية مع المغرب.

كما استقبل السلطان الحسن الأول السفير الإيطالى Stefano Scovasso الذى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴

قدم أثناءه صورة لملك إيطاليا مهداة من صاحبها إلى ملك المغرب، طلب هو الآخر أن تمر سفارة الزبيدى على بلاده، و غادر فاس يوم تاسع يونيه سنة ۱۸۷۶ م. و قد سجل كاتب السفارة الإيطالية دى أميسيس رحلته هذه، و ذكر أن عدد سكان المغرب على ذلك العهد ثمانية ملايين و أنه أوسع من فرنسا مساحة ... . لهذا عمل الحسن الأول لمواجهة هذه الهجمة الأوربية المتسترة وراء الإصلاح على ضرب سفارة بسفارة أخرى، بتغيير برنامج سفارة الزبيدى الأحادية إلى فرنسا، إلى سفارة متعددة الاتجاهات، مستغلا بذلك المنافسة الدولية لصالح استقلالية بلاده، و لإخراج قضية الحماية القنصلية من إطارها الضيق إلى مجال الدراسة و التقنين و من أجل تدويل القضية المغربية بأسرها، و الاستفادة من التناقضات التى كانت سائدة فى صفوف القوى الأوربية لحسابه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵

دوافع تسجيل الرحلة

ذكر صاحب الرحلة الجعيدى فى مقدمته أنه بعد تعيينه كاتبا فى سفارة الزبيدى، لم تكن عنده فكرة تسجيل تفاصيل هذه الرحلة السفارية، غير أن انتشار خبرها «... . سمع به بعض علماء بلدتنا الغائبين عن حضرتنا ... سيدى أحمد الناصرى اقترح على أن أجعل رحلة فى سفرى و استغرق نهارى و سهرى، تكون جامعة لكل خبر غريب، و لما نراه فى الأوطان من كل أمر عجيب، إلى غير ذلك مما لا يخطر بالضمير ...

فكتبت له مجيبا ... سأجعل بحول الله تقييدا ... و أجبته بضمن ذلك تسلية لخاطره، من باب الوعد الذى لا يجب الوفاء به ...».

فعلا لم يشرع فى كتابة رحلته عند خروجه من سلا إلى طنجة صحبة الأمين بناصر غنام لمقابلة الزبيدى هناك، غير أن أمين مرسى طنجة عبد القادر غنام ذكره من جديد بضرورة تسجيل تفاصيل رحلته هذه إلى أوربا، فشرع حينئذ فى كتابتها. و ذكر أنه لقى تشجيعا حتى من لدن الأوروبيين لحمله أثناء تنقله القلم و الورقة و لكثرة الأسئلة التى يطرحها على التراجمة، غير أننا نجد السلطان الذى بعث السفير أحيانا هو الذى يحثه على كتابة ما رأى و ما سمع فى البلاد التى يرحل إليها ، و فى حالة أخرى يطلب السفير الإذن من السلطان بالكتابة كما فعل أحمد الكردودى ،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶

فأجابه بخط يده بما نصه «أصاب، أصاب فيه فليكمل عمله». أما الجعيدى فإنه لم يتلق أوامر سلطانية بكتابتها و لم يطلب الإذن بذلك. ربما كانت هذه الأسباب هى التى جعلت رحلته تبقى مغمورة طيلة هذه المدة و متحررة من كل القيود المخزنية ..

و مما لا شك فيه أنه بعد عودته إلى مسقط رأسه سلا، كشف على ما سجله فى رحلته لعلماء بلدته و أصحابه و خاصة صديقه المؤرخ أحمد الناصرى. «.. قيد صاحبنا أبو العلا المذكور رحلته البديعة المسماة بتحفة الأحبار بغرائب الأخبار قد اشتملت على كل نادرة و غريبة، و أفصحت عن صنائع الفرنج و حيلها العجيبة ..» .

و وصفها عبد الله الجرارى «.. رحل إلى أوربا و سواها من البلاد التى زادته اتساعا فى معلوماته، له تقييد حافل ضمنه مشاهداته و ما وقف عليه من عجائب و غرائب برا و بحرا، يقع فى ثمانية كراريس ..» .

و ذكر الأديب أحمد الصبيحى فى كناشته «.. و له اختصار بعض مقالات إقليدس فى الهندسة، و كتاب الرحلة المسمى «تحفة الأحبار بغرائب الأخبار» و هى نسختان صغرى و كبرى اشتملت الصغرى على أخبار سفره من بلاد الغرب إلى بلاد الفرنج و ما شاهده فيها من العجائب و الغرائب و غير ذلك، و الكبرى على ذلك أيضا و على أخبار الفرنج من لدن الهجرة النبوية إلى عصر مؤلفها و ضم لذلك أخبار الدولة العلوية من أولها إلى أواسط مدة مولاى الحسن- رحمه الله- و كان هذا السفر مع رفقاء بإذن من السلطان لغرض له ..».

الرحلة الكبرى و مختصر مقالات أقليدس فى الهندسة لم أعثر عليهما رغم البحث الطويل الذى قمت به بخزانة ولده سيدى عبد القادر الجعيدى بباب حساين بسلا، كما لا توجد عند حفدته.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷

منهجية الجعيدى

أبدى الجعيدى فى مقدمة رحلته الخطوط الأساسية لمذكرة سفره، حيث قسمها إلى أجزاء و أبواب مع تصور للموضوع و تحديد الغاية منه فى تواضع و اعتذار عن عدم استيفائه للمقصود، لهذا فإن منهجيته تعكس مستواه الفكرى و العلمى، فتكوينه فى علم الحساب و الهندسة جعلت مكانته بارزة بين أفراد البعثة المغربية، بل فرض وجوده إلى حد ما على السفير الزبيدى فى التعامل مع

الأشياء التى تحتاج إلى الدراية العلمية و الإحصائية و ما أكثرها إذ ذاك فى أوربا الناهضة فى مختلف المجالات.

لهذا فإن منهجيته فى الكتابة تختلف عن منهج التدوين الذى كان سائدا فى عصره عند الفئة المثقفة. لذلك ابتعد من الاستطراد و حشو مؤلفه بكتابة الغير، فأسلوبه جاء أسلوبا متميزا بالسرعة و الحركة و التداخل. كما تميز أسلوبه بالدقة فى وصف الأحداث، غير أنه اصطدم لغويا كغيره بالحضارة الأوربية العصرية، خاصة فى التعبير العلمى باللغة العربية عن المستحدثات العلمية، و لملء هذا الفراغ اضطر الجعيدى كغيره فى القرن ۱۹ م، إلى إدخال المصطلحات الأجنبية و العامية المغربية فى كتابته قصد التعبير على ما شاهدوه فى أوربا. و من الناحية الشكلية يؤخذ على صاحب الرحلة كثرة الأخطاء الإملائية و اللغوية، و يختصر فى الكلام عند حديثه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸

عن الأنشطة السياسية إلا أن هذا الأسلوب ظل واضحا و مفهوما يتخلله السجع و يستشهد بأبيات شعرية بدون أن يذكر أصحابها و يكتفى بعبارة (كما قيل) بدون إفراط فى ذلك. و طبيعة الرحلة فرضت على صاحبها تعدد المواضيع التى تشهد له باطلاعه الواسع، لأنه عالج الكثير من الأمور التى كانت تشغل الفكر المغربى فى ذلك العصر، و كأن الرحلة هى مفتاح لطرحها و وسيلة للتعارف و التعريف.

فأحداث الرحلة فرضت على الجعيدى ضرورة اختيار منهج علمى واضح، مبنى على العناصر التالية: السماع و المشاهدة و الوصف و الوعى و الدراية. و يتمسك بموضوعية الرحلة التى تنبغى أن ترتبط أخبارها بالصدق و الجدية و ألا تكون المعلومات منقولة و إنما مأخوذة من المشاهدة و البحث و الاتصال باعتبار مرتبته العلمية التى تجعل منه رسول فكر و حضارة و ثقة من حيث كفاءته و شهادته، مع العمل على التجديد الذى ينبغى أن يبتدئ من الرحالة نفسه، فى تفكيره و تكوينه و تمدنه و تطوره الحضارى، لهذا استطاع أن ينفذ إلى عمق المواضيع الرئيسة التى أجبر على دراستها و فهمها قصد كشفها و اختبارها لباعثه الذى ينتظر منه الكثير ليساعده أن يكون فى مستوى اتخاذ القرار الصائب، الذى يعود بالمنفعة عليه و على بلاده، و بذلك يكون اجتهاده الفكرى فى مستوى تطلعات حكامه لتظهر بلاده بالمظهر اللائق بها، و قد نحاسبه إذا ظهر منه تقصير فى جهده من أجل تجديد فن الرحلة، و يبدو جليا أن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹

ظاهرة الاتباع و كثرة النقول و تكرار ملامح من الماضى الثقافى و الحضارى هى التى كانت سائدة فى الرحلات الحجازية، أما الرحلات السفارية فهى أكثر تجددا فى الجانب الحضارى و التنظيم السياسى، و التقدم الاجتماعى و العسكرى و الصناعى و العلمى و غير ذلك. فتميزت رحلة الجعيدى بهذه المعطيات عن الأصناف الأخرى.

خاصة أن الجعيدى يتحدث عن الحضارة الغربية فى رحلته بلهجة إيجابية توحى بالتبنى بعيدا عن الانبهار الغيبى، و فى نفس الوقت يعارض من يفتخر بها و يعتبره خارجا عن الطريق المستقيم، فالمؤلف يفرق بين الصنائع المستحدثة من جهة و بين طريقة عيش الأوربيين كالنصارى، و احتكامهم إلى قوانينهم غير الشريعة الإسلامية فيستحسن الأولى و يستنكر الثانية مستعيذا بالله ممن يغتر بهذه الأشياء.

طريقتنا فى التحقيق

إن دراسة و تحقيق «إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار» تلاقى عدة صعوبات لعل أولها طريقة التعامل مع هذه النسخة الفريدة و التى تمثل نموذجا لقراءة مغربية للمجتمع الأوربى، فهى ليست قراءة للمجتمع الآخر أو وصفه بقدر ما هى تعبير عن مجتمع الجعيدى و تعريف له بالسلب المنطقى، حيث لا يسجل الجعيدى فى رحلته إلا الأشياء التى يفتقدها فى مجتمعه الأصلى، ليصل فى النهاية إلى تحديد مجتمعه الذى يخطو خطواته الأولى نحو الإصلاح. و يمكننا القول أن الرحلات السفارية قد ساهمت بقدر كبير فى الدفع بهذه الخطوات نحو الأمام، كما ستثبته الدراسة، لأن معظم الرحلات السفارية التى تم تحقيقها و طبعها لم تتطلب من المحقق سوى الحصول

على النسخة الأصلية أو على أقرب النسخ إلى الأصل، و هى أدنى درجة من درجات التحقيق لتوزع فى أسواق الكتب باعتبارها كانت مفقودة أو نادرة جدا. أما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰

الصعوبة الثانية فهى تقنية قراءة النص خاصة أن المؤلف غالبا ما لا يفصح عن أسماء الأماكن التى يزورها و أسماء الأشخاص الأجانب الذين يستقبلهم. و الصعوبة الثالثة تتجلى فى اتساع الرقعة الجغرافية التى تجرى فيها أحداث الرحلة و تعدد و تنوع المصادر و المراجع، و صعوبة الترجمة خاصة بالنسبة للوثائق الإيطالية.

- فما هى السبل التى سلكناها قصد تجاوز هذه الصعوبات؟

انطلاقا من النص الذى هو عبارة عن مذكرات يومية و متسلسلة زمنيا شبيهة (بالحوليات) إلا أنها تعالج أحداثا متنوعة و مختلفة. حاولنا أن نخضعه لعمليتى التفكيك و التركيب، قصد توسيع مجال التفكير حول هذه الفترة و الأحداث التى تعرض لها، على أساس أن يبقى النص محترما فى هيكله ليحتفظ دائما بقيمته الذاتية. أما الصعوبة الثانية فانطلاقا من الوصف الذى سجله صاحب الرحلة اعتمدنا على ما يقابله فى الموسوعات العالمية حتى تمكنا من استخراج معظم أسماء الأماكن التى أشار إليها. و استعنا لشرح التقنيات الميكانيكية التى أشار إليها الجعيدى عند زيارته للفابريكات الصناعية ببعض مصادر تاريخ تطورها. كما اعتمدنا على ما كانت تنشره الصحف و الجرائد من أخبار عن أنشطة الزبيدى، خاصة الجرائد البلجيكية و الإيطالية ، حتى تمكنا من مواكبة تحركات السفارة المغربية داخل أوربا، و كذلك تعرفنا على بعض الوثائق الرسمية الأجنبية و المحلية التى تحدثت عنها، حتى استطعنا فى الأخير أن نسلط الأضواء على الكثير من الجوانب الغامضة فى الرحلة، و نناقشها عن مصداقيتها من خلال هذه الوثائق، كما قارناها مع بعض الرحلات السفارية المغربية الأخرى لنتعرف على مدى التطور الحاصل فى فن أدب الرحلات خلال ق ۱۹ م، كما حاولنا ربط التوجهات الرئيسية للرحلة بما عرفه عهد السلطان الحسن الأول من إصلاحات فى شتى الميادين، أثناء و بعد رجوع السفارة المغربية، خاصة أن السفير الزبيدى قد بقى يمارس مهامه المخزنية حتى الأيام الأخيرة من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱

حياته، مع مراعاة الظرفية السياسية الدولة التى كانت تعيشها أوربا بعد حرب ۱۸۷۰ م و قبل مؤتمر برلين.

أما مشكلة ترجمة الوثائق الإيطالية فقد ساعدنى فيها أخى المتخرج من جامعة بولونيا الإيطالية.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲

الفصل الثالث الجانب السياسى و العسكرى فى الرحلة:

سياسيا

انطلاقا من الرسائل الرسمية التى كان يتبادلها السفير الزبيدى، إما مع حكومات الدول التى زارها أو مع المخزن المغربى، استطاع المؤرخون التعرف على بعض الجوانب السياسية لمهمة هذه السفارة المغربية، و تتلخص فى كون السلطان لم يكن يطلب أكثر من احترام المعاهدات و الاتفاقيات التى منحتها الحماية القنصلية فى ظروف خاصة، غير أن ممثلى الدول الأجنبية كانوا يتجاوزونها أو يتعمدون تأويلها على غير حقيقتها و هذه المطالب هى :

۱- قصر الحماية على المستخدمين مع القناصل، و على السماسرة الذين يعملون مع التجار الأجانب، على أن لا يتجاوز عدد المحميين منهم سمسارين لكل دار تجارية كبيرة.

۲- قصر الحماية التى يمنحها القناصل على سكان الموانئ وحدهم دون أن تمد إلى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳

سكان المدن الداخلية.

۳- إلغاء سكوك الحماية التى منحها القناصل لبعض سكان الأرياف بحيث لا يجوز منح الحماية لمن يسكن فى البادية .

كما تعرض الزبيدى لقضية الشرفاء العلويين- أولاد السلطان عبد الملك بن السلطان مولاى إسماعيل العلوى- المستقرين بقرية تيوت، و هى قرية مغربية ألحقها الجيش الفرنسى بالجزائر بعد انهزام الجيش المغربى أمامهم فى معركة إيسلى سنة ۱۸۴۴ م و أجبروا على أداء بعض الضرائب التى كانوا معفيين منها من قبل. و حول هذا الموضوع جرت العديد من الاتصالات التلغرافية بين وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، و القيادة العسكرية العليا بالجزائر العاصمة و وهران، حول كيفية تسوية المشاكل المتعلقة بقرية التيوت. و فى الأخير قبل وزير الشؤون الخارجية الفرنسية أن إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴

يحتفظ للشرفاء بامتيازهم القديم على شرط أن يمسكوا عن القيام بأى نشاط سياسى.

و فى نهاية زيارته لأنجلترا أدرك الزبيدى أن لا فائدة ترجى من وراء مذاكراته مع الساسة الأوربيين حول إصلاح الوضع المتدهور فى المغرب. فأخذ المبادرة بسرعة و كتب رسالتين فى يوم ۳ غشت ۱۸۷۶ م. الأولى إلى اللورد إدوارد ستانلى دربى يطلب منه إصدار توصيات إلى وزيره المفوض بطنجة للمساعدة على تتميم المذاكرة هنا. و الثانية إلى الحاجب السلطانى موسى بن أحمد البخارى يخبره بمحادثاته فى لندن و يشير إلى فكرة نقل المذكرات فى موضوع الحماية القنصلية إلى طنجة.

فاقتراح الزبيدى الذى نستطيع أن نجزم أنه صاحب فكرة نقل المذكرات فى موضوع الحماية القنصلية إلى طنجة، قد لقى القبول من طرف أنجلترا و السلطان بهدف تدويل القضية المغربية. و بالفعل بعد عودة الزبيدى إلى طنجة يوم ۲۲ شعبان عام ۱۲۹۳ ه/ الموافق ۱۲ شتمبر سنة ۱۸۷۶ م، بدأ المخزن المغربى يعد نفسه لهذه الاجتماعات الدولية و توجيه الدعوة إلى ممثلى الدول الأجنبية مصحوبة بمذكرة ۱۰ مارس سنة ۱۸۷۷ م. و قد استمرت الاجتماعات ثلاثة أعوام بحضور السيد بركاش و الزبيدى الذى ألزمه السلطان «بالرجوع من فاس إلى طنجة لتتميم المسائل المحالة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵

على القناصل و الباشدورات القاطنين هنالك فى حل مبرمها». هذه الاجتماعات تخللتها مراوغات و مناورات و لم تفض إلى نتيجة مرضية، فكانت الدعوة لعقد مؤتمر دولى بمدريد سنة ۱۸۸۰ م، بإيعاز واضح من أنجلترا هذه المرة.

هنا يتوقف كلام الباحثين عن مردودية سفارة الزبيدى بأنه «لم يحصل على طائل و عاد إلى موفده بوعود غامضة ...».

انطلاقا من الرحلة

إن رحلة الجعيدى، التى تعتبر أكبر و أضخم رحلة سفارية ألفها المغاربة خلال القرن ۱۹ م، تكشف لنا جوانب أخرى كانت غامضة إلى حد ما، عن مهمة سفارة الزبيدى و يجعلنا نعيشها من أولها إلى آخرها. و نتتبع مراحلها عن كثب، و التى لم تكن مقتصرة على الجانب السياسى فقط، بل تتعداه لتشمل باقى الجوانب الأخرى، كالجانب العسكرى و المالى و الثقافى و غير ذلك. الأمر الذى يجعلنا نعتبر سفارة الزبيدى من خلال رحلة الجعيدى، بمثابة أرضية دراسية أولية افتتح بها السلطان الحسن الأول عهد حكمه، و استند عليها كمرجع للإصلاحات التى كان ينوى إدخالها للمغرب طوال النصف الثانى من العقد السابع، و بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر. بحكم أن الزبيدى أشرف بعد عودته من سفارته الأوربية على معظم الإصلاحات التى قام بها السلطان فى الكثير من المجالات، حتى الأيام الأخيرة من حياة الزبيدى، كما سيتضح لنا ذلك من خلال هذه الدراسة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶

أولى الانطباعات السياسية التى تبرزها رحلة الجعيدى هى المكانة المرموقة التى كانت تحظى بها الدولة المغربية فى أوربا بالذات،

لاعتبارات تاريخية و جيوسياسية و اقتصادية، فلقد حظيت السفارة المغربية بالكثير من الاعتبار و التقدير و الاحترام من لدن الأوربيين، خاصة في بلجيكا الدولة الفتية التي تسعى إلى ربط المزيد من علاقات الود و الصداقة مع السلطان المغربي قصد تنمية مبادلاتها التجارية و العسكرية معه، فالجعيدي يصف لنا حرارة الاستقبال الذي خصهم به ملكها «... حتى أنه قال: إنه يرجو اللّه أن يشرح صدورنا لبلده حتى نقيم فيها في عافية و راحة و يأذن في المسير للفابريكات التي بداخل المدينة (بروكسيل) و خارجها، و زور الأماكن التي تصنع فيها العدة و السلاح. و نستوعب ذلك كله بحول الله ...».

أما في أنجلترا فقد خصتهم ملكتهم و إمبراطورة الهند، بالتفاتة خاصة، فإبان وصول السفارة المغربية لمدينة لندن، وجدوا الملكة فكتوريا بنزلها الخاص Osborne House التي لها به العديد من الذكريات التي تربطها بزوجها الراحل ألبيرت، و الموجود بجزيرة Isle of Wight جنوب لندن، قصد الراحة و معالجة أحد أبنائها «... و العادة عندهم أنها إذا خرجت من البلاد لا تتلاقى مع أحد ممن يفد إليها حتى ترجع، و وجدنا هناك باشدورات آخرين من الأتراك و الهند، سبقونا بنحو شهرين، و لم يتلاقوا بها إلى الآن، و كان ساءنا ذلك غاية، و كان ولد باشدور أنجلترا يطلب من الباشدور الإكثار من الخروج للفرجات و الملاقاة بالناس، فكان يمتنع و يجيبه بقوله: إننا لم نات للفرجات و لا للملاقاة مع الناس الأجانب، و لا غرض لي في ذلك حتى يتم الغرض الشريف الذي أتيت لأجله، و بقي مصمما على ذلك حتى أذنت سلطانتهم بالطلوع إليها ...». هذا الموقف يبرز لنا مدى القوة التي كان يتمتع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷

بها المغرب عند البريطانيين رغم الظروف الصعبة التي كان يجتازها، و نفس الشيء حدث عند وصولهم لإيطاليا التي خصتهم باستقبال حار و كبير، توج بالاستقبال العظيم الذي خصهم به ملكها الذي قطع إجازته الصيفية و عاد إلى مدينة طورين خصيصا لاستقبالهم و كلف ولي عهده بالعناية بهم و تكريمهم بالعودة على متن أكبر السفن الإيطالية إلى المغرب.

كما أشير في هذه الدراسة إلى اللقاء الهام الذي أجراه السفير الزبيدي مع ولي عهد ابروسيا آنذاك غليوم الثاني (۱۸۵۹- ۱۹۴۱) أثناء مأدبة العشاء التي أقامتها الأسرة المالكة ببلجيكا على شرفيهما، كما جاء في رحلة الجعيدي دون أن يتطرق إلى تفاصيل هذا اللقاء كعادته في كل اللقاءات السياسية. غير أن التطورات السريعة للعلاقات المغربية الألمانية، بعد عودة السفارة المغربية تجعلنا نربط بين الحدثين و نستنتج أن الزبيدي لعب دورا في إقناع ألمانيا القوية برغبة المغرب في تطوير علاقاته معها، و هذا ما حدث بالفعل، فبعد سبعة أشهر فقط من عودة الزبيدي إلى المغرب، وفد على السلطان الحسن الأول بفاس السفير الألماني الجديد السيد تيودور ويبر Theodor Weber يوم ۷ ماي ۱۸۷۷ م، خلفا للقنصل السابق كوليش Gu ?lich

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۸

و من جملة الهدايا التي رفعها و يبر إلى السلطان ماكينة تصنع الثلج، التي تحدث عنها الجعيدي كثيرا في رحلته، و في أعقاب هذه السفارة توجه في نفس السنة الحاج العربي بريشة لاقتناء كمية من الأسلحة من معامل دار كروب KruPP الألمانية، ثم أرسل السلطان سفارة مغربية إلى الإمبراطور غليوم الأول برئاسة قائد مدينة آسفي الطيبي ابن هيمة في ماي ۱۸۷۸ م.

و كذلك أشير إلى الحوار الذي فتحه الزبيدي مع زعماء الطائفة اليهودية بالبلاد الأنجليزية، و التي أقامت حفلا خاصا على شرفه، و الذي بقي مكانه فارغا في رحلة الجعيدي رغم إشارته في فهرسته إلى «إكرام بعض التجار للباشدور باللوندريز». و قد سلموا إليه رسالة رفعوها إلى السلطان الحسن الأول تلفت فيها نظره إلى بعض المشاكل التي كان يعاني منها اليهود المغاربة. و تذكره بالظهير الذي أصدره سيدي محمد بن عبد الرحمان بعدما زاره السيد موسى حييم مونطيفيوري أحد زعماء اليهود ببريطانيا سنة ۱۸۶۴ م.

و كختام للانطباعات السياسية الواردة في رحلة الجعيدي، فإنها تعرفنا على التقاليد الدبلوماسية العريقة التي أتقن المغاربة فن ممارستها من أجل حسن المعاملة و الذوق السليم و الارتفاع بمستوى العلاقات الإنسانية الحضارية إلى مكانة رفيعة، لأن حقيقة المهنة تتطلب من الممثل الدبلوماسي الناجح أن يكون فعالا. و ينتظر منه الكثير من أجل البلاد التي يمثلها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۹

الأنظمة السياسية

إن انطباعات الجعيدى لم تتطرق لأهمية الأنظمة السياسية و لم يشر إلى الحياة النيابية بالوضوح المعهود فيه، يمكن أن يعلل ذلك لقصر المدة الزمنية التى قضاها فى كل دولة لم تمكنه أن يستوعب تلك الأنظمة المعقدة بسرعة، بالإضافة لكونه موظف فى الدولة و بالتالى يمثل وجهة نظرها فى الأمور السياسية على الخصوص. إلا أننا نجد الصفار يشير فى رحلته إلى توزيع الاختصاصات بين النواب و الملك عندما زار القمرتين كما سمى مجلس النواب و مجلس الشيوخ، غير أن الباحثة الأمريكية S .Miller ، انتقدت الصفار و قالت: انه شبّه جلساتهم بالعرض المسرحى و لم يفهم أية كلمة من لغتهم، و إنما كان يستعين بما قدمه الطهطاوى من جزئيات عن قواعد الانتخابات بالهيئة المذكورة. على أن فهم الصفار للحكم السياسى مأخوذ عن ابن خلدون. غير أن هذه المقارنة فى نظرى غير عادلة بحكم أن الطهطاوى قد أرسل فى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۰

مهمة ثقافية و دينية لمدة خمسة أعوام تعلم خلالها اللغة الفرنسية و أتقنها و قد أسس عند عودته لمصر مدرسة الألسن و ترجم العديد من الكتب. أما الصفار فلم تتعد مدة إقامته بفرنسا أربعة أشهر، بالإضافة إلى أن حركة الإصلاح فى المغرب كانت تخطو خطواتها الأولى. فقنوات التواصل كانت ممتدة مع أوربا، إلا أن المؤثرات الخارجية المتسربة عن هذه القنوات كانت محدودة و غير قادرة على تغيير الإيديولوجية القديمة. فنظام الملكية المطلقة كانت متجذرة فى العقلية الشعبية و المخزنية المغربية، حتى مطلع القرن ۲۰ م. نجد مولاى عبد العزيز قد جالت فى رأسه فكرة الشورى فأيده سفراؤه بهذه الأفكار، فعجل بإقامة مجلس الشورى أو الأعيان سنة ۱۹۰۵ م فى ظروف سياسية خاصة.

فالرحلات السفارية المغربية تبدو كأنها تعكس رغبة دفينة فى إدراج هذه الإصلاحات فى النظام السياسى المغربى ، غير أنها لا تبقى سوى بوادر أولية لتوجه ديمقراطى ساد لدى النخبة المثقفة فى مغرب ق ۱۹ م.

عسكريا

قد يعتقد البعض أن مهمة السفارة المغربية كانت مقتصرة على الجانب السياسى فقط، لكن أبعاد سفارة الزبيدى كانت متعددة و هذا راجع إلى تنوع المشاكل التى كان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۱

يواجهها المخزن المغربى و إلى كثرة حاجياته لإصلاح هياكله العتيقة و تقويتها، علما منه أن المواجهة السياسية تتطلب دعما عسكريا، و ذلك بتحديث الجيش المخزنى الذى انهزم مرتين أمام الجيوش الأوربية، و تزويده بالمعدات الحربية المتطورة و تدريبه عليها، و إرسال البعثات الطلابية إلى أوربا قصد التكوين و الدراسة. و غير ذلك من التجديدات التى يتطلبها العصر، و التى عزم الحسن الأول على القيام بها منذ توليه حكم المغرب سنة ۱۸۷۳ م، غير أن العروض كثيرة و تتداخل معها المساومات و المراهنات. لهذا كلف السلطان الزبيدى بمهمة التعرف على المعامل الحربية الأوربية و البحث و التقصى عن المعدات و كتابة تقارير حولها، و نبهه على الاهتمام و التركيز على بعض العينات بل طالبه بجلبها إذا أمكن.

فى إطار هذه المهمة العسكرية الصعبة، شرع الجعيدى فى تسجيل تقاريره و ارتساماته بأسلوب علمى ناقد. أولى الأشياء التى عالجها فى رحلته هى وصفه لأكبر الاستعراضات العسكرية التى شهدتها باريس برآسة المارشال ماك ماهون الذى تولى السلطة سنة ۱۸۷۳ م. مهتما بإعادة تنظيم الجيش الفرنسى الذى انهزم أمام ابروسيا (۷۰- ۱۸۷۱ م)، متجاوزا بذلك معاهدة فرانكفورت، و ذلك قصد إعادة

الاعتبار و الثقة لسمعة فرنسا الدولية، و مرهبا بطريقة غير مباشرة السفارة المغربية الممثلة للإمبراطورية المغربية و الجارة للجزائر. و قد ركز الجعيدى فى رحلته على

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۲

الجانب التنظيمى لهذه القوات، و كيفية سير طوابره، لما كان يعلمه من أحوال بلاده التى تعتمد على الأساليب القديمة و الإمدادات الطفيفة و الأسلحة العتيقة، التى لا ترقى لمستوى التنظيمات العسكرية للجيش الفرنسى الحديث. غير أن المهمة السياسية قد طغت فى المرحلة الأولى من زيارتهم لفرنسا، على المهمة العسكرية التى أخذت حصة الأسد عند زيارتهم لبلجيكا بالتعرف على الأسلحة الحديثة، و التى تتميز بخفض الوزن و ذات فعالية حربية كبيرة من بينها نجد مدفعا صغيرا متعدد الطلقات المعروف باسم المدفع الرشاشMitrailleux و الذى يمكن حمله بسهولة على ظهر الدواب و نقله بسرعة إلى الأماكن البعيدة أو المناطق الجبلية بدون عناء كبير، لقمع الفتن و الثورات الداخلية، خاصة أن هذا السلاح أثبت فاعلية كبيرة فى القضاء على جماعات بشرية و الخيالة فى الحرب الأهلية الأمريكية (۶۱- ۱۸۶۵ م) و حرب ابروسيا مع فرنسا (۷۰- ۱۸۷۱ م) و غير ذلك. و تتضح لنا هذه المهمة من خلال المراسلات التى كانت قائمة بين الحاجب السلطانى و السفير الزبيدى ، الذى كان يخبره بتفاصيل عن هذا السلاح الفتاك الذى تعرفوا عليه بمعامل السلاح ببروكسيل، و قد خصه الجعيدى بالبحث و التدقيق و التجريب مع رسم شكل فوهته تقريبا للفهم بما كانوا يعتقدونه أنه يتوفر على جعبة واحدة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۳

كان يساعدهم فى هذه المهمة سفير بلجيكا بطنجة السيد دالوان الذى سبق له أن أخبر المخزن عن هذا الرشاش، كما أقنع الحسن الأول بإيفاد بعثة طلابية إلى بلجيكا سنة ۱۸۷۵ م و ضرورة مرور سفارة الزبيدى على بلاده. غير أن دالوان عمل جهده على احتكار كل صفقات الأسلحة التى اشتراها المغرب من بلجيكا بمساعدة السفير الأنجليزى د. هاى. و قد ربح أموالا طائلة من هذه التجارة. كما أوضح ذلك الجعيدى فى رحلته ، «لما استفسر الزبيدى عن ثمنها قيل له إن ذلك عند الباشدور الذى لهم بطنجة»، غير أن الجعيدى نظرا لخبرته فى هذا الميدان أخذ إحدى البنادق البلجيكية فى ميدان الرماية الوطنية ببروكسيل و جربها و تفطن لبعض عيوبها، فوجد نيشان الخزنة ضعيفا جدا لا ينحصر به المرمى و ظهر له أن فورمة المكحلة أعظم من المرمى، و حينما أخرج الطلقة لم يصب الهدف، لهذا فضل عليها المكاحيل التقليدية المعروفة بالمغرب، و أشاد بمهارة المغاربة فى الرمى بها، غير أن المخزن لم يعط لملاحظاته هذه أية أهمية و قام بشراء كميات كبيرة من هذه الأسلحة التى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۴

كانت عاجزة و فاسدة. كما أشار إلى ذلك المؤرخ الناصرى «.. إنهم لا يبيعون منها إلا ما انعدمت فائدته عندهم، لكونهم ترقوا عنها إلى ما هو أجود منها، و استنبطوا ما هو أتقن و أنفع ..» رغم أن السلطان كان يتتبع بنفسه هذه العمليات و يوجهها حسب رغبته و حاجياته، فقد طلب من الزبيدى فى رسالة أخرى أن يحضر معه عند عودته كل عينة من العينات المعتبرة الجديدة و التى لم تصل إلى المغرب، و لا جلبها أحد للآن خاصة من مدينة الياج المشهورة بمعاملها الحربية. و قد اجتهد الجعيدى على التعرف على طرقهم التقنية لصناعة هذه العدة و لم ينبهر منها بل اكتشف بعض عيوبها.

كما أشار إلى أهمية تخزين الأسلحة بكميات وافرة مع تعهدها بالمسح و الصيانة، كاحتياط حربى يستغل عند وقت الحاجة، و قد تعجبوا أمام تراكم أكثر من ۰۰۰، ۸۰ بندقية داخل إحدى الثكنات العسكرية بمدينة أنفيرس، رغم ذلك كان الجعيدى يتشكك فى ما يقوله الأجانب، و يخضع ذلك إلى تجربته الخاصة بالمعاينة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۵

و التجريب و يخبر الزبيدى بذلك ليكون على بال. و تعرض لأهمية تموين الجيوش ليس فقط بالأسلحة و الذخيرة بل بالمواد الغذائية

الضرورية لتحركها و زيادة قدراتها، فتطرق لكيفية تحضير الخبز لحوالى ثمانين ألف جندى بواسطة آلات ضخمة لطحن الزرع و عجنه و طهيه خلال يوم واحد فقط، و ذلك استعدادا لأيام الحرب.

و بأنجلترا دولة السفير د. هاى الذى كان يدعو المخزن إلى القيام بإصلاحات عسكرية فى النصف الثانى من القرن ۱۹ م، و الذى تحول إلى سمسار لبيع الأسلحة لفائدة بلاده و دول أخرى، و الذى بعث ابنه روبرت كترجمان رسمى مرافق لأعضاء السفارة المغربية، توجه بهم إلى ترسانة ولويش Woolwich الشهيرة بصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها، جعلت الجعيدى يهتم بما يراه مناسبا لبلاده و تحدث بإسهاب عن كيفية صناعة رويضات العود أى العجلات التى تركب فى العربات و الكراريط التى تحمل العدة و المدافع، و لا تخفى علينا أهمية العجلات و دورها فى العمل على نقل البضائع و المسافرين، خاصة أن المغرب لم يكن يتوفر على طرق معبدة بمعناها الأوربى، و لا على قناطر و جسور متينة لربط مدنه و أقاليمه لإخراجها من العزلة، لأن الحمل كان فى الغالب على البغال و الجمال، و لم يكن يخطر بالبال أن الطرق و وسائل الجر التى تستعمل العجلات ذات منافع اقتصادية و استراتيجية، فلم تكن تعرف العجلة إلا لجر المدافع السلطانية أثناء الحركات العسكرية، لهذا اهتم الجعيدى بكيفية صناعتها و دقق فى الأمر و تتبع جميع المراحل بمهارة نادرة.

كما اهتم بالسلاح البحرى الخطير الذى استنبطه المهندس البريطانى Robert Whitehead المعروف باسم الطوبيد TorPedo سنة ۱۸۶۶ م و هو صاروخ بحرى يخضع لتوجيه مسافى بدفع ذاتى يحمل كمية كبيرة من المتفجرات يمكن القذف به من البر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۶

أو من باخرة إلى باخرة أخرى قصد تفجيرها.

و من اهتمامات الحسن الأول كذلك معرفة كيفية صناعة الذخيرة الحربية لهذا تطرق الجعيدى لأسلوبهم التقنى لصناعة الخفيف أى الرصاص و الكور أى القذائف و القنابل داخل أوراش كبيرة تحوى حوالى ستة آلاف من العمال، جعلت السلطان يقتنع بضرورة إنشاء معمل صنع القرطوش بأكدال مراكش بمساعدة فرنسا أواخر عام ۱۳۰۴ ه و معمل آخر بدار السلاح بفاس قصد توفير الذخيرة الحربية بكمية كبيرة محليا، بدل جلبها من الخارج بأثمنة مرتفعة و تنازلات سياسية. و كذلك الحال بالنسبة للمدافع التى اشتراها الزبيدى من أنجلترا نظرا لما اكتسبته من فعالية عسكرية خلال القرن ۱۹ م، بفضل المدفعية استطاع الحسن الأول أن يخرج منتصرا فى كل حركات الجنوب و يركز السلطة المركزية فى الأطلس و الريف و إرهاب القبائل بها دون حرب، غير أن مسطرة الشراء كانت معقدة بالإضافة إلى عدم وجود جهاز إدارى مغربى مختص للقيام بهذه العمليات جعل المغرب يواجه عدة مشاكل من جراء ذلك، لهذا تتبع الجعيدى معظم المراحل التقنية بدار صناعة المدافع فوصفها و نقل صورا حية عن عمل صناعها، كل فئة على حدة، و كان فى وصفه دقيقا و مستقصيا و كأنه يكتب تقريرا مفصلا من أجل بناء مثيلة لها لكثرة التفاصيل التى يوردها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۷

و أثناء عودتهم مرة ثانية إلى التراب الفرنسى، خصصت لهم الحكومة الفرنسية عدة زيارات إلى منشآتها العسكرية بعدما علمت أن المغاربة خلال إقامتهم ببلجيكا و أنجلترا اطلعوا على الكثير من الصناعات الحربية، بينما أثناء إقامتهم الأولى بفرنسا اقتصرت زياراتهم على المرافق الثقافية و الاقتصادية و العمرانية فقط، لهذا ركزت على هذا الجانب لإظهار عظمتها فى هذا الميدان و ذلك فى إطار المنافسة الشديدة بين باعة الأسلحة. فأخذتهم إلى فابريكة صنع رويضة الكراريط من العود، و فابريكات صنع الخفيف و الكور و خزائن العدة مثل ما تقدم بيانه أثناء إقامتهم بلندن، و قد تجنب الجعيدى تكرار الخوض فى ذلك و اختصر ذلك فى سطرين فقط، و تطرق فقط لخاصية متميزة تعرف عليه بفرنسا، هى أنهم يتوفرون على مختبر خاص به عدد من المعلمين المهندسين يوتى لهم بعدد من العينات الجديدة من المكاحيل التى تظهر عند كل جنس من الأجناس الأخرى، ليختبروها و يقلبوها و يخبروهم بما يظهر لهم منها، و ذلك لمسايرة التطور التقنى الحربى، بدل الاكتفاء بشراء الأسلحة الجديدة جاهزة فقط، حتى لو كانت عاجزة إن فاسدة كما سبق

القول. و أكد أن سبب هذا التفوق راجع إلى مدارسهم المتعددة، لتكوين أبنائهم تكوينا ثقافيا عسكريا منذ الصبا، عند زيارتهم «لسكويلة» أى المدرسة العسكرية بباريس. و ذكر «أنهم يأتون إلى هذه الدار فى الساعة الخامسة من صباح كل يوم، و لا يخرجون منها حتى تصل الساعة الحادية عشرة ليلا، و تبقى لهم من اليوم بليلته ست سوائع للنوم و الاستراحة ...» و هى إشارة ضمنية لأهمية الدراسة المتخصصة و المكثفة.

أما الحكومة الإيطالية فقد توصلت هى الأخرى بعدة تقارير من سفرائها بعواصم الدول المعنية عن أنشطة السفارة المغربية بها، بالإضافة إلى تواجد سفيرهم بطنجة السيد ستيفانو سكوفاصو الذى سبق وصول السفارة إلى طورين، كان يغازل المخزن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۸

المغربى بتزويده بالأسلحة الإيطالية من أجل كسب ثقته، لهذا أقيمت مناورات حربية بالذخيرة الحية على شرف المغاربة، و قد استحسن الجعيدى المدفعية الإيطالية الحديثة التى تعمر من الخلف، و قد وصفها بشكل علمى دقيق ساعدنى على إدراك شكلها فرسمتها بطرة الصفحة تقريبا للفهم، خاصة أنه تشككك فى أقوال الطبجية الإيطاليين الذين أخبروهم أن القذيفة قد أصابت الهدف البعيد عن أنظارهم، فحين رأوهم على ذلك الحال طلبوا منهم التوجه إلى مكان سقوط القذيفة لمعاينة الإصابة، ثم أعادوا الكرة بضربها مرة ثانية، حينئذ تأكدوا من جودة و دقة و قوة هذه المدافع الكبيرة، ثم بين كيف تتم عملية مسامتة الهدف مع نيشان المدفع بتفصيل ساعدنى على تصور ذلك فرسمته بطرة الصفحة كذلك. و هذا راجع لمعرفته الكبيرة بقواعد الحساب و الهندسة التى كان يلقنها لبعض أصدقائه الذين يتدربون على فن المدفعية بسلا، لهذا أعجب بهذه المدافع فتمنى لو كانت فى مراسى المغرب شىء فى أبراجها «.. لكان ذلك من الاستعداد بالقوة الظاهرة فى الوقت بحسب الاستطاعة، لا بحسب العناد بحيث تكون العدة التى عندنا مماثلة للعدة التى عند النصارى كيفية و عددا، لأن فى ذلك حرجا و مشقة و المولى جل علاه سلك بهذه الأمة المحمدية مسلك اللطف و الفرج فقال عز و جل: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و إنما أمرنا سبحانه بالاستعداد بحسب الاستطاعة فقال تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۵۹

مِنْ قُوَّةٍ و لم يقل: مثل استعدادهم لطفا بهذه الأمة و رحمة بها ...».

من خلال هذا المجهود الذى بذلته السفارة المغربية فى المجال العسكرية طبقا لتعليمات السلطان الحسن الأول تظهر لنا الآمال التى كانت تعقد من وراء هذه الرحلة السفارية.

غير أن تعدد أنواع الأسلحة و مصادرها، كان يخلق مشكل تعدد أنواع العدة و أنواع قطع الغيار مما كان يجعل إصلاحها مشكلا صعبا، خاصة أن الكثير منها غير صالح للاستعمال لأدنى عطب و يجعل تدريب العسكر على استعمالها صعبا.

فالإصلاحات العسكرية التى قام بها الحسن الأول طوال فترة حكمه و رغم المجهودات التى قامت بها سفارة الزبيدى و غيره لتمهد له الطريق فى التعرف على المعامل الحربية بأوربا و أجود العينات، لم تكلل مجهوداته بالنجاح المطلوب لتستجيب إلى حاجيات المغرب بقدر ما كانت فرصة للسماسرة و تجار الأسلحة و المهندسين الأجانب للإثراء السريع على حساب مالية الدولة المغربية. و بهذا تكون الإصلاحات قد فشلت فى تحقيق الأهداف المرجوة، لأنها كانت نابعة و مرتبطة بمصالح الدول الأجنبية أكثر من كونها نابعة من رغبة محلية هادفة إلى إصلاح حقيقى.

الجانب العلمى و الفنى فى الرحلة:

البحث العلمى

بحكم الثقافة العلمية التى يتميز بها الجعيدى عن باقى رفاقه فى ميدان الهندسة و الحساب و علم الفلك و الاستكشاف، اهتم كثيرا بالبحث العلمى فى شتى الميادين، محاولا تسليط الضوء على أهم المنجزات العلمية التى توصل إليها الغرب، و قد سخر لبلوغ هذه الغاية كل قدراته العقلية و المعرفية قصد الوصول إلى الهدف. (كما رأينا فى الجانب العسكرى) خاصة أنهم تعرفوا على الكثير من الدور العلمية و الثقافية، كحدائق الحيوان و المتاحف المتنوعة و المعارض العلمية، و غيرها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۰

علم الحيوان،

اهتم به كثيرا و تتبع فى دراسته أنواعها و أشكالها، و خاصة الحيوانات النادرة أو المجهولة منها فى بلاده سواء منها البرية أو البحرية فيكثر من وصف شكلها الخارجى، كالحمار الوحشى أو الزرد و القنقر الأسترالى و الكركدن و غيرها، أما البحرية فقد تعرف عليها و هى تعيش داخل أحواض السمك Aquariums فى بيئة مصطنعة مصغرة توفر لها شروط الحياة التى نجدها فى المحيطات و البحار. أما فى متاحف التاريخ الطبيعى فقد تعرف على بعض الحيوانات المنقرضة، كالماموث الذى وصف شكل هيكله العظمى و تساءل هل انقرض قبل أو بعد الطوفان الذى أصاب الأرض كما جاء فى القرآن الكريم.

متاحف التاريخ الطبيعى

التى تحفظ و تصنف و تدرس و تحلل عالم الطبيعة بتعاون مع الجامعات المتخصصة.

فقد تعرف هناك على بعض العينات من المعادن (علم المناجم) و النباتات الطبيعية أو المجففة (علم النبات) و البقايا البشرية (علم الأجناس البشرية)، إلا أنه تعامل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۱

معها بشكل سطحى نظرا لضعف خرته فى هذا الميدان، و كذلك الحال بالنسبة لمتاحف العلوم التقنية.

المعارض الصناعية الدولية

قد كانت ظاهرة حضارية اجتاحت العالم الصناعى، بسبب جو التنافس العلمى الذى كان قائما بينهم، و قد برزت أنجلترا فى هذا الميدان بإقامتها أول معرض عمومى (دولى) اشتركت فيه معظم الأمم، و أنشأوا لهذا الغرض الدار الرحيبة المعروفة بقصر البلور Crystal Palace منذ سنة ۱۸۵۱ م، حيث يتلاقى فيه أهل الأبحاث و الأشغال و الملاهى، هذا المعرض الفريد من نوعه خصه الجعيدى بدراسة مطولة، تناول خلالها جل الأشياء التى أثارت انتباهه و استغرابه، كألعاب السرك و البهلوان، و المحاولات الأولى للغطس تحت الماء بالاستعانة بأجهزة الهواء المضغوط المتصل بالخرطوم على سطح الأرض، و أجهزة اللعب الكهربائية، وقاعة عرض الصور الفوتوغرافية بواسطة آلات علمية كهربائية كبيرة، و التى سبقت ظهور السينما الحقيقية على يد الأخوان Lumiere سنة ۱۸۹۵ م. و من حسن الصدف أنهم تعرفوا عليهم و هم صغار صحبة والدهم السيد Antoine Lumiere عند زيارتهم لورش عمله الخاص بتطوير فن التصوير الشمسى (الفوتوغرافيا) بجبل MontPlaisir بضواحى ليون الفرنسية و غير ذلك. و بمعرض العلاج و الإنقاذ ببروكسيل وصف لنا فى رحلته بعض الوسائل المستحدثة فى هذا الميدان، نظرا لتضخم المدن، و تطور وسائل النقل، و ذلك بهدف مواجهة الحوادث و النكبات، مثل عمل رجال

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۲

المطافئ و مراكب الإنقاذ و جهاز التلغراف و غير ذلك. أما بمعرض العلوم بمدينة فرنسى الإيطالية فقد اهتم بأجهزة الرصد الفلكية كالإسطرلاب، و أخضع نفسه لتجربة علمية تتلخص فى تحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية. (مثل دينامو الدراجة العادية) كما أطلعه الأطباء على علم تشريح الأعضاء و الأنسجة التى تتكون منها الكائنات الحية (الإنسان و الحيوان و النبات) و على مراحل حمل المرأة و الهيكل العظمى لجسم الإنسان و غير ذلك.

اهتمامات الرحالة

الاهتمامات الخاصة التى أثارت فضول الجعيدى العلمى كثيرة و فى شتى الميادين، أخص بالذكر منها، أنه لاحظ وجود الثلج فى أيام فصل الصيف، فسأل أحد ضباط الجيش الفرنسى العاملين بالجزائر و الذى كان يجلس بجواره فى إحدى الحفلات الرسمية بباريس، عن سبب عدم ذوبان الثلج رغم بقائه فى الهواء مثل ما يحدث فى بعض بلاد المغرب، فأخبره أنهم يخزنونه فى المطامير و يغطونه بالتبن كما يفعل المغاربة عند خزن الزرع، و عند الاحتياج يأخذون منه القدر المحتاج بعد غسله، غير أن الجعيدى لم يكتفى بما سمع، و لم يقتنع حتى اكتشف الحقيقة العلمية لطريقة صناعة الثلج بعد تزايد الطلب عليه بسبب ضرورة نقل و حفظ المواد الغذائية و غير

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۳

ذلك. و ذلك أثناء عودته على متن باخرة إيطالية إلى طنجة حيث طلب من قائد الباخرة أن يصاحبه لمشاهدة آلة يدوية لصنع الثلج فى مدة قصيرة، فوصف تجربته و رسم شكل الآلة الخارجى. كما تعرف على قبة الغاز التى تطير بالناس فى الجو قصد معرفة حالة الطقس ببلادهم و لأسباب عسكرية كذلك. و تتبع معاينة الأساليب التقنية المستعملة فى المطبعة الوطنية الفرنسية لطبع الكتب و كيفية خياطتها و تسفيرها، و تأسف لعدم اشتغال المطبعة العربية هناك بسبب قلة الطلب عليها.

و خص بالبحث المستفيض ببروكسيل آلية تغويز الفحم الحجرى الذى يستعمل فى الإنارة و الطهى فى المدن الكبرى، و يسمى عادة غاز الاستصباح كطاقة رخيصة، بعد حرق الفحم الحجرى فى أفران كبيرة، لإزالة غاز ثانى أكسيد الكبريت و هو غاز سام ذو رائحة كريهة غير مرغوب فى وجوده مع الغازات الهيدروكاربونية، التى توزع بواسطة أنانيب باطنية على الدور و الحوانيت التى تتوفر على عدادات تسجل مقدار استهلاك كل دار أو حانوت خلال الشهر.

اكتفى بهذا القدر لأن رحلته فى الحقيقة علمية أكثر منها أدبية.

الجانب الفنى إلى جانب اهتمامات الجعيدى بالفن الهندسى و المعمارى، كانت له اهتمامات بالفن المسرحى و الموسيقى، كباقى الرحال العرب إلى أوربا خلال القرن ۱۹ م.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۴

كان تأثير المسرح عليهم تأثيرا واضحا كفن قائم بذاته. باعتباره الأداة التصويرية الهادئة فى التعبير عن مشكلات المجتمع الأوربى. و من الطريف أن نسمع رأى الرحالة الصفار فى المسرح الذى زاره لأول مرة فى باريس، و تنبه إلى دوره فى التثقيف و الترفيه، يقول: « .. من محال فرجاتهم، المحال المسماة بالتياترو أو الكومدية و تسمى الأوبرا و هو محل يلعب فيه بمستغربات اللعب و مضحكاته و حكاية ما وقع من حرب أو نادرة أو نحو ذلك، فهو جد فى صورة هزل، لأنه يكون فى اللعب اعتبار أو تأديب أو أعجوبة أو قضية مخصوصة و يكتسبون من ذلك علوما جمة ..»، و هذا الرأى يقارب ما كتبه الطهطاوى الذى يراه جدا فى صورة هزل، و اتخاذ الجد صورة الهزل إنما مرده استنباط العبرة منها. أما الجعيدى فقد تعرف هو الآخر على المسرح بدار الأوبرا بباريس و شاهد به بعض المسرحيات و اعتبر مشاهده من الأمور الحقيقية البعيدة عن الخدعة. «.. أما ما يفعله بعمل السيمياء المسماة عندنا «بخنقاطرة» فأمرها مسلم مفرز مشهور، رأينا من ذلك فى بعض الديار ما سأذكره، و ذلك أنهم يرسلون سترا بأحد أرباع الدار، يصير حاجزا بين جميع من فى الدار الذين أتوا للفرجة، و بين محل اللعب، حتى يتناولوا العمل الذى يريدون ظهوره، فإذا فرغوا من تهيئه يرفعون الستر فترى

ذلك المحل المتخذ للعب قد انبسط و امتد غاية .... و حين

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۵

لعبهم يكون أصحاب الموسيقا مشتغلين بها، و عددهم أظنه يزيد على المائة ...»، كما وصف لنا الجعيدى المسرح الملكى بلندن من الناحية الهندسية، و تأسف لأنه لم يسعفه الحظ من حضور إحدى عروضه، و تطرق لأهمية المداخل المالية التى تجنيها التجار من كرائهم للمسرح أو حجزهم لعدد من مقاعده. و بإيطاليا شاهد المغاربة بعض العروض المسرحية و خاصة المتعلقة بفن الرقص المعروف «البالى» لم يذكرها فى رحلته بل أشارت إليها الصحف الإيطالية ضمن أنشطة السفارة، و هى التى تولدت عليها المستملحة الفكاهية التى أشرت إليها فى الجانب الفكاهى من هذه الدراسة.

أما عن الجانب الموسيقى فى الرحلة، فإننا نجد الجعيدى يشير فى كل مرة إلى وجود الأجواق الموسيقية عند كل الاستقبالات الرسمية، فيصفها و يحاول رصد أوجه الاختلاف فى ما بين هذه الأجواق من حيث اللباس أو الآلات التى يعزفون بها و أحيانا حتى النغمة الموسيقية. بل يطلعنا فى رحلته أنهم خلال إقامتهم بروما كانت بعض الفرق الموسيقية تزورهم بمقر إقامتهم قصد الترحيب و الترفيه عليهم «... جماعة من أصحاب الطرب بنحو أربعة عشر رجلا بأيديهم كثرات و أعواد مثل الآلة التى تستعمل فى الغرب .. و طلع معهم جماعة من النسوة اللواتى كن جالسات فى براح الدار ... و صاروا يخدمون بتلك الآلات بنغم مستعذبة تشبه النغم التونسية ...»، كما ركز على الجانب التطبيقى لهذه الأجواق الحديثة باعتبارها تعزف قطعا موسيقية مكتوبة على الأوراق و يسيرها بما يعرف بالمايسترو» ... قدمت جماعة كبيرة من أصحاب الطرب أيضا للدار التى نحن نازلون بها ... و هم ممن يخدمون بالطرنبطات على أشكال من الهيئة و من الكبر و الصغر و بالمزامير و غيرها ...

يخدمون واقفين يصنعون دائرة منهم، ... كحلقة المداح، و كل واحد ينصب قدامه ثلاثة أعمدة تجتمع رؤوسها قدامه، فينصب على رأسها أعوادا رقاقا مربعة الشكل ليضع عليها الأوراق التى تبين له فيها خدمة طبائع الموسيقا التى يخدمون بها، ...

فيتقدم واحد منهم و يقف فى وسط الحلقة، و ينصب ثلاثة أعمدة كذلك قدامه، و يوقد له الضوء و يأخذ بيده قضيبا و يشتعل ...».

نستنتج اهتمام الجعيدى بفن الموسيقى من خلال المؤلفات المخطوطة التى تركها لنا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۶

المؤرخ أحمد الناصرى و المسجلة بكتابه ، «الاستقصا»، أنه ترك رسالتين فى فن الموسيقى. إحداهما خاطب بها صديقه العلامة الفلكى، إدريس الجعيدى السلاوى، و الأخرى قيدها فى الموضوع نفسه، و بحث فيهما فى النغمات العربية و المقابلة بينها و بين الموسيقى العجمية.

الجانب العمرانى و المنشآت العمومية و الاجتماعية فى الرحلة

اشارة

لرحالة الجعيدى ميل كبير إلى فن المعمار كواجهة حضارية نظرا لتعوده على مشاهدة روائع العمران فى المغرب من مساجد و مدارس و قصور و سواق و أقواس و أضرحة و غير ذلك.

بالإضافة إلى معرفته الجيدة لعلم الهندسة و الحساب و اطلاعه على كتاب أقليدس الرياضى اليونانى الشهير فى علم الرياضيات و الهندسة، لهذا أعار هذا الفن باهتمام كبير فى رحلته هاته. فكان يقف أمام العمران الأوربى بإعجاب يحصى الأعمدة و السوارى و الأبواب و أنواع الأثاث و الحمامات و يقيس الطول و العرض و يذكر أشكال الزخرفة و التمويه وسعة الأماكن و يستعمل مصطلحات الحرفيين كالتخريم و القريسة و التشجير و الدرابيز و السبنية و التوريق و الفورمة و الجوائز و البارات و غير ذلك بصفته العارف

المتمكن بخبايا هذا الفن.

فمعرفته بالهندسة المعمارية المغربية التقليدية، جعلته يلاحظ التجديد الحاصل فى الهندسة المدنية فى أوربا، التى أخذت بأسباب العلم و التغيير باستحداث كل ما يجعلها سهلة و منظمة و ممتعة. و بالاهتمام بها هو قديم و العمل على صيانته و الحفاظ عليه لحمايته من الضياع و الاضمحلال.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۷

العمران

المدن الحديثة التى اكتشفها الجعيدى لأول مرة فى حياته، لا تمت بصلة إلى المدن العتيقة التى تركها فى المغرب، فهى مدن ذات شوارع فسيحة و مبلطة وسطها خاص لمرور العربات و الأكداش و الجانب الأيمن و الأيسر خاص بالراجلين، و مع امتدادها تنتشر أشجار مخضرة مصطفة بقصد استحسان المنظر، و بين كل شجرتين قطعة نحاسية قائمة برأسها فنار كبير يوقد ليلا «... لاشتغال أهل البلد بأمور دنياهم بالليل بكامله كأشغالهم بها بالنهار ...». و لكثرة النشاط التجارى و الاقتصادى و نقل السلع.

«... كأن الحرب مشتعلة بينهم و كل يجرى حسب جهده و طاقته ... كأن المحلة دخلت البلاد ...»، و عند الفجر تقريبا تنطلق عملية تنظيف و كنس الشوارع من روث الخيل و الغبرة بالماء الذى يجرى بسرعة، و كذلك الحال عند نزول المطر، لكون الطرق محدبة الشكل تنتهى إلى مجارى المياه، أما الأزبال المنزلية فلها أماكنها المعينة و هى مدن ذات بنايات عالية من أربع إلى سبع طبقات، نوافذها و شرفاتها مفتوحة نحو الخارج بدل الداخل كما كان سائدا فى البناء المغربى، و عند ملتقى الطرق الأربعة توجد النافورات ذات المياه المتدفقة و بعض التماثيل المستعذبة، و بأسفل العمارات توجد المقاهى و المكاتب و الحوانيت التى تعرض التحف البديعة،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۸

و بقربها بعض رجال الأمن لتنظيم المرور و حفظ الأمن مع انتشار الحدائق و المنتزهات «... فتخاله كزريبة بديعة التزويق فى غاية التنميق، و الصبيان يمرون بها مع أمهاتهم، و لا ترى واحدا ينزع شيئا من ذلك النوار إنما يتركون ذلك تحسينا للنظر و مصلحة البصر ...» و بها العديد من المقاعد العمومية قصد الاستراحة و الاستجمام و غير ذلك من التنظيمات العمرانية الحديثة التى اقتحمت اهتمام الجعيدى و عقله.

كما أعجب كثيرا بعظمة الفنادق الأوربية باعتبارها تضم أرقى التحف البديعة و الأثاث المستظرفة و الخدمات السريعة و التجهيزات الحديثة قصد توفير الراحة لرواد الفندق، فخصها بالبحث و الوصف الدقيق الممتع حتى قال «... إذا استحضرت ذلك و تأملته و وسعته دائرة خيالك على تفاصيله المبينة، فكأنك تشاهد ذلك عيانا ...». بل تجاوز ذلك بمحاولته الجادة لكشف شكل فندق مرسيليا الهندسى رغم عدم اطلاعه على أصل تخطيطه فى تقرير طويل بلغ حوالى عشر صفحات، و رغبة منه فى تفادى التكرار و الإطناب، اختصر الكلام عن فندق لندن رغم عظمته فى بضعة أسطر فقط. و توسع فى وصفه القصور الملكية البريطانية و البلجيكية و الإيطالية التى تزخر بالتحف النادرة و المتوارثة عند أسرهم الملكية أو المستوردة من المستعمرات.

وصف الجعيدى العديد من المنشآت العمومية و الاجتماعية بعد أن رتبت لهم الزيارات إليها من طرف البلد المضيف، فوقف فى رحلته على وصف العديد من المتاحف باعتبارها المكان الذى تجمع فيه الأشياء ذات الأهمية التاريخية و العلمية

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۶۹

و التقنية و الفنية، بغية حفظها و عرضها للمتفرجين، كمتاحف العلوم التقنية التى تبرز الأدوات و الآلات و الأجهزة القديمة و تطورها، التى بواسطتها يستطيع المشاهد تتبع تطور الاختراعات التى توصلت إليها العبقرية البشرية فى كل الميادين. ثم متاحف التاريخ الطبيعى

و دار الوحوش الميتة و حديقة الحيوان و متحف الشمع الشهير ببريطانيا، و متحف ليزانفليد و متحف المعادن الملكى ببروكسيل و مدرج كوليسير بروما باهتمام كبير خاصة أن أخباره قد انتشرت عبر المعمور خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، و كان يعتبر من عجائب و غرائب الوقت فوصف لعبة رقص الأفيال و لعبة الكلاب، و الغريب فى الأمر أنه تعرف على ثلاثة مغاربة واحد مراكشى و الآخران من سوس، يقومون بألعاب بهلوانية فوق الخيل من أتباع أولاد سيدى أحمد و موسى بلندن. و قد سبق له أن تعرف على السرك بباريس و حاول استنباط أنواع الخدعة التى يستعملونها فى حركاتهم فوق الخيل و غيره، «... ليس فى ذلك كبير مزية، بل ذلك كله من قبيل الرياضيات و الممارسات، و النشأة فى ذلك من حال الصبى حيث يعتاد ذلك و يصير ذلك لمتعاطيه طبيعة و عادة ...» و قارنهم بما يقومون به أصحاب البارود فى المغرب من ألعاب الفروسية التى يتعجب منها «... و لا يأخذون عن ذلك أجرى و لا لهم عنه وظيف بخلاف هؤلاء، فإن لهم فيه تجارة كبيرة و صائرا عظيما ..» .

و قد أشار إلى أن العلامة ابن خلدون قد تطرق إلى هذا الجانب فى مقدمته «...

إنها من قبيل المدارك التى يدركها الإنسان بالتدريج و الرياضة ...» . و يقصد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۰

بذلك أن المعارف النفسانية إما مصدرها الوحى الذى يلقى فى صنف خاص من البشر و هم الأنبياء و الرسل، و إما مصدرها الرياضة و الاكتساب لا الوحى.

و من أهم الزيارات التى يذكرها زيارته دار المطبعة الوطنية بباريس و شرحه كيفية الطبع و التسفير و غير ذلك، فى الوقت الذى لم يعرف المغرب إلاـ المطبعة الحجرية التى أدخلها إلى المغرب قاضى تارودانت من مصر سنة ۱۸۶۶ م، فكان المغرب يتطلع لهذا الاختراع العلمى. ثم زيارتهم للمكتبة الوطنية الضخمة بباريس. فتحدث عن كيفية توزيع الكتب على رواد المكتبة، و أشار إلى وجود بعض المخطوطات العربية معروضة هناك. فطلب منهم أن يدفعوا له تقييدا بما عندهم من كتب العربية فوعدوا به، و لم يكن وفاء بهذا الوعد. كما تعرف بروما على دار المرضى أو المستشفى الخاص بالعميان تشرف عليه الرهيبات، خاصة أن السفارة المغربية كانت تقدم الهبات المالية إلى الكثير من دور الإحسان و الأيتام و العجزة و المستشفيات الفقيرة فى كل مدينة نزلت بها، و تتلقى عن ذلك العديد من رسائل الشكر و التقدير، و تترك انطباعات حسنة لدى حكومات و شعوب هذه الدول.

نقل الجعيدى الكثير عن هذا الجانب و حاول رصد هذه الحركية القوية التى تهدف التجديد و التغيير و البناء و التطور فى جميع مظاهره، رغم قصر مدة إقامتهم بأوربا، لم يتعرض لمساوئهم و لا لجوانبهم السلبية التى تتمثل فى استخدام قوة التطور و الاختراع و المال لإخضاع الشعوب الضعيفة المتخلفة و قهرها و استعبادها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۱

بعض المظاهر الاجتماعية:

الطعام و المجتمع الأوربى و المغربى

القصد من هذه الدراسة ليس نظام الطعام و ترتيبه فى مضمونه المادى فحسب، و إنما فى دلالاته الاجتماعية و رموزه الثقافية أيضا. لأن أهميته كونه وسيلة لتغذية الجسم بغية الحياة. بل أيضا يرتبط بالبيئة و الاقتصاد و بالدين و المعتقدات الشعبية، و ربما بكافة مظاهر الحياة الإنسانية المادية و الفكرية، و على هذا الأساس يشكل الطعام مركبا حضاريا فى الفكر الأنثروبولوجى، خاصة أن احتفالية النظر و الأكل و الشراب تشكل سمة جلية فى الثقافة العربية (الكرم، الضيافة ....).

من هنا تأتى الأهمية التى أعطاها الجعيدى لآداب المائدة عند الأوربيين و التى أكثر الحديث عنها فى رحلته، خاصة أنهم حضروا

العديد من مآدب الأكل الرسمية بأوربا، فوصفها بدقة متناهية تنم عن إدراكه التام بطقوسها و آدابها، لهذا حاولت تتبع وصفه لها خطوة خطوة أثناء تحقيق رحلته، فكنت أجد تطابقا تاما بين ما ذكره و بين ما تذكره المراجع المختصة بدارسة التقاليد البروتوكولية لكيفية الأكل أثناء المآدب الدبلوماسية. و هى طقوس تطورت مع نمو الطبقة البورجوازية و ارتفاع مستوى الدخل و المعيشة، و هى مغايرة بطبيعة الحال لما كان سائدا فى المجتمع المغربى و الإسلامى على العموم، لا من حيث الشكل أو المضمون، و قد انعكس هذا على سلوك أعضاء

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۲

السفارة المغربية عندما امتنعوا عن الأكل لاعتبارات دينية (الأكل الحلال، و الأكل الحرام)، ففى باريس لم يكن هناك مشكل، لأن الحكومة الفرنسية المطلعة على أحوال و عادات العرب. استدعت بعض الضباط الفرنسيين العاملين بالجزائر للجلوس بجوار المغاربة لمساعدتهم «... ثم سرنا نحو القبة التى فيها الغداء، فدخلناها فالتفت إلينا كبير الدولة، و تكلم بلغته، فقال لى رجل من عسكره كان بقربى، إنه يقول لكم مرحبا بكم، و إنه وكلنى بالجلوس معكم لأبين لكم الطعام الحلال عليكم من غيره، و وجدته يحسن اللغة العربية ...».

أما الحكومة البلجيكية على ما يظهر لن تنتبه إلى طبيعة ضيوفها المغاربة المتشبثين بالشريعة الإسلامية ، و الذين امتنعوا عن مشاركتهم فى الأكل، أثناء حضورهم حفلة غذاء أقامها الملك اليوبولد الثانى على شرفهم «... ثم أخذوا يخرجون بالطعام و أنواع الحلواء فى أوانى كبيرة، و يطوفون بها على من بالمائدة، فكل واحد يأخذ منها بمغرفة ما يريد و يضعه فى الطبسيل الذى قدامه ... و هكذا حتى فرغ من الطعام، و نحن تناولنا من ذلك يسيرا من حلواء معقودة على الثلج مع غيرها من الحلواء

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۳

الطازجة ...»، و نفس المشكل البروتوكولى يتكرر فى إيطاليا «... ثم أخذوا يأتون بأطعمتهم على عادتهم، فما تناولنا منها إلا الخبز و الزبدة و أنواع الحلواء، و كانوا يعرضون علينا أنوع الطعام التى يطوفون بها عليهم، فكنا نشير إليهم بالامتناع منها فيعرضونها على غيرنا ...»، غير أن الأمير الإيطالى تنبه إلى ذلك و اعتذر لهم عن هذا التقصير «... ذكر أنه رآنا لم نأكل شيئا من طعامهم فى تلك الوليمة، و ألمه ذلك غاية، لكنه سره عدم أكلنا منه من جهة محافظتنا على شرعنا ...». هذه المواقف دفعت الأوربيين إلى البحث عن أسباب هذا الامتناع. لهذا نشرت الصحافة البلجيكية تقريرا مفصلا عن نمط عيش المغاربة داخل إحدى فنادقهم ببروكسيل.

«.. .. المطبخ (المغربى) به آلات الطبخ Goudin و تنكات مغربية فى منتهى الغرابة ... إن وجباتهم تتكون من لحم الخروف، و الأرز، و الشاى و الحلويات، و الجزار بعد توجيه دعواته للنبى، على السنة المحمدية يبدأ فى ذبح و سلخ الخرفان الذكور و الدجاج فى البهو الخلفى، و لا يأكل اللحم إلا مرة واحدة فى اليوم، لا خمرة على الطاولة، شاى، شاى دائما ...»، و فى إطار الفضول الصحفى كذلك استطاع أحد الصحفيين الإيطاليين الدخول إلى مقر إقامة السفارة المغربية صحبة الترجمان Bo -sio و كتب التقرير التالى فى جريدته La .Lombardia «... ضيوفنا الأعزاء لا يأكلون لحم الخنزير و لا مشتقاته، كل ما يطبخ فى المطابخ الأجنبية غير المسلمة، و هم يكتفون بأكل اللحوم المذبوحة، حيث يوجه الشاة إلى القبلة أى مكان قبر الرسول،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۴

و يذبح و ينتظر حتى تسيل دماؤها و تسلخ و تقدم مطبوخة، و هذه الطريقة صعبة و لكنها صحية ...».

كما كانت للجعيدى التفاتة أخرى تخص المستوى الرفيع للوجبات الغنية و الشهية التى كانت تقدم فى إحدى السجون الأنجليزية التى زارها بلندن «... و فيه مطبخة كبيرة يطبخ فيها للمساجين من أزكى الطعام، وجدنا فيها أكوابا ممتلئة حريرة جامدة، رفع منها صاحب المطبخة مغرفتين كبيرتين فى زلافة، و قطع من خبزة طرفا نحو نصف رطل ميزانا، و قطعة لحم نحو أوقيتين أو أقل مع إدام يسير، و قال الترجمان هذا ما يطعم للمساجين كل يوم ...» فى إطار إعجابه بنظام السجون الجديد الذى يهدف الإصلاح و التأهيل بواسطة أساليب

التربيـة و التهـذيب مثل عقوبـة العمل فى الأعمال الزراعيـة و الصـناعية بـدل تعـذيب المحكوم عليه «.... حتى قيل لهم من ضاقت عليه المعيشـة منهم فيـدخل لهـذا السـجن فلعله يجده أفضل من محله، فانبسـطوا لذلك ...». إن الحديث عن العمران و المنشآت العمومية و الاجتماعيـة و مـا يسـتنبط منه يحتـاج إلى المزيـد من التحليـل و الدراسـة ليزودنـا و لاـ شك بالكثير من المعلومات و الإيضاحات، لأن وصـفه للمجتمع الآخر هو تعبير عن مجتمع الرحالـة و تعريف له بالسـلب المنطقى، حيث لا يسـجل الرحالـة فى رحلته إلا الأشـياء التى يفتقدها فى مجتمعه الأصلى، ليصل فى النهاية إلى تحديد مجتمعه.

المرأة

الحـديث عن المرأة فى الرحلـة السـفارية، كمـا هو الشـأن بالنسـبة لبقيـة القضايـا الأـخرى هو نتيجـة انطباعات أوليـة، و وصف لمظاهر خارجية لم يكن الوقت من النفوذ لبواطينها.

و لا ريب أن إسهام المرأة الأوربية فى الحياة العامة اقتضى تحررها من تقاليد المجتمع القديم، و تغيير المقاييس الأخلاقية تبعا لذلك.

و رحلة الجعيدى عموما إشارات إلى مساهمة المرأة الأوربية إلى جانب الرجل فى العمل داخل الأوراش و الفابريكات «... ثم أوتى بنا إلى محل آخر فيه خلق كثير

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۵

من النساء و الرجال، ينشـرون القالب الكبير من السكر ...» نظرا لحاجة سوق العمل التى تحتاج إلى المزيد من الأيدى العاملة. بل يذكر كـذلك تواجد الصبيان بكثرة فى المراكز الصـناعية و التجارية. غير أن الجعيدى لا يتردد لحظة فى التغزل بسـيدات المجتمع الأوربى، فإن هذا الغزل هو و دون شك تجسـيد لإعجابه بالتطور الذى كانت تمر به المرأة الأوربية آنذاك، فعند زيارته لإحدى الدور التجارية الكبرى بباريس التى تعرض التحف المصـنوعة من البلار، أعجب بإحـداهن «.... حين سـمع نساؤهن بأننا هناك خرج بعضـهن بقصـد رؤيتنا لأنهن يستغربن زيّنا و يتعجبن منا، فالتفتت إلينا إحداهن، فتذكرت ما قيل فى مثل ذلك:

بدار الزاج قمرفضحت زين العجم

سلبت عقل رامقسلب عقل بمدام

هام من حسنها وجداذو عفاف و كرم

و هى من نور حسنهاتقتبس محو الظلام

قلت جذلى بوصالقالت: فاقرأه سلامى

إن بالحل وطنىو أنتم أهل الحرم

صدقت فيما نطقتو حقا قالت حذام ...»

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۶

فهو يقصد بهذا التغزل إشاعة روح المرح فى ما بين أعضاء السـفارة قصد التسـلية و الترفيه . بل نجد فى إحدى قصائده الشـعرية يقسـم بكل المناظر المكشوفة من المرأة التى أكره على مشاهدتها و هى ترقص على خشبة المسرح و هى دعابة أدبية مقصودة، نظرا لما يتيمز به من روح مرحة.

كما أشار لهـذا التحرر من خلال مشاركتها فى الحفلات و السـهرات و اختلاطها بالرجل و هى فى كامل زينتها و أبهتها «.. ... و النساء يجررن ثياب الحرير بنحو ثلاثـة أذرع فى الأرض، و غالبها مرصع بالـديمانض، و كـذلك فى نحورهن و على رؤوسـهن ... و رأينا فى نسـائهم حيـاء كبيرا لأنهن يرفعن إلينا من بعـد، فإذا قربن و وقع بصـرنا على إحـداهن نكست بصـرها إلى الأرض، و غالبهن على هـذه الحالة ...».

هـذا الموقف يجعلنا أمام حالـة ربما نادرة من حالات التكيف السـريع مع التحرر الأخلاقى، على أن المرأة الأوربية يغلب عليها النبل و الطهر و العفاف، عكس من يصفها بالفجور و الرذيلة، و نحن نعلم وضعية المرأة المغربية فى تلك العصور، و ما كانت عليه من الجهل الفكرى و التخلف الاجتماعى و الانغلاق، و نعلم أيضا موقف الإسـلام من المرأة و ما يوجبه عليها من الأخلاق و الاسـتقامة مع العلم و الوعى المشاركة فى الحياة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۷

مظاهر التقدم الصناعى و المالى و الفلاحى فى الرحلة:

الصناعة

قامت أساسا على القوة البخارية التى تعتبر أعظم اكتشاف توصـلت إليه أوربا خلال القرن ۱۹ م، و التى فتحت الباب أمام اختراعات لا حصـر لها فى جميع الميادين، فقد حلت الآلات البخارية مكان الأيدى العاملة فى الصـناعة. و انتشـرت خطوط السكة الحديدية بشكل كثيف فى أوربا، مما شجع تنقل الأشخاص و البضائع، و ساعد على تنمية الهجرة القوية و نمو المدن، غيرت معالم العهد القديم.

الفحم الحجرى

المصـدر الطاقى الوحيـد الـذى اعتمـد عليه الاقتصاد الأوربى، لهـذا خصه الجعيدى فى «رحلته» بالبحث المسـتفيض، فوصف لنا طريقة اسـتخراجه عبر آبار عميقـة و متعـددة ينزل إليها الخدمـة بالتناوب بواسـطة المصاعـد التى حاول رسم شـكلها الخارجى بطرة الورقة، و تهويـة المناجم لاسـتخراج الغازات السامـة، و ضـخ المياه الباطنيـة، و غير ذلك. و إن احتراقه ينتج عنه غاز الاستصـباح الذى يخصـص للطهى و الإنارة، و يولد كذلك حرارة هائلة داخل الأفران العالية لصهر الحديد و غيره.

مما لا شك فيه أن التقارير التى كانت تصل إلى الحسن الأول من الزبيدى، قد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۸

أطلعته على أهمية اسـتخراج الفحم بطرق علمية، فابتداءا من سنة ۱۸۷۸ م وجه السـلطان أوامره إلى الحاجب موسى بن أحمد ليستفسر فابتـداء من السـفير هاى عن ذلك. و طلب منه مـد المخزن المغربى بالخبراء فى هـذا الميدان، و بالفعل توافد على المغرب العديد من المهندسـين المتخصصين منهم البريطانى E .Silva الـذى تمكن من العثور على منجم فحمى بـالقرب من طنجـة بمساعـدة المهنـدس المغربى الزبير سـكيرج و الإشـراف الإدارى لمحمد الزبيدى، الذى أوضح للسـلطان بأن بداية الاسـتخراج يمكن أن تتم «... بحفر آبار ثلاثة كآبار السوانى متفرقة ليعرف منها الجهة القريبة للمنفعة فيقع الشروع منها ...» ، كما طلب الزبيدى «التوجيه على عشرين معلما من أهل تدغة الذين يحفرون الخطاطير بالحوز يحفرون الآبار بصائر قريب الأجرة ..» بعد أن رفض السلطان استغلاله من طرف المؤسسات الأجنبيـة، بـل طلب المساعـدة فى البحث و التنقيب فقـط، لأـنه كـان يرى فى ذلـك أداة للتغلغـل الأـجنبى، كمـا رفض بـاقى العروض الأجنبية الأخرى.

وسائـل النقـل: كـان على رأسـها «بابور البر» أو القطار البخارى الـذى أثار إعجابه خاصـة أنه كان الوسـيلة الوحيـدة لتنقلهم عبر التراب الأوربى، و وفر لهم الراحة و متعة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۷۹

السـفر و السـرعة فى التنقل عبر خطوط حديدية قوية تشق الجبال و تقطع السهول و تعبر الأنهار و الوديان بدقة و نظام بديع. و قد أشار الجعيدى إلى الكثير من أسماء المحطات التى كانوا يمرون عليها و مدة التوقف فيها.

كما أشار إلى أهمية المواصلات عبر الأنهار و الحيل التى استنبطوها فى الربط بينها، بواسطة قنوات و سدود صغيرة لرفع أو حفظ مستوى المياه حسب الحاجة، و يستغلونها كذلك فى صيد الأسماك بها، و استغلال مياهها فى سقى المزروعات عند ضفافها.

صناعة السكر: التى لها ارتباط بحاجيات السوق المغربية الاستهلاكية، و التى انتشرت عادة استهلاكه بكثرة، و كان دخوله للمغرب أيام سيدى محمد بن عبد الله، و قد خلق عصرئد بعض المشاكل الفقهية و اضطرابا كبيرا، فالبعض يحرمه و البعض يحلله، مما دفع السلطان مولاى سليمان أن يبعث بمن يثق بدينه و علمه ليتعرفوا عن طرق صناعته «فأخبروا بطهارة أصله و إباحة فرعه»، إنما حرم الجامد منه أى «سكار القالب» نظرا لأنهم يضيفون مادة كحولية بقدر معين إلى البلورات السكرية و قد تعرف على ذلك الجعيدى و تظاهر بجهله لها «.... انظر من أى شىء هو ذلك الماء المتخذ للتصفية ...»، غير أن هذه النتيجة التى توصلوا إليها لم تحترم مع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۰

مرور الزمن، بل حصل العكس حيث تزايد الاستهلاك بشكل صاعدى، و كان يكلف ميزانية المخزن مبالغ باهضة، مما دفعه إلى التفكير فى العمل على استحداث معمل لصناعة السكر بالمغرب.

لهذا نجد السفارة المغربية بمجرد وصولها إلى مرسيليا، تقوم بزيارة لفابريكة السكر، و قد خصه الجعيدى بالبحث المستفيض لما شاهده من عمل الخدمة به، و كيفية نشره إلى قطع صغيرة على شكل مربعات صغيرة، و أشار فى الأخير «.... و سمعنا بأن حكيما هناك التزم على نفسه أن يخدم السكر القالب و يوجده فى أربع و عشرين ساعة، و أنه لا يضيف إليه شيئا مما يصفى به الآن (يقصد المادة الكحولية دون أن يذكرها) ... فقيل له إن القائمين بخدمة المكينة الآن حيث يستوفون مدة «كنطردتهم» يكون الكلام فى ذلك ...» إشارة إلى أنهم قد فتحوا باب الحوار معهم لجلب أحد الحكماء إلى المغرب لدراسة موضوع صناعة السكر الذى أصبح مع مرور الوقت مادة شعبية.

الصناعات النسيجية: التى أصبحت تجد فى السوق المغربية رواجا كبيرا، نظرا لجودتها و ثمنها المناسب، و كان لذلك تأثير سلبى على الطبقات الحرفية التقليدية المغربية لفائدة طبقات من التجار المغاربة و الأجانب الذين يستوردون الأثواب و المنتوجات. و قد أدى ذلك إلى تحطيم الهياكل الاقتصادية التقليدية الموجودة و تعويضها بغيرها مع تسرب الاقتصاد النقدى و التجارى. لهذا وصف طرقهم الميكانيكية التى تشتغل لوحدها مع مراقبة من طرف الخدمة من غزل و نسج الصوف و القطن و الحرير و الكتان و الماركان، و تعرف على بعض الأثواب التى تصل إلى المغرب

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۱

كالمومبر البرانية و الثوب المسوس و الديباج و البرتك و الملف و غيرها من الأثواب الفاخرة و المشجرة بخيوط الذهب. و الحرير خصه بدراسة خاصة عن كيفية غسله و وزنه و التفريق بين أنواعه و ثمنه «.... فالثوب الذى وجدناه منسوجا ... ثمنه أربعون ريالا، فإذا قسم هذا المنكب الذى طوله خمسة أمتار، و هى تعدل تسعة أذرع تقريبا، على قالة و نصف يكون فيه ستة مناكب، و إذا قسمت هذه القطعة نصفين عرضا صارت اثنتى عشرة شقة، طول كل واحدة أزيد من خمسة عشر ذراعا، و هو إذن أرخص بكثير من المسوس المصنوع من الخيط الذى يجلب للغرب ...» إشارة إلى الأرباح الطائلة التى كان يجنيها التجار من بيع بعض الأثواب.

غير أن ازدهار هذه الصناعة يحتاج إلى احتكار الأسواق العالمية و مناطق المواد الأولية، لهذا كانت تسعى الدول الأوربية فى الحصول على امتيازات لزراعة القطن بالمغرب مثل ما حصل بمصر و الهند و الولايات المتحدة الأمريكية، فواجهتهم أولا طبيعة الملكية الزراعية بالبادية المغربية، و تخوف المخزن من أن يجلب ذلك المزيد من الأوربيين إلى البلاد.

صناعة الزجاج و البلار و المرايا : التى لم تكن معروفة فى المغرب، و لم تكن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۲

تشكل طبقة حرفية بل كانت تستورد من الخارج، لهذا تناول هذا الصناعة انطلاقا من الحرفى الصغير الذى يشغل فى ورشه الصغير، و

تتبع الخطوات التى يتبعها للحصول على المصنوعات الزجاجية، بل دقق حتى فى بعض المواد الأولية التى يقيمها قصد الوصول إلى العجينة النهائية التى تتحول بمجهوده الفنى إلى تحفة جميلة، و نفس الشيء بالنسبة لصناعة المرايات و الثريات الضخمة داخل فابريكات مختصة فى ذلك.

باقى الصناعات الأخرى: كالتعدينية التى أشار فيها إلى كيفية صنع «الصوانى» و تفضيضها أو تذهيبها و أوانى الطبخ، و مواد البناء، و التماثيل و الفلايل و الإبر، ثم صناعة أدوات البناء من النحاس، إلى أن ينتهى إلى أفران صهر الحديد لصناعة محركات البواخر و القاطرات و خطوط السكة الحديدية و غير ذلك من الآلات الكبيرة، و التى كانت تعتبر من الأمور العجيبة عصرئد عند المغاربة.

عمل الجعيدى أمام هذا التطور المادى الهائل الذى يهدف التجديد و التغيير و البناء كل جهده لنقل نشاط هذه الحركية التقنية فى جميع مظاهرها. يصف أصعب مراحل الصنعة بكل تدقيق و تفصيل و بلغة واضحة يستعمل فيها بعض الكلمات الدارجة للوصول لغرضه، و يطرح الكثير من الأسئلة عندما تستوقفه بعض الأشياء المغربية، و كأنه يجمع المعلومات لغرض معين، فقد استطاع هذا الفقيه الذكى أن يقربنا من الوسط الذى عاش فيه بضعة شهور، فقد بحث و دقق و حقق و سأل و استفاد، و قارن و لا حظ ... يأتى بذلك على وجه الاستغراب لأنه مفقود فى بلاده المغربية.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۳

الجانب المالى

إلى جانب المهام السياسية و العسكرية و الاقتصادية التى كلفت بها السفارة المغربية من قبل السلطان الحسن الأول، تأتى المهمة المالية المتعلقة بإعادة تجديد ضرب السكة المغربية، التى كانت قيمتها فى تدهور مستمر لأسباب كثيرة و متنوعة، أمام السكة الأجنبية التى كانت تروج بجانبها لاحتياج المغاربة لها فى شراء حاجياتهم من الخارج و الداخل. بالإضافة إلى ظهور نقود مزورة و مقلدة للسكة المغربية، و تهريب العملة الذهبية و الفضية إلى الخارج و غير ذلك. « فانعكس الحال على التجار و تقاعدوا على الريال و البسيطة و فاضت الفلوس فى الأسواق حتى صارت معاملة الناس ليست إلا بها، و حصل للتجار من الضرر فى رخص الريال، ما كان للضعفاء فى قلة الفلوس ...» فأصبح المغرب يتخبط فى أزمة مالية جديدة جعلت الحسن الأول يبحث عن طريقة مثلى لإعادة تجديد ضرب السكة، و قد اقترحت عليه بعض الحلول من طرف المندوب البريطانى د. هاى سنة ۱۸۷۵ م ضمن برنامجه الإصلاحى الذى تقدم به إلى السلطان، و ذلك بإعادة ضرب السكة المغربية وفق معايير جديدة تساير التطورات الحاصلة فى أوربا بدل ضربها بالطرق

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۴

العتيقة التى كانت متبعة فى المغرب، و بكميات كافية لسد حاجيات السوق المغربية.

دار ضرب السكة بباريس

بالفعل كفلت سفارة الزبيدى بدراسة موضوع إمكانية إعادة ضرب السكة المغربية بإحدى الدول الأوربية، و تنفيذا لرغبة السلطان زارت السفارة المغربية بنك فرنسا و دار ضرب السكة بباريس، كما جاء فى «رحلة الجعيدى» الذى سجل لنا تفاصيل هذه الزيارة الاستطلاعية انطلاقا مما شاهدوه فى معرض النقود القديمة التى كانت سائدة عند الكثير من الدول بما فيها المغرب، ثم تناول كيفية ضرب النقود المعدنية الفرنسية من الفضة و النحاس بواسطة آلات ميكانيكية انطلاقا من تذويب المعدن إلى أن يصبح قطعة نقدية جاهزة، «... فيخرج عنده و قد رقم فى حرفه ما يرقم فى حرف الريال من حروفهم ..»، و قد أبدى الجعيدى إعجابا كبيرا بذلك «... مكينة أخرى يرت منا الأذهان و صار كل منا كالحيران الولهان، و هى فى غاية اللطافة و الظرافة و النظافة ...».

مما لا شك فيه أن الزبيدى الذى كان يراسل الحاجب السلطانى باستمرار ليطلعه على نشاطه هناك، قد أبلغه بالأهمية التقنية التى كانت تتوفر عليها دار ضرب السكة بباريس.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۵

دار ضرب السكة بلندن

فى نفس السياق فقد خصت الحكومة البريطانية السفارة المغربية بزيارة «لدار البانكة و ضرب السكة» قصد إطلاعهم على ما وصلوا إليه من تقنية ميكانيكية لضرب الليبرة الأنجليزية، و هذا يدخل بطبيعة الحال فى إطار التنافس الذى كان قائما بين الأبناك الفرنسية و الأبناك الأنجليزية لاستقطاب المخزن المغربى لضرب عملته ببلادهم «.. و هى دار عظيمة كأنها مدينة مشتملة على ديار. و طرق دففها من الحديد ... فسألنا عن عددهم فقيل فى هذه الدار من الكتاب ثلاثة آلاف، و ألف واحد من سائر الخدمة، ثم أوصلنا كبيرهم إلى مطبعة سكة الكاغد ...». العملة الورقية أثارت فضوله العلمى فخصها ببحث مستفيض و تتبع مراحل الطبع «.....

و حيث رآنى كبيرهم أرصد دوران بعض النواعير و المجانبة فى يدى، فأخبر أن هذه الدار يطبع فيها فى كل يوم مليون من الإبرة ... هناك أوقفونا على بعض الكواغد زورها عليهم بعض من الفرنصيص، و تداولها أناس بالدفع، و عند رجوعها لدار المطبعة تفطن لها الكتاب من جهة النمروس لا غير ... و التاريخ لا زال لم يخرج من الدار، أخبروا به، وجدوا فى طلب من زوره حتى وجدوه، و حكم عليه بالسجن ثلاثين عاما ...»، و هذا الإخبار يدخل هو الآخر فى إطار المنافسة. كما حاولوا الأنجليز إبراز أهمية العملة الورقية و صعوبة تزويرها و إمكانية حرقها بعد أن تتقادم بحضور الكتاب و الأمناء ثم إعادة طبعها من جديد و هى تحمل أرقام الأوراق التى تم حرقها بدار المطبعة مرة أخرى. و هكذا، كما أطلعوهم على كيفية ضرب السكة الذهبية، غير أن المغاربة على ما يظهر استحسنوا السكة المعدنية التى ألفوها فى بلادهم منذ قرون طويلة، خوفا من جهل العامة للعملة الورقية.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۶

الصراع الفرنسى الأنجليزى لضرب السكة المغربية: بعد عودة السفارة المغربية برز الزبيدى كخبير فى هذا الميدان نظرا لخبرته الطويلة و كذلك لمعرفته لدور ضرب السكة بأوربا، فأوكل إليه الحسن الأول مهمة الإشراف على المفاوضات المتعلقة بضرب السكة المغربية بالخارج، و أعطاه حرية مفاوضة سفيرى فرنسا و أنجلترا، و هذا نص ما كتبه سفير أنجلترا للزبيدى «... كنا أطلعنا العلم الشريف بالضرر الصادر للعامة فى رواج سكة النحاس القبيحة التى كل واحد قادر على تزويرها و يسعى بذلك الربح لنفسه ... فقد كنا أشرنا على السلطان أيده الله بجعلها تضر بفبريكة سكة النحاس فى مدينة برمنكهام ... أجابنى بأنه استحسن نصيحتنا و عزم على العمل بمقتضى إشارتنا وقت الإمكان، و ذكر لنا إسمكم بأنكم أنتم إن شاء الله مكلفون بتأمل هذه الأمور .. فنطلب منكم رفعه للسلطان ..» يظهر أن السلطان أظهر استحسانه لطلب السفير دريموند. هاى لترضية خاطره، و علق أمر الموافقة النهائية على أمينه الحاج محمد الزبيدى و الذى أخبره بضرورة التنصل من ذلك « .. و طلب منك (د. هاى) أن تتلاقى مع نائب أرباب السلف الذى بطنجة فسوفته. و ظهر لك عدم الملاقاة به، و التنصل إن وجدت السبيل لذلك ... و حين ترجع لحضرتنا الشريفة تشافه بما ظهر لك فى ذلك صار بذلك بالبال و العمل على ما ظهر لك فى ذلك ...».

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۷

حصول فرنسا على الصفقة

أصدر السلطان ظهيرا شريفا إلى النائب محمد بركاش بضرب السكة المغربية بفرنسا بدل أنجلترا « .. و بعد، وصل جوابك بأن السدد

الـذى ظهر للخديم الزبيدى فى شأن السـكة ... و توجيه تلك السـكة لبر النصارى ... لأنها إذا كانت مساوية لسـكة الفرنصـيص وزنا و عيارا مقبولة بإيالته تكون مقبولة فى إيالات أخرى مثل سكته و لم يظهر لكفى ذلك ضرر ... فقد ساعدنا عليه على نحو ما عمله معهم الخـديم الحاج محمـد الزبيـدى ..». هكذا تعاقد المخزن مع دار سـيرSeillie ?re الفرنسـية لصنع ۲۰ مليونا من الريال الحسـنى، مما أغضب السـفير البريطانى الـذى كتب إلى الأمين الزبيـدى فيما بلغه من عـدم مساعدته فيما أراده من ضـرب السـكة النحاسـية المغربية بأنجلترا «... فقد عز بى حيث سـمعت أن السـلطان لم يساعد لما أشـرنا به ... و أرباب فبريكة سـكة النحاس (بأنجلترا) يجعلون الفلوس لبلادنا و للطليان و لعدد دول أخرى هذه مدة سنين معددة بدون شكاية من أحد لا من حيثية المعدن و لا من السكة كما يقع عند الغير ..».

النتيجة النهائية

لكن حـدث- مع الأسف- ما عكس النتيجـة، فإن الدولـة التى ضـربت هـذه العملـة بدار سـكتها بباريس، لم تسـتطع أن تنفد التصـميم المثقف عليه بدقـة، و لم تجعل العملـة المغربيـة الجديـدة مساويـة للفرنك الفرنسـى، و إنما جعلتها تزيد عليه خلافا للمتفق عليه، و قد أرغم المخزن المغربى على قبولها على علاتها، و من هنا جاءت الكارثة، فصارت قيمتها تنحط شيئا فشيئا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۸

فقرر الحسن الأول سنة ۱۸۸۸ م الاسـتغناء مؤقتا عن الضرب بأوربا، و أمر بشراء آلة من بلجيكا لضرب النقد، و لكن دواليبها لم يكتب لها الدوران، ثم أمر ببناء المكينة بفاس لصـياغة العملة النحاسية و كانت حتى سنة ۱۸۹۱ م لم تخرج هى الأخرى نقودا، و بالتالى عجز المخزن فى التحكم للحـد من هـذه الأزمـة الماليـة التى حلت بالاقتصـاد المغربى و آلت محاولـة الإصـلاح إلى فسـاد. إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۸۸

الزراعة

كانت للجعيدى التفاتات قليلة لميدان الزراعة لاعتبارات بيئية و اجتماعية كثيرة، رغم أن النهضة الحديثة أولت لهذا القطاع عناية فائقة، لأن أنشـطة السـفارة المغربية كانت متمركزة فى المدن و العواصم، فلم يتمكنوا من زيارة الضيعات النموذجية المتواجدة فى البوادى و القرى، لكن الجعيـدى شاهـد ذلك التطور الهائل فى هـذا الميدان من نوافذ القطار الذى كان يمر بهم وسط الأراضـى الزراعية «... ثم أخـذ البابور فى السـير .. و نحن بين جنتين عن اليمين و اليسار، و الأنهار جاريـة، و أشـجار البساتين متقاربة لا متجافية ...» و هى إشارة إلى استغلالهم المجال الفلاحى بكثافة و نظام متقن.

التسييج

الجانب الذى اهتم به الجعيدى كثيرا و أشار إليه عدة مرات، هو نظام

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۸۹

التسييج المنتشر بكثرة، و الذى يحيط بالبساتين و المزارع و العراصى باعتبارها ضيعات نموذجية غير مفتوحة، على عكس ما كان سائدا فى المغرب من أنظمـة عقاريـة معقدة و متخلفة كانت تتأثر بالجفاف و تسـلط الجراد، مما كان يؤدى إلى انهيار المحصولات و ارتفاع الأسـعار، و بالتـالى إلى مجاعـات عامـة، و تنقلات واسـعة لحشود بشـرية جائعـة، كانت الأوبئـة تجـد مرتعا خصـبا لها، مما يؤدى إلى كوارث اجتماعية و اقتصادية، كما حدث خلال كارثة القرن التى دامت زهاء سبع سنوات. من ۱۸۷۸ إلى ۱۸۸۴ م و هى الكارثة التى

و اكبت إصلاحات مولاى الحسن الأول، على عكس ما كانت تعرفه أوربا من نمو ديمغرافى، و تطور فى القرى و الأرياف .
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۰

وفرة الإنتاج الفلاحى

لاحظ الجعيدى ذلك فى رحلته عند وصفه لأسواقهم و متاجرهم الكبيرة و مآدبهم و غير ذلك، و من المقارنات اللطيفة التى أوردها حول طرق زراعة العنب أو الكرمة فى كل من المغرب و إيطاليا عند خروجهم لمشاهدة مناورات حربية بضواحى طورين «.. هم ينصبون مع كل ساق دالية خشبة برأسها أعمدة تنزل عليها أغصان الدالية، لما يرون فى ذلك من المصلحة لها، فتخلخل الريح و الهواء فيما بين أغصان الدالية و ما تحتها، و تشرق أشعة الكواكب عليها، بخلاف الدالية التى فى بعض مدن الغرب، فإنهم يتركون أغصان الدالية يترامى بعضها فوق بعض حتى يلتئم غالبها، و لا يمكن السلوك بينها إلا بمشقة ... و يبقى غالب عنا قيد العنب إذ ذاك منحجبا بين الأغصان و الأوراق عن تمام نفوذ الهواء و الأشعة، و ربما يكون تتولد آفة للعنب من ذلك و الله أعلم ...»، بمعنى تبقى عرضة للحشرات و الطفيليات التى تقلل من جودة الإنتاج و من مردودية الحقل كذلك.

الاهتمام بغرس الورود

استحسنه كثيرا و تذوق جمالية غرس الورود و الأزهار فى الحدائق و البساتين و عند ضفاف الأنهار، و حتى داخل البيوت و الفنادق و الأماكن الآهلة، علما أن زراعة النباتات الصغيرة فى الأوانى أصبحت صناعة رائجة و علما وراثيا يسخران لرفاهية الإنسان، باستحداث نباتات قادرة على النمو فى الأماكن المغلقة، و طرق حمايتها أيام البرد.
لكن رغم هذا التطور الكبير فى الإنتاج الفلاحى، فإن معظم الرحلات السفارية لم توليه اهتماما كبيرا يناسب أهمية هذا القطاع الذى ظل متخلفا و جامدا بالمغرب لمدة طويلة من الزمن، حتى عهد الحماية التى عملت على استغلاله و تطويره قصد ربطه بالاقتصاد الأوربى كسوق تكميلى.
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۱

الجانب الفكاهى فى الرحلة

- يتميز أسلوب الجعيدى فى الكتابة بروح المرح و الفكاهة الأدبية التى تهدف النقد فى صورة الهزل، و قد أخذ ذلك حيزا لا بأس به داخل رحلته، نستنتج منه بطريقة غير مباشرة المعاناة التى كان المغاربة يعانون منها من جراء ضرورة تكيفهم مع المجتمع الأوربى المتشبع بالعلمانية و الليبرالية و الحرية، و البعيد كل البعد عن بيئتهم التقليدية و مجتمعهم المتشبث بالروح الإسلامية، و بالفعل فقد سايروا الوضع الجديد بديناميكية الدبلوماسى العصامى الذى لا يهتز للمغريات و المتشبث بمبادئه الإسلامية، رغم الفوارق الكبيرة التى كانت بين أفراد السفارة المغربية من ناحية السن و الثقافة.

مستملحة

أتحفنا الجعيدى بها و ما هى إلا تصوير جرىء و صريح لمعايشة رفاقه، من خلال ما يروج فى دائرتهم، مما يبعث على إشاعة روح المرح فيما بينهم للتسلية و التزجية، و توثق لنا كل ما يحدث له و لغيره على سبيل الفكاهة الأدبية، لذلك توزعت عليهم الأدوار فى هذه المستملحة الهزلية حسبما لهم من خدمة و مكانة و اعتبار، و تتلخص أن الأمين غنام هدد الجعيدى أنه سيشتكيه إلى القاضى لينال

من عدالته و يسقط شهادته، بسبب مشاهدته رقص البنات شبه عاريات (البالى) على المسرح، فدافع الجعيدى عن نفسه بنثر مسجوع و قصيدة شعرية من الإيقاع الخفيف تتجلى فيها قمة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۲

الدعابة المقصودة إذ يقسم الجعيدى بكل المناظر المكشوفة التى أكره على مشاهدتها.

و الاتهام الثانى الذى وجه إليه على وجه المداعبة الأدبية كذلك أنه سيقال للقاضى أنه يشاركهم بشرب شراب أحمر اللون قان (يشبه لون الخمرة) فأجابهم بقصيدة شعرية مرتجلة مما جاء فيها:

فقلت:

و كيف الصبر و هى من وصفهايسلى بها قلب الكئيب بنظرة

فاملأ الأوانى منها فهى مباحةولى أذن صماء عن ذى ملامة

السرقة التى تعرضت لها السفارة المغربية

أدرج ضمن أدبياته الفكاهية قصة السرقة التى تعرضت لها السفارة المغربية بإيطاليا و عنوانها «نادرة من نوادر الزمان ترشد إلى اتخاذ الحذر فى بلاد الأمان» تصور لنا كيف اكتشف الأمين غنام سرقة كيس به ألف لويزة ذهب من مال المخزن «...

فطار لبه و اضطرب قلبه و اعترته ألوان، و تقلصت منه الشفتان .....» فتشكك فى رفاقه المغاربة و قال: «.. .. لا بد من تقليب حوائجكم ظنا منه أن النصارى لا يمدون اليد لمثل ذلك ... و قلب بمحضر مقيده (الجعيدى) حوائج الجماعة فلم يجد لذلك أثرا و لا وقف له على خبر، ثم أخبر بذلك الباشدور ...» الذى دخل عليه الترجمان صدفة و اكتشف الأمر بنفسه، رغم أن الزبيدى لم يكن فى ظنه إخباره

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۳

بذلك، و انتشر الخبر و نشرت الصحف الإيطالية تفاصيل السرقة، خاصة أن السفارة المغربية كانت تستعد لاستقبال ملك إيطاليا فى الغد، و قد استطاعت الشرطة الإيطالية إلقاء القبض على اللصوص، و أرجعت المبلغ المالى إلى الزبيدى الذى رفض تسلمه، لأنه ظن أن إرجاع الفلوس إليه ما هو إلا- تغطية من طرف الحكومة الإيطالية للموضوع، و طالبهم بإحضار الكيس الذى كانت به الدراهم، فأجيب إن الكيس قد ألقاه اللصوص من القطار فى إحدى الأودية، فوجه الأمين و الجعيدى إلى سجن طورين الجديد للتأكد من حقيقة القضية. هذه التغطية

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۴

المشوقة لهذا الحدث لم يشر إليها ابن زيدان فى «الإتحاف» و لا غيره، و التى تظهر بأسلوب مرح مواقف المغاربة المشرفة و التلقائية أمام المشاكل الطارئة التى تعتريهم أثناء مهماتهم السفارية.

الرمز كتعبير ثانى

استعمل الجعيدى الرموز أحيانا فى فكاهاته الأدبية، عندما تحدث عن مقارنة لطيفة بين الجواهر الشقية و السعيدة عند حضوره حفلة شاى مختلطة بلندن، لاحظ خلالها أن النساء الحاضرات متزينات بالجواهر السعيدة فى نحورهن و على رؤوسهن أما الشقى منها «.. فهو كالأسير فى طبقات اللظى و السعير، يطلب لسان حاله الإنقاذ من محنه و أهواله ...» نتحسس منها بعض الرموز التى لم تفصح صاحب الرحلة عنها، ربما يرمز لحال المرأة و المال.

من تهكماته الهزلية

أولاـ على الأوربيين لكثرة ما يعرضونه من أندر الأشياء فى متاحفهم أنه لما رأى صورة سيدنا آدم و حواء وصفهما فى رحلته و قال لهم: «... إن من اعتنائهم بهذه الأمور أن تكون عندكم بلغة نبينا آدم فأين هى، قالوا تركها فى الجنة عند خروجه فلذلك لا توجد هنا ..».

ثانيا: و كختام لهذا الجانب بما قاله فى حق السفير الزبيدى، أنه ذات يوم كانوا يمرون بالعربات قرب رجل مسن بلجيكى «... فحين رءا الباشدور المغربى قفز

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۵

من موضعه و صاح صيحة عظيمة كأنه فاجأه أسدا أو حل به ما هو أشد ...».

و بهذا الجانب الفكاهى من الرحلة نختتم دراستنا لرحلة الجعيدى إلى أوروبا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۷

ديباجة المؤلف

اشارة

/ ۱/ بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه و سلم

۱ [حمدا لمن فضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم ...]

حمدا لمن فضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم، و شرفها باتباع شريعة سيد العرب و العجم، جعل فيها فى كل ذ عصر إماما على هذه الشريعة ثابت القدم، يقاوم من بغى من أهل الملل و يسد ما انخرم، و يحذر عظماءهم مما يرتكبه نوابهم و من فى حماهم من الخدم، من مجاوزة الحدود و رفض العهود، و ارتكاب موجبات التفاقم و أسباب الندم، إخمادا لنار الفتن، و استفادا من أهوال تلك الظلم. نحمده تعالى و نشكره أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس الذين يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، يسعون فى الصلاح و السداد بين الأجناس، فازدادت شرفا على شرف،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۸

و اشتهر فضلها كنار على علم. من يهده الله فلا مضل له، و من يضلله فلا راد لما سبق القضاء فى سابق القدم. و الصلاة و السلام على سيدنا و نبينا و مولانا محمد الآمر على لسان الشرع للوقوف عند الحدود و الوفاء بالعهود، تبشيرا لمن استسلم، و تحذيرا لمن تعدى و ظلم. و على آله و أصحابه القائمين بنصرته و إعلاء كلمته، القامعين شوكة من عاند و شتم، صلاة و سلاما تحط بهما عنا الخطايا الكبائر و اللمم، و تجر بركتها عاجلاـ بتوالى المنن و النعم، آملاـ بالحفظ من فضل الله من كل الأسواء و النقمذ . و بعد فيقول العبد الفقير إلى ربه الوجل من عظم وزره، و سوء كسبه، إدريس بن محمد بن إدريس بن عبد القادر الجعايدى الحسنى.

/ ۲/ أحسن الله بمنه عاقبته و أدام فى مرضاته و طاعته عافيته، لما أشرقت فى هذا القطر المغربى أنوار طلعة مولانا الأمير الأفخم، ذى الجناب المهاب الأعظم ناشر لواء العدل فى الأقطار، المتلقى بالطاعة و الاستسلام فى القرى و الأمصار، من أتته الإمارة طالبة و بايعته الحواضر و البوادى قاطبة، صاحب المفاخر التى شهد بفضلها الخاص و العام، و المآثر التى ترتفع على الثريا و تكاثر الغمام القائم بنصرة الدين، إمام الغزاة و المجاهدين، وارث مناصب الإمارة كابرا من كابر، و قد افتخرت بطلعته السعيدة على

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۹۹

الأوائل الأواخر، السالك سبيل العدل على أوضح سنن.

الشريف العلوى علامة زمانه سيدنا و مولانا الحسن ، خلد الله ملكه، و جعل الدنيا بأسرها ملكه، و أدام سعادة أيامه، و جعل البسيطة قبضة يده و طوع أحكامه و لا زال لواء عدله المنشور إلى يوم النشور. بادر أهل المودة من الروم بالنهوض و القدوم ، على هذا الإمام، الليث المقدام، بتهنئة سيادته باستقراره على كرسى الملك الموروث خلفا عن سلف و ارتقائه معارج العز و المجد و الشرف، سائلين تجديد عهود تمهيد طرق الرشاد بما يعود نفعه على الدول من الصلاح و السداد، اقتفاء لما أسسه أسلافه الكرام و وصلا لتلك العقود من غير انصرام، فنالوا المنى من عدله، و بسط عليهم أردية نواله و فضله. و بعد رجوع كل منهم لأوطانه، و تبليغه/ ۳/ ما كلف به

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۰

لدولته و سلطانه، اقتضى نظر مولانا السديد، و رأيه الموفق الرشيد، أن يرسل لهؤلاء الأجناس- الذين وفدوا على حضرته الشريفة- سفيرا من خاصة خدامه المقربين، و خدام أسلافه المقدسين المنعمين، و يتوجه معه إليهم كاتب و أمين، و نفر من جيشه السعيد من ذوى الوجاهة و التمكين، ليجازى أولئك الأجناس على ما صدر منهم من الاعتناء بجانبه العالى بالله، كما هى العادة فى ذلك و سعيا فى طاعة مولانا، و ليشرح هذا السفير لعظمائهم حال بعض نوابهم من نقض بعض العهود، و رفض بعض الشروط التى أسست على السنن المعهود، فوقع اختياره أعزه الله على خديمه الأنصح، و خديم أسلافه الأنجح الأملح الفقيه النزيه الذكى النبيه، السيد الحاج محمد بن المرحوم السيد الطاهر الزبدى الرباطى أصلا، خديم أعتابه الشريفة و أعتاب أسلافه الكرام، ثبت الله قدمه على تلك الخدمة الشريفة من غير انصرام، و لشهرته استغنيت به عن التعريف، إذ التعريف به مع جليل مرتبته قد يكون فيه تحريف أو تعنيف، و عينه- أعزه الله- لأن يوجهه إليهم باشدورا و سفيرا، و يحمله أسرارا إليهم و يكون فى ذلك معينا و ظهيرا لما تحقق لديه- أيده الله- من أهليته لذلك، و تقديمه على غيره فى هذا الباب ممن هنالك، و فوض إليه- أعزه الله- أن يعين كاتبا من خدامه أهل سلا، و أمينا من رباط الفتح من أهل المروءة و اليقظة و العلا. ثم إن هذا الباشدور تفاوض- كما قيل- مع بعض أعيان أهل الرباط، و كان ممن/ ۴/ لهم فى جنابنا محبة و اغتباط، فى شأن هذا الكاتب الذى يقوم بتلك الكلفة، و يراعى حقوق المعاشرة و الألفة، فأشاروا عليه بصاحب هذا التقييد، و بالغوا فى إطرائه بما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۱

ليس عليه مزيد مع أنه عن هذه الرتبة لبعيد، بل هو فى ميدانها قصير و بليد، و لكن حملهم حسن الظن على تلك الإشارة، فساعدهم فى غير برهان واضح و لا أمارة، و فى الحين وجه الباشدور كتاب مولانا الشريف لخديمه الأسعد الأنصح الأنجد، ذى الرأى السديد، القائد السيد الحاج محمد بنسعيد، بتنفيذ الكاتب الذى يعينه الباشدور من الأهلة و البدور، و عين له الكاتب الذى أشاروا به عليه، و أن يرسله عاجلا إليه، ليكلمه فى شأن ذلك علانية، و ليأخذ بالحزم و التأهب و يكون من ذلك على نية. فأخبرنى الخديم المذكور بهذا الخبر، و طالعنى بذلك الكتاب الشريف فقلت أين السها من القمر، فلست من أولائك الفرسان، و ليس لى قلم و لا لسان، و يعرف هذا منى كل إنسان. فقال لا يقبل لك فى هذا عذرا، و المعين أعرف بحالك و أدرى، فأجب من دعاك طوعا، فأنت معروف بالصبر و الاستسلام دأبا و طبعا. ثم توجهت إلى الباشدور فتلاقيت به و مخائل السرور عليه تدور، فأخبرنى بخبر هذه الحركة السعيدة، و أنها قصيرة الأمد غير بعيدة. و دفع لى من الزاد، للتهيئ ما فيه الكفاية و غاية المراد، و أخبرنى أن مولانا- أيده الله-، و أدام مجده و علاه، أمر بصنع كساوى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۲

منتخبة بفاس/ ۵/، له و لمن معه من الناس، و أنها تدفع بطنجة لأصحابها، للتجمل بها فى ذهابها و إيابها، فتلقيت منه ذلك الزاد، بالشكر و الثناء كما هو المعتاد، بعد ما أطال معنا فى ذلك الكلام، بما يسرنا و انصرفنا بسلام.

و أما الأمين الذى ارتضاه لهذه المرتبة، و اصطفاه بهذه القربة، فهو التاجر الصادق الحازم الضابط الفائق، الذى فاق فى باب التجارة كل من يدعيها، و سلم له تلك الخاصية كل من يزعم أنه يحيط بها و يعيها، كيف لا و قد ظهرت عليه أمارات ذلك و هو شاب غلام، و هذا الطالب النجيب السيد بناصر غنام، فلمعمرى أن هذا الباشدور قد سقط على الخبير، و أنه بحاله خبير بصير، و لقد أسكن الدار بانيها، و مكن القوس لباريها، ثم لما شاع هذا الخبر فى البلدان، و تواتر حتى لدى الولدان، و سمع به بعض علماء بلدتنا، الغائبين عن حضرتنا، و كان من خاصة أهل محبتنا، علامة الزمان، الأديب الفرد فى هذا الأوان، قرة ناظرى، و إنسان باصرى، المشارك المتفنن سيدى أحمد الناصرى أحمد الله عاقبتى و عاقبته، و جعلنى و إياه ممن يخشاه و يراعى مراقبته، اقترح على أن أجعل رحلة فى سفرى و تستغرق نهارى و سهرى، تكون جامعة لكل خبر غريب، و لما نراه فى تلك الأوطان من كل أمر عجيب، إلى غير ذلك مما لا يخطر بالضمير حتى تكون قائمة مقام الأنيس السمير/ ۶/. فكتبت له مجيبا، إنى ليست راكبا فى هذا المجال حمارا و لا نجيبا، فكيف يا سيدى تلقينى فى هذه الوحلة و تقترح على تلك الرحلة، و إنى ذو باع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۳

قصير، و لست أعد من أصحاب هذا الشأن فى عير و لا نفير.

لكن سأجعل بحول الله تقييدا، يكون فى بابه مفيدا، يشتمل على ما يستغرب من الأخبار، و تميل النفس إليه من عجائب تلك الأمصار، و أجبته بمضمن ذلك تسلية لخاطره، من باب الوعد الذى لا- يجب الوفاء به، لاعتقادى أنى لا قدرة لى على ذلك التكليف، و لقصورى عن رتبة التصنيف، و بمثله اقترحه علينا و نحن بطنجة الأمين الأخير، الصادق الأطهر، الجامع لأنواع الفضائل و الفواضل فى كل مقام، الطالب الأخير السيد عبد القادر غنام ، فذكرنى ذلك الوعد، و كنت معه ساهيا و كاد يكون عندى نسيا منسيا، و كتب كذلك الآخر يذكرنى خوف النسيان، و يتعاهدنى فى شأنه بعض الأحيان، فتبين أن لا بد من المساعدة، و أن لا محيد عن تقييد ما تقتضيه المشاهدة إذ ذاك أولى من أن أولى الأدبار، أو أعتذر أنى لست من أولائك الأحبار، فشرعت إذ ذاك فى هذا العمل، طالبا من الله الإعانة على بلوغ المنى و حصول الأمل، و جعلت أقيد ما أراه على سبيل العيان، و أدع ما ضاع الوقت عن تقييده فى بعض الأزمان ، و هكذا دأبى حالتى الإقامة و الظعن، مساعدا لطالبه و مستقلا من شتم و طعن، و دمت على ذلك فى مدن الروم و أمصارها حتى/ ۷/ استحسن ذلك الحال الحذاق من الدول و أعيان أنصارها، فجاء تقييدا شاملا لكل غريبة أدناها و أقصاها، لا يغادر كبيرة أو صغيرة إلا أحصاها، و سميته إتحاف الأخيار

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۴

بغرائب الأخبار و رتبته على مقدمة و ستة أجزاء و خاتمة. فالمقدمة فى بيان الأجناس الذين وجه إليهم مولانا- أيده الله- هذا الباشدور و من معه، و ذكر المدن التى دخلنا إليها من بر الروم و غيرها و مدة الإقامة و السفر من مدينة إلى أخرى برا و بحرا. و أما الأجزاء الستة فإن كل جزء منها يشتمل على أخبار و غرائب و فوائد و عجائب، و الخاتمة- رزقنا الله حسنها- فى بيان معتقدنا فى ذلك، و التبرى مما يتحدث به العوام الذين يجولون فى بلاد الروم من مدح أحوالهم و حمد قوانينهم و افتخارهم بذلك، نعود بالله من هذا الاعتقاد و نسأله العصمة و التوفيق إلى سبيل الرشاد، و الثبات على طاعته و مرضاته و أن يجعلنا من الآمنين يوم الحشر و المعاد.

۲ أقوال طالبا من الله الإعانة و بلوغ المأمول ...

أقوال طالبا من الله الإعانة و بلوغ المأمول، كان شروعنا فى هذا التقييد حيث كنا بطنجة و تجددت الكتابة إلينا و الطلب فى شأنه كما قدمنا ذكر ذلك. لكن ينبغى أن نلحق هنا أولا بيان وقت خروج الباشدور من الرباط، وقت خروجنا بعده إلى وصولنا لطنجة، بحسب ما علق بذهنى الآن.

أما خروج الباشدور و نهوضه من رباط الفتح إلى الحضرة الإدريسية/ ۸/، وقاها الله و حرسها من كل بلية، فكان فى يوم الاثنين

السادس من ربيع الثانى عام أربعة و تسعين و مائتين و ألف ، لغرض مولوى هنالك ثم يتوجه منها إلى ثغر طنجة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۵

المحروسة بعناية الله بوجود مولانا- نصره الله- و كان هذا الباشدور المذكور عين لنا اليوم الذى يكون نهوضنا فيه من العدوتين إلى طنجة ليكون دخولنا معه إليها فى يوم واحد بحول الله، و تأخر نهوض مقيده مع الأمين المذكور ليوم السبت الخامس و العشرين من ربيع المذكور، و خرجت من بيت سكناى بعد صلاة ركعتى الضحى به و تلاوة ما ينبغى للمسافر قراءته عند خروجه من منزله و هو: «بسم الله الرحمن الرحيم لا- تخف دركا و لا- تخشى، لا- تخف نجوت من القوم الظالمين، إنك من الآمنين. لا تخف و لا تحزن، لا تخف إنا منجوك. لا- تخافا إننى معكما أسمع و أرى لا- تخف نجوت من القوم الظالمين. و الله يعصمك من الناس. إنا كفيناك المستهزئين فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم، و لا- حول و لا- قوة إلا بالله العظيم، لبست ستر الملك العظيم، و تحصنت بإسمك القديم الأزلى، و ترديت برداء عائشة أم المؤمنين، و تقلدت بسيف على، و دخلت فى خزائن بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها».

و كنت تلقيت هذا عن الشيخ الجليل الشريف الأصيل العارف بالله سيدى محمد الدباغ الفاسى نفع الله به و بأسلافه و ذلك فى أواسط شعبان عام سبعة و سبعين و مائتين و ألف، و كان إذ ذاك بسلا، حرسها الله من كل بلا، و كنا نتأهب للسفر لحج بيت/ ۹/ الله الحرام و زيارة قبر نبيه عليه الصلاة و السلام، و كان أفادنى هذا الشيخ الجليل إذ ذاك أن من تلا ذلك وقت خروجه مسافرا فإنه لا يلقى إلا خيرا، و لا يرى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۶

مكروها فى سفره، فكان الأمر كذلك و الحمد لله. و خرج لوداعنا جماعة من الأخلاء و الأصدقاء و الأحباب من أهل العدوتين و الخاصة من أعيان البلدتين، و ودعناهم بعد مجاوزة الأجنة، و استوهبنا منهم صالح الدعاء و أرسلنا الأعنة، و بتنا الليلة الأولى و الثانية عند بعض أحبتنا من أهل قبيلة الغرب. و فى يوم الاثنين السابع و العشرين من الربيع المذكور فى الساعة التاسعة منه. وصلنا لضريح الولى الأشهر سيدى أبى سلهام نفع الله به، فاغتنمنا زيارته كما ينبغى و استرحنا هناك هنيئة، ثم جددنا السير و كان وصولنا لمدينة العرائش بعد صلاة العصر بقريب، و حين أشرفنا على الدخول إليها قدم الأمين التاجر السيد بناصر السابق ذكره فارسا بكتابه لعامل العرائش يطلب منه تعيين محل نبيت به الليلة القابلة، فعينه وجدناه من أشرف الأماكن المخزنية هناك، و وجه ما لا بد منه من الإكرام، و فى الحين اكتشف خبر قدومنا الأمينان الفاضلان السلويان الطالب السيد الحاج محمد بن القايد السيد أحمد زنيبر و ابن عمه الطالب السيد عبد الهادى بن القايد الطالب السيد ...

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۷

نصّ الرّحلة

الجزء الأول:

/ ۱۰/ ذكر الدخول لثغر طنجة و مدة المقام فيها إلى الوصول لمرسيلية

ففى يوم الأربعاء التاسع و العشرين من ربيع الثانى دخل إليها الفقيه الأسعد الذكى الأنبل الأرشد خديم سيدنا المنصور بالله أدام علاه، الباشدور الذى لا زالت ضروب السعادات، و لسيادته تسدى، و على يده الكريمة أنواع الفتوحات، تظهر و تبدى، أوحد النبلاء سيدى الحاج محمد الزبدى أبقاه الله محفوظا بعين الإجلال و الإقبال ملحوظا بمنه آمين. و كان دخوله للثغر المذكور فى ضحى اليوم المشار إليه، و حيث أشرف على الدخول و تحقق بذلك عامل البلد خديم مولانا المؤيد بالله الباشا الأطهر المسن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۸

الأكبر السيد أجلالى بن حم أعانه الله و سدده، ركب من معه هناك من الجيش السعيد و العسكر الجديد و خرج لملاقاة الباشدور المذكور اهتماما بشأنه، و تنويها بمكانته و قدره، و تلاقى معه هناك خارج البلاد، و دخل مصاحبا له مع من ذكر من الجيش و العسكر السعديين إلى المحل المعين لنزوله و هى دويرة رياض قصبة المخزن هناك.

فنزل بها حامدا لمولاه، على ما خوله من منن العافية و أولاه. و بعد غروب شمس اليوم المذكور ظهر هلال جمادى الأولى الموالى لربيع الثانى المذكور، فتبين أن دخول الباشدور المذكور لذلك الثغر كان بعد مفارقة جرم القمر لجرم الشمس و انفصاله عنها و شروعه فى الاستمداد من نورها، و فى ذلك من الدلائل الواضحة عند أرباب ذلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۰۹

الفن الدالة على السعادة الكبرى له فى هذه الوجهة المباركة، و لا يقال أن خروجه من حضرة فاس كان فى أواخر الشهر المذكور، و كان الهلال إذ ذاك مشرفا على الدخول تحت شعاع الشمس، و ذلك الوقت ينهى عنه أرباب ذلك الفن من الشروع فى الأمور المهمة كالسفر و الزواج و غيرهما لأنا نقول: ليس ذلك أى خروجه من فاس/ ۱۲/ خروجا حقيقيا إنما هو انتقال من محل لآخر على حسب مقتضيات هذه الوجهة السعيدة، و الخروج الحقيقى كان تقدم قبل ذلك فى الحضرة العالية بالله بحمراء مراكش- حرسها الله-. و لا شك أن أفعال العقلاء مصونة عن العبث.

دخول الرئيس و مرافقيه لطنجة

رجع. و فى فاتح جمادى الأولى المذكور دخل للثغر المذكور الأمين الأمجد، الحازم الضابط الأنجد، الذى صلحت بفضل الله أحواله و نشأته، و تميزت بمنه و كرمه مروءته و ديانته و نجدته، ذو الأيادى و الإنعام، و وافر الفضل و الإكرام التاجر الطالب السيد بناصر غنام أصلح الله حاله و حالنا فى سائر الأحوال، و كان بجميعنا معينا و حافظا فى الإقامة و الارتحال، مصاحبا له مقيده تولاه مولانا الكريم الرؤوف الرحيم.

و حين أشرفنا على الدخول لطنجة أنهض الأمين المذكور فارسا كان معنا بكتاب

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۰

يخبره بإشرافنا إلى الدخول، فطار به و رجع و صادفنا قرب باب/ ۱۳/ المدينة، فرجع معنا متقدما أمامنا و نحن فى أثره قاصدين محل النزول الذى تقدم ذكره، إلى أن وصلنا إليه سالمين، و لمولانا سبحانه حامدين شاكرين. و بعد هنيهة تلاقينا بالباشدور المذكور مهنئين لسيادته بسلامته و عافيته ، فسر بقدومنا و انبسط، و ارتفع عنه ما كان يتوهمه بتأخيرنا حسبما ذلك مضى و فرط، و وجدناه نازلا بقبة الدويرة المذكورة، و فيها قبالة الداخل إليها صالة مزخرفة ذات سراجم كبار لها دفف من الساج و أخرى من الزاج مشرفة على الأسد الضارى بغاز البحر الجارى .

و هناك نظرة فائقة، و مسرة للقلب رائقة، فحين رأينا ذلك المنظر البهى و الرونق الشهى، أخبرنا الباشدور المذكور أنه عينه لنزولنا فيه مع أنه مرتفع من مقعده، فكان اللائق بمنصبه أن يكون منزله به لمناسبته لمرتبته العظيمة، و إنما تأخر عنه و رفعنا إليه رفع الله/ ۱۴/ قدره، بورورا منه و واضعا، خلد الله فى الصحائف مآثره الحسنى و ذكره، و أخبرنا رعاه الله أن نائب مولانا المفوض إله المعول فى الأمور البرانية عليه، قطب العقلاء، و أوحد النبلاء، ذا الرأى السديد و الجد و الإجتهاد السديد، الذى انتعش بتصدره لتلك الرتبة غربنا أتم انتعاش.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۱

الفقيه سيدى محمد بركاش أدام الله إليها انتصابه، و أبقى له و لأعقابه لتلك الرتبة انتسابه. قدم فى الساعة العاشرة من يوم الخميس

فاتح جمادى المذكورة فى البابور ، لأنه كان تركه برباط الفتح و حين قدم الباشدور المذكور لطنجة و لم يجده بها ضاق صدره لأنه كان متوقفا عليه فى أمور مهمة، و أعظمها غرض مهم يتوقف سفرنا فى البحر عليه و لا يتأتى بدونه، و كان يقال بقدوم الفركاطة للسفر بعد أربعة أيام، و ذلك الغرض متعذر لا بد فيه من مراجعة الحضرة العالية بالله، و لا أقل فى مدة/ ۱۵/ المراجعة و حصول ذلك الغرض من نحو نصف شهر، و انظر ما يترتب على مقام الفركاطة التى ترد للسفر جل تلك المدة. و بقدوم النائب المفوض إليه المذكور دبر برأيه السديد و دهائه الفريد، فى حصول ذلك الغرض من غير

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۲

مراجعة و لا توقف، و ما ذلك بأول بركاته، و لا بنقطة من فيض بحر ذكائه، و هذا من سعادة الباشدور المذكور التى اكتسبها و اقتبسها من سعادة مولانا المنصور، ضاعف الله نصره و تأييده بتضاعف الأعصار و الدهور، و أبقى له و لأعقابه الكرام البررة كمال الاستيلاء و تمام الظهور. و بعد استقرار الباشدور تلاقى بنواب الأجناس و تلاقوا به حكم قوانينهم. و فى يوم الجمعة ثانى جمادى المذكور ، ركبنا معه بعد الصلاة لزيارة ولى الله الأكبر ذى السر الواضح الأشهر و الكرامات الباهرة و الأسرار المشاهدة الظاهر الذى أقر بولايته كل غنى/ ۱۶/ و محتاج العارف بالله تعالى سيدى محمد الحاج أفاض الله علينا من بحره الزاخر، و أمدنا من مدده العميم الوافر، فزرناه زيارة راغب خاشع، بتدلل و قلب خاضع. و لمقامه قدس الله سره هيبة ربانية و سطوة عرفانية، رضى الله عنه مستغنية عن التعريف. و من يكن فى مقام التعريف ففى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۳

تعريف القاصر مثلى به عين التحريف.

ورود الفركاطة للسفر

و فى عشية يوم السبت ۳ منه قدمت الفركاطة المعينة للسفر، و أخبر بها رايس المرسى أولا فظن أنها غيرها لعدم انصرام الأمد المعين لقدومها، فصرنا شاكين فيها مترددين فى أمرها من عدم إخبار باشدور جنس الفرنصيص بها، و فى ضحى إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۴

يوم الأحد الرابع منه أخبر بقدومها الباشدور المذكور فسأله بواسطة الباشدور المذكور، هل تتهيئون للركوب فيها عاجلا أو لا بد من مقامها شيئا ما؟

فأجاب/ ۱۷/ على لسانه ترجمانه ، أمر هذه الفركاطة إليك و حكمها بيدك فإن شئت أن تسافر الآن أو بعد مضى شهر من الزمان فكبيرها مأمور بذلك، و بمساعدتك فى مرادك، و من هنا يعلم اللبيب و يتيقن الفطن الحاذق الأريب، بحصول السعادة العظمى فى هذه الوجهة المباركة الممنونة لفضل الله و كرمه، لأن المعهود فى شأن الباشدور الذى يطلع من الغرب لبعض الأجناس أن يقيم بطنجة عدة شهور حتى ترد الفركاطة أو بابور السفر و شتان ما بين ذا و ذاك، هدانا الله و إياك، و من باب الفضل دعانى و دعاك، ثم أجاب الباشدور و الترجمان المذكور بعد المفاوضة فى ذلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۵

مع النائب المفوض إليه، بأن ركوبه فى تلك الفركاطة يكون يوم الأربعاء السابع منه على الساعة الحادية عشرة، فبقيت بمحل ترسيتها إلى اليوم المذكور لتهيئ بعض المقتضيات بثغر طنجة و تجديد ما أبلاه السفر فى البر و تبديله بما يناسب سفر البحر، و فى ليلة الأربعاء أمر الباشدور بحضور كبير المخازنية ، فحضر و أعلمه أن يخبر أصحابه بالتيقظ قبل الفجر و خروج الخيل المهدية شيئا فشيئا كل اثنين منفردان، و نزع صفائحها، و نزولها للمرسى بقص طلوعها للبابور، فأجاب بالسمع و الطاعة، و قام بذلك أتم قيام حتى طلعت الخيل كلها للبابور بل لتلك الفركاطة، و فى الساعة الثامنة من يوم الأربعاء المذكور نزلت الصناديق التى فيها الأغراض الشريفة، مع

صناديق حوائج السفر المحتاج إليها، و طلعت للسفر بالفركاطة و ترك الفراش كله ببيت بتلك الدويرة المذكورة مختوم عليه، عدا شيء يسير من فراش الباشدور فإنه أمر بطلوعه للفركاطة فطلع، و كانت مدة إقامته بطنجة نحو سبعة أيام نسأل الله الإعانة على التمام بجاه خير الأنام عليه فضل الصلاة و السلام.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۶

الخروج من ثغر طنجة و الركوب فى البحر إلى الوصول لمدينة مرسيلية

لما طلعت تلك الحوائج كلها للفركاطة و معها المخازنية و الخدمة ،/ ۱۹/ المعينين للسفر فى هذه الوجهة السعيدة، أذن للأمين المذكور و كاتبه بالتقدم للمرسى، فتقدمنا فوجدنا بها جما غفيرا من أعيان أهل البلد عامة و خاصة، و من أجناس النصارى خلقا كثيرا فجلسنا هنيئة بنبح المرسى، و إذا بالعسكر السعيد قد أقبل متحرفا للبعض مطرفا و لآخرين مرهبا، فمر على نسقه المعهود، و كل عند حده المحدود. ثم أقبل الباشا الذى تقدم ذكره آنفا، و عرف ببعض أوصافه سالفا و بقى راكبا أحسن جواد، فى وسط ذلك السواد ، و بعده أقبل النائب المفوض إليه المذكور راجلا و فى حلل سيادته رافلا، فمر على باب المرسى فقابله الأنام

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۷

بالتبجيل و الاحترام، و لم يكن غير قليل و قد أقبل الباشدور ذو القدر الجليل الذى من الله تعالى برفقته على مقيده العاجز الذليل، و هو غير راكب بل ماش و معه من ليس للعهود و الشروط ناسيا، من قوم الأجناس، الحكماء الأكياس و العيون ترمقه بالتوقير و العظيم، و تصافحه الخاصة/ ۲۰/ مصافحة وداع بالتجليل و التفخيم، فودعه وداع الأخلاء، و شيعوه تشييع الأحباء الأجلاء، و هم بفضله معترفون، و من بحر سيادته و سعادته يغترفون، و قلت فى هذه المعنى سالكا سبيل هذا المبنى.

تبارك من حباك بكل فضل و خصك بالمزايا و بالكمال

فسدت القوم كلهم جميعاو مأواك بينهم دروة المعالى

و لا غرو أن تسود الكل طراو ليس الأمر من حيز المحال

فإن المولى يختص من يشاءبإنعامه على مر الليالى

و لعمرى أنه لجدير بقول من قال و أجاد فى المقال:

فإن تفق الأنام و أنت منهمفإن المسك بعض دم الغزال

ثم صعد فلكا جارية سابحة، و اقتفت أثره أخرى ألحقت به جماعته الرابحة قاصدين فركاطة السفر، راجين بفضل الله/ ۲۱/ أمن مخوف و حسن الظفر، فوصلوا إليها و صعدوا عليها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۸

طلوع الباشدور للفركاطة

فتلقى له الرئيس و الكبراء و الأعيان و النظراء، و فئة من العسكر لابسة آلة حربها مصطفة بناحيتى شرقها و غربها، و الكل يشير بالترحيب، و العسكر مشتغل بالتحريب، لأن فى ذلك قام مقام سلاحه، عن إفصاحه بكلامه، ثم نزل الرئيس إلى القامرة التى هى بكل زخرف و مستلذ عامرة، و اتبعه بإشارته الباشدور و أمينه و كاتبه خائفا وجلا مما هو كاسبه، ثم بين لكل واحد من القامرة فراشه و وطاءه، فتبين، و عين ما يحتاج إليه من الضروريات فظهر و تعين كل بما يناسب مرتبته و يلائم مقامه و منزلته، و للكل فى ذلك غاية التوسعة، و مسرة للقلب نابعة، و لما استقر بنا المكان، و كانت الساعة الحادية عشرة و النصف بإن من الزمان طلبنا من الله الأمن و الأمان. استأذن الرئيس، الباشدور ذا المقام النفيس، هل يسرح الفركاطة/ ۲۲/ للسفر و لا زال معنا من أهل الوداع نفر، فأذن له بالتسريح

بإشارة أبلغ من التصريح، و تلا بعد التعوذ و البسملة قوله جل علاه و قال: ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إلى يشركون و غير ذلك من الأدعية الواردة فى ذلك، المرغّب فيها عند المرور فى تلك المسالك. ثم أخذت الفركاطة فى السير كأنها باز خرج من قفاز، قاصدة طريق البغاز ، و البحر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۱۹

غاية فى السكون و الخمود و الركون، و كان الباشدور المذكور أمر الطباخين بتهييء مؤنة السفر بما للجميع فيه تمام الكفاية، كما اقتضت ذلك منه حسن الدراية، فاشتروا جميع الضروريات و أتوا على جميع المقتضيات مراقبين ما عليهم من الإشراف، متنكبين طريقى الأقتار و الإسراف، فأحسنوا القيام بتلك الكلفة، مع مراعاة آداب المعاشرة و الألفة، جزاهم الله أحسن الجزاء، و ضاعف أجرهم يوم العرض و الجزاء، و تقبل عملهم و بلغ ءامالهم.

/ ۲۳/ هذا الفصل سيقدم و يلحق بموضعه المناسب بحول الله.

رجع، قد يقال إن من القوانين المشهورة و الشروط المقررة المأثورة أن تخرج المدافع برا و بحرا عند ركوب الباشدور.

علة عدم خروج المدافع

فما بال هذا المقيد لم يعرج عليه، و لا أومأ بشيء إليه، قلت: لما طلعنا إلى الفركاطة وجدنا مدافعها عامرة، و هى منصوبة فى فرج البوردو بارزة، و المكلفون بها يترقبون خروج المدافع ۲۱ من البر ليجيبوهم على العادة. لكن كان أخبر الرئيس أنه حين طلعت خيل الهدية للفركاطة و استقر كل واحد منها بموضعه، سمع بعضها حركة قوية حركت نفسه الأبية، فتحرك بذلك حركة مرهبة حتى كاد يكسر الصندوق المحيط به، و أنه إن أخرجت المدافع بالفركاطة لا شك فى نفورها نفور ينشأ

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۰

عنه فسا كبير، إما فى ذاتها أو فى شيء من آلة الفركاطة، و أعلم بذلك النائب المفوض إليه، و كان الباشدور حاضرا فأذن الباشدور بعدم خروج المدافع من الأبراج، دفعا و سدا لبابى الضيق و الحرج. فهذا سبب عدم خروج المدافع/ ۲۴/. بسطته هنا بوجه لكل ريب و شك مدافع. ثم لم يزل البحر راكضا لا رافعا و لا خافضا إلا شيئا من ذلك قليلا حصل به ميد لمن كان قلبه عليلا، و لكنا أصابه منه ما أصابه، و غير انتصابه، حتى بلغ حده و نصابه، عدا الباشدور فكان قلبه بفضل الله من الميد فى حصون. و هذا من شجاعته و ثبات قلبه زاده الله من الثبات و الرسوخ، ما يصير به ناسخا غير منسوخ * و مع ذلك الميد كان القوم مواظبين على الصلوات فى وقتها المعتاد، و ما فاتهم بحمد الله شيء من الأوراد، و الحمد لله على هذه النعم الجليلة المقدار، الواجب شكرها بعدم عصيان الرحيم الغفار*. و كانت منا الأفئدة و العيون تراقب و تخشى هول (غلف اليون) إذ شأنه غالبا الهيجان، و شدة الاضطراب و الفيضان. و ربما تؤدى إلى العطب، أو كثير التعب و النصب، فألقيناه و الحمد لله ساكنا، و هيجانه بمنة الله تعالى كامنا، و بقى البحر على هذا الحال إلى الترسية بمرسى مرسيلية فى الحادى عشر من جمادى الأولى على الساعة الثامنة من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۱

النهار، و الناس فى فرح و سرور من السلامة من سطوة الواحد القهار.

...

/ ۲۷/ تنبيه، تقدم أن الفركاطة شرعت فى السفر من طنجة فى الساعة الحادية عشرة و نصف من يوم الأربعاء السابع من جمادى المذكور، و أرست بمرسى مرسيلية فى الساعة الثامنة من يوم الأحد الحادى عشر منه، فيكون مدة السفر أربعة أيام عدا ثلاث ساعات و نصف ساعة. و فى هذه المدة اثنتان و تسعون ساعة و نصف ساعة.

مدة السفر فى البحر إلى مرسيلية

و نقل عن رئيس هذه الفركاطة أن قانونها فى السير من طنجة إلى مرسيلية ثنتان و سبعون بموحدة ساعة، و هى مدة ثلاثة أيام، لكنه خفف من سيرها محافظة على تلك الخيل و مراعاة لمن أوصاه بمحافظتها و سلوك سبيل التلطف فى كل ما يرجع إليها.

فانظر أيها العاقل اللبيب، الفطن الأريب، بعين بصيرتك و نور سريرتك، إلى هذه الخيل حين فارقت برها المألوف، و ركبت هذا البحر المهول المخوف، كيف قيض لها الحى الخلاق و المنان/ ۲۸/ الرزاق من يقوم بما تحتاج إليه من الماء و العلف، و التبن و الربيع، و سائر الكلف مع مراعاة أحوالها فى جل الأوقات، و تقديم ما يناسبها فيه من الأقوات، فكيف بك يا مسىء الظن مثلى بربك الحميد الذى تكفل برزقك كما أفصح به القرءان المجيد. إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۳

الجزء الثانى:

أخبار مرسيلية و باريس

ثم لما أرست الفركاطة بمرسى مرسيلية، و هى مرسى المخزن، لا بمرسى التجار، سمعنا بخروج المدافع و عددها سبعة عشر مدفعا إذ هى قانون ورود الباشدور كما قيل. و بهذه المرسى مبانى هائلة و مخازين عديدة يمنا و يسارا، فوقها مبانى أخرى مشيدة، اختلفت أوضاعها لاختلاف مقاصدها. و كلها فى غاية الإتقان و الإحكام و الاختصار، مع كثرة المرافق بحسب الإمكان، و من هناك امتد البناء و انتشر، و إحصاؤه و تتبعه ليس فى طوق البشر.

/ ۲۹/ طلوع الكبراء من مرسيلية لملاقاة الباشدور

بادر كبير مرسيلية و متولى حكومتها إلى القدوم لتلك الفركاطة، و معه خليفته

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۴

و الجنرال كبير العسكر بها، و ترجمان الدولة بباريز، لكونه كان وجهوه لمرسيلية بقصد الملاقاة مع الباشدور المذكور، و وصل إليها و بقى ينتظر قدومه مدة من أربعة أيام و هم لابسون ثيابهم الفاخرة، و على كل منهم سلاحه و نشان مرتبته، و بعد ما طلعوا للفركاطة أخبر الباشدور المذكور، فطلع من القامرة لملاقاتهم فتلاقوا به بأدب كبير، مظهرين لخضوع كثير. فهشوا و مرحبوا و سروا بقدومه و أطربوا و جلسوا بإزائه على الشوالى مراعين مراتب التوالى. و جرى بينهم كلام ليس لمقيده به إلمام، لكن مضمنه مع اختصار العبارة المقابلة، فالتعظيم و السرور قضاء الأوطار كما يفهم من الإشارة.

ذكر الدخول لمرسيلية و المقام فيها و الخروج منها

ثم نهضوا إلى النزول إلى مرسيلية، فنزل و هم معه/ ۳۰/ من الفركاطة إلى بابور صغير، و نزل الأمين و مقيده بعده فى غيره، و باقى المخازنية و الخدمة بعدنا، فحين وصلوا إلى البر بالسلامة، كانت هناك فئتان عظيمتان من العسكر خيل و رماة كل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۵

واحد بسلاحه، و جرابه وراء ظهره على أكمل الصفات. ثم الطنابرية و أصحاب الموسيقا منهم بعملهم، و انقسم جميع العسكر فئتين: فئة تقدمت أمام الباشدور و من ذكر معه فى كدش خاص، و اتبعه الرفقاء فى أكداش أخرى، و تأخرت الفئة الأخرى وراء الجميع، و سار الكل على هذه الحالة الموصوفة إلى أن وصلوا إلى المحل المعين للنزول. و كلما مررنا بوسط محج يبقى المحجان اللذان عن اليمين و اليسار فى غاية الازدحام من أهل البلد رجالهم و نسائهم و كهالهم و صبيانهم و هم منا يتعجبون، و من زينا يستغربون، فقلت

إذ ذاك فى ضميرى لعدم الكلام إذ ذاك مع سميرى، إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم/ ۳۱/ كما تسخرون.

صفة الدار التى نزل بها الباشدور و أصحابه

و أما المحل الذى كان معينا لنزولنا فيه، و هو الذى به نزلنا فيسمى بلغتهم أوطيل مرسيلية ، و هى دار مربعة الشكل نحو خمسين خطوة طولا و مثلها عرضا، و فيها سبع طبقات، فى كل طبقة عدة بيوت مربعة، تسمى صالات و كل صالة بها سراجم عديدة، طول كل سرجم أزيد من خمسة أذرع، و دفتان بالزاج و أخريان بفتقيات الساج. و على كل سرجم ستران من خفيف الثوب، مثل طول ذلك الباب من الثوب المعروف بالعدوتين المنقر عليه فى الأبيض، و توريقه فى غاية الرونق و الكمال، و الحسن و الجمال، و الستر الآخر من الكمخة خضراء أو حمراء مثل ذلك الطول المذكور بأعلاه، و بأسفله ترييشان من الحرير على لونه و بخدى كل سرجم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۶

مسماران على رأس كل واحد منهما توءمة صفر تملأ كف اليد، بها توريق عجيب ذو شكل غريب. و فى كل مسمار مجدول حرير فى غلظ السبابة/ ۳۲/ بطرفيه ، و هما شرابتان من الحرير أيضا على لون تلك الكمخة، بأعلى كل واحدة توأمات ثلاث متفاوتة. أكبرها خمائل الشرابة و هى أكبر من دائرة الريال، و هما لربط إزار الكمخة فى خدى السرجم، على كيفية خاصة اقتضتها صنعة تظفير المجدول.

و فى كل صالة ماريو عود فوقه مجانة محققة، و تصاوير و حسك بشمعها، و الوقيد، و بإحدى زوايا كل صالة بويت صغير بدفته، فيه ماريو أيضا فوقه غراريف بديع كبيرة طولها أزيد من نصف قالة مملوءة ماءا و طبسيل بديع كبير فارغ، و صابونة فى حك مربع بديع أيضا، و زيوف بيضاء نقية كما يقال من طى الصابون مطوية، و هى من الثوب المكمخ الأبيض الرفيع، و ذلك عندهم معد لغسل أطرافهم حين يستيقظون من النوم، إذ ذاك عادة أولائك القوم. ثم ماريو آخر صغير عرضه نحو قالة، و الطول كذلك فى علو الكنابى الآتى ذكره، فوقه رخامة و به مخزنان/ ۳۳/ أحدهما و هو الأسفل به قدح الحاجة ليلا- و الآخر فارغ، ثم كنابى للنوم فيه مضربتان صوف من ثوب قطن مشجر، و صوفتهما فى غاية الليونة، و فيه مسند ينمط عليه و على المضربتين بالثوب المكمخ، أبيض أغلظ من الملفة، و ينمط فوقه بتنميطة كمخة حمراء، و يجعل فوقها سبنية أصغر من المضربتين بشىء يسير من الكمخة أيضا-

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۷

فوقها سبنية من البرنتق الأبيض، بترييش محيط بها. و فوق هذا الكنابى كسوة من الكمخة أيضا ممسوكة من فوقه قرب السقف بمربع لعله من ساج مموه بتمويه كالذهب.

و فى كل صالة شوالى معددة، تقل و تكثر على حسب تفاوت بقاعها، و السراجم التى تقدم ذكرها هى مشرفة على المحج و الحوانيت المقابلة فى الجهة الأخرى، و فى كل صالة أيضا مرءاة كبيرة طولها ثلاثة أذرع و فى عرض نحو الذراعين، و فيها مائدة عود مصبوغ و هى مربعة/ ۳۴/ مرفوعة على أربعة أرجل مخروطة للأكل، و هذه الأوصاف من صفة الأماكن المعدة لعامة الناس.

صفة الصالة المعينة للباشدور

و أما الصالة التى نزل بها الباشدور المذكور فهى نمر واحد من الطبقة الثانية من الأسفل، و هى الركنية من جهة الغرب، طولها ستة و ثلاثون قدما و العرض ثلاثون بقدم مقيدة. و فيها ستة سراجم: اثنان من جهة الجوف، و ثلاثة من جهة الغرب، و واحد مفخم بينهما، كما اقتضاه الوضع، و فى كل واحدة من الجهتين الباقيتين مرءاة عظيمة، أكبر من المرءاة المتقدمة، و بأسفل كل واحدة منهما طبلة من العود المذكور، بإحداهما التى عن يمين الداخل محبقتان فيهما ربيع أخضر يانع، أوراقه أعظم من أوراق الذرة، و تراب المحبقة مغطى بأسلاك من صوف مصبوغة بالألوان. و العلة فى ذلك- و الله أعلم- هو ستر التراب لئلا يقع البصر على شىء تمجه النفس، و

يقابل هاتين المحبقتين فى الجهة الأخرى غرافان / ۳۵/ من البديع، عليهما مشمومان من نوار النبات، بينهما مجانة عن جهتيها تصويرتان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۸

سوداوتان ، و يقابله أيضا ماريو كبير فيه موسيقا رومية تخدم بدس الأصابع، فيها واحد و خمسون نقطا، و فى الوسط طبلة كبيرة دائرة مغطاة بملف أخضر، فوقها محبقة فيها نبات طول أصوله نحو نصف ذراع، و أوراقه كأوراق الليمون الصغيرة، تنفتح بأعلا أصوله مشاميم كبار من النوار الأبيض، كالياسمين، إلا أنه لا رائحة له، و الشوالى محيطة بهذه المائدة بالموبر الأخضر، و كذلك بين كل سرجم و ماريو شيلية كبيرة فى شكل آخر، و فى مقابلة السراجم الثلاث كنابى كبير يسع جلوس ثلاثة أناس عليه. و على كل شيلية من الكبار سبانى من ثوب كالمسوس المغربى. إلا أنه فى ثوب يحيط به ترييش كبير على لونه. و سقف هذه الصالة سقف سما بطلاء أبيض به توريق عجيب. و فى وسطه/ ۳۶/ ثرية كبيرة قضبانها من الصفر يجرى فيها الغاز، و رؤوس القضبان معكوفة إلى نحو السقف، مغروز فيها فتائل داخل جعب بيض، لا يشك رائيها أنها شمع توقد ليلا، و يخلل هذه القضبان قطع من البلار مثلثة الشكل، مثقوبة منظم بعضها ببعض فى خيوط فى كل خيط استرخاء، كأنه نصف دائرة، و بوسطها كرة من بلار بيضاء، بسطحها دوائر، سطحها مستو، و حولها خمس كرات صغيرة مثلها، و بحذاء المشمومين المذكورين ثريتان صغيرتان من الصفر، كما ذكر. فى كل واحدة منهما نحو ستة قضبان من الصفر، و براح هذه الصالة مفرش بمربعات من العود. لكن كل مربعة مقسومة إلى أقسام مختلفة الأشكال، فعند النظر إلى المربعة بخصوصها أن قسمتها على تلك الأشكال المختلفة ليس بشىء، و عند النظر إليها مجموعة مع ما يحيط بها من المربعات يتبين/ ۳۷/

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۲۹

للناظر وجه قسمة كل مربعة إلى تلك الأشكال لمعاينته لمناسبتها و ترتيبها ترتيبا عجيبا، و العلة فى التفريش بالعود هو- و الله أعلم- حفظ الزرابى من البرودة التى تفرش بها الصالة. هذا ما استحضرته الآن من أوصاف هذه الصالة. و إذا استحضرت ذلك و تأملته و وسعته دائرة خيالك على تفاصيله المبينة، فكأنك تشاهد ذلك عيانا.

ثم تذكرت الآن ما سأذكره، و ذلك أن بين كل سرجمين لوحا معلقا فيه صورة شخص مكتوب بالعربى على صورة منها بركش بن سعد قيل هو سلطان اللينجيار ، و الصورة الأخرى صور من دخل تلك الصالة من كبراء دول النصارى.

هكذا قيل انتهى.

و قد تقدم أن هذه الدار فيها سبع طبقات، و تقدم مقدار طولها و عرضها فلا بأس أن نبين كيفية شكلها على سبيل الإجمال، على حسب ما فهمته، لأن تفصيل ذلك/ ۳۸/ على حقيقته لم أحط به علما و لا وجدت لسبيله فهما، لأنه يتوقف على الإطلاع على أصل تخطيط أساس الجدران السفلية، و اختلاف ما بنى فوقها على حسب تفصيل الأماكن و المنافع، و ذلك مما لم أطلع عليه، لكن حيث تبين الطول و العرض حين يكون الإنسان ببراحها السفلى، لم أجد فى الطول و العرض إلا- نحو ثنتى عشرة خطوة. و بهذه الطبقة السفلى مخازن و مواضع للطبخ، محيطة بذلك البراح، و المعارج التى يظهرون عليها بهذه الطبقات ترى أسافلها كلها من وسط البراح، و هى ناتئة و بارزة من جدران تربيع البراح، و سقفها يرى من أسفل سقف، لها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۰

و ليست مرفوعة على أكياش من عود كما فى عرف البناءين عندنا. لكنها- و الله أعلم- موضوعة على قناطر، و القناطر موضوعة على السوارى، و سقف الدرج ممتد/ ۳۹/ من جدران تربيع البراح إلى تلك القناطير مجلد عليه من أسفل الدرج، و على التجليد طلاء أبيض، بسببه يظهر لناظره أن سقف الدرج كذات واحدة غير متصل بعضه ببعض، و فى كل طبقة ثلاثون درجة، فى كل تربيع عشرة مبسوط مستو ليس فيه درج، و الدرابيز من الحديد دائرة مع الدرج من ابتدائها إلى انتهائها و هى مفرشة بالزرابى، بين كل درجتين

قضيب، لعله حديد مموه ممتد على عرض الدرجة، و هو الماسك للزربية بأسفل كل درجة. فإذا صعد الصاعد الثلاثين درجة المحيطة بالثلاثة أرباع المذكورة، وصل إلى الربع الرابع المبسوط الذى ليس فيه درج. فإذا سار إلى منتهاه يجد فى الربع الذى عن يمينه ساباط طويل، هو الذى طوله خمسون خطوة، و عن يمينه و يساره بيوت الصالات، و بالركن اليسارى/ ۴۰/ أى الذى عن يسار منتهى ذلك الربع الذى ليس فيه درج، باب صالة ركنية، و الداخل إليها إذا وصف ببابها يجد بالزاوية التى عن يمينه بابا آخر، و هو مقفول، و لعله إذا فتح يقابل الواقف به ساباط آخر مواز للساباط الذى تقدم ذكره، بينهما بيوت صالات المتقدم ذكرها، و يجد- الله أعلم- عن يساره صالات أخر مقابلة للأخرى. و دليله أننا إذا أسقطنا تربيع (اثنتى عشر) براح الدار من جملة خمسين تربيعا شكلها يبقى نحو ثمان و ثلاثين خطوة بين منتهى البراح و الجدار المحيط بالدار من كل جهة من الجهات الأربع، و إذا أسقطت من الثمان و الثلاثين خطوة عرض الساباط المذكور ثانيا، و هو الحاجز بين الصالات الممتدة يمينا و يسارا قدر عرضه نحو أربع خطوات مع أساس

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۱

الجدار و انظر كم هو ، فالباقى هو مساحة/ ۴۱/ الصفين اللذين بهما الصالات عن اليمين و اليسار، لأن طول كل صالة نحو ثنتى عشرة خطوة، و مثلها هو قدر البراح، و مجموعهما أربع و عشرون خطوة، ثم أربع خطوات عرض الساباط الثانى. و الباقى و قدره ثنتان و عشرون خطوة، هو عرض صف الصالة المظنون أنها كائنة مقابلة للصف المشاهد إنشاؤه، الحاجز بين الساباطين. لكن الثنتين و العشرين خطوة المذكورة يسقط منها عرض الأساسات الأربع أولا، و عرض أساس الجدار الخارج للزقاق، ثانيا:

أساس الجدار المحيط بالبراح، ثالثا و رابعا: أساسا جدارى الساباطين، و الباقى هو عرض الصالة المبرهن على وجودها بما سبق، و سيرسم هنا شكل ذلك بحول الله تقريبا للفهم إن شاء الله./ ۴۲/ و فى طبقة بيت الخلاء يجعلونه بزاوية الطبقة. و إذا صعدت طبقة أخرى وجدت بيت الخلاء فوق بيت الخلاء الذى فى الطبقة تحتها، و هكذا تتابعها، و ليس فيه من الماء إلا الماء الذى ينزل فى آنية قضاء الحاجة لتنظيفها بعد الفراغ. فكنا نحتاج أن نصحب الماء معنا للوضوء. و فيه هناك كلفة من حيثية التحفظ على نظافة المحل. و لو كان الماء هناك فى موضع آخر يوخذ منه القدر المحتاج إليه، و فاضله ينصرف فى مصرف آخر، لكان ذلك غاية المراد. و العذر لهم لأن ذلك ليس من عوائدهم. و غاية نظافتهم فى ذلك المحل أنهم يمسحون النجاسة من مخرجهم بالكاغد، و هو معد عندهم هناك مع زيف أبيض معلق أظنه للإستجمار.

فالحمد لله على هذه الملة السمحاء. و رزقنا الله الثبات على سبيلها القويم، و عدم الميل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۲

عن صراطها المستقيم.

/ ۴۳/ كراء هذه الدار فى السنة

و هذا الأوطيل الموصوف، قيل إنه مكترى بخمسة عشر ألف ريال فى السنة، و فيه من الرجال و النساء خلق كثير مكلفون بتلك الصالات التى به و بمن ينزل بها، و بما يحتاج إليه. و فى كل صالة أيضا شىء كالمسمار ناتئ بأحد الجدران فمن احتاج لشىء يدفع ذلك المسمار إلى نحو الجدار، فيسمع للناقوس نقرات متتابعة، فيسمعه المكلف بتلك الصالة، فيأتى إليها سريعا، ليتكلم معه فيما يحتاج إليه، و العجب من ذلك فإنه إذا تكلم ناقوس يعرفونه و يقولون: هذا ناقوس صالة كذا فى طبقة كذا لا يخطئه أصلا.

و فى مساء يوم الأحد الذى دخلنا فيه لمرسيلية بعد صلاة العصر أوتى إلينا بكدشين اثنين يجر كل واحد منهما فرسان بقصد الركوب فيهما للطواف ببعض زقاق البلد على عاداتهم، بقصد الفرجة و الانبساط، و ذلك من مزيد الاعتناء و البرور بما حصل لمتولى البلد بقدوم الباشدور./ ۴۴/ من الفرح و السرور، فنهضنا إلى العربتين أى الكدشين المذكورين، فتقدم الباشدور إلى الكدش الأول و ركب فيه و ركب معه الترجمان الوارد معه من طنجة، و اسمه مونج الفرنصيص و ركب الأمين

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۳

و كاتبه فى كدش آخر. و ركب معه الفقيه السيد محمد المصورى الطنجى، و هو كاتب الباشدور نائب جنس الفرنصيص بطنجة ورد فى صحبتنا منها مع الترجمان المذكور، لقضاء أغراضهم.

بعض أوصاف مرسيلية

و صار صاحبا الكدشين يطوفان بنا بزقاق البلد و بأسواقها، فنرى بأبواب حوانيتها من التحف البديعة و الأثاث المستظرفة العجيبة ما لا يكاد يصفه قلم و لا لسان، و لا تبقى به و بأوصافه عبارة إنسان، و زقاقها فى غاية التوسعة. فالمحج الوسط فيه أربعة طرق، الغالب لمشى الكروصات و الأكداش، و عن يمينه و يساره طريقان آخران لمشى الراجلين من الذكور و الإناث، و عرض كل طريق/ ۴۵/ من هذه الطرق الأربع أزيد من ثلاثة أذرع ، و قد يوجد ما هو أعرض من ذلك فى بعض المواضع، حتى أنه يكون فى عرض طرق الراجلين نحو ستة أذرع و أزيد، فيظهر من هذا أنه يمكن أن تكون مساحة طرقها تعدل المساحة التى فيها الديار و سائر الأبنية، أو تقرب منها و الله أعلم.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۴

و مع امتداد هذه الطرق أشجار مغروسة فى غاية الارتفاع و الخضرة مصطفة، عندما يقرب من منتهى المحجين اللذين يمشى فيهما الراجلون، فنراها مصطفة عن اليمين و اليسار، و ذلك بقصد الزينة و استحسان المنظر. و بين كل شجرتين ست عشرة خطوة، و بين كل شجرتين قطعة نحاسية قائمة مخروطة بخرط عجيب، طولها نحو ثلاثة أذرع أو أزيد، برأسها فنار كبير. شكله مستدير، دائرته العليا أعظم من السفلى بكثير، و هذه الفنارات توقد كلها ليلا و لا تنطفئ حتى يمضى من الليل نحو ثلاثة أرباعه،/ ۴۶/ لاشتغال أهل البلد بأمور دنياهم بالليل كاشتغالهم بها بالنهار، و بعد الفجر بيسير يأتى أناس من رجالهم، فيفتحون تفاجير الماء عن اليمين و اليسار بين ملتقى طرق الأكداش و طريقى الراجلين، فترى الماء يجرى فى الحدين المذكورين، يحده من جهة طريق الراجلين الرافد المرصف هناك، و من جهة طرق الأكداش الانحداب الذى فى الطرق، ليلا ينبسط الماء من الجهتين إذا كانت طريق الأكداش منبسطة، فيتلاقى ببعضه البعض فيكثر الوحل فى ذلك الطريق. و عند تفجير الماء و اتصال بعضه ببعض يأخذ البعض من الناس المذكورين فى تشطيب سائر الطرق.

و آخرون وراءهم يجمعون ما يشطبونه، و يجعلونه فى الكروصات، و يرمونه فى مواضعه المعروفة عندهم. و هذا الذى يجمع من التشطيب إنما هو روث الخيل التى تجر الأكداش و الكروصات مع شىء من غبرة الأرض. فإياك أن تتوهم/ ۴۷/ أنها أزبال ترمى فى وسط الطريق، كلا ما رأينا شيئا من ذلك، فإذا رفعت تلك الأزبال أخذ أناس آخرون يرشون تلك الطرق كلها رشا معتدلا، لا كثيرا و لا قليلا، تمهيدا و ركضا لغبرة الأرض، و ما ذكرناه من الأشجار و الفنارات و النظافة هو ليس خاصا بطريق واحد أو عدة طرق، بل الطرق كلها كذلك، إلا النادر منها فى أطراف البلد، و ديارها جلها من أربع طبقات و تنتهى إلى سبع طبقات ، و سراجيمها مفتوحة إلى الطرق و طولها على طول ارتفاع تلك الصالات، و بين السرجم و السرجم من البناء مثل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۵

عرض السرجم أو أزيد بقليل، و إذا فتح السرجم تكون أرض الصالات مستوية مع أرض سقف خارج عن السرجم بنحو ذراعين، يحدها- أى الأرض- دربوز حديد فى غاية الإتقان، ممتد مع امتداد سراجيم الصالات كلها، أو مع امتداد عرض الدار، فيعلم عدد طبقات الدار بعدد السراجيم المرتفع/ ۴۸/ بعضها فوق بعض، و حدود السراجيم الخارجة للطرق بارزة عن الجدار بالراقد المنجور، و نجره فى غاية اللطافة و الإتقان، و فوق كل باب سرجم قوس بديع الشكل مرونق، و فوق قسى أبواب السراجم مادة تعرف فى عرف البنائين بالسبنية، بها توريق رفيع، تكفيف لطيف، و البناء جله بالراقد، و يتركونه على أصله، و لونه رمادى مفتوح، و بواطن الصالات

أفضل من ظاهرها لأن ما بين السرجمين أو بعض الجدران من داخل الصالة إما أن يجعلوا له طلاءا أبيض أو يجلدونه بالكاغط المورق المزخرف.

و حيث ركبنا فى الوقت المذكور، بقى يطوف بنا صاحبا الكدشين المذكورين نحو ساعتين إلى أن غربت الشمس، فرأينا فى بعض تلك الطرق زيادة على ما ذكر من التصاوير الثابتة فى بعض الجدران شيئا كثيرا، منها ما هو على صورة الآدمى، و منه ما هو رافع يديه إلى شىء فوق رأسه كلحية سارية بنى عليها/ ۴۹/ ما فوقه، و كأنه حامل لما فوقه. فما أعظم كربته، و أخسر صفقته! و منها ما هو على غير ذلك من الصفات و الأحوال. و من الصور ما هو على صورة الأسود كاشرة أنيابها، شائلة أذنابها، و منها ما هو على صفة البقر و غير ذلك من الصور المستغربة، و التماثيل المستعذبة فى زيهم و عاداتهم.

و فى يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الأولى المذكورة بعد صلاة العصر، أوتى إلينا بكدشين آخرين، فركبنا كما ذكرنا قبل، و صار بنا إلى ناحية أخرى من البلد، فوجدناها مثل الناحية التى طفنا بها بالأمس فى البناء و الطرق و الأشجار

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۶

و الفنارات و الحوانيت و التحف، و كنت أرى شيئا مبنيا بالطرق على هيئة المعدة مخروط الشكل، قطر دوره أزيد من ذراع، فوقه قبيبة، و ارتفاعه نحو خمسة أذرع، له بويب مفتوح، و هو متعدد فى الطرق، فسألت عنه، فقيل: إن تلك مواضع العساسة من العسكر، فوجدته كذلك لأن بقربه عسكريا / ۵۰/ واحدا أو أكثر فى بعض المواضيع.

هيئة رأس الماء الجارى عليها

ثم انتهى بنا صاحبا الكدشين إلى رأس الماء اداخل للبلد، و ليس هو خارجا عنها بل فى طرفيها، فرأيناه من بعد يخرج من بين حجرين، و مواضع خروجه متعددة متصل بعضها ببعض، و فيها تحديب حتى صار جميع الماء الخارج بانضمامه كأنه نصف دائرة، قطرها أظنه يزيد على نحو خمس عشرة قالة . ذ فتأمل فى خيالك هذه النظرة العجيبة عند انصباب الماء على تلك الحالة منحدرا إلى الأسفل ، لأنه مرتفع فى ربوة، و ينزل هذا الماء فى صهريج أسفله يحده. منه- و الله أعلم- يتفرق على البلد و هو أحد الأنهار الداخلة إلى البلد ، و حين وصولنا إليه رأينا عليه قبة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۷

مبنية مرتفعة على سوار، فوقها تصاوير منها رجل عظيم الخلق، فى أحد طرفى القبة خارجا عنها بيده شىء كالبوق و كأنه ينفخ فيه ملتفتا إلى يساره لناحية الجنوب، و آخر مثله ملتفت ببوقه فى فيه، ماسكه بيده إلى ناحية الشمال، و بينهما صور ثيران باركة، نحو أربع صور فى مواضع بقرب القبة أسفل هذه الصور،/ ۵۱/ صور أسود عديدة كاشرة أنيابها كما تقدم تحت كل أسد صورة ثور. و الأسد إحدى يديه موضوعة على الثور و الأخرى على المحل الذى هو به، ثم رأينا صاحب السر المذكور حيث رأى تلك القبة و خروج الماء من أسفلها على تلك الصفة- خرج من الكدش قاصدا الصعود إلى تلك القبة، فتبعنا أثره فوجدنا لها معارج عن اليمين و اليسار، ابتداؤها معكوف كأنه نصف دائرة، سببه- و الله أعلم- هو ارتفاع القبة و ضيق المساحة التى بينها و بين الطريق الممرور عليه. فلولا انعكافها لكانت الدرج مرتفعة غير منبسطة و بانعكافها صارت منبسطة، فارتقينا فيها إلى القبة فأشرفنا على الماء الجارى الذى يخرج من تحتها و هو واد عظيم عريض غاية. و وجدنا هذه القبة من ناحية ذلك الوادى محملة على خمس سوار، و فى رأس كل سارية صورة رأس آدمى فوق رأسه لحية حجر منجورة، كاللحية التى تكون/ ۵۲/ فوق السارية التى يبنى عليها، و القبة مرفوعة فوق هذه الرؤوس التى تقدم لها هذا العذاب الأليم فى دار الدنيا، فكيف بها بدار المقيم. و رأينا بحافتى النهر المذكور عراصى قابلنا منها من جهتنا أشجار متصل بعضها ببعض، مخضرة أوراقها كأنها هى الزرب، و منها إلى نواحى الطرق بمقدار ثلاثة أذرع كالسياج لكنه منحدر غاية، و قد غرس فى ترابه من النوار المختلفة الألوان و الأشكال، كل لون فى محل يناسبه. فتخاله كزربية بديعة التزويق فى

غاية التنميق، و الصبيان يمرون بها مع أمهاتهم، و لا ترى واحدا ينزع شيئا من تلك النوار، و إنما يتركون ذلك تحسينا للنظر و مصلحة للبصر. و بعض العراصي

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۸

رأينا بها جدرانا محيطة بها أطول من القامة. و ليس فيها شيء يؤذى. و بعض العراصي بأعلا جدرانها قطع الزاج متقارب بعضها من بعض، بحيث لا يمكن لأحد الصعود إلى أعلا الجدار، و انظر ما سبب ذلك، لأننا كما ذكرنا رأينا/ ۵۳/ بعض العراصي زربها هو تلك النوار التي تقدم وصفها، و بعضها لها جدار لا زاج فيه، و بعضها مرصف بالزاج مع أن هذه العراصي في طريق واحد، و حيث انتهينا إلى هذا المحل رجع بنا صاحبا الكدشين إلى أوطيل نزولنا على طريق أخرى، فرأينا فيه أسواقا و حوانيت و طرقا كالطرق الموصوفة، حتى انتهى بنا إلى محل النزول.

فابريكة صنع السكر القالب

و في يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى المذكور أوتي إلينا بكدشين أيضا بقصد المسير إلى رؤية مكينة صنع السكر القالب، فركبنا فيهما كل بمرتبته كما تقدم بعد صلاة العصر، و سرنا في طريق آخر فوجدنا، مثل الطريق المرصوف، حتى انتهينا إلى دار تلك المكينة، فرأينا بأسفلها العجب العجاب، ما يتحير فيه الدهاة من أولي الألباب، فما أكثر ما هناك من النواعير التي تدور و اختلافها صغرا و كبرا على نسبها المقرر عندهم المشهور، و النواعير السفلى بدورانها تدور نواعيرا أخرى،/ ۵۴/ في الطبقة فوقها و الرباط بينهما شيء كالحزام و لعله من القنب، محيط بحرف بعض الرحى السفلى، و ارتفع إلى الرحى العليا فالتوى بحرفها الأعلى كالحيط الذي على ناعورة الشراط الممتد منها إلى فلك مغزلها. و هناك آلات حديد متفاوتة في القدر و الشكل. منها ما تراه يتحرك يمينا و يسارا، و منها ما يكون تحركه من الأعلى إلى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۳۹

الأدنى ارتفاعا و انخفاضا. و لم أقف على أصل الحركة الأولى التي ينشأ عنها سائر الحركات.

ثم صعدنا إلى طبقة فوق هذه، فوجدنا في التي فوقها طناجير عديدة عظيمة قطر دائرتها يقرب من خمسة أذرع، و النار توقد تحتها، و فيها شيء ذائب يغلي و يضطرب من شدة النار التي تحته، و حول كل طنجير براميل عظيمة، تسع أزيد من عشرة قناطير من السكر الغبراء، و خناشي منها، تدور عدة من الخدمة بذلك البرميل/ ۵۵/ و يزحلقونه عن محله شيئا فشيئا إلى أن يبقى بينه و بين الطنجير نحو طول البرميل، فيفرغونه فيه حتى يقلب فمه على فم الطنجير على أعواد ثابتة عليه، و ما يتساقط من السكر حول الطنجير يجمع و يلقى فيه، و أوتي بشيء من ذلك الماء

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۰

الذي يطبخ في الطنجير في كأس زجاج، فإذا هو أحمر يضرب إلى السواد، ثم ارتقينا طبقة أخرى وجدنا فيها طناجير كذلك و خدمة أيضا، و أوتي بشيء من ماء هذه الطناجير، فإذا هو أحمر إلى لون الأتاي، و الغبراء التي تصفى من هذه الطناجير أبيض من التي تحتها، و التي بالطبقة الرابعة أصفى من الثالثة و هكذا. و لم أثبت على عدد الطبقات لأن في كل طبقة نارا عظيمة و مكينات تدور كما وصفنا، بل و أعظم بكثير، و من شدة النار ضاق صدري أن أرجع و أخرج. فلم أثبت على الطريق التي دخلنا منها لتشابه/ ۵۶/ الطرق و تماثلها إلى أن وصلنا إلى الماء الذي يجعل في القوالب، فوجدنا ناعورة معلقة كبيرة تدور دوران الجرارة و عليها سلاسيل حديد تنزل في حفرة كالبئر، و هذه السلاسيل النازلة في هذه الحفرة بدوران ناعورتها تمسك القوالب الفارغة التي يفرغ فيها السكر، و هي متتابعة بعضها فوق بعض على هيئة طونس السانية . لكن القوالب ليست مربوطة في السلاسل، و إنما فيها فرج يترك الواقف منها فرجة فارغة، و يجعل في التي تليها قالبا فارغا، فينزل في السلسلة إلى تلك الحفرة، فتطلع عامرة من الجهة الأخرى، و هناك رجل آخر يرصد طلوع

القالب العامر، فينزعه و يناوله لآخر، فيضعه فى حفرة تمسكه فى مكان متسع غايـة، مملوء بالقوالب التى تملأ من تلك الحفرة فتبقى هناك زمنا حتى تجمد فعند ذلك يصب فى كل قالب ماء أبيض، يقرب من لون الحليب، مقدار نصف أصبع، يقال إ هـذا الماء هو الذى يصفى لون القالب حتى يصير أبيض كما/ ۵۷/ يرى، و انظر من أى شىء هو ذلك الماء المتخذ للتصفية. و عندما تجمد هذه القوالب و تبيض يبقى إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۱

برأس القالب أقل من شبر زروقة، كأن هناك ماء، فعند ذلك تنقل تلك القوالب إلى محل آخر كمحلها المذكور، و يوضع كل قالب فى حفرته لتصفية تلك المائية الباقية فيه، لأن فى أسفل كل حفرة إما ثقبة أو ثقب تنشف القالب و لا تبقى به شيئا من المائية و الزرقة، و نزع منهـا قـالب بمحضـرنا فخرج من حفرته صوت يصـفر و لم يخرج منه ريـح. و هـذا كله و كبير المكينـة أمامنـا يطوف بنا فيها، و يطلعنا على أطوار السكر طورا بعـد طور، حتى أتى بنا إلى محل تخرج منه القوالب التى تم تبييسـها و تصـفيتها، فوجـدنا هناك خدمة عديدة، و قوالب من السكر مرصفة بعضها فوق بعض كالجبال، و أكثرها القوالب التى من نحو ربع قنطار فى القالب، و أقلها و أضعفها قوالب صـغيرة هى التى تأتى إلى الغرب . و هؤلاء الخدمة كل اثنين متقابل على مائدة بينهما يمسك كل/ ۵۸/ واحد منهما قالبا من يد الآخر، و يضـعه بين يديه فوق رزمة الكاغد المعد للفّه فيه، فيلفّه فى كاغدين كأسرع ما يكون، و أمام كل واحد منهما متعلمان يشدان القوالب فى الخيط بحيث يلف قالبين فى الكاغـد، يشـدها بالخيط المتعلمان اللذان أمامه، فيمسـكه آخران يناولانه لغيرهما حتى يصـل لمحل وضعه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۲

نشر قوالب السكر و تقريضها

ثم أوتى بنـا إلى محـل آخر فيه خلق كثير من النسـاء و الرجـال ينشـرون القـالب الكبير من السـكر كما ينشـر العود حتى يصـير القالب الواحـد مثلثـة على هيئـة المثلث، و كيفيـة نشـره أن الرجال المكلفين بالنشـر جالسون على الشوالى و أمام كل واحد منهم بقربه ناعورة تـدور دورانا سـريعا حرفها كالمنشار و الله أعلم. و هى على قـدر ناعورة الشـراط، من حديـد مهنـد رقيقة كرقة المنشار. هكذا ظهر لى بحسب الأمارات الدالة على ذلك، فيعمد هذا الرجل المقابل للناعورة فيمسك رأسه بيديه، فيجعل طرف القالب من جهة قعره متصـلا بتلك الناعورة، أى بحرفها، و يدفعه إليها دفعة واحدة، فتقطعه الناعورة/ ۵۹/ و عند ذلك يكون متعلم قبالته، و الناعورة بينهما، فاللوحة التى تنفصل من القالب أولا هى أصـغر ألواحه، يتلقاها حين النشـر ذلك المتعلم، و الباقى من القالب بيـد صاحب الناعورة، فيعيد عمله بأن يقـدم قعر القالب إلى الناعورة، و يـدفعه إليها فتشـقه أيضا فتنفصل منه لوحـة أخرى أكبر من الأولى فيتلقاها المتعلم أيضا و هكـذا ثالثا و رابعا و خامسا و هلم جرا حتى يتم القالب. و غلظ اللوحات بقدر واحد غير مختلف لما ستعلمه بعد بحول الله.

ثم إن هـذا المتعلم حين يتلقى اللوحة المنفصـلة من القالب يدفعها عاجلا من غير تراخ لرجل آخر، عن يمينه صاحب ناعورة النشـر أو يساره جالس كجلسة صاحب الناعورة. فيقبض تلك اللوحة من السـكر من المتعلم، و ينشـرها على طولها نشـرا مستويا خطوطه، بحيث يدفعها إلى نواعير صـغيرة تدور كأسـرع ما يكون، فتخرج تلك اللوحة مقسومة طولا قسـمة مستوية، كل قسمة منها كالفتقية مربعة، ثم تأتى متعلمـة أخرى و تأخذ/ ۶۰/ تلك الفتاقى، و تدفعها شـيئا فشـيئا لمتعلمة أخرى جالسة على كرسـى، و أمامها مكينة صغيرة تقرض بها تلك الفتاقى من السـكر تقريضا مسـتويا بسرعة، و المكينة تخدمها بيد واحدة، و يدها الأخرى تناول بها الفتقية إلى المكينة، بحيث تدخلها فى فرجة و هى تحرك يد المكينة، فتخرج الفتقية مقسومة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۳

بمربعـات صـغيرة و مع هـذا تخرج الفتقيـة مقسومـة كما قلنا، و مربعاتها يوالى بعضـها بعضا على سـمت واحـد، مصـطفة، فتأتى متعلمة أخرى فتدفع الفتقية بتمامها فى دفعة واحدة جامعة يديها على طرفيها، و تضـعها فى صـندوق مبطن بكاغد الصـرف لكى تزيل من كل

فتقية المربعة الأخيرة التى تكون من ناحية رأس القالب لأنها لا تكون مربعة فتتركها. و هناك نحو مائة من المتعلمات، و معهن الرجال المشتغلون بالنشر المذكور، و نواعير النشر كثيرة و إنما وصفت لكل منها كيفية نشر/ ۶۱/ قالب واحد، و القوالب التى تنشر تجعل فى الصناديق على الكيفية التى ذكرت، و لا يسبق لفهمك أن تلك المربعات المستوية من السكر ترمى فى الصناديق كيف ما تأتى، بل توضع فيه مصطفة شيئا فوق شىء حتى تملأ الصناديق و تسمر، و هذا السكر هو الذى يباع فى مرسيلية و باريس للقهوة و الأتاى و غيرهما. و أما تلك المربعات التى تترك من السكر لكسرها فإنها تجمع مع الغبرة التى تسقط حين النشر فيجمع بعضها إلى بعض لبانه، هذا ما استحصرته من أوصاف تلك المكينة.

و أما الطناجير المعدة للطبخ ففى طولها اثنا عشر مترا. مقدار أربع و عشرين قالة غير شىء. و هناك كرات نحاس عظيمة قطر دائرتها العظمى أزيد من أربعة أذرع، و آلات أخرى لا يسع بسطها قرطاس، و لم تبق فى قابلية إذ ذاك لا يمكن تتبعه و البحث فيه لسخونة المحل، حتى أن بعض الخدمة يخدمون عراة عدا المآزر يأتزرون/ ۶۲/ بها. و سئل عن الخدمة القائمين بخدمة هذه المكينة فقيل إنها تمانمائة من الرجال و مائة من الإناث، و الخدمة لا تفتر و لا تعطل أصلا، و كل واحد يخدم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۴

ثنتى عشرة ساعة. و يبدل بغيره. و سئل عن إقامة المكينة ما ثمنها، فقيل النحاس الذى بالطبقة السفلى ثمنه مائة ألف ريال، فما بالك بما فوقها، و سمعنا بأن حكيما هناك التزم على نفسه أن يخدم السكر القالب و يوجده فى أربع و عشرين ساعة، و أنه لا يضيف إليه شيئا مما يصفى به الآن، فقيل له إن القائمين بخدمة المكينة الآن حيث يستوفون مدة كنطردتهم يكون الكلام فى ذلك.

و سمعنا بأن بمرسيليا ثمان مكينات تخدم السكر مثل هذه.

و حين هممنا بالرجوع وجدنا أنفسنا بنا من العرق كمن فى بحر غرق. فطلب منا محل نجلس فيه بقصد الاستراحة مما جل بنا من التعب و كثير النصب. فأوتى بنا إلى صالة مستملحة، وجدنا فيها شوالى و مائدة حلاوى و القهوة/ ۶۳/ و بعض تلك الحلاوى معقودة على الثلج، تناولنا شيئا منها فعن قريب استرحنا مما كنا نجده من العرق و التعب، ثم خرجنا و ركبنا الكدشين و رجعنا إلى محلنا بسلامة و عافية و الحمد لله، و قد قام كبير مرسيلية بضيافتنا مدة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۵

الإقامة بها أتم قيام و أحسن غاية الإحسان، كثر الله ماله و ولده ذو أطال عمر مولانا أمير المؤمنين فى عافية و سلامة، و جعله ممن شيد أركان السنة و الدين على أساس الحفظ و كمال الرعاية بمنه جل جلاله و أطال عمره فى حياة الدنيا فى سلام و عافية.

الخروج إلى باريس

و فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى المذكور . قبل العصر توجهنا لطريق الحديد بقصد الرحيل لقاعدة باريس، ذات الحسن الفريد، الجامعة لما تشتهيه النفس فى الأرض على وجه ما تحب و تريد، إذ هى كما قيل جنة الدنيا بلا منازع، و مأوى الحكماء و العقلاء و النبلاء بلا معارض فإليها تصبو نفوس العشاق، و يحن لوطنها قلب المشتاق، و قلت فيها مخاطبا لها و منبها لمن عنها قد لها:

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۶ أباريس إن كانت على الأرض جنةفأنت هى المأوى على رغم حاسد

فما تشتهيه النفس من كل رائق كثير بها لكنه غير خالد

بعض أوصاف الطريق بينهما

/ ۶۴/ فوصلنا إلى سكة تلك الطريق، مع أحفل مرافق و أجل رفيق، فجلسنا هنيئة بمقعد المكلف بالبابور ذى السعى المبرور، و الفضل المأثور، و أظهر من المحبة و الفرح ما انبسط به الصدر و انشرح، ثم نودى للركوب، و هيأ عربية أنيقة أجمل مركوب، فصعدناها بعضنا بأقصاها و آخرون بأدناها، و وجدنا بها سباطين مرتفعين و شيليتين كبيرتين و بها سراجم زاج بستور زرق، ترسل عليها حين

الاحتياج، فجلس

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۷

كل منا فى محل يناسب مرتبته، و يلائم مقداره و منزلته. ثم أخذ البابور فى السير بلا مشقة و لا ضير، قاصدا سمته، ما ماد، و لا مال، و نحن بين جنتين عن يمين و شمال، و الأنهار جارية، و أشجار البساتين متقاربة لا متجافية، و الأنهار قارة تسير بمسيرنا، و تارة تعارضنا فنشقها على قناطير بطريقنا و تارة تلقانا الجبال الشاهقة، فترى الطريق تشقها كأنها دكتها صاعقة. و كم فى الطريق من المدن و المداشر. / ۶۵/ فيها فابريكات الصنائع، و عجائب المفاخر، و امتدت السكة على هذا المنهاج الذى فيه غاية السرور و الابتهاج من البداية إلى النهاية، بما فيه من المصالح فوق الكفاية، إذ ليس ترى بعد الجبال اليسيرة و القرى، إلا جنات تجرى خلالها الأنهار، أو مزارع و صفوف البلنز من الأشجار، عن اليمين و اليسار، تروق المبصرين، و تسر الناظرين، هذه بعض أوصاف هذه الطريق على سبيل الاختصار، و ليس ذلك منى محضر اختصار، لأننا أدركنا الليل، و جر علينا من النوم كجر السيل، فحصل لى من الملل و موحيات الكسل ما هو مغروز فى طباعى، و لا قدرة به لساعدى و باعى، و كأن الشأن فى مسيرنا و دأبا فى طريقنا كلما وصل البابور إلى مدينة، يفق يسيرا لقانون مشهور، فيوتى لنا بما هناك من الأطعمة و الأشربة، مستلذة غير مطربة، فنتناول منها شيئا يسيرا، و منا من يتزود منها قدرا كثيرا، فكانت النعم تصحبنا فى السفر كما كنا نجدها فى الحضر .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۸

/ ۶۸/ فليس من سمع كمن رأى، فهى غرة العاجلة بلا نكير، و بهذا نبأتك و لكن لست بخبير، فإن كنت من الأعيان، فانهض إليها فليس الخبر كالعيان، و إن كنت من العاجزين فاقنع بما أتيتك و كن من الشاكرين. و قد سبق أننا ركبنا فى تلك الأكداش، و كان ذلك على يد المخزن، فصرنا فيها فى طريق على سمت واحد خمسا و ثلاثين دقيقة مجانية .

وصف الدار المعينة للنزول

فوصلنا إلى الدار التى عينت لنزولنا و هى دار عظيمة أعظم بكثير من دار مرسيلية، إذ طولها مائتان و خمس و عشرون خطوة، و عرضها مائة و خمسة و سبعون، و قد اختلفت أوضاع طبقاتها الخمس بحسب المقاصد، و لم أجد سبيلا لحصر شكلها و ضبطه، إذ فيها سبعمائة صالة كما قيل، و طرق الطبقات متشابهة، و أشكال الأبواب متماثلة، حتى إنى ذهبت مع الأمين ذات يوم للصالة التى بها أصحابنا لتفقد حال أحدهم كان شاكيا، فوجدنا أحدهم من خدامهم فى الطريق التى بها صالتهم متحيرا، يريد من يرشده إليها بعد ما كان خرج منها قريبا لوطر. و له هناك نحو ثلاثة أيام، و العذر له، لأنه/ ۶۹/ لا يعرف الحساب ليهتدى بها إلى رقم محلهم. و نحن نزلنا فى الطبقة الثانية فى صالات متعددة، و هى أفضل بكثير من صالات أو طيل مرسيلية، إذ الموائد التى توضع عليها الأطعمة و الأشربة مساحة سطحها مورق بالتذهيب مع الألوان، و أرجلها مرصعة بالصفر المورق، و كم فيها من ماريو على هذه الصفات، و مرآتها أكبر كثيرا من تلك المرآت، و بشواليها تذهيب و صدف، و فيها أوانى عمل التينة، يجعل لها مقعد متصل بها تقف عليه من الصفر و بحرفها من الأعلى كذلك، و غير ذلك من الأثاث و التحف و الثريات مما يطول وصفه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۴۹

الحمّامات

و وجدنا فى الطبقة الثالثة حمامات متعددة فى محل واحد، منها ما فيه الماء البارد فقط و منها ما فيه البارد و الحار، لكل واحد مجارى تخصه، فأما الذى فيه البارد فقط ففيه صهريج صغير، فى طوله نحو ثلاثة أذرع، و عرضه نحو ذراع و نصف و بسقف هذا الصهريج جعبة نازلة منه مسامتة لوسطه بحيث تكون فوق رأس الواقف فيه/ ۷۰/ فى وسطه، و برأس هذه الجعبة آنية على هيئة المكب الصغير، و

هى من بعض المعادن، أضيقها متصل بالجعبة و أعرضها نازل إلى ناحية الصهريج. فإذا أخذت قنبة هناك بيدك و جذبتها إلى أسفل ينزل الماء فى تلك الآنية فتلقاه ورقة ملصقة بمحيط الآنية، و بها ثقب صغيرة، فترى الماء ينزل منها كالمطر الغزير، يقال إن ذلك يستعملونه لبعض المرضى، و الماء الذى ينزل فى الصهريج ينصرف منه فى مصرف الآخر، و فى هذا المحل أيضا بويت صغير مستدير الشكل كهيئة البرميل الكبير، أطول من قامة الإنسان بيسير، و بداخله دوائر مجعوبة متصاعدة بعضها فوق بعض جلها ثقب، فإذا جذب أيضا القنبة التى هناك ترى الماء يخرج من الثقب كلها، كل جهة ترمى الماء إلى الجهة المقابلة لها، و ذلك من الأدوية عندهم كما قيل.

و أما الذى فيه الماء الحار ففيه صهريج كالذى وصفته، و فى أعلاه بزبوزان يجرى لأحدهما الماء الحار و للآخر البارد فيوخذ منهما القدر المحتاج./ ۷۱/ و هناك زيوف بيضاء و ملابس كذلك إذا أحب الإنسان أن يلبسها أولا بعد الفراغ من الغسل فله ذلك بحيث ينزعها عند الخروج. فدع عنك الطمع، و كن عاقلا- و ارفع همتك، و لا تكن غافلا و خذ بحذرك ليلا يزدرى بقدرك، و بهذا المحل حمامات عديدة كما سبق، و السر فيه أنهم جعلوا لها فى بيت واحد طنجيرا عظيما يجرى منه الماء الحار إلى المواضع التى يحتاج إليه فيها. و فى هذه الحمامات سراجم كبيرة من زاج به طلاء، بحيث يدخل الضوء مع وجوده إلى الحمام و يبقى الرجل به مستورا لا يرى و لا يرى، و فى كل طبقة بيوت الخلاء، كبيوت الخلاء التى بمرسيلية، لكن بقربه متصلا به بيت آخر، مستقل فيه الماء فى بزبوز يوخذ منه القدر المحتاج. و كنا فى مرسيلية فى غاية الضيق من فقد الماء على هذه الحالة، و وجدنا بقرب صالتنا قنوطا طويلا عريضا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۰

مقبيا قريبا من قنوط مرسى العدوتين، له أبواب عديدة، و مرآة طويلة و سقفه مزخرف بالتمويه. بتوريق أنيق./ ۷۲/ و حين وصلت فى الكتابة إلى هذا المحل، و ذلك فى الساعة السادسة من بكرة يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى المذكور ، دخلت إلى هذا القنوط، لكونه كان فارغا ليس فيه أحد إلا رجلان يكنسانه.

أوصاف هذه الصالات

فأخذت قلما من مكاتبهم الموضوعة هناك، و قيدت بطرة الورقة يمنته بعض صفاته. أما طوله فخمس و خمسون خطوة متوسطة. و عرضه ثنتا عشرة خطوة، و امتد مع طوله تربيعات سبع كأنها أبواب طول التربيعة إلى ناحية القبوة نحو سبعة أذرع، و امتدادها أعنى عرضها نحو خمسة أذرع، و هذه التربيعة عمرت بورقات ثمان من زاج، منها أربع كبيرة طولها نحو أربعة أذرع و نصف، و العرض نحو ذراع، و الأربع الأخرى فوقها، طولها نحو ذراع و نصف و العرض واحد. و فى الورقات المذكورة فتقيات

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۱

عود المموه، و فى كل باب نصف دائرة سطحها زاج ممسوك بالفتقيات كما ذكر، و هذه التربيعات السبع التى كأنها أبواب تقابلها مثلها فى الجهة الأخرى، و الغاربان/ ۷۳/ فيهما الزاج كما ذكر، و بسقفه ثريات ثلاث. بالغاربين مجانتان كبيرتان، و فيه مائة شليه محيطه به مبطنة بالمومبر الأحمر الرفيع منها نحو ثلاثين شلية كبيرة و الباقى دونها، و بوسطه مائدة كبيرة ممتدة مغطاة بالمومبر محيط به ترييش حرير كبير من لونه، و أربع موائد أصغر منها بالمومبر أيضا، كل اثنتين فى طرف، و بأرضه زربية على قدر طوله و عرضه، و هو معد عندهم للأكل يأتى إليه التجار النازلون فى صالات هذه الدار، فى وقت الفطور و الغذاء. و فى الليل يكون معمورا و لا تسمع فيه كلاما و لا- عتابا و لا ملاما، و إنما ترى كل واحد جالسا على شليته يشرب الدخان و هو مشغول بكزيطته . فما أعظم تولعهم بهذه الكزيطات! و لعلها عندهم من المفرحات المنشطات، و إن كانت هذه من ذلك القبيل، فصن نفسك عنها يا نبيل.

صائر هذه الدار و تحفها

و سئل عن قدر صائر هذه الدار التى بنيت به، فقيل قدره ثمانية عشر مليونا من الإفرنك، و فيها مليونان منه من التحف و الأوانى، و تكرى بخمسة/ ۷۴/ عشر ألف

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۲

ريال فى كل شهر.

بعض أوصاف باريس

و أما طرقها فهى أعرض بكثير من طرق مرسيلية، و الأشجار ممتدة معها من الجهتين، و الفنارات بينها مرفوعة على أعمدة من النحاس المخروط المورق. من أسفله عريض، ثم يتناقص تدريجيا إلى أعلاه. و كنت أتعجب من استقامة تلك الأشجار بحيث لا ترى فى أصولها شيئا من الاعوجاج، حتى وقفت على العلة فى ذلك فى الأشجار الصغيرة، و ذلك أنهم يتخذون خشبة طويلة مستقيمة و لعلها تغرس فى آن واحد حين غرس الشجرة و يربطونه معها، و يجعلون حائلا رطبا بما يلى الشجرة، و بأصولها دوائر حديد يوصل بعضها ببعض بقضبان منه، و يبقى تحتها فضاء بينها و بين أصل الشجرة، و انظر ما السر فى ذلك، و فى بعض الطرق أماكن فى غاية التوسعة، مغروسة كلها بالأشجار، محدقة بألوان النوار، و بين الأشجار شيليات، فبعض هذه المواضع يتخذ للقهوة، و يوجد مثله يتخذ أسواقا للخضر و النوار و غيرهما، و تلقى فى بعض الطرق خصات/ ۷۵/ لعلها من رخام أسود على كيفية عجيبة، و ذلك أن أصل الخصة يحيط به صور آدميين سود، بين أرجلهم صورة حوت، ينبع الماء من فيه، يرمى أمامه، و فوق هذه الصور بنحو ثلاثة أذرع بحسب ما يرى الرائى من بعد خصة مستديرة، و فى وسطها بناء مرتفع على هيئة المظل، ينبع الماء من رأسه، و ينزل فى تلك الخصة. و أمام تلك الصور السفلية صور آدميين دائرين بتلك الصور، بينهم بعد أمامهم و هم ماسكون شيئا بأيديهم قد ضموه إلى صدورهم، و الماء يخرج منه مرتفعا يرمى وراءهم إلى تلك الخصة التى فوقها المظل. ثم صهريج كبير مستدير محيط بالجميع، و تتبع وصف ذلك كله يطول.

و فى اليوم الذى دخلنا فيه لباريس و هو يوم الخميس منتصف جمادى الأولى المذكور بعدما نزلنا بتلك الديار، قدم رجل من كبراء الدولة و هو قائد المشور عندهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۳

إلى الباشدور صاحب السر المذكور، و أخبره أن كبير دولتهم/ ۷۶/ أرسله إليه يحمد الله تعالى لسلامته و عافيته، و أنه يقول له: مرحبا بكم و بقدومكم، و قد حصل له فرح و سرور بورودكم، فأجابه بما يقتضيه المقام من حسن الخطاب و لين الكلام ثم أخبره أن كبير الدولة يأذن له فى الطلوع إلى دار المخزن عندهم فى مساء غد، يعنى يوم الجمعة ، فأخبره أن الخيل لا زالت بمرسيلية، تأخرت هناك بإذن الطبيب بقصد الاستراحة، و كيف تتأتى الملاقاة بذلك. فقال إن كبير الدولة يعلم بذلك، و مقصوده بهذا الطلوع الاهتمام بكم، و مزيد الاعتناء بجانبكم، و حين ترد الخيل تطلعون بها مع الهدية ثانيا، فوعده بالطلوع.

الخروج لملاقات عظيم دولتهم

و فى الساعة الرابعة من مساء يوم الجمعة المذكور، وجه كبير الدولة كدشه الذى يركب فيه لصاحب السر المذكور، و كدشين آخرين بقصد الطلوع و الملاقاة معه و مع بعض خواص عسكره، فتأنينا حتى دخل وقت صلاة العصر و صلينا، ثم خرجنا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۴

فركب صاحب السر كدشه الخاص، و معه ترجمان الدولة و قائد المشور، و ركب/ ۷۷/ الأمين و كاتبه فى كدش آخر، و المخازنية

الخمسة فى كديشين بعد، و ذلك بعدما لبسنا الكساوى التى أنعم بها مولانا علينا أنعم الله عليه بخر الدارين، و تقبل عمله و بلغه قصده و أمله، و هى لكل واحد قفطان عجمى، و سروال و سلهام سكرى من ملف البحر الكبير، و فرجية و قميص بالحرير و قلنسوة، و شقة حياتى، و حايك فاسى رفيع. و للمخازنية مضمات جلد بالحرير، ثم سرنا و صاحب السر أمامنا، و نحن بعده إلى أن وصلنا لدار المخزن، فدخلنا إلى المشور فوجدنا صفين من العسكر محيطين بجدرانه، مع كل واحد آلة حربه، فزدنا إلى القبة التى فيها كبير الدولة فارتقينا إليها فى درج بين صفين من العسكر يمينا و يسارا، لم أتحقق بوصف كساويهم لعدم الإلتفات إليهم إذ ذاك، فدخل صاحب السر أولا و تبعه كاتبه و كان بيده الكتاب الشريف فى غشائه من موبر مرقوم بالصقلى الذى صاحبه معه صاحب السر المذكور لكبير الدولة، و الأمين قريب منا و المخازنية/ ۷۸/ الخمسة وراءنا، فوجدنا كبير الدولة واقفا فى وسط القبة و وزراؤه واقفون خلفه، و رؤوسهم مكشوفة على عادة أدبهم.

و نحن دخلنا على زينا و أجنحة سلاهمنا مرسلة. ثم إن صاحب السر كان أراد أن يتكلم دون ورقة بيده، فكن طلب منه ترجمان الدولة قبل أن يكتبه فى ورقة و يأخذ منه نسخة يعربها ، و عند الملاقاة يقرأ تلك الورقة على كبير الدولة، فيجيبه فى ورقة يقرأها كذلك، فقرأ تلك الورقة جهرا كبير الدولة، فلما وصل إلى الكلام على

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۵

ذلك الكتاب الشريف ، إلتفت إلى صاحب السر المذكور، فناولته له باصطلاح ما تقدم، فأخذه من يدى و ناوله لكبير الدولة فأظهر به فرحا و تعظيما و ناوله لوزير الأمور البرانية كان متأخرا عنه عن يمينه، و عند تمام قراءة تلك الورقة عربها الترجمان لكبير الدولة، بل قرأها، و كانت عنده معربة. ثم أخرج كبير الدولة ورقة و قرأها كالسر بأدب و انخفاض رأس، و ضمنه ما تقدم/ ۷۹/ من الترحيب و الفرح و السرور.

ثم خرجنا و وصف تلك القبة لم أحط به لعدم الالتفات لذلك. و إذا كانت الأماكن العامة على الصفة السابقة، فكيف بقبة الأمير. فخرجنا، فأخذ أصحاب الموسيقى فى عملهم ثانيا حتى خرجنا من المشور، و رجعنا إلى الدار.

و بنفس وصولنا إليها رجع قائد المشور، و أخبرنا أن وزير الأمور البرانية يطلب منا الطلوع إلى داره فى تلك الساعة، فرجعنا ثانيا، و دخلنا إلى القبة الثالثة، فوجدناه واقفا فيها و معه رجل آخر كاشفين رأسيهما و جرى بينهما كلام ببعض ما تقدم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۶

عند كبير الدولة، و ناولنا القهوة بتلك القبة، ثم خرجنا من عنده فتبعه صاحب السر إلى باب القبو الأولى و أعلمه أنه يأتى إليه غدا. يعنى يوم السبت السابع عشر منه، لكن لم يعين وقت المجىء. ثم عرض لهم مجلس فى ذلك اليوم، و تعذر عليه القدوم، فوجه رجلا معتذرا عنه بسبب عدم مجيئه، و أخبر أنه سيأتى فى الساعة الأولى من يوم الأحد/ ۸۰/ الثامن عشر منه . فقدم فى تلك الساعة و جرى بينهما كلام بمضمن ما تقدم ، و أخبره أن كبير الدولة أمر بإنشاء فرجة مسابقة الخيل عندهم، و ذلك لأجل فرحه بقدومنا. و أن نطلع بقصد الفرجة فيها فى تلك الساعة لمحلها.

فرجة المسابقة

فركبنا فى الأكداش، و صرنا إلى محل بطرف البلد متسع غاية. و إذا به خلق كثير

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۷

وجم غفير، كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع. فدخلنا إلى محل خاص لا يدخله إلا المأذونون لدخوله من أهل القرب و الاختصاص . و فيه قبب مبنية مرتفعة. فطلعنا إلى إحدى القبب، فوجدنا فيها بعض الناس من خواص الدولة، و إذا بكبير الدولة معهم. فحين رأى الباشدور صاحب السر المذكور، قام إليه، و نزع ما كان على رأسه بشماله، و صافحه باليمين و مرحب و ما قصر فى البشاشة

و التعظيم، ثم زاد معه إلى دربوز مشرف على تلك الخلائق، و رجع إلينا حيث رآنا بقينا واقفين لم نتبعهما إلى المحل الذى زادا إليه، و تكلم معنا/ ۸۱/ فقال لنا ترجمان كان هناك/:

يقول لكم إن شئتم فادخلوا معه إلى ذلك المحل الذى دخل إليه الباشدور، و إن شئتم فاصعدوا إلى القبة الفوقية، فصعدنا إليها أدبا مع الباشدور، لأن ذلك المحل كان معه فيه كبير الدولة و زوجته و بعض خواص الدولة، و حين ارتقينا إلى الأعلى أشرفنا على جميع تلك الخلائق، و هم على فرقتين، فرقة فى الجهة التى فيها قبة كبير الدولة و لا يدخلها إلا من يعطى قدرا موظفا للمخزن، و هم نحو النصف من تلك الخلائق، و امتدوا يمينا و يسارا، و الفرقة الأخرى فى الجهة المقابلة لهم، و هم لا وظيف عليهم، و بين الفرقتين فضاء متسع ممتد بامتداد الفرقتين . فيه تتسابق الخيل، و العرف عندهم فى هذه المسابقة أنه يخرج عدة من الفرسان، و يشرعون فى العدو فى آن واحد حتى يصلوا علامة قبالة القبة التى كان فيها كبير الدولة، ثم يستمرون على عدوهم و جريهم إلى منتهى الفرقة التى عن يمينهم فيرجعون و يلوون عن اليمين، و يستمرون

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۸

كذلك و هم يدورون/ ۸۲/ بتلك الفرقة إلى أن يرجعوا إلى المحل الذى كان منه ابتداء مسابقتهم، و يستمرون كذلك حتى يصلوا إلى قبالة تلك العلامة، قبالة كبير الدولة المذكورة. فمن سبق و وصل إليها أولا يقبض ستة آلاف ريال من المخزن، و لعلها من الوظيف الذى يوخذ من الفرقة التى فيها قبة كبير الدولة. و قد وقعت المسابقة عندهم فى ذلك اليوم بمحضرنا ثلاث مرات، فحين كان يعزم أحد المتسابقين إلى تلك العلامة، يسمع ضجيج عظيم من الفرقتين كأنهم يمدحون السابق و يسخرون ممن تأخر. و قد قيل إن مقدار ما قطعته الفرسان فى جريها فى المرة الثالثة هو واحد و عشرون مائة متر . و كنت إذ ذاك أحاول ضبط ذلك القدر، فرصدتهم حين الابتداء فى المسابقة فى المرة الثانية إلى أن وصلوا إلى العلامة، فكان ما بين صدورهم عنها و رجوعهم إليها مقدار عشر دقائق. و ذلك فى المرة/ ۸۳/ الثانية التى قيل فيها إنهم قطعوا فى مسابقتهم اثنتين و ثلاثين مائة متر. فانظر فى ذلك لأنك إذا قسمت هذا العدد على ستمائة التى هى مقدار أجزاء العشر دقائق مدة مسابقتهم فى هذه المرة الثانية، كان مقدار ما ينوب الجزء الواحد من أجزاء الدقيقة الواحدة المجزءة إلى ستين جزءا هو خمسة مياتير و ثلث، و هى مقدار أحد عشر ذراعا عندنا تقريبا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۵۹

فتكون تلك الخيل قطعت فى العشر دقائق على هذا ستة آلاف ذراع و ستمائة ذراع، هى مقدار ثلاثة أميال و ثلث ميل تقريبا، فعلى هذا تقطع الخيل فى جريها فى الساعة الواحدة بذلك الاعتبار ستة عشر ميلا و ثلث ميل أيضا . فإذا جعلت تلك المياتير محيط دائرة كان تكسيرها مياتير ثمانمائة ألف ميتر، و أربعة عشر ألف متر، و تسعون مترا و عشرة أجزاء من أحد عشر جزءا من المتر الواحد هكذا ۸۱۴۰۹۰ م/ ۸۴/ قطرها ألف متر و ثمانية عشر مترا و زيادة، و ذلك قريب من ميل واحد، و المحل الذى كانت فيه المسابقة كان بمرأى منا و أرضه مبسوطة، و بينه و بين منتهى البصر بعد كثير، لهذا استبعدت ما ذكر من عدد المياتير ۳۲۰۰ التى قيل إن الخيل قطعتها فى المرة الثالثة. و عند انفصال هذه الفرجة و نزولنا من تلك القبة وجدنا كبير الدولة فى سقف القبة الوسطى، فتكلم مع الأمين المشار إليه كلاما عربه مترجمه بقوله: إن كبير الدولة عزم أن يجعل لكم عزومة، يعنى ضيافة و يحبكم أن تطلعوا لداره يوم الأربعاء قليلا. فقال له حبا و كرامة. ثم رجعنا إلى محلنا فى الأكداش.

فابريكة أوانى المعدن

فى يوم الإثنين التاسع عشر منه، ركبنا فى أكداش المخزن أيضا فى المساء حتى وصلنا إلى دار فابريكة صنع الأوانى و الأثاث المعدنية، فوجدنا فيها خلقا كثيرا إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۱۵۹

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۰

و أوانى و أثاثا مختلفة الأشكال، لا- تكاد تحى،/ ۸۵/ فرأينا الأوانى المستديرة كالصينيات و غيرها تدور فى المخرطة، و كذلك صينيات أتاى على شكل البيضة كذلك تدور فى المخرطة، غير أنها ليست مقبوضة فى ناعورة المخرطة من الوسط، بل من الطرف. و حين الخرط تراها ترتفع و تنزل فتخرج الدوائر التى بها على شكل البيضة موازية لها، من غير انحراف و لا تفاوت، مع أن شكل البيضة يحتاج فى رسمه إلى عمل هندسى صعب المباشرة، كما فى الشكل العاشر من المقالة الثالثة من كتاب أوقليدس . و هذا من العجب و الأمر المستغرب. و هذه الأوانى أصلها نحاس أحمر كما شاهدنا. و كلها لها قوالب عديدة، منها ما فيه نقش، و منها ما ليس فيه نقش. و عند فرغها تدفع لمن يمسحها و يصقلها، و من الأوانى ما يكون مركبا من أجزاء، كبعض براريد المعدن و غيرها. بعد فرغها ثم تضم أجزاؤها/ ۸۶/ بعضها إلى بعض، و تشد بالسلك، و توضع فوق مجمر كبير مملوء فحما و رجل يقابله، و عن يمينه كير يمسك جعبته بشيء بيده، و يقابله بتلك الآنية، و يحرك خيطا عن يمينه فتخرج من فم تلك الجعبة نار زرقاء تلتهب، و يرسلها على تلك الآنية التى فوق ذلك المجمر، و على الفاخر الذى فيه، فيدير لهبها على الآنية يمينا و يسارا، فلم يكن غير هنيئة إلا و ترى تلك الآنية تلتهب و بذلك تلتئم أجزاؤها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۱

صفة تذهيب بعضها

فإذا أرادوا صبغها بالمعدن يأتون بها إلى صناديق من نحاس مملوء ماء، طوله نحو ذراعين و عرضه نحو ذراع و نصف، و علوه كذلك. و هذه الصناديق هناك كثيرة غاية، و على كل وجه صندوق فتقيات نحاس بها ثقب كثيرة، معقود فيها خيوط من سلك نحاس، فيعقد فى أطرافها الآخر الأوانى، و ترسل فى ذلك الماء الذى فى الصندوق.

و هذه الفتقيات الموضوعة/ ۸۷/ على وجه الصندوق أعنى موضوعة على عرضه، و يقاطعها جعبات موضوعة على طوله، و لعلها فيها كهرباء الصبغة، لأن الأوانى التى تكون فى الماء الذى فى الصندوق لها اتصال بتلك الجعبات بواسطتى السلك و الفتقية الموضوعة على الجعبة، و لو لم تكن هذه الجعبات ما أفاد ذلك الماء شيئا فى الأوانى، لكن مع وجود صندوق به ورقات فضة خالصة كما قيل، رأيناها موضوعة فى الصناديق، فرأينا فى بعض الصناديق معاليق معلقة فى تلك الفتقيات بالسلك، فتبقى هناك قدرا معلوما عندهم، ثم يستخرجونها بيضاء كالفضة، فتدفع لمن يمسحها و يصقلها، و قيل لنا هناك إنهم إذا أرادوا صنع أوانى يزنوها حتى يعرفوها أى قدر وزنها، و عند خروجها من الصناديق يزنونها أيضا ليعرفوا قدر ما أخذت من المعدن.

و رأينا فى صهريج عندهم ماء كثيرا، و فى أحد جوانبه حجر أزرق موضوع فى الماء، لعله يذوب/ ۸۸/ فيه. و كبير هذه المكينة يدور معنا ببشاشة، و يساعدنا غاية المساعدة فيما نطلب منه. ثم انتقل بنا إلى محل آخر وجدنا فيه صناديق أخر مملوءة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۲

ماء، و الجعبات موضوعة عليها، و تكلم مع بعض الخدمة، فأخذ سكينا صغيرا بيده و عقده فى قطعة سلك و أرسله فى ذلك الماء، و قبض رأس السلك الآخر و حكه فى تلك الجعبة، ثم استخرجها عاجلا فإذا بالقدر الذى كان فى الماء خرج مفضضا حينه، ثم أرسلها كذلك فى صندوق آخر مراعيا لذلك العمل، و ترك منها قدرا مفضضا و أخرجها، فإذا بالقدر الذى كان منها فى ذلك الماء خرج مذهبا تذهيبا جيدا، ثم أرسلها فى صندوق آخر، و أخرجها منه بعدما حك رأس السلك فى الجعبة، و ترك منها قدرا مذهبا، و أخرجها فإذا بالقدر الذى كان منها فى ذلك الماء خرج مذهبا تذهيبا دون الآخر، يضرب إلى الخضرة. ثم رجعنا فى الأكداش إلى محل نزولنا.

الدار التى تباع فيها أوانى البلار

و فى مساء/ ۸۹/ يوم الثلاثاء العشرين منه ركبنا فى أكداش المخزن أيضا، و سارت بنا إلى أن وصلنا إلى محل قيل لنا تباع فيه أوانى الزاج و الثريات و غيرها.

فدخلنا إليها فوجدنا فى أسفلها صناديق عود تملأ بالأوانى لتسافر لمحل آخر. فصعدنا إلى طبقة فوجدنا فيها كتابا عديدين بيد كل واحد كناش و مكتبة. ثم صعدنا إلى الطبقة التى فوق هذه فوجدنا براحها متسعا غاية. طوله مائة و سبعون رخامة، كل رخامة طولها أقل من ذراع بقليل، و عرضها نحو ست و ثلاثين رخامة، و هى مقبية

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۳

بالزاج، و بجدرانها خزائن عود محيطة بها، و بوسطها صفان ممتدان على طولها فيه خزائن أخرى عود. و فى هذه الخزائن من أوانى الزاج ما لا يقدر على وصفه، و هناك أوانى عمل التينة. و أما الخزائن التى فى الوسط فطولها أقل من قامة الإنسان ، و على وجهها أوانى و أثاث و محابق النوار/ ۹۰/ مصنوع فيها صور طيور صغيرة أصغر من البرطال. فى ريشها ألوان، فى أسفل كل محبقة مكينة، داخلها تملأ بساروتها و يحرك بعد ذلك شىء بارز قرب فرجة المفتاح، فيأخذ ذلك الطائر يتكلم بصوت الطائر المعروف عندنا بأم الحسن ، و عند تكلمه يدور يمينا و يسارا، و فى المحبقة طائر آخر بارك كأن تحته بيضا، لا يتكلم و إنما يلتفت كذلك عند تكلم الآخر. و هذه المحابق هناك كثيرة بقصد البيع. و هناك ثريات معلقة فى السقف، و هى ثلاثة صفوف منها على طول ذلك البراح كبيرة و صغيرة مختلفة الأشكال و المقدار. و بالجملة فهناك من أوانى الزاج و الأثاث عمل التينة مصطفة بتلك الخزائن مع طول هذه البقعة و عرضها، فى محيطها و وسطها ما لا سبيل إلى حصره أو وصفه. و هناك كتّاب عديدون نساءا و رجالا. و حين سمع نساؤهن بأننا هناك خرج بعضهن بقصد رؤيتنا لأنهن يستغربن زيّنا و يتعبن منا/ ۹۱/ فالتفتت إلينا إحداهن، فتذكرت ما قيل فى مثل ذلك:

بدار الزاج قمر فضحت زين العجم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۴ سلبت عقل رامق‌سلب عقل بصدام

هام من حسنها وجداذو عفاف و كرم

و هى من نور حسنهانقتبس محو الظلام

قلت جد لى بوصال‌قالت فاقرأ سلامى

إن بالحل وطنى‌أنتم أهل الحرم

صدقت فيما نطقت‌و حقا قالت حدم

ثم رجعنا فى الأكداش إلى محلنا.

فابريكات صنع الماريوس

فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى المذكور ، ركبت مع الأمين المذكور فى كدش فى الضحى، و انتهينا إلى فابريكة صنع الماريو، فوجدنا بأسفلها معلمين نجارة مشتغلين بنشر العود بالمكينة. و كيفية النشر هنا مثل كيفية نشر النشار التى/ ۹۲/ سبق بيانها. فرأينا بيد أحد المعلمين قطعا من العود مثل جوازى السقف مخططة طولا بجعل الخيط و هو الخيط المعروف عندنا مسامتا للناعورة، و يدفعه إليها دفعة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۵

واحدة فتشقه فى لفظة على طولها فى حال دورانها. و بعض هذه الجوائز ينشرها عرضا قطعا صغيرة فتراه كأنه يأخذ الزبدة بالحديد، و بعض المعلمين وجدناه ينشر فتقيات صغيرة مرسومة فيها دوائر و تعريج منشار الدور. و له كيفية خاصة، و ذلك أنهم يأخذون خيطا من الهند مبسوطا رقيقا، عرضه كحرف الريال، و يفتحون فى أحد حرفيه منشارا، و يصلون بين طرفيه وصلا متقنا حتى لا يكاد يتميز

الوصل من غيره، و يدخلون فيه ناعورتين. إحداهما عليا و الأخرى سفلى. ثم يحرك بعضهم آلة المكينة فتدور الناعورتان دورانا خفيفا، و بدورانهما يدور المنشار المذكور، فيأخذ المعلم الفتقية التى يريد نشر ما رسم فيها من الدوائر و التعريج، و يحادى بها المنشار فيشقها/ ۹۳/ متابعا لتلك الدوائر، ثم صعدنا للطبقة الأولى وجدنا فيها صناديق كبيرة تسمى ماريو. منها ما هو بالزاج، و منها ما هو بدونه، و وجدنا براح هذه الطبقة مملوءا بهذه الصناديق. و هناك طبقة أخرى فيها صناديق أيضا على أشكال كثيرة. و بهذه الدار تصنع أحكاك الباعة الرفيعة، منها ما هو منبت بالحجر النفيس، و منها ما عليه الكتابة بالتذهيب. فمن أحب حكا منها و أراد كتابة شيء على ظهره يكتب له فيه الإسم الذى أحب، أو حكمة بخط مشرقى رفيع. و أما ثمن كل حاجة من ذلك فيكاد يستبعد.

قشلة مرضى العسكر و قبر نابليون

و فى مساء هذا اليوم ركبنا فى الأكداش المخزنية، و توجهنا إلى قشلة فيها المرضى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۶

من العسكر، من وقت حربهم مع ابروسيا ، فوجدنا هناك أناسا كبارا مصفرة وجوهها، و عليها سلاحها و نواشين مراتبها. فتلقوا صاحب السر بالتعظيم و الترحيب، و تكلم معهم بما يناسب الحال، و دخلنا إلى مطبخة/ ۹۴/ عامة العسكر، فوجدناها متسعة غاية، و فيها ثمانية طناجير كبيرة، كل أربعة فى تربيعة خاصة، و طنجير كبير تطبخ فيه القهوة لهم. ثم فى مطبخة الخواص من العسكر طناجير أيضا منفصلة عن مطبخة العامة بقريب.

و بقرب هذه القشلة قبر ملكهم نابليون الأول ، قيل لى إنه أوصى بأن يدفن بتلك القشلة، لأن فيها عسكره، و هم أولاده، و هو أحب أن يدفن بين أولاده، و القبر على كيفية خاصة، و هى أنك إذا وصلت إليه تجد حفرة عظيمة مستديرة مبنية بالرخام، ..... و يحيط بها سوار من الرخام، بنى عليها قبة عظيمة، فنزلوا بنا فى درج عديدة متسعة، حتى أشرفنا على القبر من دربوز من الرخام محيط بالدارة التى فى وسطها القبر، و فى وسط براحها رخامة سوداء طولها نحو ستة أذرع، فى عرض أربعة أذرع، و علوها نحو ذراع. و فوق هذه/ ۹۵/ الرخامة رخامة أخرى طولها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۷

نحو أربعة أذرع، و عرضها نحو ثلاثة أذرع، و علوها نحو ثلاثة أذرع أيضا. وفق هذه الرخامة صندوق رخام أسود أيضا، يقال إن نابليون المذكور فى ذلك الصندوق، و قدام هذه القبة قريبا منها قبة أخرى أعلا منها، مقبية بالزاج، به طلاء كالتذهيب، و الشمس مشرقة عليه، فتحسبها نارا تتوقد فى تلك القبة، و تحتها صورة آدمى مرفوع على شيء لم أدر ما هو . و من يرى ذلك بعين المباهاة و الافتخار، فإنا رأيناه و الحمد لله ببصيرة الاعتبار، و نفوذ حكم الواحد الجبار، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.

صور المحاربين و آلات الحرب فى سالف الزمان

ثم خرجنا من تلك البقعة و أوتى بنا إلى بيوت فيها صور محاربين فيما سلف بنحو ثلاثمائة سنة كما قيل، و هم لابسون الزرد و البيض على رؤوسهم، لا يرى من وجوههم شيء و تلك البيضة مسبلة على وجوههم، فيها ثقب مسامتة/ ۹۶/ لأعينهم و أنوفهم و أفواههم. منهم من هو راكب على فرس و لجامه بيد الراكب عليه، و الطرادة بيده، و عن يمينه و يساره صور أخرى. و هم متتابعون على هذه الكيفية، و الدبابيز التى كانوا يقاتلون بها موضوعة هناك، لأن ذلك كان قبل ظهور البارود كما قيل. و وجدنا هناك المكاحيل التى صنعت حين ظهور البارود، و طولها نحو ستة أذرع، و هى غليظة جدا لها نجش يقال إنهم كانوا يخرجونها بلا زناد، بل كما يخرج المدفع، و هى مختلفة فى الطول و القصر. و هناك صور بعض أهل الهند فرسانا و رماة،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۸

يتخيل للناظر أنهم موتى، و عليهم الكافور، و عليهم السيوف و آلة الحرب، و هناك سيوف عديدة، و أسلحة كبيرة قديمة هناك و هى مصقولة ممسوحة تحسبها جديدة.

و هناك طرادات بالية متلاشية، قيل إنها طرايد ما ملكوه من الأجناس عند محاربتهم. و عند خروجنا من/ ۹۷/ هذه البيوت إلى تربيعة كالمشور، فيه مدافع صغيرة و كبيرة قائمة على قعرها مع الجدرات، قيل إنها أخذت للأجناس عند محاربتهم معهم.

الحضور لتسراد العسكر و كيفيته

و فى يوم الخميس الثانى و العشرين من جمادى الأولى طلعنا بإذن كبير الدولة لحضور تسراد عسكره، و ذلك فى الساعة الثانية، فركبنا فى الأكداش المخزنية، فلما قربنا إلى ذلك المحل و هو المحل الذى كانت تتسابق فيه خليهم ضاقت بنا الطرق، و ضاق ذلك الفضاء من كثرة ازدحام الخيل و الأكداش المارة لهذه الفرجة، و بقينا واقفين هنيئة حتى ظننا أننا لا سبيل لنا إلى الوصول للمحل المعين لنا، فلم يكن غير قليل إلا و قد أتى عدد من العسكر يفسحون لنا الطريق، فبقيت الخيل و الأكداش التى فيها غيرنا واقفة فى محلها حتى مررنا و وصلنا إلى القبة المعينة لنا، فصعدناها و ارتقينا سطحها فأشرفنا على جميع ما هناك من الخلائق، عسكر و غيرهم، لا سبيل لحصر عددهم إلا للمتكفل/ ۹۸/ بمددهم، و لم يكن كبير الدولة فى هذه القبة، لأنه كان راكبا بقصد تسراد العسكر بيده، و إنما وجدنا فيها بعض أعيانه و خاصيته، و كان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۶۹

العسكر إذ ذاك مفرقا فرقا فرقا، كل فرقة بمحل فرق الفرسان وحدها، و فرق الرماة وحدها، و هم متتابعون، كل فرقة تلى الأخرى. و كان كبير الدولة و اسمه المارشال قد خرج راكبا فرسه، و معه نحو مائتين من كبراء عسكره، و أتى إلى محل متسع، و الفرق من العسكر وراءه، و عن يمينه و يساره عن بعد منه، بحيث استقر كبير الدولة بذلك الموضع و هو قبالة القبة التى نحن فى سطحها. أخذت فرق عسكر الرماة تمر أمام كبير الدولة يتقدمها الطنابرية، و أصحاب الموسيقا و عددهم نحو مائة، يقفون قبالة كبير الدولة، ثم يتبعهم واحد لا يحلق لحيته، و وراءه عشرة، و وراء هؤلاء العشرة فرسان متتابعون، نحو العشرة، بحيث/ ۹۹/ يقرب الفارس الأول منهم لمقابلة كبير الدولة فيخفض سيفه إلى الأرض مسلما بذلك على كبير الدولة، فيجيبه بالسلم بنزع شمريره من رأسه، بحيث يمر هؤلاء الفرسان يتبعها ثمانية صفوف، كل صفين متقاربان، و بينهما، و بين الصفين اللذين بعدهما بعد، نحو عشر خطوات يكون فى هذا البعد نحو عشرة رماة، كل واحد فى موضع على غير نسق و لا- تتابع، و فى كل صف من هذه الصفوف الثمانية نحو مائة، لأنه لم يتأت حسابها. و بمرور هذه الصفوف أمام كبير الدولة، يكون الطنابرية و أصحاب الموسيقا ملازمين لمحلهم الذى تقدم ذكره، مشتغلين بعملهم، متابعين لإشارة واحد منهم قدامهم، و يشير لهم بيده لا غير، كلما غير الإشارة يغيرون الضرب متابعة له، حتى تمر الفرق التى هى مضافة إليهم، و هى إما ثلاث فرق أو أربع أو أكثر. و لكل فرقة طنابرية، و أصحاب الموسيقا يمرون أمام كبير الدولة على الكيفية السابقة/ ۱۰۰/ بحيث يسلم كبير الفرقة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۰

الفارس على المارشال و يجيبه على الكيفية المذكورة، و مع كل فرقة طرادة واحدة بيد الأخير من الصف الثانى من جهة الطنابرية لا من جهة كبير الدولة، و ظهر لى أن كل فرقة فيها ألف واحد من العسكر بحسب الطنابير و من بعدهم من أول الفرقة إلى آخرها، لأن ثمانية صفوف بثمانمائة، و نحو مائة من الطنابرية، و أصحاب الموسيقا و الأحد عشر التى خلف الطنابرية مع الرماة الذين بين الصفوف، و عددهم نحو السبعين لأن بين كل صفين نحو عشرة، فتكون جملة كل فرقة تقرب من الألف، لأن ذلك ليس معدودا عندى عدا حقيقيا، و إنما هو تقديرى مع احتياط عدم الزيادة فى ذلك. و الطرادة الواحدة التى فى كل فرقة تؤذن بأن عددها ألف واحد، و الله أعلم. و حيث تمر الفرق الثلاث أو الأربع التى فى حكومة الكبير الأول، يشير صاحب الغزولة الذى مع الطنابرية / ۱۰۱/

بها فيشير لهم الآخر بيده للذين هم متابعون له إشارة فيسكتون و يسيرون تابعين الصف الأخير من فرقهم التى مرت، و عند سكوتهم يشرع طنابرية آخرون فى الضرب مع أصحاب الموسيقا الآتين بعدهم، و يأتون للمحل الذى كان الطنابرية الذين مروا به مع الفرق التى مرت

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۱

و يشتغلون بعملهم كما تقدم، ثم يمر الواحد ذو اللحية و العشرة بعده و الفرسان، فيسلم كبيرهم على كبير الدولة، فيجيبه كما تقدم. ثم تتبعهم الصفوف الثمانية على الصفة المتقدمة. هكذا كان دأب هذه العساكر الرجلية فى التسراد. و عدد الفرق التى مرت على هذه الصفة أربعون فرقة. فهى مشتملة- و الله أعلم- على أربعين ألفا. ثم تبعتهم فرسان يجرون الكراريط حاملة صناديق مقفلة، قيل فيها الشواقير و غيرها من الآلة المحتاج إليها فى السفر، و عددهم نحو ألفين، ثم أتت فرسان العسكر و معها الطنابرية و أصحاب الموسيقا و مروا صفا بعد صف/ ۱۰۲/ و هم خمس فرق، و فى كل فرقة نحو ألف كما تقدم، و مرت بعدهم أربعون فرقة من الخيل تجر المدافع، فى كل فرقة ستة مدافع، كل مدفع يجره خمسة من الخيل، و العسكر راكب عليها، و على كل كريطة مدفع أربعة من العسكر. و عدد الفرق التى مرت على هذه الصفة أربعون فرقة، ففيها أزيد من ألفين، لأن بعض الفرق كان يمر فيها صفان من المدفع صفا إثر صف، فعلى هذا يكون جملة العسكر الذى حضر التسراد فى ذلك نحو خمسين ألفا بين فرسان و راجلين، و من الناس من كان يقول إن ذلك العسكر قدره خمسة و ستون ألفا، و منهم من كان يقول ثمانون ألفا، و انظر ما مستندهم فى ذلك.

و قيل إن ذلك العسكر الذى حضر التسراد هو عسكر باريس لا غير.

ضيافة عظيم الدولة للباشدور مرحبا به

و فى يوم الأربعاء الواحد و العشرين من جمادى الأولى ركبنا فى الأكداش/ ۱۰۳/ المخزنية فى الساعة الرابعة غير ربعها للطلوع لدار كبير الدولة بقصد الضيافة، لأنه كان تقدم أنه أعلمنا بذلك يوم المسابقة و لم يكتف بذلك. بل فى يوم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۲

الثلاثاء بعده وجه لنا ثلاث ورقات، عين فى كل ورقة منها اسم من يطلع منا لهذه الضيافة. منها ورقة للباشدور صاحب السر المذكور، و الورقتان الباقيتان للأمين و الكاتب. فتوجهنا لداره، و هى خارجة عن البلد بنحو ساعتين بسير خيلهم بالأكداش، و كان عين لنا أن يكون وقت قدومنا عليه فى الساعة السابعة و نصف قبل الغروب بأزيد من نصف ساعة. بحيث قربنا من الدار، نزلنا و طلعنا لصالة و سرنا حتى وصلنا إلى دار كبير الدولة، فتقدم صاحب السر المذكور و نحن فى أثره و دخلنا إليها فى وسط ملإ من العسكر و الأعيان،/ ۱۰۴/ فتلاقى به صاحب السر المذكور، فرأينا به سرورا كبيرا، و فرحا عظيما ظاهرا عليه و على خاصته. ثم سرنا نحو القبة التى فيها الغذاء فدخلناها فالتفت إلينا كبير الدولة، و تكلم بلغته، فقال لى رجل من عسكره كان بقربى : إنه يقول لكم مرحبا بكم، و أنه وكلنى بالجلوس معكم لأبين لكم الطعام الحلال عليكم من غيره، و وجدته يحسن اللغة العربية، فجلسنا على الشوالى المحيطة بمائدة الطعام، فجلس صاحب السر المذكور عن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۳

يمين كبير الدولة و جلسنا نحن قبالتهما منحرفين عنهما يسيرا إلى جهة يمينهما، و جلس مع الأمين المذكور عن يمينه عسكرى آخر يحسن العربية، فكان يبين لنا ما يحل أكله لنا، و مع ذلك فما تناولنا من تلك الأطعمة العديدة إلا يسيرا من الخبز بالزبدة، و شيئا من الأرز مطبوخا فى الزبدة، و شيئا من الحلوى معقودة على الثلج لا غير، مع أنه حضرت أطعمة عديدة، و أنواع/ ۱۰۵/ كثيرة، و حضر على هذه المائدة ما يزيد على الأربعين من كبراء الدولة كل واحد على شليته و قدامه زيف أبيض من المكمخ يضعه على حجره وقت الأكل. و قدامه أيضا طبسيل فارغ و كأس للماء، و جنوى و فيجكة، و عند دفع الطعام يخرج رجال بيدهم طباسيل من المعدن كبيرة

مملوءة بالطعام ، فيمرون بها على الجالسين على المائدة، فكل واحد منهم يأخذ مما فى ذلك الطبسيل بمغرفة القدر الذى يريده، و يضعه فى الطبسيل الذى قدامه، و حين يوتى بطعام آخر ترفع تلك الطباسيل الصغيرة من بين أيديهم، و توضع غيرها. و يدور صاحب الطعام الثانى عليهم جميعا فيأخذون منه كما ذكر، ثم يأتى طعام ثالث و رابع و هكذا حتى مرت ستة عشر شكلا من أنواع الطعام كما هى مبينة عندهم فى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۴

ورقة بكتابتهم دفعوها لنا عند الشروع فى الأكل، و هم مع ذلك يخللون الأكل بالشرب، و نحن/ ۱۰۶/ يجعلون لنا الماء الصرف فى الكؤوس التى قدامنا و يجعلون فيها حجرا من الثلج كأنه حجر الشب، فقلت للذى كان بقربى هذا الثلج شأنه أن يذوب عند بقائه فى الهواء، فما باله لم يذب إلى الآن فى بلدكم، و نحن حين ينزل بقرب بلادنا شىء منه يذوب عاجلا، فقال لى إننا نخزنه فى الأرض كما تخزنون الزرع أنتم فى المطامير فلذلك نحن نجعل المطامير و نفرش له التبن، و يوضع فيها و يوضع فوقه التبن أيضا و يغطى بالتراب، و عند الاحتياج يدخل إليه من محل آخر ، و يوخذ منه القدر المحتاج، و إن نزل عليه تراب يغسل، و كان فوق هذه المائدة ست ثريات موضوعة عليها فى كل ثرية عشرون شمعة. و فى كل ثريتين محبقة فيها من ألوان النوار المصنوعة، و ليس عليها زاج، يحسبها الرائى أنها مشموم التقطت له تلك النوار/ ۱۰۷/ و رتبت فيه ببديع الاختيار. و بسقف هذه القبة ثلاث ثريات كبيرات من الزاج موقودة كلها بالشمع، ثم أخبرنى هذا الذى كان بقربى أنه تقدمت له حروب كثيرة مع أولاد سيدى الشيخ و أنه يعرف تلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۵

المواطن و سكانها، و شرع يعدها. فقلت له ما اسمك؟ فقال اسمه شلطون و أنه كبير على ثلاثة آلاف من العسكر، لأنه كان استفهمنى عن اسمى فبينته له. و أخبرنى أن زوجة كبير الدولة تكلمت معه فى الساعة العاشرة ليلا من أمسه، لأن السلك مركب من دار كبير الدولة إلى دور الكبراء و الأعيان، كما أخبرنى به. و قالت له ما مضمنه: إننا نستدعيك للحضور عندنا غدا ليلا، لأن باشدور سلطان مريكوا يأتى لدارنا، ثم قال كيف جاءتك بلدنا، فقلت: ما رأيت أحسن منها نظافة و تزويقا، و صنائع و عجائب لم أرها فى غيرها. فقال لى أنتم معشر العرب لكم ألسن كالعسل/ ۱۰۸/ ما أحسنها لو كانت مثل قلوبكم، فقلت له الناس ليسوا على صفة واحدة، و طبيعة متحدة، بل هم كما قيل:

الناس كالأرض و منها هممن خشن الطبع و من لين

نجندل تدمى به أرجلو إثمد يجعل فى الأعين

و فهمته فى مضمن البيتين حتى فهمهما، فقال حقا ما تقول، و لكن الكثير من الناس على ما ذكرت لك، و حين فرغوا من الأكل خرجوا لقبة أخرى فيها شوالى عديدة ، و كنابى كثيرة كلها بالموبرة الحمراء و صاروا واقفين كل اثنين أو ثلاثة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۶

منفردين فى محل، و جلس صاحب السر على شيلية، و بقى معه من يحسن العربية، و جلسنا نحن قريبين منه، و جلس معنا من يحسن لغتنا أيضا، فأخبرنا أنه يحب العرب لأنه نشأ فى بلادهم، و مهما رأى رجلا من العرب ينشرح له صدره غاية، و أنه تقدمت له الخدمة فى العسكر فى قسنطينة أربعة عشر عاما/ ۱۰۹/ مع أنه صغير السن يمكن أن يكون سنه نيفا و ثلاثين سنة و الله أعلم. و بقى المارشال أى كبير الدولة، واقفا يتكلم مع كل واحد من الكبراء الذين كانوا على المائدة واحدا بعد واحد. ثم دخلت زوجته و صارت تكلمهم أيضا كذلك مع طلاقة وجه و بشاشة، و دخل بعدها نساء أخر إما أربع أو خمس، و صرن يتكلمن مع البعض دون البعض و هن يتعجبن من زينا و لباسنا، و كان من جملة ما تكلم به كبير الدولة بواسطة ترجمانه مع صاحب السر المذكور: أن هذه الضيافة جعلتها فرحا بقدومكم تعظيما لجانب سلطان المغرب، سيدى الحسن نصره الله، فأجابه بما يقتضيه المقام من حسن الكلام، ثم انصرفنا إلى محلنا فى الأكداش، و وصلنا فى الساعة الحادية عشرة و نصف من الليل، و تذكرت ما كان تكلم معى به بعض من له صلة بهذه الدولة

حين طالع الأبيات .

الطلوع بالهدية لعظيم الدولة

و فى يوم الجمعة الثالث و العشرين من جمادى الأولى المذكور ، طلعنا لحضرة كبير الدولة مع الخيل و الهدية، بعدما ركبنا فى أكداس المخزن على العادة، و جعل على تلك الخيل جلالاتها المرصعة بالذهب، المصنوعة بحضرة فاس الطيبة الأنفاس

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۷

حرسها الله و وقاها من كل باس، و تقدمت قبلنا بقريب لأروى دار المخزن هناك يقوم بها العساكرية، فحين وصلنا لتلك الأروى وجدناها لا فرق بينها و بين ديارهم فى البناء و النظافة، و وجدنا العساكرية هناك واقفين مع الخيل، ماسكين رصنها و هم معها فى غاية التعب، لكونها كانت تأبى الانقياد إليهم، و تتأخر و تصهل و ترفع أيديها على عادة عتقاء الفرسان و الأحرار منها. فما أوصلوها لباب قبة دار المخزن إلا بجهد جهيد، و كان كبير المخازنية يروم أن المخازنية و الأعوان الذين معنا هم يقودون الخيل ، فنهاه صاحب السر المذكور عن/ ۱۱۳/ الخوض و التكلم عن ذلك و زجره، فسكت طالبا من سيادته الصفح عن ذلك. ثم ذكر الترجمان إذ ذاك أن المقصود من كون العسكر هو الذى يتولى قيادة الخيل هو استراحتهم من ذلك التعب، و ملاحظتهم بعين الوقار و عدم استعمالهم فيما يشق عليهم، هذا مضمن ما ذكره الترجمان.

و حين وصلنا إلى دار المخزن أذن لنا بالدخول للقبة الثالثة، فدخلنا إليها، فرأينا فيها من الزخاريف ما لا أحصره، لأن المقام لم يقتض إمعان النظر فى جهاتها و كثرة الالتفات. لكن هناك شوالى كبيرة و كنابيس عديدة، كلها مبطنة بالموبر الأحمر، و فيها أبواب كبيرة كأبواب البيوت عندنا عند نزع دففها، و دففها بالبلار، و العود المحيط بها مذهب، و سواريها مورقة بالتذهيب، و فيها ثريات عظيمة من البلار إلى غير ذلك مما لا يكيف. فلما دخلنا إلى تلك القبة قام الأمين المذكور و فتح صندوق الهدية

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۸

و أخذ من هناك من كبراء الدولة/ ۱۱۴/ ينقلون تلك التحف و يضعونها على الشوالى كل عينة من تلك التحف فى جهة منفردة، فازدادت تلك القبة بها ضوء و إشراقا و سناء، فعند ذلك دخل علينا كبير الدولة من باب مقابل للمحل الذى كان مقابلا للباشدور صاحب السر المذكور، فتلاقينا و ما قصر فى إظهار الفرح و السرور و الترحيب و البرور، و جرى بينهما كلام فيما يناسب الحال و المقام، ثم تقدم كبير الدولة إلى تلك التحف، و صار يمعن النظر فى كل حاجة منها بخصوصها، فاستحسنها غاية الاستحسان، و رآها من أجل ما تقربه عين الإنسان، ثم خرج لباب القبة، و كانت الخيل مجللة مصطفة عن يمين باب القبة بيد العساكرية فأخذوا يمرون بها واحدا بعد واحد، و بعضها يصهل، و البعض يجيب، و كلها على ذلك الرونق الجميل و الشكل الغريب. و حين تم مرورها، و أمعن فيها النظر أميرها، تكلم مع الترجمان بلغته/ ۱۱۵/ فأخبر أنه شرّبها و أنها من غاية منائه و بغيته، بكلام هذا مضمن تصريحه، الكامن فى تلويحه، و على ذلك انفصل ذلك المجلس الذى عم نواله الصغير و الكبير السالم عهوده بمن الله و فضله من التبديل و التغيير، فحمدنا الله تعالى للاستراحة من عهدة هذا الكلفة، و رجعنا إلى محل النزول و الألفة.

جنان الوحوش

و فى يوم السبت الرابع و العشرين منه خرجنا لجنان الوحوش ، و هو بعيد عن إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۷۹

المحل الذى كنا فيه بنحو ثلثى ساعة، و ليس هو جنانا حقيقيا، بل هو موضع من غابة عظيمة، و الطرق الموصلة إليه فى وسط هذه الغابة واسعة عريضة جدا، و فيها من يقوم بكنسها ورشها من المساء إلى الصباح، كغيرها من الطرق، و فى هذه الغابة مواضع محوطة بقضبان من حديد، امتدادا أو ارتفاعا، و السلك الرقيق ممتد معها فى التربيعات الناشئة من تقاطع قضبان الحديد، و هذه المواضع

مختلفة فى الكبر و الصغر على مقدار/ ۱۱۶/ يناسب الحيوان الذى فيه، و فى هذه المواضع طرق عريضة طولا و عرضا، فحين دخلنا لهذا الجنان وجدنا فى مدخله بيتا فيه أقفاص صغيرة و كبيرة.

فيها أنواع من الطير شتى، و به من هو مكلف بها يأتيها بالحب و الماء فى الوقت المعين. و هى تتوالد هناك، و وجدنا فى بعض الأقفاص طيرين صغيرين أصغر من البرطال بكثير، و هما متلازمان و كلما طار أحدهما يتبعه الآخر، قيل إن هذا دأبهما لا يفترقان أبدا. و عند دخولنا لهذا البيت رأينا عربة يجرها حيوان دون البغل و أكبر من الحمار، و هو على صورة الحمار، و ذاته مخططة بخطوط سود مستديرة ، بينها كذلك خطوط بيض، قيل هو من حمر الوحش، و هو فى غاية ، و أنه قبض من الغابة، و وكل به من يحرسه و يباشره حتى ألف و استأنس، و صار يجر الأكداش، ثم دخلنا لبيت آخر فوجدنا فيه أقفاصا من عود كبير مستديرة، طولها نحو خمسة أذرع، و قطر دورها نحو أربعة/ ۱۱۷/ أذرع، و فى كل قفص طبقات بعضها فوق بعض، فى كل طبقة أبواب صغيرة، مربعة فى محيط القفص، قدر ما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۰

تدخل الدجاجة، و فى كل طبقة دجاج قدر ما تسعه الطبقة. و وجدنا رجلا جالسا بين قنبتين ممسوكتين فى جرارتين فى السقف، و أمامه شىء كالزق مملوء بدقيق مختلط بالماء، و هو يدير هذا القفص، لأنه غير ثابت، فتقابله دجاجة من الطبقة المسامتة ليديه، فتخرج عنقها إليه، فيدخل فى فمها قطيعا من البلار، طوله نحو شبر، و هو متصل بذلك الزق المذكور، بواسطة بينهما كالمصران فتشرب الدجاجة من ذلك السويق بواسطة القطيع ما فيه الكفاية لها. ثم ينزع القطيع من فمها بسرعة، و يدير القفص، فيجد دجاجة أخرى فى الباب الموالى لذلك الباب مخرجة عنقها، فيطعمها كذلك حتى يأتى على جميع الأبواب التى فى ذلك الصف، فإذا أراد أن يطعم الدجاج الذى فى الطبقة التى فوق، أطعم دجاجها،/ ۱۱۸/ يمسك القنبة التى هو جالس عليها بعد ما يفك ما كانت متقفة به، فيرتفع مقعده إلى الطبقة الأخرى، فيطعم ما فيها من الدجاج كذلك، و هكذا حتى يأتى على جميع ما فى ذلك القفص من الدجاج، و ذكر لنا أن الدجاج الذى يدخل لهذا القفص حين تمر عليه ثمانية عشر يوما يصير وزن ذاته ضعف ما كانت عليه حين الدخول لذلك القفص. ثم خرجنا منه أى ذلك البيت، فوجدنا تربيعا كبيرا محوطا بالحديد و السلك كما ذكر، و فيه قرود عديدة صغيرة و كبيرة و هى تطلع و تنزل فى ذلك القفص، على عادتها، و لها فيه بيوت، بعضها فوق بعض من عود، تأوى إليها يلا، ثم فى آخر طيور بلارج المعروف فى بلادنا. و طير البقر و طيور على هيئة بلارج،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۱

و هى أعظم منه بكثير، و لونها رمادى و فيها ألوان أخرى ، ثم طيور النعامة المعروفة عندنا. ثم طيور ريشها كله أحمر. ثم طير النحاف المعروف، و هى طويلة بيضاء، طول عنقها نحو ذراع./ ۱۱۹/ ثم دجاج الماء فى برك من الماء هناك. و طيور فيها ألوان، طويلة الأذناب، تشبه الطاووس، و طيور رمادية اللون، تشبه الدجاج، فوق رؤوسها ريش طويل، و طيور أخر طويلة الأذناب يزيد طول أذنابها على جرم ذات بأزيد من ضعفين ، و فى ريش أذنابها دوائر ملونة خضراء و زرقاء و سوداء كالدوائر التى فى جلد النمر، و من شدة طول أذنابها حتى أنها تجر فى الأرض، ثم الحمام المغربى البرى و غيره، ثم طير الباز. رأينا واحدا منه لا غير، بيد رجل يده مجلدة. و وجدنا فى هذا الطريق ثلاثة أفيال، أصغرها قدر البقر مربوط، و أكبرها أعظم من الجمل بكثير، عليه سرج، و فوقه أربعة راكبون عليه، و هو يمشى بهم، فقربنا منه، فنزل الراكبون عليه، و صعد عليه رجل كان معنا، و نادانى تعال، فاركب معى. فقلت أنتم ألفتموه و ألفكم و نحن لا ألفة بيننا و بينه، ثم حيوان على صورة الغزال، رجلاه أطول من يديه بكثير ، و هو يمشى على رجليه فقط، يقفز كالغراب، و إذا وقف/ ۱۲۰/ يستند على يديه، و مما يستغرب أننا رأينا فى بطنه جرابا من خلقته، و من لها من هذا الحيوان مولود صغير، فحين يرى الآدمى يصعد إلى ذلك الجراب و يتوارى فيه، بحيث لا يبقى يظهر منه إلا رأسه بأسفل بطن أمه، حتى يتخيل لمن يراه بديهة أن ذلك الحيوان له رأسان. ثم الغزال المعروف رأينا منه هناك عددا كبيرا، و يعدو و يجرى فى مكان متسع، محوط بما ذكرناه، ثم البقر

الوحشى، لونه رمادى، ثم جمالا لكل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۲

واحد حدبتان فوق ظهره، بينهما من أعلاهما نحو ذراع. ثم نعامة تجر كروصة، ثم فرسين قصيرى القامة قيل إنه ولدتهما بغلة زرقاء ... ثم اللين فوق رأسه قرون مشتبكة أكبر من العجل، و فى قده أيضا. ثم حيوان بحرى فى صهريج مستدير، ينزل إليه الماء، رأسه كرأس الكلب ، و عنقه أغلظ من عنق الكلب، و ذاته كذات المعز، له ذنب كذنب الحوت،/ ۱۲۱/ الشابل إلا أنه أى الذنب أعظم، بين ريشتى ذنبه ذنب قصير كالأصبع، و بين منتهى عنقه و صدره ريشتان قصيرتان، و لا قشور فى ذاته، بل جلده رطب إلى السواد كلون الفرخ الذى يصطاد من بعض الأودية، رأينا منه فى هذا الصهريج خمسة و هو يسبح فيه و يغوص، فبينما نحن نراه إذ وقف رجل يقابلنا على ظهر الصهريج، و بيده حوت بل كوب فيه حوت رقيق كالحوت البورى، فعندما رآه هذا الحيوان، بعضه صعد فوق تلك اللوحة، و صار يصيح كصياح العجل، و البعض منه طلع على ظهر الصهريج يمشى على ذنبه مع تلك الريشتين حتى وصل إلى ذلك الرجل، فصار تارة يرمى من ذلك الحوت إلى الذى فوق تلك اللوحة فيلتهمه بفيه لا يخطئه غالبا. و إذا أخطأ غاص عليه. و تارة يناول منه بيده للذى طلع/ ۱۲۲/ منه إليه. و العجب من هذا الحيوان أنه يفهم الإشارة من ذلك الرجل الذى يطعمهم، فإذا أشار إلى الذى فوق اللوحة بالإتيان إليه، فينزل منها إلى الماء، و يطلع إليه، و إذا أشار إليه بالنزول ينزل، و يعلو تلك اللوحة.

ثم دخلنا بيتا طويلا مظلما، فى جداره من جهة اليسار صناديق من زاج مملوءة بالماء، و بسببها يرى الضوء فى هذا البيت، و فيها من أنواع الحوت عدد كثير، و فى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۳

الصناديق مع الماء بأسفله صم رقيق، و فى بعضها حجر كأنه طين، و فى بعض الصناديق عكرايشة التى توجد عندنا بساحل البحر، و فى بعضها حيوان ملتصق بالحجر، يوجد بالساحل عندنا أيضا، و ذاته منتشرة، و فيها شىء ناتئ كشوك القنفود، إلا أنه أحمر . فأتى رجل من وراء البيت و نزع لوحة الصندوق و ناول هذا الحيوان ما يأكله بواسطة قضيب طويل، بحيث جعل له ما يقتاته فى رأس ذلك القضيب و أدلاه إليه حتى وصله،/ ۱۲۳/ إلى وسط بطنه، فانكمش عليه، و نزع القضيب لا شىء فيه ثم طعم آخر كذلك، فسبحان الملك الخلاق المنعم الرزاق.

كيف أوصل إلى هذا الحوت ما قدر له من القوت، على يد بعض البشر، حيث ضاق عنه محله المنتشر، فلا إلاه سواه، و لا معبود بالحق إلا الله، و فى بعض الصناديق الحوت البورى، و حوت موسى فى أسفل صندوقه الرملة يغوص فيها، و فى بعض الصناديق الفرخ الذى ذكرناه يلتوى خلال الحجر هناك، ثم حوت قصير أسود اللون له أيد و أرجل يشبه فارة الخيل، و حوت الهند فيه ألوان، فى ذنبه ريش، به استرخاء، و وجدنا بركة ماء فيه حوت واحد طويل، قيل أصله من بلاد الموسكو! و وجد بواد باريس، فقبض و أتى به إلى ذلك المحل، و طوله نحو ذراعين و نصف، فى جرم الشابل، و لونه إلى السواد. و وجدنا قبة مبنية، و مستديرة كالصومعة أو أطول، فيها حمام، قيل إنه الذى يسافر بالرسائل . ثم حيوان كالغزال إلا أنه بلا قرون/ ۱۲۴/ لكن الذكر منه له قرون مشتبكة، ثم قفص كبير محوط بقضبان الحديد و السلك كما ذكر، و فيه كلاب الصيد عديدة، و كل اثنين منها بيتان من عود

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۴

يخصهما، يأويان إليهما ليلا، و بينهما و بين غيرهما حائل من الحديد و السلك، بحيث لا يدخل عليهما غيرهما، و لا يخرجان إلى غيرهما ليلا يعدو بعضهما على بعض. و لها أناس موكلون بها، يدخلون إليها من أبواب تخصهما، و أما الطيور التى تقدم ذكرها، فلكل نوع منها قفص يخصه، فى وسطه خصة صغيرة، قدر طبلة الأتاى الصغيرة، ينبع الماء فيها بقدر يسير، و أما الحيوان الذى يرعى النبات فمرعاه خصب أخضر يانع، لا ينقطع الماء عنه، لأنهم يركبون فى مواضع منه جعبة الطرنبة، قائمة مقدار نصف القامة، و يركبون فى رأسها جعبة حديد، فيها ثقب كثيرة، و الماء يخرج منها، و هى تدور بسرعة ، فينفصل الماء عنها و ينزل ممتدا نزوله منها إلى مكان

بعيد، فنرى/ ۱۲۵/ ذلك الماء ينزل كنزول المطر، فبسببه يكثر النبات هناك، و لا ينقطع، و ذكر لنا أن هذا الجنان أحدث فى ذلك المكان هذه مدة من سبعة عشر عاما. و فيه رجل مسن ذو سمت حسن، هو كبير القوم هناك، و أخبر أنه كان من كبراء الدولة فى أيام نابليون قبل، و أنه الآن أخر من مرتبته و وكل بما و كل به فى هذا الجنان، و طلب من الباشدور أن يتكلم عنه فى ذلك فأجابه بما يسلى خاطره، انظر حال من كان فى رتبة و ساء فيها الأدب كيف أدب بالرد إلى سياسة الدواب. اللهم من علينا بحسن الأدب معك و مع عبادك، و لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين و لا أقل من ذلك، و دبر لنا بأحسن التدبير، و كن لنا وليا و نصيرا، فأنت نعم المولى و نعم النصير. و أما غير هذا من الوحوش كالسباع و غيرها، فقيل أنها فى جنان آخر يخصها أبعد من هذا، فاقتصرنا على ما رأيناه منها فى هذا الجنان حيث لم يبق/ ۱۲۶/ عندنا شك و صار الخبر كالعيان، فلم يسعنا إذ ذاك إلا الرجوع لوطننا الرحيب، و كيف لا و قد كادت الشمس أن تغيب.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۵

بعض أوصاف دور السكة

و فى يوم الاثنين السادس و العشرين من جمادى الأولى المذكور توجهنا إلى دار ضرب السكة ، و حيث وصلنا إليها تلقانا كبراؤها بالفرح و التعظيم فأدخلنا إلى صالة كبيرة وجدنا فيها تنتى عشرة مائدة مصطفة فى براحها، كل مائدة مرفوعة من الأرض نحو نصف القامة على ست أعمدة من عود، و جعل على كل طبقة غطاء مثلث، قاعدته فى وجه الطبلة، و ضلعاه من ورقات الزاج، ممسوكة بين فتقيات من عود، فى كل ضلع ست ورقات زاج تقابلها ست أخر فى الضلع الآخر، و هذه الورقات من الزاج تحتها ورقات من الكاغد الغليظ، فيه دوائر متفاوتة، نزع من هذه الدوائر مقدار من الكاغد من جميع مساحة الدوائر، و وضعت فيها أنواع من/ ۱۲۷/ من السكة القديمة لجميع الأجناس من الذهب و الفضة و النحاس، فصار المأخوذ من الكاغد من مساحة تلك الدوائر بمقدار جرم السكة الموضوعة فيه، فيصير جرم السكة تحيط به مساحة الدائرة التى وضع فيها بعدما نزع منها بقدره الكاغد، و هذه الموائد كلها على هذه الكيفية، و هى محفوظة عندهم ملحوظة غاية. و وجدنا فى بعضها ريالات ثلاثة من الريال ذى شعب أربع المسمى عندنا بالريال المقنت ، من سكة مولانا السلطان سيدى محمد بن عبد الله تغمده الله برحمته و أسكنه بمنه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۶

فسيح الجنان. فى أحدها تاريخ ۱۱۸۹ و فى آخر تاريخ ۱۱۹۰ و فى الثالث تاريخ ۱۱۹۱.

ثم نزلنا إلى محل خدمة السكة، فوجدنا فى موضع منها مكينة عظيمة مثل مكينة البابور بل أعظم بكثير باعتبار ما يدور بسببها من مكينة الخدمة. إذ لكل عاملها مكينة تخصه بالخدمة فى غاية الاجتهاد، الخدمة فى كمال الراحة و الصدق و الانقياد/ ۱۲۸/ و حين دخلنا إلى ذلك المحل الذى فيه المكينة الكبرى دخلنا منه إلى بيت آخر، فيه بيوت النار كبيرة عليها أوانى كبيرة الجرم منصوبة عليها، و النار توقد تحتها، و بيد رجل مغرفة يغرف بها الفضة من تلك الآنية، و يفرغ فى القوالب، فأفرغ بمحضرنا ثلاث غرفات من كل مغرفة، فى ثلاثة قوالب، ثم فتح ألواح القالب، فتساقطت سبائك الفضة، أخذ بعضها بلقاط و أدخله فى آنية ماء، و أخرجها و مسحها فإذا هى سبكة فضة، طولها مقدار ذراع واحد، و عرضها يزيد على عرض الريال بيسير، و غلظها قريب من الأصبع ، و عند فرغ هذه السبابك يأخذها أناس آخرون، فيأتون بها لمكينة أخرى، يدخلون رأس كل سبيكة فى فرجة مربعة على قدرها بل أصغر منها. فتجر هذه السبيكة بالمكينة كما يجر الصواغ السلك فى المزرة فتخرج أرق مما كانت و أطول. و لا يزالون معها بهذا العمل حتى يصير حرفها فى الرقة كحرف الريال، و تطول حينئذ/ ۱۲۹/ و لا تقع زيادة فى عرضها- و الله أعلم- بل تبقى على عرض الريال، فعند ذلك يأخذها آخرون، و يضعونها أمام رجال بين أيديهم مكينات صغيرة خارجة فوق مائدة مبسوطة، مرفوعة بمقدار نصف القامة، و هى أى المكينة الخارجة فوق هذه المائدة، تشبه الزيار، فيقبض الرجل الجالس قبالتها تلك السبيكة التى صارت فى رق الريال، و يدخل

رأسها أسفل المكينة، و يحرك إحدى رجليه، و يصير يدفع هذه السبيكة و يخرجها من أسفل المكينة، فتصير ترتفع و تنزل بسرعة على السبيكة، و كلما نزلت عليها ارتفعت عنها ينفصل منها ريال مستدير، و تبقى تلك السبيكة فيها دوائر الريال الذى سقط منها، فترد إلى النار و عند خدمة هذه المكينة فتحت مجانة كانت عندى، و رصدت مقدار ما تقطعه هذه المكينة من الريال، فوجدتها قطعت خمسة عشر ريالا فى ربع دقيقة. و هناك رجال

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۷

متعددون، هذا عملهم. و عند خدمة تلك المكينة نرى الريال/ ۱۳۰/ يتساقط من أسفلها متواليا بسرعة كما بيناه. و هذا الريال الذى يتساقط ليس فيه حينئذ نقش و لا طابع، و لا بحرفه شىء. ثم يجمع هذا الذى يتساقط و يوضع فى أيدى رجال آخرين يجعلونه فى جعبة على قدره، بل هو أكبر و يخدم المكينة فيتساقط من أسفلها و قد أخذت من دائرة حرفه شيئا يسيرا، كأن لا عبرة فيه فى رأس العين، قبل مروره فى هذا المكينة. و هذه المكينة تصفى حرفه، و تتركه متساويا فى الوزن، ثم يجمع و لا شىء فيه من النقش، و يوضع فى وسط زنبيل كبير، طوله نحو ذراعين، و قطره نحو نصف ذراع. و فيه ثقب كثيرة، فإذا ملئ هذا الزنبيل أو قرب ملؤه يسد و يرفع بين حافتى صندوق. و يخدم المكينة فتراه يدور كما يدور الراقد الذى على بئر السانية. إلا أنه أى الزنبيل أسرع دورانا منه، و بدورانه يدخل إليه ماء من ذلك الماء المملوء به للصندوق، فترى الماء يضطرب فى الزنبيل بين الريال، و ذلك/ ۱۳۱/ الماء مشوب- و الله أعلم- بما تشبب به الفضة و يبيضها، فيتركه يدور فى ذلك الصهريج نحو دقيقة مجانية أو أزيد بقليل، ثم ينزعه و يفتحه و يفرغه، فيخرج الريال أبيض فيجف و يمسح و يدفع لصاحب الطابع، و هو بين يديه مكينة، و هى دور من حديد كدور السانية، مرفوع من وسطه على قطعة حديد طويلة مستديرة، يدير بها و شك محفور فيها، فيأخذ الريال واحدا بعد واحد و يضعه على طرف من حديد بارز قدامه، و يحرك المكينة بين دفتى ذلك الدور نازلا يدور كدوران الرحى حتى ينزل ذلك الدور بقوته بطرف القطعة التى فى وسطه على الريال، و يضربه ضربة واحدة، ثم يحرك المكينة فيصعد الدور مرتفعا، فيرفع الريال و قد نقش من وجهين، ثم يأخذ من بين يديه، و يوضع فى جعبة مكينة أخرى على قدر دوره، و يملأ تلك الجعبة ريالا، و يحرك المكينة فيأخذ يتساقط من أسفلها واحدا بعد/ ۱۳۱۲/ بعد واحد و كلما سقط واحد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۸

من تلك الجعبة تخطفه حديدة أخرى رأسها مستدير، بقدر نصف دور الريال، و تجذبه إلى محل آخر، فيسقط فى داخل ثقبة هناك، و ينزل إلى الطرف الموضوع لجمعه، فيخرج عنده و قد رقم فى حرفه ما يرقم فى حرف الريال من حروفهم. و بهذا يتم عمله.

و لم نر فى ذلك الوقت خدمة اللويز ، لكن رأينا أناسا يخدمون من النحاس على قدر اللويز، و خدمته كخدمة الريال، لا فرق. و الله أعلم. و وجدنا رجلين قدامها أوانى مملوءة لويزا ذهبا، و آنية أخرى كالصقعة فيوسطها صم، و هو يأخذ اللويز من ذلك الطرف، و يرمى به واحدا بعد واحد على ذلك الصم، فإذا وجد واحدا طنينه ناقص على طنين الذهب المعهود يجعله فى مكان وحده و ذلك إما لتشعير به أو شبهه، قيل إنه يرجع إلى محل تدويب الذهب، و هذا اللويز الذى يقلبه هؤلاء، و يعزلون/ ۱۳۳/ الجيد منه لا يكتفى بهذا التقليب، بل يجمع هذا الجيد و يوزن فى مكينة أخرى حيرت منا الأدهان، و صار كل واحد منا كالحيوان الولهان، و هى فى غاية اللطافة و الظرافة و النظافة أجزائها من صغر لطيفة، و صورة ما شاهدته منها أنهم اتخذوا طبلة مربعة من عود- و الله أعلم- قائمة على أربعة أرجل أزيد من نصف قامة الإنسان، و فى وسطها ناعورة من صفر، فى حرفها مسمار بل مسامير ناتئة منه، بعضها صغير طوله قدر حرف اللويز، و هى فى صف واحد بل صفوف محيطة بحرف الناعورة، و المسامير الأخرى أطول من الصغيرة بيسير. و تحت الناعورة صندوق مربع من صفر، لكن شكله كقطعة دائرة رأسه الذى أسفل الناعورة لا يرى و هو- و الله أعلم- رقيق قدره ما يخرج منه خمسة من اللويز، مصطفة مبسوطة من اليمين إلى اليسار، و طرف الصندوق الآخر مرتفع منفرج، فيوتى باللويز، فيوضع/ ۱۳۴/ فى المحل المنفرج من الصندوق المرتفع، فتلقاه الناعورة و مساميرها، لأن حرف الناعورة فيه ستة صفوف من المسامير الطويلة، بين كل صفين

منه قدر قطر اللويز، و بين كل صفين من هذه الصفوف صفوف المسامير الصغيرة، و قد ظهرت لى علة ذلك- و الله أعلم- كما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۸۹

سأصفه لك بحول الله. و ذلك أنهم حيث يفرغون اللويز فى المحل المذكور، ليرجع للمكينة، فترى الناعورة تدور بالمسامير الطوال، بدورانها تحرك اللويز و تدفعه قدامها لينحدر اللويز شيئا فشيئا و كلما وصل إلى محل أضيق من الذى كان فيه، تحركه المسامير الطوال حتى يصل إلى المحل الذى تماس فيه رؤوس المسامير الكبيرة لوحة الصندوق السفلى. فعند ذلك تكون رؤوس المسامير الطويلة مماسة كلها للوحة الصندوق، و حيث تكون على هذه الكيفية تكون تلك المسامير الصغيرة التى بين الكبيرة و بين رؤوسها و بين/ ۱۳۵/ اللوحة التى ينزل عليها اللويز مصطفا كما ذكر، مقدار حرفه فى العلو. فإذا نزلت هذه الخمسة من اللويز مصطفة كما ذكر للعلة التى بينا، تأتى لوحة أخرى من رصاص أو شبهه رقيقة كرقة اللويز، عرضها مثل عرض خمسة من اللويز. و حرفها فيه أنصاف دوائر مثل أنصاف دوائر جرم اللويز، فيدخل كل لويز منها فى نصف دائرة من أنصاف دوائر حروفها و ترفعها بلطافة إلى صنجيات صغيرات قدر اللويز، كل واحدة ممسوكة وحدها، و هى مصطفة فينزل كل لويز فى كل صنجة، فتقف هنيئة، ثم تنحدر إلى أسفل، فيتساقط منها اللويز و ينزل منحجبا عنا، و تخرج الخمسة من اللويز من مخارج ثلاثة، كل مخرج تحته آنية، فالآنية الوسطى لا ينزل فيها إلا المعتدل الذى صفا وزنه، و لا زيادة فيه و لا نقصان، و لو كان هذا المعتدل فى أحد الصفين الطرفين و الآنيتان الأخريان، لا ينزل فى أحدهما إلا الناقص الوزن، و لو/ ۱۳۶/ كان فى الجهة المقابلة للآنية التى ينزل فيها الخفيف و الأخرى لا ينزل فيها إلا الخفيف و لو كان مقابلا للآنية التى ينزل فيها الناقص أو المعتدل، و هنا تعجبت عقول الحاضرين من ذلك، و هناك مكينتان أخريان لكن يوضع فى كل واحدة منهما اللويز فى جعبة على قدر دائرة جرمه، فيخرج من أسفلها إلى صنجة واحدة، ثم يسقط منها فينزل فى إحدى الأوانى الثلاث، المعتدل فى آنية و غير المعتدل فى محلين ، ذو ذكر أنه يطبع فيها فى كل يوم ثمانمائة ألف ريال منها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۰

مائتان ألف ريال لجنس الفرنصيص و باقيها لأجناس أخرى هناك، و يدفعون عنه وظيفا للمخزنذ. و كان هذا آخر ما رأينا بهذه الدار.

دار المطبعة

و فى يوم الثلاثاء السابع و العشرين من جمادى الأولى المذكور خرجنا لدار المطبعة فدخلنا لبيت منها وجدنا فى وسطه تأليف الإمام سيدى خليل بخط المطبعة بالعربى، و القاموس . لكنه مميز بخطهم، و هذا البيت مربع يحيط به

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۱

خزانات عديدة، قيل إن جميع الخطوط التى تقدمت فى سالف الدهر، مع الموجود منها اليوم، كلها مقيدة محفوظة هناك حتى الخط السريانى، و سموا لنا خطوطا كثيرة ما سمعتها قط، و عددت هناك ما يزيد على العشرين خطا، فما استوعبت نصفها.

و خرجت تابعا لأصحابنا، فدخلنا لدار المطبعة، و هى دار عظيمة فى أسفلها طرق كثيرة يوصل بعضها إلى/ ۱۳۷/ بعض، و الداخل إليها وحده ممن لا خبرة له بها إذا توسطها لا أظنه يهتدى إلى طريق الخروج منها، لشدة كبرها. و مع ذلك فهى مقبية بالزاج فى غاية النظافة، لا ترى فيها غبراء و لا بها شيئا يستقدر، و فى هذه الطبقة السفلى أناس كثيرون، بيدهم الألواح، و أمامهم الحروف فى صناديقها، و هم يركبون الحروف فى الألواح و يصففونها فى سطور و يجعلون بين كل سطرين فتقية حديد تمسك الحروف، هذا شغل هؤلاء الناس، و هناك آخرون، و هم قليلون، بين أيديهم رزم من الكاغد الأبيض يضعونه فى صهريج ماء و يخرجونه ليصير قابلا لطبع الحروف فيه، و هناك مكينة حديد عظيمة، بها تتحرك جميع المكينات التى فى الطبقات، ثم صعدنا الطبقة الثانية، فوجدنا فيها الأناس المشتغلين بالطبع فمنها مطبعة الحجر، لكن لم نجد واحدا منهم يطبع بها، و إنما هناك أناس مشتغلون بنقش الحروف فى الحجر و هو حجر صلب أظنه رخاما - و الله أعلم-، و منها ألواح كبيرة على قدر صفحة الكاغد الكبيرة، يأخذ رجلان الصفحة و

يضعانها عليها و ينزلان فوقها، لوحة حديد على قدرها، و يدفعها المقابل للمكينة فتنزل عليها بلطافة و ترتفع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۲

فيقربها/ ۱۳۸/ إليه ذلك المقابل لها، و يفك تلك اللوحة التى فوق الصفحة و ينزعها فتخرج مكتوبة كلها لا نقص فيها، ثم يرفع الآخر طرفا من عود- و الله أعلم- مستدير، طوله كعرض صفحة الكاغد، و له يدان بطرفين خارجتين، و هو مبطن بشىء لين، و يمر به على المداد الذى فوق رخامة أخرى أمامه، و يمر به فوق الحروف، ثم توضع صفحة أخرى فوق لوحة الحروف و هكذا كما تقدم ، و كلما طبعت صفحة يقبلها آخر من الخدمة و يضعها فوق أخرى و الخدمة هناك على هذه الكيفية كثيرون.

و منهم خدمة آخرون يطبعون بالكيفية الأخرى، و الفرق بينهما و بين الأخرى أن هذه لوحة حروفها قائمة قبالته فحين يوضع عليها الصفحة، و تشد تنحدر قدامه، كأنها تريد النزول، فتلقاها المكينة، من أسفلها و من فوقها بلطافة، ثم ترسلها فترجع إلى الذى هو مقابل لها، فينزع هذه الصفحة مطبوعة كلها، و أما الأولى فإن لوحة الحروف مبسوطة أمام المقابلين كما تقدم، و هناك مطبعة على كيفية أخرى ، و ذلك أنهم اتخذوا حرفا من حديد مستديرا، طوله كعرض الصفحة التى تطبع فيه، و محيط دائرته/ ۱۳۹/، بقدر طول السطور التى تكتب فى تلك الصفحة، و بأسفله جرم آخر مثله طولا- و عرضا، و هما متساميتان، أعنى أحدهما فوق الآخر، بينهما من الفضاء مقدار حرف الكاغد الذى يطبع بهما. و هذان الجرمان سطحهما مغروز بالحروف كسطح لولب الموسيقا المعروف بمسامير خدمتها، و هما يدوران فيوضع رأس الصفحة بين ذلك الجرمين، فيجذبانه إليهما، فتراها خارجة من الجهة الأخرى بسرعة مطبوعة من كلتا الجهتين، فيمسكها آخر واقف هناك، فلا ينزل ورقة على أخرى إلا و يرفع ذانك الجرمان صفحة أخرى مطبوعة، و هذا شغله لا راحة له لسير

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۳

تلك الخدمة، و الخدمة هناك كثيرون هذا عملهم بسبب تعدد المكينات، ثم صعدنا طبقة أخرى فوجدنا فيها نواعير تدور، كل ناعورتين تدوران على رابط بينهما كالحائط، يدور عليهما منشور و تدور بدورانه صفحات الكاغد المكتوبة، بل المطبوعة.

قيل إن بدورانها يصفيها الهواء فيتم يبسها، و لعلها أن بمرور الصفحة بين الناعورة و الحديد ترتدع الحروف التى تكون بارزة فى الكاغد، و تنبسط، ثم يصيبها الهواء، و بمرورها يقبضها خدمة آخرون، فيدفعونها/ ۱۴۰/ لنسوة فيشتغلن بطيها و يضعنها بعضها فوق بعض على حسب تواليها و تتابعها. و هناك نسوة أخر يفصلن الورقات، و يضعن كل ورقة فوق أخرى على حسب تتابعها أيضا، ثم صعدنا طبقة أخرى فوجدنا فيها نسوة يخدمن الكتب بالمكينات، بحيث يجعلن حروف الكتاب أسفل حديدة و يرسلها عليه فتمر عليه بسرعة، فتأخذ منه قدرا، و تترك ذلك الحرف فى غاية الاستواء.

و فى الطبقة التى فوق هذه المسفرون ، و الكتب موضوعة أمامهم مصطفة من الأرض إلى السقف، ممتدة مع طول هذه الطبقة. فمنهم من هو مشتغل بوضع التذهيب فى ألواح الأسفار، و منهم من هو مشتغل بخياطة الكتب، و سئل عن عدد الخدمة الذين بهذه الدار، فقيل ثنتا مائة خدام، بين رجال و نساء، و هذه الكتب تفرق فى سائر الأقاليم، و يطبع فى هذه الدار بجميع الأقلام الموجودة فى الوقت عدا القلم العربى ، فلم نر مطبعته هناك، و إن كانت موجودة هناك فلم نصادف وقت الطبع بها، و لعله لقلة طالبها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۴

دار الكتب المطبوعة

و فى يوم الأربعاء توجهنا للدار التى/ ۱۴۱/ فيها الكتب المطبوعة فوجدناها فى الكبر مثل دار المطبعة أو تقرب منها، و هى مع عظمتها و كبرها مقبية بالزاج، لا تدخلها غبراء، و هى فى غاية النظافة و المحافظة. و فيها طبقات بعضها فوق بعض، و سقف هذه الطبقات أشراك من حديد لنفاذ الهواء فيها من الأسفل إلى الأعلى.

و يرتقون للطبقة العليا فى معارج عديدة هناك من حديد، و هناك أناس قائمون بأمر كتبهم، لأننا وجدنا فى بعض الطبقات أناسا مشتغلين بالمطالعة ، فمتى احتاج أحدهم كتابا يأخذه من القيمين هناك، فيقتضى منه غرضه هناك، و لا يخرجه بل عند خروجه يرده له. و القائمون بالكتب الذين فى الطبقة العليا عندهم هناك ظرف كالكوب، يمسك بقنبة طويلة من يده و يرسله إلى أسفل، بين مخازين الكتب، فتراه كأنه نازل فى بئر، فيضع الذين كانوا يطالعون فيه الكتب التى كانت عندهم فى وقت واحد و يخرجون، ثم يصعد ذلك الكوب إلى الطبقة التى يريد القيم وقوفه بها، فيقف فيرد الكتب التى فيه لمواضعها، و ذكر لنا أن هذه الدار عندها من الكتب العربية القديمة ألفا كتاب، و إنما أوتى لنا منها بمصحف/ ۱۴۲/ من القرءان العظيم،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۵

بقلم كوفى ، و طوله نحو ذراع و ربع، و عرضه يقرب من ذراع، و آخر يقرب منه كذلك، ثم أوتى لنا بمصحف بخط من خطوط الجزيرة، و بآخر صغير جدا، عرضه نحو أصبعين، و طوله كطول السبابة، بحروف دقيقة متداخلة، و وجدنا هناك سفرا كبيرا، مثل المصحف الأول، فى ترجمته هذه المقالة الأولى من كتاب أرسطاليس ، و هو سفر ضخم، ثم سفر الإحاطة فى أخبار غرناطة بقلم مشرقى، و طلبنا منهم أن يدفعوا لنا تقييدا بما عندهم من كتب العربية فوعدوا به، و لم يكن وفاء بهذا الوعد، و ذكر أن بتلك الدار من كتبهم مليونين اثنين من عدد الكتب الخاصة بهم.

بعض صفات دار الفرجات

و فى بعض الليالى السالفة لنا فى باريز كان كبراء الدولة يتخذون لنا المواضع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۶

الخاصة، المنتخبة بديار الفرجات عندهم، المسماة عندهم بديار الطياطرو . و يرون ذلك من وجوه المبرات بنا و الإكرام لنا، فكنا نتوجه إليها مساعدة، و هى ذات أشكال بديعة مشتملة على قبب رفيعة، مرفوعة على سوار من رخام، فى وسطها ثريات تشغل بالغاز مع لانبات منه / ۱۴۳/ فى أماكن محيطة بداخل الدار، و من العجب أنهم إذا أرادوا إطفاء الثريات و غيرها من جميع الضوء الذى فى الدار، فيدار لولب واحد فتنطفئ كلها دفعة واحدة، و أحسن ما يبين هنا من هذه الفرجات أن عند أرباب بعض هذه الديار حيلا معلمة، تعلم اصطلاح نقر طنبور العسكر و موسيقاه، و عددها ثمانية، تخرج إلى وسط الدار فمهما تكلم الطنابرى الذى هناك مع صاحب الموسيقا بشىء تجيبه العسكر من الآدمى، فتراهما فى بعض الأوقات تقبل واحدا بعد واحد مع تتابع أيديها و أرجلها فى الخطى، و حيث يتغير نقر الطنبور و الموسيقا تراها تصطف و تقبل فى صف واحد، و تارة يدور بعضها على بعض كما يفعله العسكر فى بعض الأوقات، و تارة ترفع أيديها و تقف على أرجلها، و تقبل فى صف واحد، ثم ترجع إلى مرابطها عندما يؤذن لها بذلك. و فى بعض الأوقات خرج منها فرس واحد مسرج و تبعه صبى صغير السن نحيف الجسم لا أظن سنه يبلغ ثمانية أعوام، و هو عارى الجسد عدا عورته مستورة فعمد إلى ذلك الفرس و قفز قفزة واحدة، فإذا به فوق ظهره، فصار الفرس يعدو به دائرا مع محيط الدار/ ۱۴۴/ حتى دار به نحو ثلاث مرات، ثم قفز فوق ظهره فإذا به واقف، فصار ينقلب فوقه، تارة أمامه، و تارة وراءه، و تارة تراه يرقص فوق الفرس، و تارة تراه فى حال قيامه مائلا إلى جهة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۷

البراح، فيكون بين قدميه و ظهر الفرس زاوية منفرجة، و تارة ينصبون فى وسط هذه الدار عصا قائمة و يربطون فى رأسها أطراف ثياب طويلة كالعمائم عندنا، و يمدونها من العصا إلى محيط الدار، و عددها أربعة، كل عمامة فى ربع، فيصير الفرس يجرى تحتها، و هذا الولد يقفز عليها عند وصوله إليها، و هو مع ذلك بين كل عمامتين إما ينقلب أماما أو وراء على ظهر الفرس، أو يرقص مع شدة قرب ما بين العمامتين، و كأنه يفعل ذلك على شىء لا يتحرك، و تارة يقف أناس آخرون بين هذه العمائم، و يمسك كل واحد منهم قضيبا مستديرا، قطر دائرته نحو ذراعين و نصف، و اتخذت ورقة كبيرة من كاغد رقيق أرق من العنكبوت./ ۱۴۵/ و وضع هذا

المستدير عليها و مسكت عليه، و جعل فى هذه الدوائر، فى كل واحدة منها يد خارجة عنها من عود أو حديد، فيقف أربعة رجال بين تلك العمائم، كل واحد ماسك لتلك الدائرة المجلدة بذلك الكاغد، فيأخذ الفرس فى جريه مع محيط الدار و الصبى واقف على ظهره، فإذا عارضته العمامة قفز فوقها، و إذا لقيته تلك الدائرة المجلدة قفز و خرقها برأسه، و يتمزق ذلك الكاغد، و يخرج منه منقلبا، و يأتى واقفا على ظهر الفرس، فتلقاه العمامة الثانية فيقفز فوقها، ثم الدائرة المجلدة ثانيا فيخرقها كما ذكر، و يصير واقفا على ظهر الفرس، و هكذا حتى يخرق الدوائر الأربع، و يقفز على العمائم الأربع فى دورة واحدة، و تراه فى هذه الحالة كالبرطال، لا يكاد يثبت على ظهر الفرس، لأنه كلما استوى عليه تعرض له العمامة أو الدائرة. و هذا يكاد أن يستغربه السامع لكنى تأملت فى أحوال الماسكين للعمائم مع تلك الدوائر، فرأيتهم يرتكبون ما يسهل/ ۱۴۶/ العمل على ذلك الصبى، لأنه إذا وصل إلى صاحب العمامة يرخيها يسيرا من يده حتى تقرب من سرج الفرس، فيسهل عليه القفز عليها، و كذلك صاحب الدائرة المجلدة بالكاغد، إذا وصل إليها ترى الماسك لها كأنه يضرب رأس ذلك الصبى بالكاغد المجلد بها تلك الدائرة، و فى وسطه تمزيق يسير، و ذلك كله تسهيل لخرق الصبى ذلك الكاغد و الخروج منه بسرعة، عند الوصول إليه، و ليس فى ذلك كبير مزية، بل ذلك كله من قبيل الرياضات و الممارسة، و النشأة فى ذلك من حال

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۸

الصغر حيث يعتاد ذلك و يصير ذلك لمتعاطيه طبيعة و عادة. نعم، لو كان كل فرد منهم كبيرا و صغيرا يفعلون ذلك لكانت لهم به مزية و خصوصية، و لكنه فى أفراد نادرة قليلة جدا. كما يوجد عندنا فى بعض الأفراد الذين يركبون الخيل، فإنهم يقفون عليها و يلتفتون إلى الوراء يخرجون البارود، و منهم من يدور على بطن الفرس، و منهم من يرفع/ ۱۴۷/ شيئا من الأرض توضع له، كالعمامة توضع له على الأرض ممتدة على طولها، فيأخذها من طرفيها معا إلى غير ذلك من الأعمال التى يتعجب منها. و لا يأخذون عن ذلك أجرة، و لا لهم عنه وظيف ، بخلاف هؤلاء فإن لهم فيه تجارة كبيرة و صائرا عظيما. و لو كان الفرسان المسلمين جعل عن ذلك لشوهد منهم العجب الكبير، و لكن الشجاعة الغريزية هى التى تحمل بعضهم على استعمال ذلك. و هذه الرياضة الموصلة إلى هذه الخفة علق بذهنى أن ابن خلدون تكلم عليها فى المقدمة، و أنها من قبيل المدارك التى يدركها الإنسان بالتدريج و الرياضة ، حتى إن بعض أصحاب الرياضة من ذلك يمشون على الحبل الرقيق المنصوب فى الهواء، و لا يخشى سقوطا، كأنه يمشى على الأرض، و تنفى عنه مادة و هم السقوط، فلا يبقى بخياله شىء من توهّم السقوط، ذكر ذلك- و الله أعلم- فى الكلام على الوهم و أثره فى الإنسان، فراجعه إن شئت ، و منهم رجال يقف بعضهم فوق بعض، و ينقلبون إلى وراء و أمام، كما يفعله بقربنا أولاد سيدى/ ۱۴۸/ أحمد و موسى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۱۹۹

- نفع الله به- و أما ما يفعله بعمل السيمياء المسماة عندنا بخنقاطرة فأمرها مسلم مغرز مشهور .

رأينا من ذلك فى بعض الديار ما سأذكره، و ذلك أنهم يرسلون سترا بأحد أرباع الدار، يصير حاجزا بين جميع من فى الدار الذين أتوا للفرجة، و بين محل اللعب، حتى يتناولوا العمل الذى يريدون ظهوره، فإذا فرغوا من تهيئه يرفعون الستر، فترى ذلك المحل المتخذ للعب قد انبسط و امتد غاية، حتى ترى منه دائرة الأفق كأن بها بحرا فيه سفن كبيرة، و الفلك محيط بالبحر، و فيه سحب حمر و غيرها، و تارة حين يرفعون الستر ترى جبالا شاهقة، و تارة ترى أشجارا عظيمة كأشجار الغابة، فيخرج عند ذلك من كهوف الجبال رجال لابسون لباس العسكر، لابسون السلاح و يأتون معه مصطفين صفا بعد صف، و كل فرقة منهم تباين الأخرى فى الزى و اللباس. و هم يحكون بذلك محاربة أهل الهند لهم، و ليس هذا العسكر من قبيل السيميا/ ۱۴۹/ بل ذلك حقيقة من تمام فرجتهم و تارة حين يرفع الستر تجد بابور النار حقيقة لا سيميا مارا، و صاحب الصفارة يصيح بها، و هو يجر عربات و كل ذلك معد عندهم بهذه الدار بقصد الفرجة، و عند مرور العربات يخرج الناس من كهوف تلك الجبال و يأتون إلى العربة الأخيرة، يفصلونها من العربية التى تجرها،

فيسافر البابور و تبقى تلك العربة بأيديهم، فيأخذون منها ما شاءوا، و تارة يكون بها أناس كالمسافرين، فيخرجون إليهم منها فيخرجون فيهم كوابيس البارود خروجا حقيقيا، لكنه لا يصيب

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۰

الذين خرجوا من الكهوف، لكنهم عند خروج البارود تراهم يتساقطون على الأرض، و كأنهم أصابهم البارود و ماتوا به، فلا ترى أحدا منهم يتحرك، فعند ذلك يرسلون ذلك الستر، و يشرعون فى أعمال أخر لا حاجة إلى ذكرها، و مع هذا حين لعبهم يكون أصحاب الموسيقا مشتغلين بها، و عددهم أظنه يزيد على المائة، و لم أدر هل كل واحد منهم بيده آلة / ۱۵۰/ مغايرة لغيرها، أو تتعدد آلة الطرب عندهم، و هذه الديار متعددة فى باريز، فى كل حومة منها عدد كثير و مبدأ الفرجة عندهم من الغروب و كان عنهم فى الوقت الذى كنا فيه يزيد على الساعة الثامنة بخمس دقائق ، و هى الغاية عندهم، و تمتد الفرجة إلى ثلاث سوائع أو أربع أو أقل.

صفة طرق باريس و أحوال الخدمة

و أما طرق هذه المدينة فيبيت الضوء مشعولا فى فناراتها المنصوبة فى الطرق إلى الشروق. و أما الخدمة أصحاب الأكداش الذين يحملون السلع من البابورات إلى المدينة، و ينقلون السلع منها إلى البابورات، فلا تفتر خدمتهم ليلا و لا نهارا، و إنما تقل الخدمة قرب الفجر لا- غير. و أما فى وسط النهار و منتصف الليل، فتراهم بين غاد و رائح، كأن الحرب مشتعلة بينهم و كل يجرى حسب جهده و طاقته، و إذا نظرت إلى الطرق من الأعلى ترى كأن المحلة دخلت البلاد، و بعضهم يجرى على بعض، و عند

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۱

تزاحم الأكداش تسمع لمرورها صوتا هائلا كالبحر عند هيجانه، أو صوت الرعد.

و عند مرورنا فى الأكداش بينهم إذا لم تتكلم بغاية جهدك مع الجالس معك لا يسمعك نطقا، و مع هذا كله، فالمكلفون بتنظيف الطرق بالكنس و الرش قائمون بذلك ليلا و نهارا لا يفترون، فأصحاب الرش يركبون الطرنبات فى تفجيرة مع رديف الطريق، و هى أى الطرنبة جعبة طويلة، بل جعبات طويلة، و كل واحدة نحو خمسة أذرع، و يوصل بين كل جعبتين بجعبة من الجلد. و يجعل عند الملتقى جرارتين كأنهما رجلان، تمشى عليها الطرنبة، و الماء يخرج من فم الطرنبة فينصب على الطريق مقدار عشرة أذرع طولا و قربها عرضا، ففى المدة القريبة تراه يرش سطحها/ ۱۵۱/ عظيما، و إذا لقيته أكداش ينقص من طول رمى الماء ليلا يصيب منه المارين. و تجد وراء هذا الذى يرش بهذه الطرنبة رجلا آخر بيده طرنبة أخرى تابعا له يرش المواضع التى أخذت فى الجفاف و اليبس، و آخرون وراءه على هذه الكيفية، و الطرق كلها هكذا. و إذا نزل المطر- و نزوله كثير عندهم- لا يبقى من مائه شىء بوسط الطرق، لأنها محدبة فينحدر الماء إلى الرديفين يمينا و يسارا، فيأتى أناس كل واحد بيده

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۲

شطابتان من شعر على هيئة الشيطة التى يمسح بها الملف، و هما أكبر بكثير، و يجعل كل واحد برأس عصا و يدفع بهما الماء و هما منصوبتان أحدهما بجنب الأخرى طولا- فترى الماء يجرى قدامه، و إذا كان كبيرا و خرج منه شىء و بقى وراءه يتبعه آخر يدفعه بشطابتين كذلك، و لم أدر هل يوصله إلى مصرف خاص به أو إلى غير ذلك، و إذا ارتفع المطر و أخذت الأرض فى الجفاف يرجعون إلى الرش و التنظيف فى يوم واحد مرة أو مرارا، و هذا دأب هؤلاء ليلا و نهارا. و قيل لى ذات يوم إن الذباب لا يوجد فى مدينة باريز، فقلت له و هل يتركون له شيئا من القاذورات التى ينزل عليها، مع أن براح ديارهم و غالب أسواقهم مقبية بالزاج، ثم تتبعت ذلك فلم أر شيئا منه فى الدار التى كنا فيها، و لا فى محل الطبخ، و لا فى الزقاق، مع أن الوقت فى نهاية الحرارة، عدا يوما واحدا رأيت فيه ذبابة واحدة فى حانوت جزار، ما أنظفها و ما أظرفها، و براحها كالكاغد المورق بالألوان، و اللحم الذى يباع فيها يابس لا شىء فيه من البلل، و حين نقله من محل/ ۱۵۲/ الذبح إلى الحوانيت يجعل فى الخناشى كالسراويل، محافظة على النظافة، و

الحوانيت التى يباع فيها اللحم، رأينا فى حومة واحدة فندقا عظيما مربعا فى طول ربعه أزيد من مائتى خطوة، و له أبواب كثيرة فى كل ربع. و يقابله فندق آخر مثله لبيع اللحم أيضا، و ما عرفنا فيها شيئا من النعم المأكولات و المشروبات لأن كبير الدار التى كنا نازلين بها، مأمور بأن يأتى إلينا بجميع ما نطلبه منه من ذلك. و أصحابنا الذين فى المطبخة يذبحون كل يوم شاة من الضأن و يوتى لهم بالدجاج كل يوم و الحوت، و ما يحتاجونه من الإدام، و يوتى لنا فى كل صباح بالقهوة و الحليب و الزبدة و غير ذلك من الأشربة، كشراب اللوز و شراب أحمر قان يضاف مع الماء بنحو الثلثين منه و الثلث من الماء، و حضر هذا الشراب ذات يوم، فحين تناولت منه قيل لى سيقال للقاضى إنك تشرب معنا هذا الشراب، فقلت أو ليس فيه من بأس أو يشمله شىء من الالتباس، و تذكرت قول القائل:

فعندى ميزان يفرق بينهاو بين ذوات السكر لست بزاهق

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۳

و قلت فى ذلك ارتجالا :

كؤوس الصفا دارت من بين الأحبةفهمت لها شوقا لتفريج علتى

نهانى عنها لائم متداعباأخ لى نصيح صادق فى الأخوة

/ ۱۵۳/ و أوعدنى أنى إذا ما شربتهايوضح للقاضى النزيه ضلالتى

فقلت: و كيف الصبر و هى من وصفهايسلّى بها قلب الكئيب بنظرة

فخذها جهارا لا تراقب من الوريقضاءة. و لا شيئا فأنت فى ذمتى

فأمل الأوانى منها فهى مباحةو لى أذن صماء عن ذى ملامة

و هذا الشراب قيل إنه يتخذ عندهم من ثمار يشبه ساسنوا الذى بالغرب عندنا، و يضيفون له شيئا من السكر، و لم أر فرقا بينه و بين الماء الصرف إلا فى الحلاوة و شدة الاحمرار لا غير.

و فى يوم الخميس التاسع و العشرين ، قدم ولد باشدور أنجليز بطنجة علينا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۴

لباريس، ففرحنا لقدومه لأن والده المذكور، كان وعد بأن يرسله معنا لدولتهم الفخيمة، بقصد أن يترجم هناك، و هو رجل ذو عقل و مروءة، و ذو سمت حسن، فتلاقى بالباشدور صاحب السر المذكور، و سر بقدومه سرورا كبيرا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۵

الجزء الثالث

الإكرام الذى وجهته الدولة للباشدور و أصحابه

و فى يوم الجمعة متمه ، و جهت الدولة الفرنصوية للباشدور المذكور الإكرام لسيادته و كذلك للأمين و كاتبه، و للمخازنية الخمسة الذين معنا، كل واحد بما يناسب مرتبته فتلقى ذلك منهم بالقبول و السرور، و جازيناهم بالشكر و القول المبرور، فعند ذلك كتب الباشدور المذكور لوزير الأمور البرانية بهذه الدولة، يعلمه بأنه عزم على النهوض و السفر إلى دولتى بلجيق، و أنجلترا فى يوم/ ۱۵۴/ الاثنين، ثالث جمادى الأخيرة و يطلب منه التسريح للسفر و المساعدة على ذلك،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۶

فأجيب إلى هذا المطلب فأخذ يتهيأ للسفر إلى مدينة ابروكصيلا، و هى دار الملك عند جنس بلجيق لأن سلطان هذا الجنس حين سمع بخروج الباشدور المذكور، لبعض الأجناس دونه مع أنه مكتنف بينهم، اقتضت محبته القديمة أن طلب من الحضرة العالية بالله

بواسطة بعض نوابه المرور عليه، و الدخول لبلدته المذكورة، بقصد النزول و الاستراحة و الضيافة و كمال الراحة، فأجابته أدام الله عزها- إلى قصده، و أذنت بالدخول إليه، و المقام فى بلده.

الخروج من باريس إلى جنس البلجيق و ما رأيناه فى بعض مدنهم

و فى يوم الاثنين المذكور و جهت لنا الدولة الفرنصوية الأكداش المخزنية بقصد الركوب فيها إلى السكة الموصلة لمدينة بلجيق المذكورة، فركب كل منا فى تلك الأكداش و ركب مع الباشدور المذكور فى كدشه ترجمان هذه الدولة، بقصد وداعه و تشييعه، حتى يوصله إلى حكومة جنس البلجيق، و هو الذى كان طلع للبابور لملاقاته حين وصلنا لمرسيلية. و من الأكداش ركبنا فى عربية منتخبة من عربات سكة البابور، و كان ابتداء السفر فى الساعة السابعة و زيادة ثلث/ ۱۵۵/ ساعة أخرى من الثامنة، و هذه الطريق من باريس إلى مدينة جنس بلجيق هى كالطريق التى تقدم وصفها من مرسيلية إلى باريس فى المزارع التى فيها و البساتين و الأنهار و القرى و المدن و الأشجار، و كان البابور كلما وصل إلى مدينة له فيها غرض يقف يسيرا نحو

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۷

خمس دقائق فأقل، فوقف أولا فى بلدة تسمى اكراى ، و فيها فابريكات بعض المصانع، و بقى واقفا خمس دقيقات، و وقف فى أخرى دقيقة واحدة، تسمى الوريورا ، ثم فى شولى دقيقتين، ثم فى بلدة طرنى ثلاث عشرة دقيقة، و وقف فى خمس مدن أخرى لم أدر ما اسمها ثلاث عشرة دقيقة، فجملة وقوف البابور فى مدن الدول الفرنصوية أربع و ثلاثون دقيقة، و فى الساعة الثانية عشرة و خمس دقائق بعدها وصل البابور إلى الحدادة، التى بين الدولتين المذكورتين، فى بلدة لجنس البلجيق، تسمى كيفى ، فعند ذلك ودع ترجمان الدولة الفرنصوية الباشدور المذكور، و رجع لباريس، بعدما كان طلع إلينا للعربة من تلك المدينة ولد وزير الأمور البرانية ببلجيق ، و استدعانا للدخول لبلدهم و هو فى أحسن زى، لابس أجمل ثيابه. و رأينا من أدبه و تواضعه و تلطفه ما ليس فوقه مزيد، و أنشدنا لسان حاله .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۸ / ۱۵۶/ عرج على روضنا الأنيق و عج بهفأولوا العقول تحيرت من عجبه

و انظر حدائق بهجة ما أجّلهايسلو بها قلب الكئيب من كربه

و اقطف ثمارا دانيات قطوفهافلك الهنا يا واردا لمحبه

فأنتم وفود على مدينة بلجيقأكرم بهم من وافدين لبابه

فلكم هنا كل المقاصد و المناأهلا بذى الوفد الزكى من غربه

ثم دعانا ولد الوزير المذكور إلى النزول إلى بلدة الحدادة المذكورة بقصد الملاقاة مع كبير عسكرها، فأجيب إلى ذلك، و كان من اعتنائه و كمال محبته أن وجدنا فئة عظيمة بهذه البلدة من العسكر متهيئة لقدومنا، مصفوفة صفا بعد صف، لابسة آلة حربها. فنزلنا، و قدمنا إلى دار كبيرهم، فتأدب أدبا كبيرا مع الباشدور، و جرى بينهما كلام بما يناسب الحال. ثم رجعنا إلى العربة و معنا ولد الوزير المذكور، وجد فى سيره إلى أن وصلنا إلى مدينة ابركصلاص المذكورة، فدخلنا إليها فى الساعة الثانية من يوم الاثنين المذكور، فإذا أسقطت مدة المقام فى المدن المتقدمة مع خمس عشرة دقيقة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۰۹

مدة ملاقاتنا مع كبير العسكر فى الحدادة، تبقى مدة السفر خمس سوايع و إحدى و عشرين دقيقة. و عند دخولنا لهذه البلدة وجدنا ذببابها قبة عظيمة و العسكر أيضا فى زى مخالف لزى عسكر الفرنصيص، لأن الشمارير التى على رؤوسهم على هيئة الدلاء محدبة القعر، و هى من جلد المعز لا زال بشعره و بأيديهم السيوف لا غير، كل واحد موقف سيفه بين جبهة عينيه، فتلاقى كبيرهم بالباشدور و تأدب كما يجب، و دخلنا للمدينة فوجدنا فى طرقها متسعة، و أناسا مكلفين بالكنس و الرش و البناء الذى يجدد بها حينئذ/ ۱۵۷/

يبنى على كيفية الأبنية بباريس.

صفة الدار التى نزلنا بها فى ابركصلاص

فأتى معنا ولد الوزير المذكور إلى الأوطيل الكبير فى تلك البلدة، و أنزلنا به فى الطبقة الأولى قائلا: ليلا يصيبكم التعب فى صعود الدرج و النزول منها. فنفد لنا منه مواضع منتخبة . و أماكن مزخرفة فى كل مكان منها موائد للأكل، و شيليات عديدة، و كنابيس كذلك، و فرش لينة مع أغطية، و وطاءات من قطن باردة، قد تبدى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۰

للبدن برودتها من فوق الثياب، و كذلك فيها من الثريات و الماريو و غير ذلك من الزرابى و الأوانى المحتاج إليها. و فى وسط هذا الأوطيل خصة كبيرة، و بقطبها الذى فى وسطها ثلاث خصص متصاعدة متفاوتة فى الصغر و الكبر. و بين السفلى و العليا نحو خمسة أذرع، و الماء ينبع من الأنبوب الذى فى وسط العليا عن ثقب ضيقة متعددة، فتراه يخرج منها متصاعدا، ثم ينحدر إلى الخصة العليا، و منها ينزل إلى التى تحتها، و منها ينصب إلى التى أسفلها، و بينها و بين الخصة الكبرى ثلاث تصاوير على صور الآدمى، كأنهم هم الحاملون للخصص التى فوقهم. و بمحيط جدران براح هذا الأوطيل أشجار صغيرة و محابق عديدة. و فيها قفص كبير، فيه طيور كثيرة، على أشكال منها: طيور فى جرم البرطال. لونها أخضر ذو وجهها مع نصف رأسها أحمرذ، و منها ما هو فى جرم الطير المعروف عندنا بشرقراق ، و هى تترنم فى بعض الأوقات،/ ۱۵۸/ و تتكلم بصوت مستحسن، و بالجملة فهى دار منتخبة ظريفة ذات مرافق و منابع، قيل إن فيها نحو ثلاثمائة منزل، و ليس عندهم فى بلدهم أحسن منها، و ليست كالدار التى كنا نازلين فيها فى باريس ذبل تلك أعظم و أكبرذ فشتان ما بين السماء و القمر.

الملاقات مع الوزير

و بمجرد وصولنا و نزولنا بهذه الدار أتى قائد مشورهم إلى الباشدور يحمده فى السلامة، و طلب منه بأدب كبير، أن يعين له الوقت الذى يتلاقى فيه مع وزير الأمور البرانية فى الغد، يريد يوم الثلاثاء الرابع منه، فاعتذر له بتلطف عن اللقاء فى ذلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۱

اليوم، و واعده به فى يوم الأربعاء فى الساعة الحادية عشر منه ، و فيها تلاقى معه بداره بعد أن ركبنا فى الأكداش، و توجهنا معه، فوجدنا فئة عظيمة من العسكر رجلية بباب داره، فحين رأونا تكلمت الموسيقا على العادة، و حين تلاقى به كنا نحن وراءه بقرب منه، فظهر منه فرح كبير و سرور عظيم بقدومنا عليهم لبلدهم، و جرى بينهما كلام بما يناسب الحال. و أخبر أنه يحب المغرب و أهله، و لأنه كان فيما سلف فى تفيلالت، و أقام بها خمسة أشهر ، و أحسن معه أهلها غاية الإحسان، فلذلك يحب الغرب و أهله، و أنه يرجو الله أن لا يموت حتى يرده إلى الغرب، لأنه يحن إليه، فقال له الباشدور إنه لرجل عاقل، و من تمام عقله حسن معاشرته مع أهل/ ۱۵۹/ تفيلالت، حتى أقام فيها تلك المدة و رجع بسلام. ثم ودعه فأخذ نائبه الذى تقدم ذكره يمشى قدامه، و هو مواجه له أدبا معه حتى وصل إلى الباب فودعه بأدب كبير و رجع.

بعض أوصاف هذه المدينة

و فى مساء ذلك اليوم، ركبنا فى الأكداش و خرجنا نطوف بناحية من نواحى البلد، فوجدناهم مشتغلين بكنس الطرق و الرش أيضا، و سرنا حتى انتهينا إلى طرف

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۲

البلد، فوجدنا هناك غابة عظيمة و الطرق واسعة فيها، تتخللها من جهات كثيرة، و بعض الأماكن منها يتخذ بقصد الاستراحة، فيوضع فيه شوالى طويلة و أخرى مستديرة، فمن أحب الجلوس هناك فله ذلك. و رأينا بعض الشوالى هناك مستديرة مرفوعة على قضبان بعضها خارج من بعض كأغصان الشجر، فظننا أنها من عود، فقيل لنا بل هى من حديد، و عليها طلاء يشبه لون العود، فنزلنا فى بعض بقاع هذه الغابة وصلينا العصر بها ، فاجتمع علينا خلق كثير من نسائهم و رجالهم، لأن ذلك المحل أى الغابة امتدت معها بعض المساكين و الأبنية، و هم يتعجبون منا لأنهم قلما يصل المسلمون إلى بلدهم. و بعد صلاة العصر أخذنا نتمشى فى هذه الغابة على أرجلنا فرأينا/ ۱۶۰/ فيها أشجارا عظيمة الخلقة، و هى فى غاية ارتفاع، و جلها لا ترى فى طوله من ساقه إلى رأسه اعوجاجا. و وجدنا أصول شجرة موضوعة هناك، قد فصل بعضها عن بعض. فعبرت نصف دور بعضها فوجدته فيه اثنى عشر شبرا، فيكون فى دور ساق هذه الشجرة أربعة و عشرون شبرا. ثم بقينا نتمشى حتى عرضت لنا طريق أخرى، فأتت الأكداش إلينا، فركبنا و رجعنا. فكنا نجدهم فى بعض الطرق يغرسون بها من تلك الأشجار مع طولها، و فى بعضها أشجار كبيرة، غرسها قديم لكن فى بعض الطرق دون بعض، و فنارات الضوء ممتدة معها تشعل الليل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۳

كله. و بعض المواضع التى بوسط المدينة وجدناه مغروسا كأنه غابة. و قد أحيط بها قضبان حديد قائمة على رؤوسها كالحربات مذهبة، و هى متقاربة بين كل قضيبين أقل من نصف شبر، و قضبان أخر ممتدة مقاطعة لها، قد أحكم وصل بعضها ببعض، حتى صارت هذه القضبان زربا لتلك الغابة لا يدخل لها إلا من أبوابها المصنوعة فيها. و قد امتد مع هذا الزرب و داخله أشجار صغيرة، و هى فى غاية الاستواء، لا اعوجاج فيها، و قد نقيت من أصولها إلى حيث أخذت/ ۱۶۱/ الفروع فى الانتشار، فتركوها تنتشر، لكن من محل واحد، بعدها من الأرض بقدر متحد، و بين كل شجرتين نحو ثمان خطى. فحين طالت الفروع السفلية الأولى قرن ما بين بعضها ببعض، و كذلك ما فوقها حتى التأمت الفروع من أعلا الأشجار و بقيت الأصول متجردة. و امتدت على هذه الحالة كامتداد قضبان الحديد على المثال بالطرة . و يا لها من نظرة هناك ما أجملها، و مسرة ما أجلها. و هذه البقاع بداخلها شوالى موضوعة، و قد تتخذ للفرجات و غيرها. و هذا المحل قريب من دار كبير دولتهم، و هو مباح يدخله من شاء. و حين رجعنا إلى محل نزولنا تذاكرنا فى كبر هذه المدينة فألقيناها كبيرة فى رؤية العين. و طلبت من الترجمان أن يبين لى كم متر فى طولها و عرضها، فوعدنى بأنه يأتينى بورقة هيئتها، لأن من عادتهم طبع هيئة البلد فى ورقات لا تكاد تحصى، يدفعون كل ورقة لمن ينزل فى منزل منها من البرانيين، و يرقم فيها جميع ما يحتاجه، بحيث يكون فيها كل ما يريد أن يسأل عنه، لا من الأماكن و لا من أكريتها، و بيان المواضع و الطرق الموصلة إليها، و عدد البابورات التى تخرج منها، و فى أى وقت ليلا و نهارا، و مقدار الكراء بحسب السكة و غير ذلك من ضروريات التجارة. و عند إتيانه بهذه الورقة و بسطه لحالها لنا. نرجع إلى/ ۱۶۲/ تمام الكلام على البلد بحول الله.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۴

الملاقات مع عظيم دولتهم

و بعد ذلك بل عند رجوعنا وجد الباشدور كتابا مطبوعا وجهه له وزير الأمور البرانية، تضمن الإذن له و لأصحابه بالطلوع إلى دار ملكهم، و أنه هو و زوجته يأذنان فى الطلوع بقصد الملاقاة معهم، فى الساعة الثانية من يوم الخميس السادس من شهر تاريخه، فحين قربت هذه الساعة وجه ثلاثة أكداش من الأكداش التى يركبها هو و وزراؤه. كل كدش يجره ستة من الخيل، يتولاه نفر من خاصة عسكره، كساويهم جلها ذهب، و كذلك سرج هذه الخيل، و آلات الجر جلها مرصع بالذهب، فركب الباشدور فى كدشه أمامنا، و تبعناه فى كدشين فى أثره، و أخذت الخيل فى السير هونا، تتحرك قليلا قليلا حتى كأن فى ذلك إشارة إلى أن هذه الخيل تجر أمرا عظيما لملكهم ، و حين قربنا من داره وجدنا صفوفا كثيرة من العسكر صفا وراء صف، و أصحاب الموسيقا و الطنابرية مشتغلون

بعملهم، و كبراؤهم يشيرون بالسلام بتأدب على عادتهم. و عند وصولنا إلى دار ملكهم و دخلنا إليها و صعدنا معارج للدخول عليه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۵

للقبة التى هو فيها. دخلنا لقبب بعضها يوصل إلى بعض، و كل واحدة تنسيك محاسن الأخرى، حتى وصلنا إلى القبة الثامنة، فوجدنا فيها وزراءه و خاصة دولته، نحو العشرة. ثم خرج كبير دولتهم من القبة التاسعة، و معه زوجته ، و تلاقى بالباشدور متأدبا غاية/ ۱۶۳/ و كاتبه و الأمين وراء الباشدور قريبان منه، و المخازنية الخمسة وراءنا، فشرع الباشدور فى الكلام معه بما هو مأمور به، و ترجمه المترجم، و أجاب عنه كبير الدولة بأنه حصل له فرح و سرور عظيم بقدومنا عليهم و دخولنا لبلدهم، حتى أنه قال: إنه يرجو الله أن يشرح صدورنا لبلده حتى نقيم فيها فى عافية و راحة، و يأذن لنا فى المسير للفابركات التى بداخل المدينة و خارجها، و زور الأماكن التى تصنع فيها العدة و السلاح، و نستوعب ذلك كله بحول الله، فجازاه الباشدور بكلام طيب عن كلامه هذا، ثم طال الكلام بينهما فى غير هذا. ثم انصرفنا من عنده، و رجعنا لمحل نزولنا.

فابريكات المدافع و الرماية بها

و بعده بقريب أتى الترجمان بأكداش أخر، و أذننا بالركوب فيها بقصد الذهاب إلى دار فابريكات المدافع، و دار تعليم الرماية بها و بالمكاحيل، فسرنا إلى دار فابريكات المدافع ، فوجدناهم يصنعون بها المدافع التى ظهرت فى الوقت، فوجدنا فيها مدفعا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۶

صغيرا تم عمله، و هو من مدافع الجر منصوبا على كريطته، و طوله بخزنته نحو ذراع و نصفه، و قطر فورمته أقل من ربع ذراع، و فيه تسع عشرة عمارة، و كنا نسمع بهذه العينة، فكنا نظن أن العمارات لها جعبة واحدة هى فورمة المدفع، و الخزنة فيها التسعة عشرة، كما نعتاده فى بعض الكوابيس الرومية، فوجدناه بخلاف ذلك.

و بيانه أن هذا المدفع ملفق من أجزاء، أما جعبته أعنى جرمه ما عدا خزنته فهى جزء مستدير/ ۱۶۴/ أسطوانى كالمعهود، لكن منه نحو أصبعين أو أزيد صنع من صفر. ثم أفرغ فى جوفه الحديد المذاب حتى ملئ منه جوفه كله. ثم ثقب فى هذا المذاب بالبريمة تسع عشرة ثقبة، نافذة من خزنته إلى فمه على المثال الذى سطرته. ثم صنع قعره من صفر مفصولا عنه. ثم عمدوا إلى قطعة حديد مبسوطة و فتحوا فيها تسع عشرة دائرة على الكيفية التى بالطرة . و جعلوا لهذه الحديدة علامة ترفع منها خارجة عن الدوائر التى فيها. و فتحوا فى قعر المدفع المفصول قدرا يسع هذه الحديدة دون علاقتها. و هذه الحديدة يركب فيها القرطوس من البارود، كل قرطوس فى دائرة حتى تملأ دوائر الحديدة بقراطيس البارود برصاصها، لأنه كقرطوس المكاحيل فى الجرم، فإذا أريد عمارة المدفع، تحرك يد من حديد كيد الزيار قرب الخزنة من جهة اليمين، فينفصل قعر المدفع من بقية جرمه، فيوضع تلك الحديدة فى محلها الذى حفر لها على قدر جرمها، ثم تحرك تلك اليد فينطبق قعر المدفع على فم الخزنة، فتدخل كل عمارة قرطوس فى كل ثقبة من الثقب الذى فى جرم المدفع ، لمراعاة المسامتة عند الوضع، و يسد عليها بتلك اليد، فيصير كأنه ذات واحدة. و عن يسار

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۷

الخزنة الآلة التى يعرف بها مسامتة الشىء الذى يرمى بالمدفع، و هى بنية معروفة.

ثم تكلم كبير الدار مع بعض الخدمة التى فيها، و هو ولد صغير يبلغ سنه ثلاثين سنة و الله أعلم./ ۱۶۵/ فعمد إلى ذلك المدفع و فصله عن كريطته، و رفعه و وضعه على كتفه، و بقى واقفا به هنيئة، و وضعه على كريطته، ثم أتى معه ولد آخر فى قده و جعلا كالعصا على رجل الكريطة لأنها لها رجل واحدة، و أخذ كل واحد منهما بطرفها بيد واحدة، و خرجا به إلى وسط الدار، و صارا يجريان به و هما يحركانه، فوهته وراءهما، و لم يكن عليهما فى ذلك كبير مشقة، ثم رداه إلى محله، و وجدنا مدفعا آخر مصنوعا مثل هذا أكبر منه بنحو نصف ذراع، فيه ثنتان و ثلاثون عمارة كما فى الآخر، و وجدنا آخر فيه سبع و ثلاثون عمارة، قيل إنه يرمى فى الدقيقة الواحدة

ستمائة رصاصة، و غاية البعد الذى يرمى به ثنتان و عشرون مائة متر، و هى تنيف عندنا على ثلاث و أربعين مائة ذراع و الله أعلم. وجدنا آخر أكبر من تلك المدافع، طوله نحو ثلاثة أذرع، و ليس فيه إلا سبع عمارات، فورمة كل واحدة قدر دور نصف الريال، قيل إنه يرمى بمقدار خمس و ثلاثين مائة متر. و سئل عن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۸

ثمن هذا المدفع فقيل أربع عشرة مائة ريال، فقيل: و كم معه من عمارة، فقال:

خمسون بقصد التجريب، و ما عداها فلها ثمن يخصها، فسئل عن ثمن الصغار، فقال: إن ذلك عند الباشدور الذى لهم بطنجة، و وجدنا مكينات هناك تدور، و كل واحدة جالس قبالتها رجل، قد ركب جزءا من أجزاء المدفع فى محل و أحكم وثاقه، و هو يدور بدوران المكينة و بيده آلة/ ۱۶۶/ من هند محددة الرأس، و هو يخرط بها تلك الآلة، كما يخرط الخراط العود بالحديد. ثم خرجنا من هذه الفابريكة، و توجهنا إلى الدار التى يتعلمون فيها الرماية ، فدخلنا إليها فوجدنا فيها بيتا طويلا عريضا، و فى جداره فرج مربعة مفتوحة يشرف منها على ربوة بعيدة، فيها أشجار، و جعل فى أسفل تلك الربوة حفيرا أطول من قامة الإنسان، و فيه ألواح كبيرة مربعة من عود، يظهر من المحل الذى كنا فيه أن تربيعها قدر ذراع فى مثله، و هى مصبوغة بالسواد، فى وسطها بياض، تركب هذه الألواح فى رؤوس عصى طويلة، يباشر تركيبها من يكون فى ذلك الحفير، و ينصبها للرمى. و وجدنا أناسا بذلك البيت يرمون تلك الألواح من الفرج التى فى جداره، و تكرر رميهم لها، فما أصابها واحد منهم، فناولنى واحد منهم مكحلة بعدما عمرها من خزنتها، و أذننى فى الرمى بها، فأخذتها فوجدت نيشان الخزنة ضعيفا جدا لا ينحصر به المرمى، فحين شايعت بها المرمى ظهر لى فى رأى العين أن فورمة المكحلة أعظم من المرمى ، و لعله من صغر النيشان و شكل الجعبة، فحين أخرجت المكحلة لم أصب ذلك المرمى، فلم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۱۹

تكن له علينا فى ذلك مزية و الحمد لله. و وددت الآن لو كان معنا مكحلة من مكاحيل غربنا، لأن أمور الرماية عندنا مما يكاد يستحيله السامع، كضرب المحمدى الذى يكون فى أذن الواقف، و الطائر فى حال طيرانه على أحوال متعددة، ثم خرجنا من هذا/ ۱۶۷/ البيت، و أوتى بنا إلى آخر، فوجدنا فيه مربعين، أحدهما فيه تسع عشرة عمارة، و الآخر فيه سبع و ثلاثون، و أوتى بالحديدات المتحدة عنها، فى كل واحدة تسعة عشر قرطوشا مركبا فيها، فوضعت تلك الحديدة فى قالبها المحفور لها فى سطح قعر المدفع، و شدت على الخزنة، و كان فى رجل الكريطة مسماران معكوفان إلى جهة الأرض، فضربهما برجليه حتى غاصا فى الأرض، و كان أمامه فى بعد جدار مربع مصبوغ بصبغة سوداء، فى وسطه دائرة ببيضاء ثم أخذ يباشر مسامتة المدفع للدائرة البيضاء، و بعدها رفع تلك اليد من الحديد التى عن اليمين إلى فوق، فخرجت العمارة كلها، فكان رجل منهم فى الحفير الذى فيه ذلك الجدار، و بيده قضيب طويل، و هو يعين لهم المواضع التى أصابها رصاص العمارة، فكانت كلها حول الدائرة البيضاء، و تكرر الرمى منه بهذا المدفع و بالآخر، فما أصابت الدائرة البيضاء و لو رصاصة واحدة ، و من المشهور عندنا فى الغرب أن الطبجية يجعلون

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۰

دائرة فى جدار أبيض، و فى مركزها طلاء أسود أو أحمر، و يضربونه بالمدفع بكورة واحدة، فيصيبون ذلك الطلاء بخصوصه فى بعض الأوقات مع صغر جرمه. و هذه العمارة التى تجعل فى تلك المدافع، لصاحبه الاختيار، إن شاء أخرجها دفعة واحدة، فتخرج كالحاضرون المعروف، و إن شاء أخرج منها رصاصة أو ثنيتين أو أكثر، و إن شاء أخرجها متتابعة فعل، فالسبت فى يده أى اليد التى يحركها/ ۱۶۸/ إن شاء طوله و إن شاء قصره، و كذلك إذا أراد أن يضرب بعمارة واحدة الصف المقابل له، من اليمين إلى اليسار، يجذب المدفع إليه حالة رفع تلك اليد، فتجد فمه يدور إلى جهة اليسار حين خروج العمارات، ثم شكر لهم الباشدور تلك الأعمال، فلين الأقوال فتأدبوا منكسرين بخضوع غير مستكبرين، و ركبنا الأكداش و رجعنا إلى مستقرنا.

الملاقات مع أخ عظيم الدولة و عامل البلد و صفة داره

و فی یوم الجمعة السابع منه رکبنا و توجهنا لدار أخ کبیر الدولة ، و تلاقینا به بداره فرأینا منه من الفرح و السرور مثلما وجدناه فی کبیر الدولة، و بعدما خرجنا من عنده توجهنا لدار عامل البلد ، فالقینا فئة کبیرة من العسکر بباب داره متحربة، و أصحاب الموسیقی یتکلمون بها، فتلاقینا به فی قبة بداره، و ما قصر فی البشاشة و التعظیم، و أحضر موائد القهوة، و موائد الحلواء المعقودة علی الثلج، فتناولنا من ذلک شیئا خفیفا. و وجدنا عنده بتلک القبة کنانیش فیها الشروط و العهود المعقودة بینهم و بین الدولة الفرنسویة، ربما یزید علی تسعمائة سنة کما قیل. و هی محفوظة

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۲۲۱

عندهم، و وجدنا عنده فی تلک القبة سلک التلغراف مجموعا عنده فی محل واحد، و منه یتفرق علی جمیع الطرق التی حول المدینة لأجل إخباره بما یحدث فی أطراف البلد و فی غیرها عاجلا. ثم إنه أخذ لولبا واحدا من لوالیب مرکوزة فی لوحة، فحرکه قلیلا، فقال الترجمان: إنه سأل صاحب السلک الذی فی خارج المدینة عن الجالس معه حینئذ، فأجابه عاجلا فی ربیعة بیضاء ملویة علی ناعورة/ ۱۶۹/ صغیرة رأیناها تدور، فیخرج الجواب مکتوبا فی تلک السفیفة بقلم الخفیف، قائلا له معی فلان و فلان، کذا أخبرنا الترجمان. ثم دخلنا إلی قبة أخری فیها کراسی و شوالی من الموبر، ذکر لنا أن هذا المحل یجتمع فیه کبراء الدولة فی خمسة عشر یوما لتفقد أحوال البلد، و ما یحدث فیها، و المفاوضة فی أمره و هذه الدار، قیل إنها تزید علی تسعمائة سنة منذ بنیت، و هذا المحل معروف فیها لهذا الغرض، ما بدلوه قط، و دخلنا إلی قبة أخری، رأینا فیها تصاویر فی الجدران و السقف لا جسم بها، قیل إن لها فی ذلک المحل أزید من ثلاثمائة عام. ثم دخلنا إلی قبة أخری وجدنا فهیا کراسی قیل إن فی ذلک یعقد نکاحهم علی ید العامل ، و أن فی کل یوم یعقد النکاح لعشرة أو أزید، ثم خرجنا من هذه القبة إلی سرجم خارج عن جدار الدار، و أشرفنا إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۲۲۲

فیه علی سوق متسع البراح، و فیه خلق کثیر، فتکلم القائد مع رجل به، فنصب طرونبة قائمة، و فتح فاها، فصار الماء یخرج منها و یتصاعد حتی جاوز الأسطحة العالیة بجهد عظیم. و سئل عما یتصاعد هذا الماء فقیل یصعد عشرة میاتیر، و أخبرنا أنه وقع حریق فی أربع عشرة دورا فرکبت الطرونبات مثل هذه و أطفئت تلک النار فی ثلث ساعة، ثم هممنا بالرجوع فتکلم الترجمان و ذکر أن القائد یطلب من الباشدور فابورا بتأنیه هنا نحو ربع ساعة، لیلبس ثیابه/ ۱۷۰/ و یخرج معنا لمحل مکینة الغاز الذی تشعل منه المدینة، فدخلنا للقبة التی وجدناه فیها أولا، و جلسنا فأوتی إلینا بموائد القهوة و الحلواء ثانیا، من جملتها حلواء معقودة علی حبوب العنب الذی یصنع عندهم بالمکینة، فتناولنا شیئا یسیرا، ثم قدم علینا القائد و قد نزع ثیاب لباسه الفاخرة المرصعة بالذهب، و لبس الثیاب التی تلبسها العامة منهم.

توجهه مع الباشدور لمحل صنع الغاز و شرح کیفیته

و خرجنا فرکب مع الباشدور فی کدشه المعین له، و رکبنا نحن فی أکداشنا تابعین له، إلی أن وصلنا إلی محل صنع الغاز، فوجدنا بقربه کدی عظیمة من الفاخر تأتی به البابورات البریة من نواحی کثیرة، فمنه ما هو من معدن بلادهم، و منه ما هو

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۲۲۳

من معادن أجناس آخرین. و وجدنا ثلاثة بیوت معدة عندهم لحرق ذلک الفاخر، لکننا وجدنا الخدمة فی بیت واحد. و کیفیة خدمته أنهم یتخذون فی نصف جدار کل بیت ثمان فرج، و ینصبون فی نصف عرض جدار کل فرجة سبعة بیوت النار، أفواهها قیل إنها من حدید مستدیر کشکل البیضة، و امتد کل بیت فی نصف عرض الجدار و تمام بیت النار یبنی کما ذکر من الطین الذی یثبت مع النار، أما ثلاثة بیوت منها فهی مصطفة مع طول الجدار من الیمین إلی الیسار، و فوقها بیتان، و آخران أسفلها، و مجموعها فی السبعة بیوت المذکورة المبنیة فی نصف عرض الجدار، و نصف عرضه الآخر یجعلون فیه مثلها فی البیت المتصل بهذا البیت/ ۱۷۱/ ثم یجمعون فی

كل بيت منها جعبة حديد أسفلها متصل ببيت النار قرب فمه، تمتد مع علو الجدار، حتى تنتهى إلى جعبة عظيمة مقاطعة لها، ممتدة مع امتداد طول الجدار، و جميع جعبات بيوت النار هكذا، خارجة منها كما ذكر و تنتهى إلى تلك الجعبة العظيمة، فإذا أرادوا الخدمة يجعلون من الفاخر المذكور فى بيوت النار و توقد، و يقفلون على أفواهها بألواح من حديد مماثلة لهيئة أفواهها المذكورة، و يجعلون عليها طينا أبيض مبلولا، يدخل عند السد بها بين الألواح و أفواه البيوت، ليلا يخرج الدخان، فعند ذلك يصير ذلك الفاخر يشتعل فى تلك البيوت، و له لهيب عظيم، و دخانه يخرج من تلك الجعبات المتصلات بأفواهها، و يصعد فيها حتى ينتهى إلى تلك الجعبة العظيمة، و تحت كل فرجة من الفرج المذكورة سوانى يجرى الماء فيها بحرارة. و هو ظاهر من أسفلها قيل ليلا يذوب الحديد الذى تحته من شدة النار، و يبقى ذلك الفاخر يشتعل فى ذلك المجمار خمس سوائع، فإذا مضت له هذه المدة يأتى رجل من الخدمة و يعد تلك اللوحة الملصقة فى فم المجمار، و يضع آخر أسفله صندوقا حديديا، و يوخذ قضيب طويل من حديد معكوف الرأس، و يشتغل بإخراج الفاخر المشعول من ذلك المجمار، فيسقط فى ذلك الصندوق، فيصب عليه الماء فينطفىء فيخرجونه إلى الفضاء، و يجمع هناك فى مواضع فيباع بعد ذلك لأهل البلد،/ ۱۷۲/ و به يطبخون

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۴

طعامهم و يجعلونه فى مجامير بيوت مساكنهم فى البرد، لأنه لا تبقى له رائحة كريهة و لا كثير دخان، هكذا أخبرنا . ذومهما فرغ بيت من الفاخر المشعول يملأه اثنان بغير المشعول، كل واحد بيده مدرة من الحديد يغترف بها الفاخر و يرميه إلى داخل المجمار حتى يجعلا فيه كفايته ثم يسد بلومته مع ذلك الطينذ، و قد بينا أن نصف جدار كل بيت فيه ثمان فرج، و فى كل فرجة سبعة مجامير عينية، فى نصف عرض الجدار، و فى نصف عرضه الآخر المقابل لها مثلها، فيكون فى نصف البيتين المتصلين من بيوت النار مائة بيت و اثنا عشر بيتا كلها فى نصف جداره، و فى النصف الآخر مثلها تصير مائتى بيت و أربعة و عشرين بيتا، جميع دخانها الخارج من جعباتها ينتهى إلى تلك الجعبة العظيمة، و تقدم أن هذا المحل فيه ثلاثة بيوت لخدمة الفاخر فيكون فى جملتها من بيوت النار ستمائة بيت و اثنان و سبعون بيتا، قيل كلها يخدم بها فى أوان البرد، و أما فى وقتنا و هو شهر يوليوز و الشمس فى برج السرطان، فوجدناهم مقتصرين على الخدمة فى نصف بيت، لحرارة الوقت، و حيث ينتهى الدخان إلى تلك الجعبة العظيمة الممتدة فى أعلا الجدار، ينزل منها إلى الأرض فى مجارى لا ترى حتى ينتهى إلى بيوت أخر عظيمة. قد جعل فى براحها صهاريج عظيمة من الحديد و فرشت بغبراء الجير، و كل صهريج منها يحيط به آخر أعظم منه، و بينهما بعد بقدر الشبر يكون الماء جاريا فيه. و هذه الصهاريج ينزل إليها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۵

الدخان الوارد من تلك الجعبة العظيمة، و لها أى هذه الصهاريج أغطية على هيئتها، و فى مقدار/ ۱۷۳/ جرمها، وجدنا أحدها قد رفع غطاؤه بمكينة فوقه، كما ترفع عندنا المدافع، و رجلان يخدمان البوجى المنصوب على قنطرة عظيمة فوق هذه الصناديق.

و هى مع عظمتها غير ثابتة فى موضع، بل بطرفيها ناعورتان، فى حرفها درج تمشى بها على الجدارين البنيين لها إلى حيث يراد بها، لأن بها ترفع أغطية تلك الصهاريج التى فى هذا البيت. و بهذا توضع الأغطية بحركة البوجى الذى فى وسط القنطرة، فإذا نزل الدخان إلى الصهريج الأول بعد سده بالصهريج الآخر الذى فوقه، يسلب عنه الجير، و مع ذلك الماء ماء فيه من العفونات و الأضرار المؤذية، و من الصندوق الأول يخرج إلى الثانى فيسلب عنه البقايا التى فيه. ثم إلى الثالث و إلى الرابع و هكذا، حتى لا تبقى فيه رائحة و لا ضرر و لا أذى، فعند ذلك تخرجه مكينة مبنية فى بيت آخر عظيمة الجرم، مثل مكينة البابور، فتسفه و تجذبه من تلك الصناديق، و يخرج منها مختفيا تحت الأرض، حتى يصل إلى ذمخازينه الآتى ذكرها و منها يخرج إليذ قادوسين عظيمين ممتدين مع الأرض، قطر دائرة كل منهما يزيد على ذراع واحد، و منهما يتفرق على المدينة فى قواديس صغيرة و كبيرة بحسب الديار و الحوانيت التى فى البقاع كثرة و قلة، و دخلنا إلى بيت آخر، وجدنا فيه ناعورتين كبيرتين قيل لنا بهما يعرف ما دخل من الدخان للبلد، فى كل يوم و بين لنا بعض ذلك فى دائرة صغيرة مثل رخامة المجانة المستديرة، قد قسم نحو ثلاثة/ ۱۷۴/ أرباعها بمقدار واحد و جعل فى كل قسم

دائرة صغيرة قد قسمت على عشرة أجزاء، و فى وسطها مورى مثل المجانة، فإذا تحرك الدخان و خرج منه مقدار متر واحد، تحرك ذلك المورى الذى فى الدائرة الأولى درجة واحدة من الدرج العشر التى فى محيط الدائرة، و إذا دخل متران تحرك درجة أخرى و هكذا، فإذا تحرك عشر درج، و قطع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۶

محيط الدائرة، و ذلك عند دخول عشرة مياتير من الدخان للبلد، يتحرك مورى الدائرة الثانية درجة واحدة من عشر درجها، فإذا دخلت عشرة مياتير من الدخان تحرك درجة ثانية، فإذا دخلت منه مائة متر تحرك عشر درج، و قطع المورى جميع الدائرة، و يتحرك مورى الدائرة الثالثة درجة واحدة، فإذا دخلت مائتا متر تحرك مورى الثالثة درجتين، فإذا دخل ألف متر تحرك عشر درج، و قطع دائرته. و يتحرك مورى الدائرة الرابعة درجة واحدة، و إذا دخل منه ألفا متر تحرك درجتين، و إذا دخل منه عشرة آلاف ميتر تحرك عشر درج و قطع دائرته و تحرك مورى الدائرة الخامسة درجة واحدة.

و هكذا حتى يكون مورى الدائرة الثامنة ينبئ تحركه عن عدد عشرات الملايين، لأن مراتب هذه الدوائر بنيت على مراتب أسس مطلق العدد. و ذكر لنا أن كل دار أو حانوت أو غيرهما مما يشعل فيه الغاز، فيه دائرة فيها مورى ينبئ عن القدر الذى يشعل منه فى ذلك المحل كل ليلة،/ ۱۷۵/ و هذا الدخان الذى يخرج فى كل يوم، ليس كل ما يخرج منه يدخل للبلد، بل ينصرف إلى مخزنين عظيمين من حديد مستديرين، و منهما يخرج منه القدر المحتاج، و وجدناهم يصنعون خزينا ثالثا مثل الآخرين، و هو ملفق من ورقات. و رأيناهم يلفقون الطبقة العليا منه بمسامير كبيرة، يخرجونها من بيت النار قريبا منهم، و يدخلونه فى ثقبتى الورقتين اللتين فى حرفيها، و يكعبون أرباع رأس المسمارة، ثم يوضع على رأسه قطعة حديد فيها قالب رأس المسمار كهيئة نصف كرة، و يضربونه بمقامع من حديد. ثم ينزعون ذلك القالب فيبقى رأس المسمار كهيئة نصف كرة. و سألت عن قطر دائرة هذا الخزين، فأخبر مهندسهم أن قطرها ثمانية و أربعون مترا، و سألت عن علو هذا الخزين، فقال عشرون مترا، فقلت و كم يملأ هذا الخزين من الأمتار؟ فقال عشرون مليونا من الأمتار، لكن إذا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۷

ضربنا نص قطره فى نصف محيطه و الخارج فى علوه كان الخارج ستة و ثلاثين ألف متر، و مائتى متر و عشرين، و لعل المراد عنده بالميتر شيء آخر باعتبار مصطلحه.

و هذا كله و عامل البلد يطوف معنا فى تلك الأماكن.

دار الوحوش الميتة

و فى يوم السبت الثامن منه توجهوا بنا فى الأكداش إلى دار فيها وحوش كثيرة، لكنها ميتة وحشيت جلودها حتى ملئت، فيتخيل للناظر أنها أحياء، فدخلنا إليها فرأينا فيها أسدا من أسد الغرب فى خزانة زاج، ذكر أن مولانا السلطان المقدس بالله سيدنا و مولانا عبد الرحمان/ ۱۷۶/ أسكنه الله فسيح الجنان كان وجهه لكبير دولة البلجيك، و أنه عاش عنده اثنى عشر عاما و مات، فأخذ جلده وحشى، و جعل الكافور فى رأسه فبقى على حالته حين كان حيا. و وجدنا فى أسطوانها أقفاصا من حديد، و سلك ممتدة طولا و ارتفاعا مع جدران الأسطوان، معلقة بشيء ظننا حجرا، فقيل لنا إن ذلك عظام حيوان محفوظة هناك، و فى هذه الدار من هيئات الحيوان مثل ما فى جنان باريز من الحيوان الحى، إلا ما قل. و فيها زيادة على ذلك هيئة حيوان أعظم من الجمل، لكن لم يبق منه إلا العظام، قد ربط بعضها مع بعض بالسك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۸

و قضبان الحديد، و له نابان فى الفك الأسفل منعكفان إلى ناحية أعلا رأسه ، فى كل ناب نحو ثلاثة أرباع، دائرة قطرها نحو ذراعين

و نصف، و طوله أى هذا الحيوان نحو ستة أذرع، و فى ذنبه نحو أربعة أذرع، و فكه فمه الأسفل فى دوره نحو ستة أشبار، و رأسه كبطن بقرة. قيل إن هذا الحيوان كان قبل الطوفان . و رأينا فكرونا عظيم الخلقة، طوله مثل عرضه نحو ذراعين فى مثلهما عرضا، و التمساح طوله نحو سبعة أشبار، و بلينه لم يبق منها إلا بعض عظام بطنها مع عظام فقار ظهرها، فى طولها ثلاثون خطوة و أفاعى عظيمة الخلقة، ملتوية على ذاتها، غلظ كل واحدة قدر ما يحيط به الإبهامان و السبابتان عند اقتران رؤوسها. و كل ذلك فى خزانات من الزاج عدا/ ۱۷۷/ الحيوان الذى قبل الطوفان و البلينة. و فى صناديق كثيرة ، أغطيتها من الزاج جميع ما فى الأقاليم من المعادن، كل معدن أخذ منه حجرا و تراب، و وضع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۲۹

الحجر فى حك من كاغد، و التراب فى قطيع زاج، و كتب على كل معدن من أى محل هو، و ما يخرج منه، منها صندوقان فيهما حجر معادن الغرب ، و عدد ما فى هذين الصندوقين من المعادن المغربية سبعون معدنا. منها ما هو من الجديدة، و من طيط و غيرهما، و صناديق أخرى بالزاج، فيها النبات الذى يكون فى قعر البحر على أشكال، و فى صناديق عظام حيوان البحر الصغير و الكبير، حتى عظام غلالتة التى تكون بالشاطئ، و هناك قرود ممتدة الأفواه كالكلاب، و القاموس و حيوان عظيم الخلقة، أما ذاته ما عدا الرأس و الأرجل فأعظم من ذات الفيل الذى رأيناه فى جنان الوحوش، و يداه و رجلاه مثل ما للفيل، إلا أنها قصيرة، طولها نحو ذراع، و عنقه قصير جدا، و رأسه قرنة جسم كأنه مربع الشكل إلا أن زاويتى الفكين مثل قطع دائرة، قيل إنه وجد فى بعض الأودية. ثم أكباشا من الغنم صوفها أسود. و الكركران و القنية و الفيران كبار و صغار، منها فأر عظيم كالحوت الشابل، له ذنب مبسوط، قيل إنه يعبر الواد و يرفع ذنبه للريح، و الضربان، و هناك من الطير ما لا حاجة إلى تفصيلها، سئل عن عددها فقيل ثمانية عشر ألفا، فقيل كم أجناسها، فقيل ثلاثمائة، و رأينا هناك القنفود و الهر/ ۱۷۸/ و النمس. و من تلك الطيور الباز و الرخمة و الحدية و النسر و النعام إلى غيرها. مما لا نعرفه، ثم دخلنا لثماني قبب، أربع مصفوفة بعد أربع إنما فيها أى فى جدرانها مرايا كبيرة، فيها صور آدميين، و فى وسطها شوالى و كنابيس، و وجدنا فى بعضها صورة رجل و زوجته لا شىء عليهما من الثياب، و الرجل بيده اليمنى بل اليسرى أغصان شجرة بأوراقها، قد وضعها على عورته، و فى يده شىء مثل التفاحة و بيد زوجته مثلها، و قد جمعت فخذيها على فرجها، و هما تحت شجرة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۰

قيل أنهما صورتا نبينا آدم و أمنا حواء ، و وصفه صورة الآدمى وجهه للطول أقنى الأنف، أبيض مشوب بحمرة، ضيق العينين أسودهما، أسود شعر الرأس، مرسله إلى ناحية ظهره، رقيق الأطراف، و أما الأنثى فهى بيضاء اللون، مدورة الوجه للطول يسيرا، نجلاء العينين واسعتهما بوجهها حمرة ضعيفة، ناتئة البطن كأنها حامل، ناتئة الثديين، مسبولة، شعر الرأس يميل إلى الحمرة و البياض، ثم خرجنا من هذه الدار.

دار فابريكة النحاس و الصفر

و توجهنا إلى دار فابريكة النحاس و الصفر، و ليس يصنع فيها شىء من أوانى الطبخ و الأكل و الشراب، و إنما يصنع فيها الحوائج المحتاج إليها للأبنية، كالسراجيم و آلة الدفف و التصاوير و الثريات، و لكل حاجة من تلك الحوائج قالب تفرغ فيه، فدخلنا للبيت الأول فوجدنا فيه خدمة بين أيديهم ألواح من حديد، يجعلون فى وسطها قوالب الحوائج التى يريدون فرغها، و هم/ ۱۷۹/ يسجنون عليها بالتراب، و يشدون القوالب أجزاء بعضها ببعض، ثم ترفع لأناس آخرين فى بيت آخر، فيه بيوت النار، يذيبون النحاس و الصفر، و يفرغونه فى تلك القوالب. و قد أفرغوا بمحضرنا من ذلك المذاب فى قوالب، فكان يصب منها فى القوالب كما ينصب الماء من القواديس. و بعد حين فتحت فألقيت فيها حوائج مورقة مما يستعمل فى الدرابيز و الله أعلم . و وجدنا آخرين فى بيت ثالث مشتغلين بفك القوالب التى تكون فيها الصور إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۱

العظيمة، و وجدنا بين أيديهم صورة بطن آدمي هائل الخلقة، و هم ينزعون منه ما هو زائد على ذاته حين الفرغ، و يحاولون وقوفه بالبوجي بعدما ربطوه من تحت إبطيه بالقنانيب، ثم وجدنا خدمة في بيت آخر يبردون بعض الأثاث الرقيقة التي خرجت من القوالب، و احتاجت إلى التصفية. و وجدنا مكينة عظيمة في بيت آخر، يخرج الريح من بعض جهاتها كصوت الثور، و يمر بعضه على كير مجمر حداد هناك يصنع حوائج أخرى، و هذه المكينة تدير نواعير كثيرة كل ناعورة قبالتها رجل أمامه آلة الخرط، يركب الحاجة التي يريد خرطها في محلها، منها ما يكون كالقضيب فيمسك من الرأسين، و منها ما يدخل في فرجة كبعض خواء المسك. و تصير الناعورة تدور، و هو يأخذ بآلة الخرط من ذلك المخروط على الكيفية المرادة، و تفعل آلة الهند في ذلك الصفر و النحاس مثل ما تفعله عندنا في العود.

الحوائج المصنوعة عندهم في بعض الأماكن

و في يوم الأحد/ ۱۸۰/ التاسع من جمادى الثانية ركبنا مع الباشدور إلى دار تسمى عندهم دار موزى ، و هي عندهم لحفظ السلاح القديم و آلة الحرب القديمة، مثل الدار التي رأينا في باريس، فعند دخولنا لها وجدنا في سفيلها المدافع التي استنبطوها أولا، و هي رقيقة طويلة، كل مدفع موجود في سريره كالمكحلة، و له رويضتان، و في خزنته فرجة يخرج منها قطعة من دائرة من حديد، ثابتة في أجزاء الكريطة، مأخوذة هناك لارتفاع المدفع أو خفضه. و في أحد البيوت تصاوير خيل، و أناس بالزرد راكبون عليها و بأيديهم المزارد. و خزانة فيها سلاح كثير قديم، و في صندوق من زاج مكاحيل تركية على أشكال، و خزانتان فيها شواقير مفضضة، و أخريان فيهما كوابيس منبتة بالفضة من عمل الترك. و وجدنا معها مكحلة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۲

ريفيت، و في آخر حناجير و سبائل، و فيه مهمازان مفضضان، و خلخال فضة من عمل الغرب، و كميات عمل سوس، و خزانتان فيهما مكاحيل عظيمة من عمل الأقدمين، و آخر فيه مدافع صفر صغيرة، على كراريطها نحو نصف ذراع في المدفع، و ابورز تناسبها في الصفر، و في صندوقين عدة مختلطة بأحدهما تاج من ذهب، و مكحلة بقربه من صفر طويلة غليظة، كأنها مدفع البحر، و فورمتها تسع الضوبلي و لها سرير المكحلة، ثم فرس كان يركبه بعض الملوك، و بعد موته حشي باطنه، و استعمل الكافور لجلده. و في خزانة عدة قيل كانت لسلطان السويد/ ۱۸۱/ و للسلطان فلب اسكونر بإصبانيا، و مكحلة في خزنتها أربع عمارات تخرج في صفتها الأصلية، كانت لسلطان إصبانيا أيضا، و أخرى تعمر من خزنتها، فيها ست عمارات، تخرج بالزناد قيل إن لها هناك عندهم هذه مدة من نحو ثلاثمائة عام، و أنها من استنباطاتهم، و منها عدد في صندوق خاص بها، و في خزانة سيوف كانت بيد الأكابر من الدول، و معها سكين كانت عندهم معدة لقطع الرؤوس، و قد ربط مع مقبضها شعر كثير، عدده كعدد ما قطع بها من الرؤوس، و بقربها كابوس تجريب البارود، ضلعته قائمة، و ليست قطعة دائرة، و في صندوق مكاحيل من العينة التي أحدثوها في الوقت، تعمر من الخزنة، و بقربه فرس كان لسلطان إصبانيا، قيل له هناك ثلاثمائة عام و خمسون عاما، و في خزين آخر فوق هذا أواني فخار عمل أجناس شتى محفوظة فيه. منها مجبنة بديع كانت لنابليون، و خواتيم عمل إيطاليا قديما، و سرج منبت بألوان الأحجار بين ثورين بالذهب، ذكر أنهم لا يدرون لمن كان، و خزانات فيها أواني بلار، ة منها غراف كبير خفيف جدا قيل في وزنه ثمن أوقية، و في أخرى بعض سكك الريال القديم، و في أخرى صروف الوزن قيل لها سبعمائة عام هناك، و مهارس نحاس بأيديها منه كالتي تتخذ في الغرب للتوابل، و في أخرى أثاث عاج، منها ناب فيل طوله كذراع و نصف، قد شد طرفاه/ ۱۸۲/ بالصفر أو غيره، و معه جناوى مقابضها من عاج.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۳

صورة آدم و حواء على ما زعموا

و فى الخزين الثالث الذى فوق هذا آدميون موتى فى صناديق، قيل وجدوا كل واحد بداخل ثلاثة صناديق، و منهم واحد كشف عنه فإذا كفنه متلاشى عليه، و قدماه قائمة قيل له بعد موته ستة آلاف سنة . و رأيت بلغة عظيمة فى خزانة زاج، فقلت لمن كانت تلك البلغة، فقيل لى، لم يدر لمن كانت، فقلت إن من اعتنائكم بهذه الأمور أن تكون عندكم بلغة نبينا آدم فأين هى، قالوا تركها فى الجنة عند خروجه فلذلك لم توجد هناذ، و أن ذلك أوتى به من مصر، و فيه فخار عمل الهند، و أثاث منها سلسلة ذهب لها ستة آلاف سنة كما قيل. و من هذا الفخار ما هو موضوع على ألواح من البلار، غلظها كنصف أصبع، و هذه الألواح داخل الخزانات، و فى طوابيل أنواع معادن المرمر، كل نوع موضوع وحده، و غطى بالزاج، و فى خزانة أخرى قناديل فخار كهيئة آنية زيت المنارة، كانت للأقدمين. ثم صعدنا للقبة العليا التى وضع عليها الجامور ، فوجدنا فى قطر دورها عشرين خطوة، و فيها أمثلة صور المراكب، و آدميين موتى لم تبق إلا عظامهم ملتئم بعضهم على بعض، و منهم صبى كان أسود اللون و جلده يابس على عظامه لم يظهر شىء منها، أى عظامه. و منهم آخر جالس على إليتيه و رأسه واقف و يداه قد رمى بهما على كتفيه خلف ظهره و أسنانه و أضراسه ظامرة، و لم تبق منه إلا العظام ملتئمة، و جماجم موضوعة بينهما، و ذلك فى صندوق من الزاج ، و أشرفنا من هذه القبة على هذه المدينة، فرأينا بنيانها قد امتد من كل جهة مع امتداد البصر، فوجدناها عظيمة،/ ۱۸۳/ و قيل لى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۴

عند ذلك على وجه المداعبة، أخبرنا يا مهندس عن كل هذه المدينة و عن طولها و عرضها. فقلت: ناولنى المرءاة التى كان أمر مولنا المنصور بالله بشرائها، التى تقدر بها الأبعاد ، و نخبرك- بحول الله- عن مطلبك. ثم نزلنا إلى الأسفل فكان عدد الدرج التى ارتقيناها مائة و ثمانين درجة. و هى تدور حول شكل مثمن بنى بالرافد المنجور قد فتحت فيه كوات تشرف منها على أسفله فيرى باطنه كالبئر.

التوجه إلى مدينة الياج لرؤية فابريكاتها

و عند رجوعنا أخبرنا بأن كبير هذه الدولة أذن لنا بالتوجه فى بابور البر لمدينة تسمى الياج، بقصد رؤية الفابريكات التى فيها، اعتناء منه بالجانب العالى بالله، فخرجنا إليها و ركبنا فى بابور البر فى الساعة العاشرة من نهار الاثنين العاشر منه (، بعدما كان هيّأ لنا عربة مزخرفة، فيها أربع كنابيس و شليتان كبيرتان، ذلك بالموبر الأخضر، فجلس كل منا فى محل يناسبه، و حين سافرنا رأينا الأرض التى عن يميننا و شمالنا كلها مزارع، و الأشجار و الأنهار ممتدة معها. و مررنا بجبال خرقت للبابور فكان يمر تحتها، و لو لا الضوء المتخذ فى سقف العربية ما كان أحدنا يرى غيره، فمر ثابتا فى هذه الطريق تحت أحد عشر جبلا، منها ما قطعه فى دقيقة، و فى دقيقتين، و فى ست دقائق، و ما بين ذلك، و منها ما قطعه فى عشر دقائق مجانية، و قد اتخذ فيه مواضع توقد دائما، و الطرق فى وسطه متعددة، و كثيرا ما يلتقى فيه بابوران، كل منهما يجرى على طريقه/ ۱۸۴/ يتقدم لهم من الإعلام بذلك، و يتقرر عندهم على حسب مصطلحهم ليلا تقع المصادمة و العياذ بالله، و أما القناطير التى مررنا تحتها فهى كثيرة جدا، و مررنا على مدن و قرى عديدة، فكان البابور يقف فى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۵

بعضها لما له فى ذلك من الأغراض، وسقا و وضعا، فوقف أولا فى مدينة لوفاير فى الساعة العاشرة و نصف، و فى طرلام فى الحادية عشرة و ربع، و فى أنس فى ثنتى عشرة و ست دقائق، و فى أوبرى فى ثنتى عشرة و ربع، و وصلنا لمدينة الياج بعد منتصف النهار بثلث ساعة، فتلقى للباشدور عاملها و كبراؤها، و أخبروا أن كبير دولتهم أمره بالوقوف معنا حتييطوف بما فى هذه البلدة و فى أخرى قربها، لنرى ما لهم هناك من الفبريكات العظام التى لا توجد عند غيرهم من الأجناس، ثم أتانا بأكداش ركبناها و سرنا إلى محل النزول، فأنزلونا فى أشرف المواضع عندهم و أنظفها، فنزلنا فى الطبقة الثانية منه، فاتخذنا فيه صالة مزخرفة غاية للأكل، و أخريين للنوم. و وجدنا فى هذه الطبقة بيتين من بيوت الخلاء و آخر فيه بانيو للوضوء، و هو صندوق يتخذونه من بعض المعادن و الماء ينزل إليه عند

الحاجة فى بزبوزين. و فى هذه المدينة من التحف و اللطائف شىء كثير لا نرى فى غربنا إلا أقل قليل، و خرجت فى بعض الأوقات مع الأمين و معنا ترجمان دولتهم/ ۱۸۵/ و رجل من كبراء عسكرهم.

و توجهنا لبعض أسواقهم، فاجتمع علينا جم غفير من الرجال و النساء و الصبيان، حتى كادت تسد الطريق، و هم يتعجبون منا أكثر من تعجب غيرهم منا، فحين رأينا ذلك رجعنا لمحلنا، لأنهم لا يطرقهم أحد من المسلمين إلا نادرا. و مع ذلك قيل لنا نلبس بلغة من بلاغهم، و كسوة من مساويهم إلا الطربوش فنتركه، فنزع العمامة ليلا نصير عندهم مثلة و أعجوبة، و هم مع ذلك لا تصدر منهم إذاية و لا مضرة، لا من الكبير و لا من الصغير إلا ما كان من كثرة الضحك و اللغط جهرا فيما بينهم. و مررنا ذات يوم فى الأكداش على رجل كبير السن، فحين رأى الباشدور قفز من موضعه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۶

و صاح صيحة عظيمة كأنه فاجأه أسد، أو حل به ما هو أشد .

الدار القديمة بها و بعض صفاتها و ما فيها

و فى مساء هذا اليوم وجهت إلينا الأكداش، فركبنا مع الباشدور و سرنا إلى دار قديمة عندهم فى هذه البلدة لم يقفوا لها على تاريخ، إلا أنها فى ملكهم بنحو إحدى عشرة مائة عام، و هى عندهم من ديار المخزن، فوجدنا عامل البلد بباب هذه الدار و معه المكلفون بها. و أخبروا أن هذه الأرض كانت بيد غيرهم من الأجناس، و أنهم أخذوها من أيديهم فدخلنا القبة الأولى و الثانية و الثالثة، و ليس فيها إلا التصاوير و المرءات و الشوالى. و فى الثالثة خزان معدن فيها حجر من بعض المعادن و سلاح قد صنع منه، و فى القبة الرابعة فخار عمل التينة، و أوانى الزاج و فخار عمل النامسا، و طبسيل كبير من عمل الهند،/ ۱۸۶/ و فى الخامسة لوحة فيها آلة النجارة التى تخرج عندهم الآن. و فى السادسة فخار أيضا و أثاث و مبخرة نحاس أكبر من قامة الإنسان، كروى حرفها، قطره أزيد من ذراع، و ناقوس معلق قيل له خمس عشرة مائة سنة، و مقرج بديع كروى الشكل مذهب، يده من صفر قد حبست فيه بصنعة عجيبة، قيل كان لبعض ملوك الهند و اشترى من بعض وصفائه، و فيها حيوان ككلب النصارى الصغير قد شال ذنبه إلى ظهره و فتح يده، و شفته العليا عظيمة كشفة الجمل ، و هو أخضر اللون، و فى ذاته كالدماميل ناتئة كغلالة البحر، قيل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۷

يعبده بعض أهل الهند. السادسة فارغة، و ليس فى وسطها سوى زربية، و بجدرانها سراجم، و فى السابعة شوالى و موائد بالملف الأخضر، و سراجم تشرف على مشور هذه الدار، و هو براح مربع محيط بالأنباح، فى وسطه خصة، و فى الثامنة شوالى و موائد أيضا بالملف الأخضر، و فيها كناش يضع فيه خط يده من يدخل ذلك المحل من ملوك و أكابر الملل و أعيانهم. ثم توجهنا إلى دار فيها عينات من المكاحيل التى تعمر من الخزنة، منها عينة بخزنتها يد حديد تجذب فتفتح خزنتها من غير كسر السرير إلى أسفل، و يجعل القرطوس فى محله، و ترك تلك اليد إلى محلها فتطبق على القرطوس، و هى المعتبرة فى هذا الوقت لم يكن حينئذ أخصر منها عملا، و فتح خزنتها بمحضرنا فإذا هى مشتملة على طرفين من حديد، بهما ثقب و تعريج و آخر كالخيط لا غير. ثم ركبها/ ۱۸۷/ وردها إلى محلها. و منها نوع آخر بأسفل الخزنة حديدة مدورة كالحاضى فى مكاحيل غربنا، و هى فى محله تجذب من أسفل، فتنفتح الخزنة إلى آخر العمل. و منها عينات كثيرة، كل عينة لجنس من الأجناس يصنعون له مثلها، حتى أنهم يصنعون للسودان مكاحيل طوال ذات الزناد، و يصبغون سرائرها بالزنجفور.

فابريكة الصفر و النحاس

ثم سرنا إلى فابريكة صنع الصفر و النحاس فدخلنا إليها فوجدنا فى بيت فيه سلل مصنوعة من قضبان فى كل واحدة قدر من النحاس و

روح التوتية و الصفر، و فى بيت آخر تقصيص ما يتساقط من ورقات الصفر و النحاس عند قطعها أو تدويرها. و صبيان هناك يجمعونه فى المهاريس، و يدقونه حتى يلتئم بعضه ببعض ليرد للتذويب.

و دخلنا البيت آخر وجدنا فيه مجامير محفورة فى الأرض، مبسوطة معها مع أساس الجدار، و النار تلتهب فيها بريح المكينة. و هى مغطاة بألواح لعلها من حديد، قد رفعت عن فم المجمار بسلسلة من وسطها و ركبت فى الجدار. و وجدنا فى هذا البيت قوالب مربوطة، شكلها مستطيل، و فم القالب مفتوح بمقدار عرض القالب، و قد وقف و نصب مائلا إلى الأرض إلى جهة المجامير ليسهل تعميره، ثم رفعوا غطاء مجمر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۸

و أخرجوا منه بوطا عظيما طوله نحو ثلاثة أرباع ذراع، و هو مستدير، قطر دائرته كثلث ذراع. و وضعوه على خرصة قد التحمت من طرفى وسطها/ ۱۸۸/ بقضيبين من حديد، و بهما يرفع البوط رجلان، و يصبان منه فى القالب، فأفرغا هذا البوط الذى أخرجاه من بيت النار بمحضرنا فى قالبين فملأهما، و لم يفضل فى البوط شىء ثم ملأه بالفاخر و رداه إلى بيت النار ليلا يبرد، ثم فتحا بعض القوالب و أخرجا من كل واحد قطعة نحاس طولها ذراعان، و عرضها نحو نصف ذراع، و غلظها أزيد من أصبعين.

فابريكة صنع الفلايل

ثم صعدنا إلى طبقة بهذه الدار فوجدنا فيها مكينات تصنع الإبر من سلك الصفر المسماة بالفليلة. فرأس السلك تمسكه آلة من المكينة كهيئة الزيار، و تدفع منه مقدار طول الفليلة، فيسقط عليه طرف منها محدد يقطعه من السلك، فيسقط إلى آنية موضوعة له، ثم يجمع منها و يجعل بين قطعتين من حديد غلظهما مثل طول الفليلة، و رأس القطعتين محدب، و بينهما رحى تدور غلظها كغلظ إحدى القطعتين، و حرفها مفتوح فيه مقدار جرم الفليلة، فإذا وضعت الفلائل على تلك الرحى و بين القطعتين المحدبتين، فبالضرورة تنحدر الفلايل بالطبع إلى الجهة الأخرى إلى أسفل، فتتزاحم حال النزول و لا يزال يتضايق الموضع الذى تريد الخروج فيه على حسب التقاء الخطين المحدبين من جهة تحديبهما، حتى لا يبقى بين التقائهما إلا مقدار خروج فليلة واحدة بعد واحدة، فإذا خرجت و دارت بها تلك الرحى و أرادت الفليلة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۳۹

السقوط/ ۱۸۹/ فإنها تتساقط داخل دور من حديد قد فتحت فيه قوالب لها بمقدار رقتها، و حرفه أقصر من طولها بنحو نصف أصبع. فعند تساقطها فى هذه القوالب تبقى رؤوسها خارجة من القوالب، و حيث ينتهى بها إلى غاية الانخفاض لما بين رؤوسها رحى من حجر تدور أسفلها، فتحدد رؤوسها عند مرورها على تلك الرحى، ثم تأخذ فى الصعود و هى لا زالت فى تلك القوالب، حتى تلقاها مكينة أخرى فيها طرف حديد لطيف، ينزل بلطافة على رأس الفليلة فيخرجها من ذلك الدور، فتمر عند خروجها مماسة لحديدة أخرى. و عند التماس تنزل عليها حديدة أخرى، فتصير الفليلة مقبوضة بينهما و ذنبها خارج تلك الحديدة التى كانت تماسها أولا عند خروجها، فإذا صارت ممسوكة بينهما و ذنبها خارج، تنزل عليه مطرقة صغيرة بثلاث ضربات، ثم ترجع المطرقة مع الحديدة الماسكة، فتسقط الفليلة فى آنية تحتها، و قد تم عملها، فتجمع و تدفع لصبيات فى طبقة أخرى فوق هذه، فيضعنها فى الكاغد مقروة فيه على كيفيته المعهودة، و لا حاجة إلى بسط عملهن و إن كان مما يتعجب منه، لكن بسطه يطول.

و فى طبقة أخرى ورقات من الصفر و النحاس و السلك على أنواع، منه ما هو رقيق كالإبر و أرق. و منه ما هو مثل الأصبع فى الغلظ، و فيه طاسات و أكواب من صفر، و صفر مستدير، أظنه منه يصنع الصوانى فى غربنا.

دار فابريكات صنع المكاحيل و غيرها

/ ۱۹۰/ و فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من جمادى الثانية ، توجهنا لدار فابريكة صنع المكاحيل، فحين وصلنا إليها تلقانا كبيرها

بالترحيب و التعظيم كما هى عادة كل كبير محل معنا. فصعد بنا لخزين بأعلاها، فوجدنا فيه جميع العينات التى تصنع للأجناس كما تقدم، و جميع عينات الكوابيس. و من المكاحيل ما له جعبتان، و ثمن هذه العينة أربعون ريالا، و منها ما لها جعبة واحدة، و تعمر من الخزنة، و هى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۰

من العينة المختصرة، فى الوقت التى لم يظهر بعد حينئذ أرخص منها، ثمانية عشر ريالا، و هناك بأقل من ذلك. حتى أن هناك عينة بالزناد ذات جعبة واحدة، ذكر أن ثمنها ريال واحد و خمس ريال. ثم نزلنا و دخلنا للمكينة، فوجدنا بعض الجعبات موضوعات أمام رجال، و قدر كل واحدة ذراع واحد فى الطول، و غلظ حرفها كالأصبع، فيدخلون الجعبة لبيت النار، ثم يدخلونها بين ناعورتين تدور إحداهما على الأخرى، و هما كقطعتى سارية مدورة الشكل، و فتح فى كل واحدة منها أنصاف دوائر بحرفها متفاوتة فى الصغر و الكبر، و عند دوران إحداهما على الأخرى تنطبق أنصاف دوائر إحداهما على أنصاف دوائر الأخرى، فتكمل دوائر منهما معا، متصاعدة كما بالطرة ، فيدخلون الجعبة فى الدائرة الأولى فتدور عليها الناعورتان، فتخرجها منها بسرعة أطول مما كانت. ثم فى الثانية و فى الثالثة و فى الرابعة كذلك حتى يصير فى طولها نحو ذراعين و نصف، فيلقيها رجل آخر يقطع من طرفيها القدر الزائد بمنشار/ ۱۹۱/ رحوى يدور و يدخل فى فمها قضيبا من حديد، و يصير يرفعها و يسقطها على لوحدة حديد مبسوطة لزوال ما فيها من الاعوجاج، ثم يبالغ فى استقامتها بمطرقة بيده، و يرميها آخر فينصبها أمامه على قرب رحى من حجر تدور، فيمرها عليها و عن يمينه قضيب حديد كالمخطاف، يلقى الجعبة عند امتداد خروجها عن الرحى فتبردها هذه الرحى فى أقرب مدة، فمنها ما تكون خزنتها مثمنة، و باقيها مدور كعمل عينة أفرقان، و منها ما هو بخلاف ذلك، فإذا تم بردها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۱

دفعت لآخر ينصبها أمامه و يشتغل بتبريمها فتدخل البريمة فيها كما يدخل رأس المشعاب فى العود، و الماء يتقاطر عليها من فوق ليلا تذوب. و رأيت فى بعض جهاتها ناعورتين كاللتين حوله، لكن أنصاف الدوائر المحفورة فى إحداهما يسامتها من الأخرى نصف دائرة بارز عن جسمها أصغر من نصف دائرة الرحى الأخرى، و هى هناك متعددة متفاوتة، فظننت أن فى هاتين الناعورتين بنيديان طى الجعبة حين تكون بارة مبسوطة و الله أعلم. و وجدناهم يصنعون هذه الجعبات من أول وهلة أجساما صلبة كهيئة الزكروم، ثم يبرمونها على حسب غرض الطالب.

الفابريكة العظمى فى مدينة سراين و ما يخدم فيها

و فى منتصف هذا اليوم ركبنا فى بابور يسافر فى الوادى الذى يشق هذه المدينة، لأن فيها بابورات عديدة ليس فيها صوار، و هى كبيرة تسافر فيه إلى المدن التى بشاطئيه، و توجهنا إلى مدينة تسمى سراين، فسار البابور بنا فى هذا الوادى ثلثى ساعة، و عرضه من المحل الذى ركبنا/ ۱۹۲/ فيه نحو عشرين خطوة، و المون يحده من الشاطئين. ثم خرجنا من قنطرة منصوبة عليه فوجدناه انبسط غاية، يمينا و يسارا حتى صار فى العرض مثل مجاز العدوتين. ثم لقيتنا قنطرة أخرى فيها خمسة قسى،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۲

و عند مرورنا تحت إحداهما مرّ فوقنا بابور البر. ثم انتهينا إلى قنطرة أخرى امتدت من الشاطئ إلى الشاطئ، و ليس فيها قسى، و طولها نحو خمسين خطوة، و انظر كيف تأتى لهم ذلك، و فى هذا الوادى سد بابارات حديد يترك للماء فرجا يخرج منها، قيل إن العلة فى ذلك ليلا يتموج الماء فتصير البابورات تضطرب فيه.

و عند نزولنا من هذا البابور ركبنا إلى دار اشتملت على اثنتى عشرة فابريكة، يخدم فيها كل ما يحتاج إليه عندهم من آلات الحديد، و مثل مكينات بابورات النار و بابورات البر و طرقها و آلات القراصن، و الفرقاطات التى تصنع من الحديد و المدافع و تصفية المعادن

الحديـد و النحاس و الهند و غير ذلك من كل ما يحتاج إليه. و هذه الدار تخدم لجميع الأجناس من جميع ما يطلبون من المكينات، و ليس يوجد فى بر النصارى أعظم منها و لا ما يماثلها. و طولها كما ذكر عشرون ميلا.

و معـدن الفاخر تحتها ينزل إليه الخدمة بالضوء، كل واحد فى حزامه فنار، يقفون على مائدة ستة أناس و تلك المائدة مربعة، فى كل زاويـة قنبـة ككفة الميزان، تنتهى إلى أعمدة من حديد مساوية فى القدر لأرباع المائدة، ثم يجمع بين أطراف القنانيب فوق الأعمدة و تربط فى شريطة مبسوطة/ ۱۹۳/ ملتوية على ناعورة عظيمة، إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۲۴۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۳

و عند استقرار الخدمة الستة محل تلك المائدة يرسلون تلك الناعورة، فتسير تدور دورانا مثل دوران ناعورة الشراط فى غاية جهدها، و بـدورانها تنزل المائدة بالخدمة إلى معدن الفاخر بمقدار خمسـمائة متر كما ذكر، و عند نزول هؤلاء الخدمة يطلع آخرون من تربيعة أخرى حـداء التربيعـة التى ينزل فيها الآخرون، و هؤلاء الخدمـة يخـدمون الفاخر هناك ست ساعات، و يطلعون على أسوأ حال كأنهم من عبيـد الزنـج. و ينزل لهـذا المعـدن ريـح عظيم من مكينة عظيمة خاصة له لتوليد الريح، و لولاه ما تأتى الخدمة فيه، فقلت إذ ذلك أنتم قلتم إن بين الأرض و المعدن خمسـمائة متر و الأودية فى أرضـكم كالبحار، فبالضـرورة يكون آبارها قريبا. و هؤلاء الذين حفروا تلـك الميـاتر لم يصـلوا إلى المـاء، قيـل بلى حين وصـلوا إليه نزحوه بالطرونبـات و نبوا عليه بنـاء محكما من جميع الجهات فرجع إلى مواضع آخر، و قيل إنه يخرج من هذا المعدن عشـرون ألف قنطار كل يوم لخدمة مكينات هذه الدار. و فيها من الخدمة تسعة آلاف و اثنا عشر مهندسا، قدم علينا أحدهم فرأيته ولدا صغيرا نحيف الجسم، قلت لا أظن هذا الرجل يدرك الثلاثين سنة، فسئل عن سنه فقال: فى هـذا الشـهر يكمل ستا و شـرين سـنة و لا غرابة فى ذلك لمن نشأ فى علوم الهندسة و الرياضيات. و هذه الدار فى طرقها سـكك لبـابور البر يأتى إليها بالمعادن و غيرها، و يخرج منها المكينات و المصـنوعات التى/ ۱۹۴/ تخـدم فيها، و رأينا فى بعض أماكنها حجرا أحمر قيل إنه يضيفونه إلى معدن آخر و يخرجون منه الحديد و النحاس، و ذكروا أن فى غربنا من ذلك معادن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۴

كثيرة . و أخبرنا أن هذه الدار صير عليها فى بنائها و إقامتها ثلاثون مليونا من الريال، و أن صاحبها ربح فى هذا العام فيها أربعة ملايين من الريال.

و من جملة ما رأيناه فيها من الصنائع، أننا وجدنا ساقية تجرى بالحديد المذاب كما يجرى الماء فى سوانى العراصى، و ينصب فى برمة عظيمـة أعظم من برمـة الحمام بكثير، و النار توقد فى باطنها، و يخرج منها لهب عظيم، فإذا قرب ملؤها تدور فينحدر فمها إلى أسـفل، فتبعد الخدمة عنها و تصير ترمى بشرر من النار، ثم يوضع تحتها برمة أصغر منها كبرمة الحمام، و تملأ هى الأخرى من المعدن المذاب فيها. فإذا ملئت يفتحون مخرجا فيها من أسـفلها و يضـعون تحته قوالب مختلفـة الأشـكال على القـدر المراد عنـدهم، و كلما ملئ قالب ينزع و ينصب آخر، و هكذا حتى تفرغ البرمة.

و هذه القوالب منها ما هو معد لفرغ رويضات بابور البر و طوله أقل من ذراع و العرض و الغلظ مثل ثلث ذراع. و منها ما هو يصـنع منه بـارات طريـق الحديـد، و يكـون طـول قـالبه أزيـد مـن ذراعيـن، و العرض و الغلـظ كثلث ذراع، و منهـا مـا هـو لغير ذلـك من آلات المكينات، إذ كل آلـة يصـنعون لها قالبا بقدرها أو أزيد بيسـير فى بعضـها فقط. ثم رأينا خدمة يخدمون البارات التى تنصب فى طريق الحديـد، فيأتون أولا إلى القطعة من الحديد المفروغة لأجلها، بعدما يخرجونها/ ۱۹۵/ من النار يجعلون رأسها بين ناعورتين كساريتين كما ذكر، قد حفر فيهما قوالب البارات متفاوتة فى الكبر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۵

و الصـغر، فتـدوران عليها فتخرج من تحتها بل من بينهما أطول مما كانت و أرق. ثم يمرونها تحت التى هى أضـيق منها، و هكذا حتى تصـير هذه البارة فى طولها ثلاثين خطوة، و عند خروجها من القالب الأخير و الذى قبله تصـير و ترتفع و تنحدر كما يشاهد فى قضبان

الحلواء عند خدمتها، ثم يخرجونها من المزرة الأخيرة و ينصبونها فوق جريرات من حديد مدفون جلها فى الأرض، و هى على سمت واحد لتبقى مستقيمة ليس فيها اعوجاج، فيأتى رجل آخر بمنشار رحوى و يأخذ من طرفيها القدر الزائد، ثم يقسمها نصفين به.

و رأينا أناسا آخرين يصنعون الرويضات التى تنصب فوقها كروصات البابور، و ذلك أنهم يأتون بتلك القطعة من الحديد المفروغة لأجلها، بعدما يخرجونها و يضعونها فوق مزبرة كمزبرة الحداد، مربعة نحو ذراع و نصف طولا و عرضا، و فوقها قطعة من حديد مربعة، وزنها كما قيل مائة قنطار، و رجل واقف يحرك يدا من حديد قربها، فتصير هذه القطعة ترتفع و تنزل بجهد عظيم على التى نصبت تحتها، حتى تصير مستديرة منبسطة، فيضعون فى وسطها مثقبا مستديرا قطره نحو ثلث ذراع، فتنزل عليه تلك القطعة ثلاث مرات، فيقوص جله فى القطعة أسفله، فينزعون و يقلبون تلك القطعة، و ينصبون المثقب فى وسطها/ ۱۹۶/ و تنزل عليه مرتين، و ينزعونه فتنفذ الثقبة فى تلك الرويضة، فيذهبون بها لمكينة أخرى فيها يد من حديد خارجة، يدخلونها فى فرجة الرويضة و تدور عليها فتنبسط تلك الفرجة، و لا تزال كذلك حتى يصير فى قطر دائرة الرويضة نحو ذراع و نصف، و فى غلظ حرف الرويضة نحو أربعة أصابع، و تخرج بحرفها ناتئا فيها الذى يحدها عند دوراتها على حرف بارات طريق الحديد، فعند ذلك يخرجونها و يضعونها على أرض منبسطة، و يرقمون فيها الحروف التى يطلب الأجناس وضعها عليها. و من جملة ذلك وجدنا رويضات كثيرة موضوعة قد فرغت فى ذلك اليوم، و رقم عليها طابع حروف أنجلترا، فذكر أنهم يخدمونها له و يعملونها له بعلامته كما يطلب. و قال لنا كبير الدار الذى يطوف معنا انظروا فإننا نخدم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۶

للنجليز ما يحتاجه و نطبعه له بطابعه، و الناس يقولون أنه أجهد منا. و وجدنا الخدمة فى بعض المواضع يلفقون ناعورة عظيمة لمكينة البابور أو غيره، و هى من أجزاء، كل جزء يرفعونه بالبوجى، و يركبونه فى موضعه حتى تلتئم الناعورة، كما يلفق دور العراصى. و فى موضع آخر خدمة يصنعون قنطرة عظيمة، طولها سبعون خطوة، و عرضها اثنتا عشر خطوة، فالطول مركب من أجزاء و كل جزء مثلث الطرفين، و يأخذون كل مثلث نحو نصف عرضه، و من آخر كذلك، و يقرن بينهما بطراريش حتى يظن أنه قطعة واحدة، و يتركون فى وسط الأجزاء أجراما ناتئة من الحديد توضع عليها قناطر حديد أى عرض القنطرة/ ۱۹۷/ و يوصل بين ذلك باللوالب و الطراريش، ثم أناس آخرون يصنعون المدافع، فرأينا قطعة من الحديد مثل الصندوق فوق مزبرة مناسبة بجرمها، و المطرقة ترفعها المكينة و تنزل عليها فيها ثلاثمائة قنطار كما قيل. ثم خرجنا من هذه الفابريكة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۷

مكينة البلار و الزاج

و دخلنا إلى فابريكة صنع الأثاث من الزاج و البلار ، فوجدنا فيها بيوت النار متعددة و الخدمة بل المعلمون بيدهم جعبة حديد أرق من المكحلة، فإذا أراد صنع حاجة يدخل رأس الجعبة فى بيت النار، و يأخذ التخليطة التى فى داخله القدر الذى يكفيه للآنية التى يريد صنعها، و ينفخ فى الجعبة فتنتفخ تلك التخليطة لأنها تكون مثل العجين فيفتح له متعلم قالب تلك الآنية قد حفر فيها كهيئتها فيضعها فى القالب و هى لاصقة فى رأس الجعبة، فيسد المتعلم القالب فينفخ المعلم فى الجعبة حتى يعلم أن الريح الخارج من فيه قد ملأ القالب، و يبقى بينهما جرم الآنية، فيفتح القالب و ينزعها و يقطعها من الجعبة بعدما يدخلها بيت النار، و يدخل فى فمها قضيبا من حديد و يديرها به على حديد مبسوط، و يجعل عليها شيئا من الماء أو الدهن، و يصير يعدل فاها بذلك القضيب، بعدما يمسكها بآخر من قعرها و بآخر فى رأسه شىء يسير من تلك التخليطة، فإذا تم تعديلها يضرب القضيب الماسك لها ضربة خفيفة فينفصل عن قعرها، فيأخذها متعلم و يضعها بمحل آخر. هكذا رأيناهم يصنعون جعبات لآنيات وقود الغاز، و آخرون يصنعون الأباريق بالأيدى هكذا، بعد ما يعدل فم الإبريق الذى يكون/ ۱۹۸/ فمه معكوفا إلى أسفل يأخذ رجل آخر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۸

من التخليطة التى ببيت النار بقضيب، و يخرجه فتنحدر منه التخليطة نازلة إلى أسفل كقضيب الحلواء، فإذا صارت رقيقة فى القدر الذى يريد صنع اليد منه، يلقى المعلم رأس القضيب من التخليطة بعن الإبريق فى محل وضع اليد منه من أعلاه، فيلتئم رأسه هناك، فيقطع من ذلك القضيب النازل مقدار اليد بمقراض، و يمسك رأسه الآخر بلقاط، و يضعه ببطن الإبريق خارجا، و يعدل اليد بقضيب آخر، و على الكيفية التى يريد. و وجدنا آخرين يصنعون كؤوسا كبيرة مثل التى نتخذها لإقامة الأتاى، و لها قوالب قد حفر فى جرمها مقدارها مع التوريق الذى يرى بها، فيأخذ المعلم القالب، و يجعل فيه مقدار ما يصنع منه الكأس الواحد، ثم يحرك المكينة فينزل طرف من الحديد مثل باطن الكأس فى القدر، فيقوص التخليطة التى فى وسط القالب، حتى لا يبقى بين رأس هذا الطرف و قعر القالب إلا مقدار قعر الكأس، فيرتفع القالب عنه، فيخرجون القالب، و يفتح و يخرج منه كأس مورق تام الهيئة، فيوضع فى محل آخر حتى يبرد، و هكذا عملهم. ثم خرجنا من هذا الدار بعد ما رأينا فى محل منها صناديق مملوءة بتراب أحمر و رماد.

فسئل عنها فقيل هى تخليطة الزاج ، فقيل ما هى فقيل ثلاثة أجزاء من الرملة، و جزءان من الزرقطون، و جزء واحد من رماد العود، و فى هذه الدار عشرون مائة من الخدمة كما ذكر، فى طباقاتها أوانى من الزاج و البلار أشكال مختلفة،/ ۱۹۹/ و لا أظن شيئا من ذلك يجلب لغربنا بقصد التجارة لغلائه و ارتفاع ثمنه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۴۹

فابريكة صنع الملف

و فى يوم الأربعاء الثانى عشر منه، توجهنا راجعين من مدينة الياج إلى مدينة بروكصلا، فمررنا فى الطريق على دار فابريكات صنع الملف، فدخلنا إليها فوجدناهم يجعلون الصوفة أولا فى صناديق مثل الصهاريج، و هى متصل بعضها ببعض طولا، و الماء يجرى فيها مثل ما يجرى فى الساقية المنحدرة، و الصوف تجعل فى الصندوق الأول، و نصب على كل صندوق ثلاثة قضبان من الحديد، و ألصق فى كل قضيب ثلاثة قضبان مقاطعة له، و الماء يدور بها، و بدورانها يحرك القضبان الأولان الصوفة من داخل الصندوق إلى أمامه، و بجره لها و مرور الماء عليها يبتدئ الوسخ فى الخروج منها، و عند وصول الصوف إلى القضبان المعكوفة فى الصف الأخير تعلو بها الصوف مع شىء من الماء فى مجرى من حديد، فيرتفعان أى الماء و الصوف، كل فى محله يدوران الماء الذى فى الصندوق إلى أن يصلا إلى غاية الارتفاع، ثم تنزل هذه القضبان الحاملة للصوف على حرف صندوق آخر، فينزل ذلك الماء المرتفع معها عليها، فينزل بها فى الصندوق الثانى و قد خرجت منه نقية يسيرا، و تخرج من الثانى أنقى مما كانت فى الأول، و من الثالث أصفى مما كانت فى الثانى و هكذا حتى لا يبقى بها شىء من الوسخ، و بقرب الصندوق الأخير جعبة من حديد أقل من القامة، و قطر دائرها نحو ذراعين، تدور دورانا سريعا فتخرج الصوف من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۰

الصندوق الأخير أجزاء لطيفة،/ ۲۰۰/ و تثبت بباطن تلك الجعبة فيصيبها الريح بسبب دوران تلك الجعبة فتيبس عاجلا و تخرج مغسولة بيضاء غاية، ثم يجعلونها فى صناديق أخر تدور فى وسطها نواعير كالطبل بل كهيئة الطبل، و هى أعظم، و بدورانها تجدب الصوف إليها و تخرجها من تحتها قطعا قطا صغيرة جدا، و تنقيها من الشوك الذى يكون بها فيخرج وحده، ثم يضعون هذه الصوفة فى صناديق أخرى قد نصبت فيها نواعير مثل السوار، تدور و تجدب الصوفة إليها بمسامير من سلك رقيقة، قد أثبتتها المكينة فيها بصفة عجيبة، فتخرج الصوفة منها مقرشلة لطيفة، فتتلقاها جعبة أخرى مثل السارية تدور عليها، و قد نصب على حرفها مثل المنشار ينزع الصوفة التى علقت بها، فإذا نزعها عنها تبقى ملتئمة على طول تلك الجعبة، و طولها أزيد من ذراعين، و هى ترى مع ذلك كالعباء فتوصل إلى طرف من عود يدور أمامها فتلتوى عليه و قد جمع طرفيها فترجع مسبولة من الصوف ملتوية على مغزل، و بهذه الدار

قراشيل على هذه الكيفية عديدة مصطفة صفا أمام صف، و كل صف موكل به متعلم أو متعلمة، فإذا ملئ ذلك المغزل بسبولة الصوف تكلم ناقوس بقربه فيأتى المتعلم فينزعه و يركب آخر فيتكلم ناقوس آخر فينزع مغزله و يضع آخر. هذا شغل هؤلاء المتعلمين هناك لا يفترون، كل واحد منهم مقابل لصف من تلك المغازل، و هناك بمحل آخر صفوف فيها مغازل قائمة تغزل هذه الصوف./ ۲۰۱/ و عدد صفوف هذه المغازل ثمانية و أربعون صفا، فى كل صف ثلاثون مغزلا، و بها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۱

مواضع أخر للغزل على كيفية أخرى، عددها- و الله أعلم- مثل الأخرى. و فى محل آخر فيها متعلمات يركبن هذه الصوف المغزولة على نواعير أمامهن، كنواعير الطرازة، إلا أنها أعرض، حتى يصيّرنها على الكيفية التى تراد للنسج ، فتركب فى المناسج كمناسج الطرازة بالغرب، إلا أنها أخصر عملا فيخدمها رجل واحد برجل واحدة، و النزق يدخل و يخرج وحده، فكلما خرج النزق عن المنسج تلقاه لوحة تضربه ضربة واحدة فيرجع نزقان يخدمان فى كل منسج، و بعد ذلك يصبغون الملف على الكيفية المطلوبة. و هذه الدار تخدم كما قيل لأجناس كثيرة، فمنهم من يخدم فيها الملف، و منهم من يغسلها فيها لا غير. و وجدنا فيها براحا عظيما فيه مكينات صغيرة لطيفة، تصنع قراشيل للصوف وحدها، لا يقابلها أحد إلا عند التركيب أو النزع. أما الجلد الذى تركب فيه أسنان القرشال، فيفصل باليد و تلصق أطرافه بعضها ببعض حتى يصير طرفا واحدا طويلا، فيلوى على ناعورة أعلا المكينة، و يمسك طرفه أسفلها، ثم يجعل السلك الذى يصنع منه القرشال فى آنية فى الأرض عن يسار المكينة، و يرفع رأس السلك حتى تقبضه المكينة بطرفى حديد مثل الأصبعين، و هو بينهما فيصير هذان الأصبعان يرفعان من السلك طرفا بعد طرف على قدر واحد، و مهما دفعت طرفا نزلت عليه قطعة من حديد، فتفصله، و عند الفصل تخرج إبرتان تثقبان ذلك الجلد ثقبتين متقاربتين، ثم تأتى حديدة أخرى/ ۲۰۲/ تثنى تلك القطعة من السلك، و تقرن بين رأسيها حتى يبقى بينهما مقدار ما بين تلك الثقبتين، فيجر بل يدخل فيهما بعد انعكافه من أسفل كما تعكف أسنان القرشال. و هكذا خدمته و المكينة مارة مع صف أسنان القرشال، حتى يتم صف الذى تصف فيه الأسنان، فيعلو الجلد بمقدار صف آخر فتأخذ راجعة فى خدمه . (...../ ۲۰۲/) بارات حديد (.....) ، و الماء يخرج من بين البارات، و عند وصولنا إلى ذلك الباب

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۲

وجدناه مسدودا، فوقفنا هنيئة حتى خرج الماء المحصور فى ذلك المضيق، و نزل و استوى مع الماء الذى يخرج من بين البارات، فعند ذلك أخذ رجلان بطرفى القنطرة يدوّر كل واحد منهما ناعورة، و دفتا الباب تفتحان بسبب ذلك حتى وصت الدفتان إلى حائط القنطرة، فعند ذلك خرج البابور و سارنا إلى أن وصلنا إلى البر، فوجدنا هناك خلقا عظيما من الرجال و النساء و الصبيان، واقفين ينتظرون قدومنا، و عند نزولنا إلى البر أخذ بعضهم ...!

القبة العظيمة القريبة من دار عظيم الدولة و الأثاث و عينات الحوائج التى فيها

/ ۲۰۶/ ... الماء تجر التراب من الذى بأسفل الساقية، و الماء يخرج من ثقب بذلك اللوح الذى يجر التراب، فيبقى الماء صافيا عند دخوله للبلد. و مثال السلك الذى يعلم به عند اشتعال النار، فى بعض المواضع، مراكب صغيرة موضوعة، منها مركب قسم طولا ليرى باطنه و ظاهره، و مثال مدرسة للموسكو، و صومعة من عود ينزل أحدهم من أعلاها فى قنبة يمسكها بحديدة بيده، فيها ثقب يدخل فيها تلك القنبة بعد ما يجعل فى رأس القنبة علاقتين إحداهما يجلس عليها و الأخرى يجعلها تحت إبطيه و بين كتفيه كهيئة المشمار الذى يشمر به الإنسان، و ينزل بعد ذلك، و إذا أراد الوقوف و هو نازل فيقف بعد أن يلوى القنبة على تلك الحديدة فيقف، و وجدنا فلكا كبيرا لعله من ثوب حشوه ريح، لا تغرق بسبب ذلك، و فلكا آخر اتخذ بقعره عنبرا إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۳

أى فضاء، و جلد عليه لا شىء فيه كما قيل، و بسبب ذلك الفضاء لا يغرق هذا الفلك، و مركبا فيه قنبة كبيرة، قيل هى مثال للمركب

الذى يكون وقت الحرب فى البحر، و تصيبه كورة و تخرقه فيوضع على تلك الثقبة صوف ملبدة غليظة، و يمسكها بالزّيار على تلك الثقبة، فلا يدخل الماء منها للمركب. و معدة ينزل تحتها كأس بلار على ورقة من المعدن، و بنزوله عليها ينزل الماء من المعدة فى ذلك الكأس، فإذا رفع انقطع الماء. ثم الآلة التى ينزلون بها إلى المعدن إذا تقطع بهم السبيل أثناء النزول تنتشر الأعمدة من الفنار النازلين/ ۲۰۷/ فيه و تثبت فى الجدارات فيبقى الفنار واقفا بهم فى أثناء النزول. و فيها من آلة البحر أشياء عجيبة. و جملة ما فيها يحتاج إلى مجلد كبير .

ثم توجهنا منها إلى دار فابريكة خدمة البرنتك، فوجدنا فيها مناسج كثيرة، عرض المنسج أربعة أمتار و خمس متر كما ذكر كبيرها. و نصف هذا المناسج من الأعلى إلى الأسفل، و ليست كما نعلم من امتدادها أماما، و خيوط السداد النازلة من المنسج تذهب أماما و ترجع ثلاث مرات، و عند ذلك يطلع منشار بين خيوط السداد يحصر تلك العقد التى انعقدت بتردد الخيوط، و هكذا العمل فى نسج البرنتك، فهو سداء دون طعمة، و المكينة هى التى تخدم المناسج كلها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۴

ما رأيناه فى ساقية الماء الجارى فى البلد

و فى يوم الجمعة بعد صلاة الظهر توجهنا لدار عامل البلد بعد ما استدعانا لذلك، فحين دخلنا لاسطوان داره وجدنا فيه ساقية مربعة على قدر طول الاسطوان، و طوله يقرب من ثلاثين خطوة، و عرضها نحو ذراع واحد، و غرقها نحو عشرين خطوة، و الماء يجرى من تحت الاسطوان بين قوسين عظيمين، قطر كل قوس إحدى عشرة، خطوة. و ليس هو قطرا حقيقيا و إنما هو خط وصل بى طرفى قوس دائرة أقل من نصفها، كقطعتى قوسى دائرة شكل البيضة الممتدين مع طولها، و قد جعل دفتين عظيمتين بين ساريتى كل قوس نازلة من أصل القوس إلى الماء، حاصرة له بحيث لا يخرج من تحتها إلا القدر المطلوب، فإذا أرادوا كنس الساقية يحرك ناعورة مركبة فى آلة حديد بالاسطوان. فترتفع الدفتان إلى أعلا- فيمر/ ۲۰۸/ الماء بسرعة بما تحته من التراب و العفونات، ثم إنه نزل بنا من الاسطوان إلى أسفل بنحو ثلاثين درجة، فانتهينا إلى ساقية عظيمة، عرضها نحو عشر خطوات، و هى مقببة بناء فى غاية الإتقان و الإحكام. و وجدنا بابور النار منصوبا على مصطبتين مارتين مع الساقية و القوس محيط بها. فركبنا فى هذا البابور، و أوتى بفنار فى داخله قضيب قيل من الهند، لكن فى وسطه شىء يضىء و يخرج منه شعاع كشعاع الشمس، لا يستطيع أحد النظر إليه، و به استضاءت الساقية. ثم تحرك البابور، و كان فى طرفه وراءنا كير عظيم، يخرج منه ريح كثير عند مروره فى هذه الساقية على المسطبتين المذكورتين، و الماء جار تحت البابور، بينه و بين الماء بعد كبير. فسار البابور بنا فى هذه الساقية بالضوء و الريح المذكورين ميلين. فكنا نرى فى بعض المواضع فى القوس عن اليمين و اليسار فرجا نافذة- و الله أعلم- إلى وجه الأرض بسبب الضوء النازل منها. و هذه الساقية تارة تنعطف يمينا و تارة يسارا، و عند الانعطاف يجدب رجلان البابور إلى جهة الانعطاف، ليلا يسقط فى الماء. و انتهى بنا فى سيرنا إلى محل عن يسار الساقية إلى قوس، دخلنا فيه فوجدنا قوسين عظيمين مقببين، و هما متصلان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۵

كقنوطى مرسى العدوتين، و الماء يجرى أسفلهما، و أحدهما فيه ماء قليل و الآخر فيه ماء كثير يقرب من مبدأ القوس فى غاية الصفا/ ۲۰۹/ و انتهينا فى مسيرنا فى البابور فى تلك الساقية إلى قوس آخر، بقربه فوق القوس حجر فيه كتابة بقلمهم منقوشة فيه، ذكر لنا أن كبير دولتهم وضع تلك الحجرة بيده هناك. فطلعنا فى درج من ذلك القوس حتى انتهيت بنا إلى وجه الأرض، فحين خرجنا أطبق الباب على المحل الذى خرجنا منه، و هو دائرة مقسومة بستة أقسام، فى كل قسمة لوحة حديد فيها توريق، و ثقب فتنبسط على الفرجة التى خرجنا منها. و يقفلونها. و ذكر لنا أن هذه الساقية طولها ثمانية عشر ميلا، و أن كبير دولتهم الموجود الآن هو الذى أمر ببنائها على تلك الكيفية، و اشترى مواضع، و ديار من أربابها بثمن له بال، و إن جملة ما صيره فى بنائها و ثمن البقاع ثلاثة و ستون

مليونا من الافرنک. و حين تم بناؤها باع البقاع الفاضلة التى حولها بثلاثة و خمسين مليونا من الافرنک. قبقيت الساقية فى عشرة ملايين من الافرنک. و أن أولاد الملوک و الأعيان من الدول يأتون إليهم بقصد الفرجة فيها و التعجب منها، فلذلک طلب قائد البلد منا الإتيان إليه ليطلعنا عليها، و هى لعمرى من المبانى العجيبة الأشكال الغريبة.

الطلوع للضيافة لدار كبير دولة البلجيق

ثم ركبنا الأكداش و رجعنا إلى محل المقام و فى الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة طلعنا لدار كبير الدولة بعدما كان استدعانا لذلک فى يوم الخميس. كل واحد بورقة تخصه. فطلع الباشدور و الأمين و كاتبه معه، و معنا قائد المخازنية، فوجدنا خواص عسكره بباب الدار/ ۲۱۰/ و باسطوانها، و كذلک فى قببها، حتى انتهينا إلى قبة فيها وزراء الدولة و أعيانها، فتلقى وزير الأمور البرانية و عامل البلد الباشدور بالرح و الترحيب، و كذلک من هناک من ذكر، ثم خرج كبير دولتهم من قبة أخرى و معه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۶

ولد سلطان ابروصيا ، لأنه استدعاه لهذه الضيافة تعظيما و فرحا للجانب الشريف، فتقدم إلى الباشدور و ظهر منه بسط و سرور، و عرف به لولد السلطان المذكور، فظهر منه أدب كبير، و أخذ كبير الدولة يطوف على من هناک من الوزراء و الكبراء، و يتقدم إليهم واحدا بعد واحد، و كل منهم واقف فى مكانه قد اصطفوا صفا واحدا و نحن معهم بالصف من داخل القبة. فلما انتهى إلينا أشار إلينا إشارة و ترحيب و تعظيم، فأجبناه بمثل إشارته . ثم أخذوا فى الدخول إلى قبة الضيافة. فإذا فيها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۷

مائدة عظيمة ممتدة بامتداد طولها، قد أحاطت بها شوالى منتخبة، و قد وضع أمام كل شيلية فى المائدة ورقتا كاغد فى أحدهما تعيين المحل الذى يجلس على تلک الشيلية.

و الأخرى فيها بيان الأطعمة و الأشربة التى هيئت لهذه الضيافة، فجلس كل واحد بالمحل المعين له و كان مع الأمين و كاتبه و قائد المخازنية باشدورهم بباريس. و هو يفهم من العربية ما تيسر، فقربنا لموضع جلوسنا، فجلسنا و جلس عن يمينى و جلس الباشدور قبالتنا، / ۲۱۱/ و عن يساره كبير الدولة، و قد حالت بينهما زوجته و وضع أمام كل واحد ممن على المائدة طبسيل من الطاووس العجيب، و كأس زاج، و أباريق فيها ماء، و أخرى فيها أشربة من شرابهم، و معاليق و جنوى من المعدن و بعضها مذهب. ثم أخذوا يخرجون بالطعام و أنواع الحلواء فى أوانى كبيرة، و يطوفون بها على من بالمائدة، فكل واحد يأخذ منها بمغرفة ما يريد و يضعه فى الطبسيل الذى قدامه.

فإذا فرغوا من ذلک رفعت تلک الطباسيل و آلة الأكل التى معها، و توضع بدلها أرفع منها، و يؤتى بطعام آخر فيؤخذ منه على تلک الكيفية، ثم ترفع و يؤتى بأخرى و هكذا حتى فرغ من الطعام، و نحن تناولنا من ذلک يسيرا من حلواء معقودة على الثلج مع غيرها من الحلواء الطازجة. و عدد من كان محيطا بالمائدة يزيد على الستين. و فوق المائدة حسک. كل واحدة كأنها ثرية، و فى قبتها ثريات كبار كلها توقد شمعا، و بها مشاميم من النوار موضوعة على أوانى مذهبة عمل التينة. و منذ أخذوا فى الأكل و أصحاب الموسيقا و الطرب مشتغلون بعملهم حتى فرغوا. فعند ذلک خرجوا إلى القبة التى دخلوا منها، و فيها ثنتا عشرة ثرية عظيمة، ست منها تقابل ست أخرى، و عشر ثريات محيطة بجدراتها. كلها موقودة شمعا، و فيها مرايا عظيمة محيطة بالجدارات. و فى قبوها كذلک مرءاة دوائر بينها توريق عجيب . إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۸

دار العدة و آلة الحرب

/ ۲۱۶/ ... و ضربته فى الستة و الستين المذكورة خرج ما فى هذا المربع المستطيل من الكور، و هو ثلاثون و ثمانمائة و خمسة آلاف.

و كان من هذه العينة ثمانية صفوف عن يمين الخزين، و مثلها عن يساره، فضربت ذلك العدد فى ستة عشر فكان مبلغه ثمانين و مائتين و ثلاثة و تسعين ألفا عدد عينة واحدة من الطرر التى بباب الخزين و الله أعلم. و أخبرت بذلك الباشدور فصار منه على بال. و الحامل على تتبع ذلك بعد امتثال أمره، أن بعض النصارى هناك ذكر أن فى كل تربيع عشرة آلاف كورة، و حيث أحصيته على تلك الكيفية المقطوع بحصة أعمالها وجدت الأمر بخلاف ما أخبر به ذلك المخبر. و هناك عينات كثيرة مفترقة فى مواضع شتى. و فى براحه أيضا مدافع عديدة ليست على الكراريط على تلك الكيفية المقطوع بحصة أعمالها وجدت الأمر بخلاف ما أخبر به ذلك المخبر، و هناك عينات كثيرة مفترقة فى مواضع شتى، و فى براحه أيضا مدافع عديدة ليست على الكراريط، و إنما بينها و بين الأرض حديد و هى مطلية بطلاء رمادى، و أفواهها مقفولة.

شكل السلم الذى توضع عليه المكاحيل

ثم دخل بنا إلى خزين كبير فيه سلاليم طوال، ممتدة مع طول الخزين على هيئة المربع المستطيل من جهة الطول، يقابله مربع مستطيل يقابله مثله، و من جهة العرض إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۵۹

يقابله مثلث متساوى الساقين، و يقابله مثله من عرض الجهة الأخرى. ثم ركب فوق هذا السلم الذى على هذه الكيفية سلمان آخران فوقه مماثلان له طولا و عرضا، بحيث لم ينطبق عليه، بل ترك بين أضلاعهما المتوازية مقدار ذراع من كل جهة. ثم نصبت أضلاع من الحديد مع طول السلمين يوازى بعضهما بعضا و فتحت فيها/ ۲۱۷/ أى فى تلك الأضلاع المتوازية فرج متوازية أيضا، متقاربة، و نصبت المكاحيل مع ثقالاتها المركبات فيها فى تلك الفرج التى فى الأضلاع، فصارت المكاحيل مصطفة مع طول السلاليم صفا بعد صف، مع تساويها أى المكاحيل فى الطول و استوائها فى الوضع تصير على كيفية عجيبة، و كلها من العينة التى تعمر من الخزنة، و كأنها قد فرغت الآن من قواليبها بتعاهد مسحها و نظافتها، و عدد ما هناك من المكاحيل- كما قيل- ثمانون ألفا- غير محتاج إليها إذ ذاك زيادة على ما بيد عسكره.

و هناك كوابيس من العمل القديم، معلقة فى أعلا سقف الخزين ممتدة معه، و به مهاريس صفر صغيرة جدا، غير أن فورمتها فورمة أربعة و عشرين.

ثم دخل بنا إلى خزين آخر فيه سيوف عديدة على أشكال، و سروج و لجم لم أقف على حصر عددها، و فى داخل الخزين أربعة مدافع عظام طولا و عرضا. ذكر أن عمارة كل واحد منها ستون رطلا من البارود، و كورته من ثلاثة قناطير، و يرمى ثنتى عشرة مائة متر. و ذكر أن فورمته من أربعة و عشرين، هى من العينة التى تعمر من الخزنة، و يظهر منها أنها معدة لهدم الحصون العظيمة أو لرمى المراكب التى على نسبتها جرما و قوة.

ثم دخل بنا إلى خزين آخر وجدنا فيه مكينة عظيمة، قد نصب عليها رحى لطحن الزرع للعسكر، تركنا الطلوع لهذه الرحى لشهرتها، و رأينا فى مواقع عديدة أوانى متسعة كأنها طناجير فى الكيفية مع أنها أعظم بكثير، يوضع فيها/ ۲۱۸/ إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۰

الدقيق فتصير تدور به أجرام من تحديد مبسوطة، و الماء ينزل عليه بمقدار معروف، فتعجنه فى الحين، و يوضع فى موائد حديد طويلة جدا، فتدخل لبيت النار، ثم يخرجونها جافة عاجلا. هكذا ذكروا لنا، و لم يقع منه شىء بمحضرنا، و ذكر أن هذه المكينة يصنع فيها كل يوم ما يكفى من الخبز ثمانين ألفا من العسكر، و ذلك إذا احتيج إلى هذا المقدار كل يوم فإنها تقوم به لأنها توجده كل يوم يوم. و رأينا من فوق أسطحة هذه المخازين نباتا كثيرا، فسئل عن ذلك فقيل أن المخازين قد أقيمت بالآجور بين قناطر الحديد، و وضع فوق السطح تراب كثير، فإذا نزلت عليه كورة أو بونبة كيف ما كانت فلا تضره، و مع ذلك جعلوا فى السطح مجاى للماء، أى ماء المطر، فيخرج من قادوس متصل برأسه قضيب حديد نازل منه إلى الأرض، بحيث إذا ضعف نزول الماء يبقى نازلا إلى الأرض مع

القضيب محافظة على جدار الخزين كيلا يصيبه ذلك الماء. ثم ركبنا فى الأكداش و رجعنا إلى البابور، فرجعنا فيه إلى محل النزول.

فابريكات المرايا الكبار من الزاج فى مدينة شارلروا

و فى يوم الاثنين السابع عشر منه أذن عامل البلد بتوجيهنا إلى مدينة شارلروا بقصد رؤية ما فيها من فابريكات الزاج الذى يصنع منه المرايا العظيمة و للسراجم، فركبنا فى بابور البر فى الساعة التاسعة، و سار بنا ساعتين غير ربع ساعة، فوصلنا إليها، فتلقى عاملها للباشدور عند النزول من/ ۲۱۹/ البابور بفرح و سرور، و صار معه و نحن فى أثره فى الأكداش إلى فابريكة صنع الزاج المذكور، فوجدنا بيوت النار توقد و المعلمون بيد كل واحد منهم جعبة حديد كالمكحلة، و يدها من عود،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۱

يدخل رأس المكحلة فى بيت النار فيخرجها عاجلا و قد علق بها من الزاج المذاب قدر ما يملأ الكف، و هو كالعجين فى الليونة، يحاول السقوط فيشتغل المعلم يدير تلك الجعبة بعد ما يمدها و يبسطها على حرف ورقة حديد و يرفع الماء بيده الأخرى و يصبه على الجعبة قرب الزاج اللاصق بها بقصد تبريدها، فإذا بردت شيئا يسيرا يدخلها بيت النار أيضا، و يخرجها و قد علق بذلك الزاج الذى كان بها زاج آخر، فيبرده على تلك الكيفية بالماء، و دوران الجعبة ليلا يسقط منه شىء، ثم يدخلها لبيت النار و لا زال على ذلك العمل حتى يعلق برأس الجعبة من الزاج المقدار الذى يريد صنع زاجة المرءات أو السرجم منه، فعند ذلك ينفخ فى الجعبة بفيه نفخا كثيرا حتى يرى أثرها فى داخل الزاج، فعند ذلك يضع الزاج على طرف من خشب مبسوط الوجه، و قد حفر فيه بأسفله مقدار نصف كورة و حفر بأعلاه مثل نصف جرم أسطوانة متصلا بالحفرة الأخرى، بعد ما تدهن هاتان الحفرتان بماء الشعير المخلوط بدقيق الفاخر الذى يوقدونه، و بعد ذلك يشتغل بدوران الزاج فى ذلك/ ۲۲۰/ القالب، يدخله بيت النار نحو دقيقة مجانية، و ينفخ فى تلك الجعبة حتى يشاهد أثر النفخ بداخل الزاج اللاصق برأس الجعبة و يصير حينئذ كهيئة القمقم كما بطرته ، كما اقتضى ذلك حفر القالب فى تلك القطعة من العود. فعند ذلك يصير المعلم يشير بتلك الجعبة مع الزاج اللاصق برأسها يمينا و يسارا، و الزاج يستل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۲

و ينحدر إلى الأرض شيئا فشيئا، و هو واقف على متن جدار مرتفع على الأرض بأزيد من القامة. ثم يدخلها بيت النار نحو دقيقة أخرى ، و يخرجها و يشتغل، فيشير بها كما ذكروا الزاج ينحدر منفوخا، و يكرر عليه هذا العمل حتى يصير ذلك الزاج جعبة مستديرة، قطر دائرتها أزيد من ثلث ذراع و طولها نحو ذراعين و نصف، فعند ذلك يضعها على حرف لوحة من حديد، و يأتى رجل آخر بيده مقراض و يثقب به الجعبة من أسفلها، لأن الزاج يكون لينا إذ ذاك فى أسفلها فقط، و ما عداه مما أعلاه من الجعبة صامتا غاية. فإذا ثقبها يأخذ منها بالمقراض من أسفلها يسيرا مثل دائرة الريال، ثم يردها الآخر إلى بيت النار نحو دقيقة أيضا، و يخرجها و قد اتسع ذلك الثقب إلى أن يتحد مع دائرة جعبة الزاج، فيضعها على حرف تلك الحديدة و يديرها حتى تبرد و تصير جعبة طويلة كما ذكر/ ۲۲۱/ فإذا أراد فصلها من جعبة الحديد يضع عليها رأس اللقاط من حديد بارد من جهة جعبة الحديد بالمحل الذى هى لاصقة فيه بالزاج، فتنفصل عنها جعبة الحديد مع يسير من الزاج لاصق بها من عنق جعبة الزاج، فيزيله و يجمعه مع قطع الزاج، فتكون جعبة الزاج حينئذ لها عنق رقيق كالذى كان متصلا بجعبة الحديد. و منه تأخذ فى الاتساع، فيضع رأس اللقاط من الحديد البارد فى محل غاية الاتساع فينفصل العنق و تبقى الجعبة من الزاج متساوية الراسين فى الاتساع، فعند ذلك يضعها فوق الفاخر الذى يوقدون به، و هى باردة، و يأخذ قضيبا من الحديد يكون رأسه بيت النار و يدر على طول الجعبة و فى داخلها بالمحل النازل على الأرض منها غبرة سوداء، و يدلكها برأس ذلك القضيب الذى يخرجه من بيت النار من ابتداء الجعبة إلى نهايتها، و يشتغل بذلك نحو دقيقة أو أقل، ثم يرفع ذلك القضيب و يضع أصبعه برأس الجعبة بمحل الدلك، فتنشق على طولها شقا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۳

مستويا لا اعوجاج فيه، فيدخلها بيت النار و يضعها فوق لوحة حديد هناك قد دهنت بدهن، فتنبسط على تلك اللوحة، و يخرجها و قد صارت ورقة مربعة طولها نحو ذراعين و نصف، و عرضها أزيد من ذراع، و يضعونها بعد ذلك في بيت نار لينة، و يتركونها حتى تبرد. و صنع بمحضرنا من هذه العينة نحو ست ورقات في أقرب مدة، و في هذه الدار من أنواع زاج الورقة عدد كثير صغير و كبير، و منه ما هو/ ۲۲۲/ مسمر في صناديقه. و أوقفنا كبير هذه الدار على عينات بها من الزاج المصبوغ بالألوان ، و بعضه فيه توريق عجيب و على المتعلمات اللواتي يشتغلن بتوريقه بالقوالب، بحيث يدهنه بدهن أبيض و حين يجف يضعن الورقة أمامهن و القالب المفتوح فيه التوريق فوقها، و تضع إحداهن يديها عليه و تمسح بالأخرى فوق القالب بشطابة من شعر صغيرة، فتزيل من ذلك الدهن من الزاجة ما فتح في القالب من التوريق. و ذكر لنا أن في مارس الفارط تحرك عندهم ريح عظيم ست ساعات، فسقطت منه ديار كثيرة، و سقطت دار هذه الفابريكة و أعيد بناؤها، و كان سقفها قبل بقناطر الحديد، و جعلت الآن من العود. و ذكر أن التخليطة التي يصنع منها الزاج توقد النار عليها عشرين ساعة، و تخدم في ثمان سوائع. و أجر المعلمين الذين يخدمون هناك ثمانون ريالا في الشهر. و هذا الزاج إذا أرادوا مسحه يجعلونه في صناديق معلقة كالمهد، و يجعلون فيه الماء و رملة بيضاء، و الصم الصغير المبسوط، و يشتغل بتحريك الصناديق حتى تمسح الورقة بذلك و تصير بها ضياء لامع.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۴

ورقات الزاج العظام التي تصنع في طامير

و في الساعة الثالثة ركبنا في بابور البر توجهنا لمدينة طامير التي يصنع فيها ورقات الزاج الذي يصنع منه المرءات العظام التي هي أعظم بكثير من الورقات التي تصنع بالفابريكات الأخرى، و يصنعونه على كيفية أخرى. و بيانها أنهم/ ۲۲۳/ اتخذوا ورقة حديد مبسوطة، ذات طول و عرض نحو ثمانية ذراع في مثلها، و جعلوا بطرفيها فتقيتين من حديد طولهما مثل طول هذه الورقة، و غلظهما على نسبة غلظ الزاجة التي يريدون صنعا. و وضع فوق هاتين الفتقيتي ساريةً من حديد، فيبقى بينها و بين الورقة المبسوطة مثل عرض غلظ الزاجة التي تصنع، ثم يخرجون الآنية التي طبخت فيها التخليطة من بيت النار بالبوجي و يؤتى بها و هي معلقة فيه حتى يوصلوها إلى تلك الورقة المبسوطة، و يفرغوها فوقها، و يمرون فوقها تلك السارية فتبسط تلك التخليطة على الورقة كلها طولا و عرضا. أما من جهة العرض فهي محصورة بالفتقيتين، لأجل ذلك يكون غلظها على نسبة واحدة. و أما طولها فما يخرج زائدا على الورقة يسقط و يزال ، ثم بعد هذا يدخلونها لبيت نار لينة، و يتركونها هناك أربعة أيام صيانة لها و إصلاحها، و إذا تركت فيه نحو يومين أو أقل، يخشى عليها من الآفات العارضة، التي لا تؤثر فيها إذا تركت فيه أربعة أيام. و ذكر أنهم صنعوا ورقة من الزاج لسلطان الموسكو طولها ثمانية عشر مترا و عرضها كذلك. و نحن أيضا رأينا زاجة طولها أربعة أمتار و عرضها ثلاثة و نصف، و فوقها ستة رجال جاثية على ركبها، و هم يمسحونها كأنهم جالسون على دفة من العود. و وجدنا أناسا آخرين بين أيديهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۵

ورقات من هذه العينة و أعظم منها يفصلونه ورقات بحجر الديمانط،/ ۲۲۴/ و يخرجون من الورقة الواحدة ورقات عديدة على القدر الذي يريدونه. و وقفنا على أناس آخرين يريدون رفع زاجة عظيمة من قالبها بعدما مسحت، و ذلك أنها كانت مشدودة على قالبها المبسوط، فأخذوا يحركون بوجيين صغيرين كان وضع القالب عليهما، و عند تحريكه يرتفع القالب بزاجته الممسوكة فيه، و يكون أحد طرفيه ثابتا في الأرض، و المقابل له يرتفع حتى يشرف على الوقوف، فيحاديه رجلان من الجهتين، و يضع رجل آخر سلما على رأس هذا القالب و يصعد فيه و يمد الآلة الماسكة للزاجة، و ينزل و يحرك البوجيان فتشرف الزاجة على تمام الوقوف، فيتلقاها رجال آخرون، أربعة من كل جهة، و يحرك البوجيان أيضا فينزل القالب لمحله و تبقى الزاجة واقفة بين أيدي الرجال الثمانية، و يكونون قد وضعوا تحت حرفها الذي صارت واقفة عليه اشراكا من جلد، بأطرافها خرص من حديد كهيئة حزام البغال، فيأتي ثمانية رجال من كل

جهة و يحملونها بتلك الأشراك، و يتقدم رجل قدامهم ماسكا لها و آخر وراءهم كذلك، و يمشون بها مشيا خفيفا هونا، و يحركون أرجلهم على كيفية واحدة كمشية العسكر حتى يوصلوها إلى محلها. و هذه الزاجة قيل فى تكسيرها أربعة عشر مترا و نيف، و أن وزنها ثمانية قناطر، و ثمنها أربعمائة ريال و ستون ريالا. و وقفنا فى هذه الدار على مكينات كثيرة مختلفة الأشكال./ ۲۲۵/ فى مواضع عديدة اتخذت لمسح ورقات الزاج، بحيث يجعلون الورقة فوق قالبها ممسوكة فيه، و أخرج من المكينة قضيب حديد جعل فيه كالأيدى من الحديد مبسوطة مربعة، و بطنت بالجلد، و يجعلون غبرة حمراء فوق الزاجة، و الماء يتقاطر عليها و الميكنة تحرك تلك الأيدى فوق الزاجة، و القالب مع هذا يتحرك حركة مغايرة لحركة الأيدى، لأن حركتها كأنها دورية، و حركة القالب من اليمين إلى اليسار، و قد تنوعوا فى آلة المسخ و توسعوا فيها، و جعلوها على كيفيات مختلفات، و وجدنا فى مواضع آخر نسوة يمسحن ورقات الزاج

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۶

بغبرة بيضاء مع الماء، يباشرن ذلك بأيديهن، ثم رجعنا إلى مدينة بروكصلا. و فى يوم الثلاثاء الثامن عشر منه، أخذنا فى التهيئ للسفر منها.

مدينة فانطى و الفابريكة التى فيها

و فى يوم الأربعاء التاسع عشر منه، خرجنا منها و ركبنا فى بابور البر فى الساعة الثامنة صباحا، و ركب معنا نائب البلجيق قاصدين مدينة فانطى بإذن كبير الدولة، فوصلنا إليها بعد مضى ساعتين غير ربع، و التقى بنا قائدها و كبراء العسكر بالتعظيم على العادة ، حتى أنهم فرشوا الأرض التى نزلنا فيها من البابور بالزرابى، و ذكر القائد أنه مأمور بأن يطلعنا على المكينات التى فى البلد، فركبنا فى الأكداش حتى وصلنا إلى دار فيها مكينة عظيمة هائلة لم نر مثلها فيما تقدم . قطر ناعورتها الكبرى أحد عشر مترا، و يلزمها من الفاخر سبعة آلاف قنطار فى الجمعة، و ترمى فى سيرها فى الدقيقة الواحدة/ ۲۲۶/ كما ذكر ستمائة قدم، و ميزانها مائة ألف قنطار و خمسة و ثلاثون ألف قنطار، و هم يخدمون بها الكتان الذى يجعل منه شراعات المراكب لهم و للصبنيول و الأنجليز و البروصيا و غيرهم. و إنهم حين استنبطوا هذه المكينة نقص من الصائر لهم الثلثان، و صار ربحا لأرباب هذه الدار. و فيها من الخدمة المقابلين لتصفية الكتان و غزله و صفحه و نسجه خمس و عشرون مائة، و المكينات هى المتكفلات بالخدمة، و الخدمة يباشرون منها ما خف، كوصل الخيوط إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۷

عند تقطيعها، و مناولة الكتان للمكينات للتصفية، و رفع الظروف التى ينزل فيها المصفى و وضع غيرها، و تحريك آلة الخدمة و تتقيفها و هكذا، و وجدنا فى براح متسع صفوف مغازل تغزل الكتان، قيل إنها ستون ألف مغزل مصطفة فى صفوف، كل صف منها تقابله امرأة واحدة كما تقدم ذلك فى بعض بيان فابريكات الملف فى مدينة الياج.

ثم خرجنا من هذه الفابريكة إلى فابريكة الماركان، و هى شبيهة بفابريكات الكتان المذكورة فأوقفونا على نواعير تدور، و قد جعل عليها أغشية مستديرة، و هى ممتدة طولا، فيجعلون القطن المنقى من العظام فى حصير من فتقيات العود، تدور بدوران المكينات، و بدوران هذه الفتقيات يتقدم القطن إلى الناعورة الأولى فتجذبه بمسامير حديد محددة الرؤوس، و تمر به تحتها، و لم ندر كيفية وصوله إلى الناعورة الثانية، لأن غشاء النواعير المغطاة بها المستدير حاجز بين البصر و بين القطن عند دخوله./ ۲۲۷/ تحت الناعورة الأولى و الثانية إلى الرابعة، لكن عند خروجه من الرابعة نراه يخرج من تحتها و ترميه بجهد كبير إلى ناعورة أخرى و هى الخامسة، بينها و بين الرابعة مقدار ذراع، وصل بينهما من أسفلهما بقضبان حديد رقيقة، بين كل قضيبين بعد يسير، فيتبين إذ ذاك أن الريح الذى يتولد من دوران النواعير الأربع يبقى محجوبا فى تلك الأغطية المحيطة بالنواعير، و يطلب مخرجا فلا يجده إلا من أسفل الناعورة الرابعة، و هو الذى يرفع ما يكون هناك من القطن إلى الخامسة، و عند مروره على تلك القضبان يتساقط ما يكون فيه من

التراب و الأزبال، و يخرج القطن لا شيء فيه من الأزبال و غيرها، و هو منفوش غاية بسبب تكرر مروره على محددات

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۸

مسامير النواعير، و ينقلونه من هذه المكينة إلى أخرى تلبده، ثم إلى أخرى تفصله كسبولة السداد، ثم إلى الغزل ، ثم إلى مكينات الصفح، ثم إليالمنسج، و هو قريب فى الرؤية من مناسيج الطرارة بالغرب، إلا أن النزقين يخدمان وحدهما، و بسرعتهما فى الخدمة لا يمكن رؤيتهما. و عدد المناسج التى هناك فى موضعين، أحدهما فيها مناسج طولا ستة و ثلاثون منسجا، و عرضا ثلاثون، مجموعها ألف و ثمانون منسجا. و موضع آخر صغير فيه ثلاثون منسجا طولا و ستة عشر عرضا، مجموع ذلك خمس عشرة مائة منسج و ستون منسجا، قيل كل منسج ينسج فى الجمعة ثلاثمائة متر، فيكون جملة ما نسجه فى يوم واحد ستة و ستين ألف متر و ثمانمائة و سبعة و خمسين/ ۲۲۸/ مترا، هى مقدار ثلاثة آلاف شقة و نحو أربعين شقة، و هذا الماركان لا يأتى منه شيء لغربنا، فمنه الحلو غاية، و منه الخشين جدا، و عرضه يزيد على ذراعين و نصفه و بعضه أقل، و منه ما يصبغ أزرق و يشد لأربابه.

و فى هذه الدار من الخدمة إحدى و عشرين مائة كما ذكر. و هذه البلدة من المدن العظيمة تشقها أنهار كثيرة ، حتى قيل إن فيها ثلاثمائة قنطرة و ثنتين و ستين قنطرة.

و فى الساعة السادسة منه مساء ركبنا فى بابور البر قاصدين مدينة أسطانذ بقصد المبيت فيها، فوصلنا إليها فى الساعة السابعة و نصف ساعة، و هى على ساحل البحر، و بعد نزولنا بها على يد قائدها و تلقيه هو و الكبراء على العادة، إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۶۹

خرجنا فى العشية إلى قبة من الزاج على ساحل البحر ، طولها نحو خمسين ذراعا، و عرضها نحو خمسة و عشرين، و من جهة الساحل نبح بداخلها على طولها سواريه حديد لطيفة، و كذلك قناطيرها و سقفها كهيئة مثلث، و جدرانها و قبوها كله من الزاج الممسوك بقضبان رقيقة من الحديد، و فى النبح المذكور رجال يخدمون الموسيقا بأنواع كثيرة من آلات الطرب، و فيها خلق كثير من النصارى رجال و نساء.

و منهم من هو داخل القبة، و منهم من هو خارج عنها بشاطئ البحر، فجلسنا هناك على شوالى بالقبة فى تربيع خارج عنها مواجهين البحر نحو ساعة، و رجعنا إلى محل النزول.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۱

الجزء الرابع

أخبار بلاد النجليز

و فى الساعة العاشرة و ربع من يوم الخميس العشرين منه ، ركبنا فى بابور البحر من بابورات/ ۲۲۹/ البلجيق، و طلع معنا خليفة وزير الأمور البرانية، و سافر البابور بنا فى البحر و هو فى غاية ما يكون من السكون و الركوض.

ملاقات كبار مدينة دوفر للباشدور

و فى الساعة الثانية و ربع وصلنا إلى مدينة دوفر من مدن أنجليز، و حيث أرسى البابور بمرساها طلع للبابور ولد الباشدور بطنجة، و هو القونصو بالسويرة ، لأنه هو

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۲

الذى توجه ترجمانا مع الباشدور بدولتهم، و طلع معه الجلنار كبير العسكر و رئيس المرسى، و تلاقوا هناك مع الباشدور، و أظهروا

فرحا و سرورا كبيرا، و عند ذلك ودعه خليفة الوزير المذكور، ثم نزل الباشدور إلى البر معهم و نحن فى أثره، و قد فرشوا الطرق بالزرابى، فوجدنا فئة عظيمة من العسكر متحربا، و أصحاب الموسيقا مشتغلون بها، و رفعوا سنجق الإسلام، و أخرجوا المدافع ، و نبهنا لسماعها ولد الباشدور المذكور، و على رفع سنجق الإسلام، كل ذلك تعظيم للجناب الشريف، فنزلنا فأدخلنا لمحل مزخرف بها، و تناولنا هناك شيئا من الحلواء و القهوة، و استرحنا هناك إلى الساعة الثالثة و نصف.

فركبنا فى بابور البر فى عربة من عربات المخزن بلغت الغاية فى الكبر و الزخرف و الشوالى المتعددة و الكنابيس فى زوايا بها، و عند طلوعنا إليها وجدنا فئة أخرى من العسكر، ذكر ولد الباشدور المذكور أنه من عسكر خيالهم، سراويلهم فوق الركب، و قصبة أرجلهم بادية، و تقاشيرهم فوق البلاغى إلى مجاوزة كعب أرجلهم.

و أصحاب الموسيقا منهم يضربونها بنغم رقيقة كنغم الغياطة عندنا يستلذها السامع.

/ ۲۳۰/ محل النزول باللوندريز

و فى الساعة الخامسة و خمس و ثلاثين دقيقة من مساء يوم الخميس المذكور، وصلنا إلى مدينة اللوندريز، فكان مدة مسير هذا البابور بنا من مدينة ذوفر إليها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۳

ساعتين و دقائق، سيرا قويا لم يقف فى هذا السير أصلا فى محل، فلما انتهى بنا إلى اللوندريز سار بنا على قنطرة طويلة جدا ، علوها كعلو أسطحتها فى ذلك المحل، فنزلنا هناك على يد المخزن فى حومة سكنى سلطانتهم و كبرائهم فى محل معتبر لم يكن فى اللوندريز عندهم مثله كما سمعنا، و هذا المحل شبيه فى الكبر و الفصالة بأوطيل باريس الذى كان نزولنا فيه، إلا أن بيوته و صالاته أوسع بكثير من بيوت محل اللوندريز، و أما من جهة البناء و الزخاريف و الفراش و الأثاث و الأوانى متشابهان.

قدوم كبراء البلد على الباشدور للتهنئة

و فى يوم الجمعة الواحد و العشرين منه. توجه بنا الترجمان مع الباشدور إلى فرجة عندهم فى محل متسع لا بناء فيه و لا شجر، فلما انتهينا إليه وجدنا خلقا عظيما دائرا به، و الناس فى الأكداش و الراجلين نساء و رجالا يتفرجون فى أناس

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۴

يلعبون بالكرة فى وسط تلك البقعة، فلما دخلنا مع أولائك الناس المتفرجين بقينا فى الأكداش ندور حولهم حتى انتهينا إلى المحل الذى دخلنا منه، فخرجنا و رجعنا.

و فى يوم السبت الثانى و العشرين منه، قدم خليفة صاحب المشور على الباشدور مهنئا له فى سلامته و قدومه، و أخبر بما حصل لهم من الفرح و السرور بقدومه.

و فى يوم الأحد الثالث و العشرين منه ، قدم على الباشدور صاحب المشور بنفسه حامدا له فى السلامة، و ما أكثر أدبهم و تواضعهم، و رحب به غاية الترحيب.

بساتين النوار التى فى الطرق و فى العراصى

و فى مسائه ركب معنا الترجمان و صار معنا إلى عرصة عظيمة. و عند مرورنا فى الطريق كنا نجد فى أكثرها رياضا أنيقة، و حياضا عجيبة، متصلات بجدران دورهم ممتدة مع الطريق، و فيها نوار عجيب من غالب الألوان، و كذلك النبات فيه الأخضر اليانع و المفتوح و غيره، و منه ما هو على لون الشيبة، و منه ما أوراقه حمر ديدية، و كل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۵

لون يجعلونه فى محل و يفرقون بينها/ ۲۳۱/ بألوان ذلك النبات، و هو متساوى فى الارتفاع مزدحم فى الغرس، كذلك النوار قريبة التساوى و الازدحام، حتى أنهم يجعلون فى الحياض توريقا من الألوان يملأون ما بينها بألوان النبات، و فى بعض الحياض يجعلون حروفا من ألوان النوار و يكتبون بها ما شاءوا، فلما انتهينا إلى تلك العرصة لم نجد فيها غير الأشجار التى لا تثمر بها، و الطرق مفصلة فيها متقاطعة، و فيها رياض كثيرة، منها ما هو على شكل الزرابى طولا و عرضا رصفت بألوان النوار، لا يمل الناظر من النظر إليها من حسن ذلك الوضع و تناسب ألوانه، و منها ما هو على شكل الدائرة، و منه ما هو دوائر متقاطعة، و بالجملة فما يصنع عندهم فى التوريق و الدوائر فى العود و الأبنية يجعلون غالبه بالألوان فى حياض رياضهم، و فى هذه العرصة قبة من الزاج مربعة، و داخلها محابق فيها ألوان النوار موضوعة فوق موائد من العود، و تحت الموائد جعبات حديد غلاظ ممتدة بامتدادها، يقال أن فى أوان البرد يجعلون فيها الماء الحار صيانة لذلك النبات، و ذكر أن الحياض التى عندهم بالطرق إذا قرب أوان البرد ينزعونها من ذلك المحل و يغرسونها فى المحابق، و تجعل فى قبب الزاج، و تحتها حرارة الماء الذى فى تلك الجعبات، و فى هذه القبب أنواع من الدوم يجعلونه فى المحابق، فمنه ما هو شبيه بالدوم فى الغرب عندنا، و منه نوع من بر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۶

الهند يعلو كثيرا و ينبسط، و منه نخيلات صغار ساقها كقامة الإنسان، منها ما هو ساقها أغلظ من القصبة بيسير، و منها ما هو أغلظ، و أوراقها مختلفة فى الرقة و الغلظ، و فى هذه العرصة أسرة و شوالى متفرقات فى أماكن، يخرج الناس إليها بقصد الانبساط و الاستراحة، و هى لجانب المخزن.

و فى يوم الاثنين/ ۲۳۲/ الرابع و العشرين منه، كنت مع الترجمان المذكور فى محل نزوله فى غرض مخزنى، فقدم عليه رجل منهم بكتب من قائد المشور المذكور، فقرأها و أملى على واحدا منها، فكان يوصيه فيها على الباشدور و البرور به، و الوقوف معه، و تنفيد كل ما يحتاج إليه، و يخبرنا أن سلطانتهم ليست فى اللوندريز، و أنها خرجت لبلدة أخرى بقصد الاستراحة فيها، و مع تلط الكتب ورقات من ولد السلطانة، عين فى كل واحدة اسم الباشدور و اسم أصحابه يدعوهم للحضور لعرصته، إلى فرجة تعرف عندهم بالكونبطى فى الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء الموالى.

صفة سجن بحومة اللوندريز

و فى مساء يوم الاثنين المذكور توجه بنا الترجمان إلى رؤية سجن من سجونهم ، فوصلنا إليه فوجدنا فيه بيوتا صغارا جدا بعضها مقابل لبعض، ممتدة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۷

طولا و عرضا. و فيه طبقات كذلك، و الضوء فى جميعها من كثرة دفف الزاج، و فى كل بيت فراش مرتفع من الفرش، و مائدة الناقوس ببابه. و فيه مطبخة كبيرة يطبخ فيها للمساجين من أزكى الطعام. وجدنا فيها أكوابا ممتلئة حريرة جامدة، رفع منها صاحب المطبخة مغرفتين كبيرتين فى زلافة، و قطع من خبزة طرفا نحو نصف رطل ميزانا، و قطعة لحم نحو أوقيتين أو أقل مع إدام يسير، و قال الترجمان هذا ما يطعم للمساجين كل يوم، و فيه صالة كبيرة أرضية، فيها كراسى عديدة و موسيقا، يجتمعون هناك للصلاة، و فيه محل متسع خارج عن البيوت يخرجونهم إليه بقصد انبساطهم فيه ساعة فى كل يوم، و هذه الطبقة السفلية إنما فيها أناس يدعى عليهم بالحقوق العرفية، فيتركونهم حتى يقع الفصل فيها. و أما غيرهم من أهل الجرائم، فهم فى الطبقات. و عثرنا على بيت هناك مظلم غاية، قيل إنه إن صار من بعض المساجين نزاع و خصام يتركونه فيه ثلاثة أيام فلا يعود إلى ذلك أبدا، و استنبطوا عقوبة للسارق، و ذلك/ ۲۳۳/ أنهم اتخذوا صندوقا مقسوما نصفين، مقبوضا من غاربه بقريقيات، و فتح لوحته العليا دائرتين نصفهما فى كل نصفى اللوحة

الفوقية، يفتح هذا الصندوق و يدخل إليه السارق و يسد على ما فوق ركبتيه، و تغل يداه بين خشبتين منصوبتين فوق الصندوق، ثم يضرب بسياط خمسين سوطا بين كتفيه، و قد نزعت ثيابه، و صاحب السوط يضرب به بغاية جهده، و صفة السوط قضيب رقيق، طوله يزيد على ذراع يسيرا فى رأسه جلدة ركب فيها تسعة خيوط من القنب الرقيق فيها، عقد طول هذه الخيوط كطول القضيب، قيل كل ضربة به يتفجر منها الدم، و أن من ضرب به خمسين سوطا يموت لا محالة. و أكرمنا هناك قائد السجن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۸

بالقهوة و الحلوى و فرح بنا غاية الفرح. و عند خروجنا وجدنا صبية صغيرة مسجونة ببيت، قيل إنها رمت غيرها بحجر فى الطريق، و أخرى فى بيت آخر تخاصمت مع أخرى، و فى بيت آخر صبيا صغيرا سرق نحو ريال من السمن، و آخر دون بلوغ سرق شطابة، و هو يبكى. و كل واحد من المساجين فى بيته و ورقة فيها بيان جريمته، و ما حكم به عليه من مدة السجن. و هناك عريفات يتولين أمر المسجونات من النساء و الصبيات.

الكونبطى أى كرامة فى عرصة ولد السلطانة

و فى يوم الثلاثاء الخامس و العشرين منه. توجهنا مع الباشدور إلى عرصة المخزن التى دعانا إليها ولد سلطانتهم للحضور للكونبطى، و ذلك أنه كان مسافرا جائلا فى الأرض شرقها و غربها، و لما قدم خرج لهذه العرصة و استدعى إليها أعيان أهل البلد و الوزراء و الباشدورات الذين فى البلد، و عند قربنا إليها وجدنا غاية الازدحام، و حين دخلنا نزلنا من العربات، و كان المخازنية معنا لكونهم معينين للحضور، فرأينا أناسا فى مواضع، فمنهم الواقفون و كل اثنين أو ثلاثة يتكلمون بينهم، و منهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۷۹

الجالسون على الشيليات، و فيها قبب/ ۲۳۴/ أى خزانات منصوبة، اتخذها أربابها لبيع المأكولات و المشروبات، فمن دعته الحاجة إلى شىء من ذلك يدخل لإحداها فيؤتى له بمراده، و يؤدى الواجب، و فيها فى مواضع أناس يضربون الموسيقا طرنبطات العسكر، و منهم من يضربها بالنواقيس موضوعة عندهم فوق مائدة، و خمسة أناس يضربونها، منهم اثنان فى يديهما ثمانية نواقيس صغار مختلفة النغم، فى كل يد ناقوسان يبتدءان الخدمة بها و يتبعهما الآخرون، فإذا شرعوا فى خدمة طبع يرفع كل واحد منهم ناقوسا يكلفه بنغمة النقط المتوقف عليها ذلك الطبع، و يتبعه آخر بالنقط الذى يليه، و هكذا خدمتهم، و كل واحد من الثلاثة يرفع ناقوسا يكلمه و يضعه، و بين وضعه و رفع آخر يكلم الآخران ناقوسين برفعهما و وضعهما و المعلمان كذلك لا يخطئ أحدهما النقط المتوقف عليه. فتقدم إليهم ولد السلطانة و دفع لهما ورقة و تكلم معهم فى خدمة الطبع الذى طلبه منهم فامتثلوا. و عند دخولنا إلى هذه العرصة تلاقى الباشدور بولد السلطانة و نحن معه فأظهر من الأدب و التواضع ما يتعجب منه، و هو واقف كأحد الناس لابس لباسهم، تارة يقف مع أناس و تارة يتمشى هو و آخر معه، و كان معه أربعة من إخوته ذكور دون البلوغ. و كل واحد منهم عليه كسوة من الكرية البيضاء مثل كساوى البحرية عندهم، و كبوط أزرق، قيل إنهم الآن يتعاطون علوم البحر و يخدمون فيه مدة معلومة عندهم، ثم يدخلون للعسكر فيخدمون فيه كذلك، ثم فى علوم أخرى ليكونوا على بال من جميع العلوم، و يشاهدون ما يقاسيه بعض الناس من الأهوال و المحن برا و بحرا. ثم بعد ذلك يطوفون بالبلاد شرقا و غربا برا و بحرا، فيكتسبون بذلك زيادة فى عقولهم كما قيل، و بعد الملاقاة مع ولد السلطانة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۰

صرنا نتمشى فى تلك العرصة من محل إلى محل، فنجد/ ۲۳۵/ فى كل محل جماعة واقفة أو جالسة، فجلسنا هنيئة على الشوالى حتى رأينا بعض الناس شرعوا فى الخروج فقصدنا طريق الخروج، فبصر الباشدور ولد السلطانة قريبا إليه فزاد بل فتقدم إليه و نحن معه و ودعه، فأجابه بما ذكر من الأدب و الخضوع و الترحيب به، و هو لم يكن له قرار فى محل كما ذكرنا، فلما قربنا من الباب وجدنا العربات التى أتى فيها من فى العرصة تأتى متتابعة واحدة إثر واحدة، فإذا وصلت عربة و كان الذين أتوا فيها واقفين ركبوا فيها و

انصرفوا. و إذا لم يكونوا موجودين هناك ينادى رجل ثلاث مرات، بأن يقول بلغتهم هذه عربة فلان، فإذا سمع به يأتون إليه، و إذا لم يسمعه انصرفت العربة حتى تعود مرة أخرى و تتقدم و غيرها، و هكذا لأنهم إذا لم يكن أمر العربات على هذه الكيفية يقع الازدحام حتى لا يوجد مسلك إلا بعد المشقة و طول الوقوف كما وقع لنا بعض الفرجات. و لما وصلت الأكداش التى أتينا فيها و ركبنا و خرجنا وجدنا الطريق التى أتينا فيها قسمت طولا نصفين، و العسكر واقف فى الوسط بين كل عسكريين نحو عشرين خطوة، فالخارجون من العرصة ينصرفون على الطريق التى عن يسارهم، و الأكداش الداخلة إليها فارغة، يمرون عن يمينهم و ذلك فرارا من الازدحام، و كان فى هذه العرصة من الناس الذكور و الإناث ما يقرب من الستة آلاف، كما عثر على ذلك فى كزيطة طبعت عندهم فى ذلك اليوم أو غد، و أتى بها الترجمان و بين ذلك.

الملاقات بالوزير

و فى يوم الأربعاء السادس و العشرين منه، و تبين أنه السابع و العشرون توجه الباشدور و نحن معه إلى دار وزير الأمور البرانية ، فدخلنا إلى داره و صعدنا إلى إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۱

قببها فوجدناه فى بعضها و معه كاتبان من الكتاب، فرحب بالباشدور غاية الترحيب و بنا كذلك، و جر شيلية بيده و أتى بالباشدور أخذا بيده و أجلسه عليها، و أشير إلينا بالجلوس قربه/ ۲۳۶/ فجلسنا، و جرت بينهما مذاكرة بواسطة الترجمان، فيما اقتضاه الحال، و ظهر منه اعتناء كبير بالجانب الشريف أسماه الله.

إكرام زوجة وزير الأمور البرانية بالهند للباشدور

ثم رجعا، و فى ليلة الخميس استدعتنا امرأة وزير الأمور البرانية ببر الهند، فتوجهنا إلى قبة مربعة فيها شوالى و كنابيس رفيعة و ثريات توقد، ففرحت بقدومنا فرحا عظيما هى و زوجها، و لم تكن هنيئة حتى ملئت تلك القبة نساء و رجالا، أما الرجال فلباسهم الكبابيط الخشينة، و رؤوسهم مكشوفة، و النساء يجررن ثياب الحرير بنحو ثلاثة أذرع فى الأرض، و غالبها مرصع بالديمانط، و كذلك فى نحورهن و على رؤوسهن و فى الدماليج، فرأيت أن معدن هذا الديمانط حيث أخرج من معدنه منه الشقى و السعيد ، فالسعيد منه قد أسكن فى رءوس الملاح و النحور و الصدور،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۲

و بعضه فى حواشى ثياب الحرير ارتفاعا و انخفاضا، فهى بمثابة الجنة، و هو منها بمواضع بمثابة القصور، و أما الشقى منه فهو كالأسير فى طبقات اللظى و السعير، يطل لسان حاله الإنقاذ من محنه و أهواله، و لم تزل تلك القبة تملأ و تفرغ، و كل من دخل إليها يمر علينا واحدا بعد واحد. و رأينا فى نسائهم حياء كبيرا لأنهم يرفعن إلينا من بعد، فإذا قربن و وقع بصرنا على إحداهن نكست بصرها إلى الأرض، و غالبهن على هذه الحالة، و بقينا هناك نحو ساعيتن، و شربنا هناك أشربة ماء و رجعنا ليلا.

الدار التى فيها صور الآدميين و الخروج لدار العلماء

و فى يوم الجمعة الثامن و العشرين منه، توجهنا لدار بها تصاوير آدميين ، ذوات أجسام واقفة على الأرجل غير مستندة إلى شىء، قد لبست كساوى من كساويهم التى كانوا يلبسونها و رؤوسهم مكشوفة، و شعرها مفروق على عادتهم، و منهم المقلد بسيفه و نيشانه و حمالته. و على ذلك من الديمانط و الأحجار النفيسة شىء كثير، و عند دخولنا إلى هذه القبة و رؤيتنا لهؤلاء الصور واقفة و كثرة الضوء و الناس الذين هناك صرنا لا نميز بين الصور و الأحياء/ ۲۳۷/ إلا بالحركة و عدمها، بل رأينا رجلا جالسا على شليته و هو يلتفت برأسه يمينا و يسارا. و صورة امرأة مريضة فى حالة النزع قد غمضت عيناها، و فى عنقها سلسلة رقيقة، و هى ترتفع و تنخفض

شيئا ما، كأن النفس الباقى بها يفعل بها ذلك، و وجدنا فى بساط صورة رجل ملقى على

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۳

قفاه، و يداه إلى صدره، و عن يمينه تاج مكلل بالدر و الأحجار و هو متقلد سيفه، قيل إنها الحالة التى مات عليها عندهم نابليون سلطان الفرنصيص الذى كان عقد الفيرة مع الألمان، و هم البروصيا. و هناك صور ملوكهم و أعيانهم، كل واحد عليه من الأحجار و الدر ما كان يستعمله فى حياته، و هناك صور البروصيا و وزيره الذى كان مقابلا للحرب مع الفرنصيص، و لا زالا بالحياة كما قيل. و فى موضع آخر خارج عن هذه القبب صور أناس آخرين كانوا من أصحاب الجرائم، كقتل النفس، و السعى فى الفساد، فقتلوا و صوروا هناك. و قيد قبالة كل واحد جريمته و كيفية قتله، و الداخلون إلى ذلك المحل يقرأون ذلك و يعتبرون، و يزجرونه عن ارتكاب مثل ذلك، و يقفون هناك على الآلة التى قتلوا بها حتى أنهم أوقفونا على سكين هناك قيل قتل بها ما يزيد على اثنين و عشرين ألفا من أهل الجرائم.

و فى يوم السبت ثلاثين منه دخلنا لدار يجتمع فيها علماؤهم و كبراؤهم، و فيها قبب كثيرة مرتفعة فى الجو، منها ما شكله مربع، و منها المستطيل، و منها المستدير، و منها المثمنة و غير ذلك من الأشكال، و سقوفها منها ما هو سقف سما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۴

مرصف بالمقربص، و منها صورة الجفنة، و منها صورة قوس كالقنوط، و منها على شكل نصف البيضة كالستينية، و كلها بالمقربص البديع و النقش العجيب الرفيع، و تمويه الذهب منتشر فى السقف و الجدران و سراجم الزاج المورق بالألوان، و الصور محيطة بالجدران. و وجدنا/ ۲۳۸/ فى قبة منها شوالى كثيرة، منها فى أحد أرباعها سرير فى الوسط، و آخران صغيران عن يمينه و يساره، و هى مبطنة بالموبر الأحمر، يصعد إليها بدرج مبطنة كذلك، و فى تلك الأسرة ترصيع بالديمانط. و قد أدير بها مجدول حرير ليلا يقربها أحد، قيل إن ذلك موضع السلطانة و موضع لصغيرين من أبنائها، و قابلتها فى الأرباع الباقية شوالى دون ذلك، يجتمعون هناك مع العلماء و بعض مهماتهم، و فى قبة أخرى كنابيس و شوالى مبطنة بالجلد القشنى لا غير، يجلس عليها علماؤهم تواضعا، و فيها قبب أخر دفن فيها ملوكهم الأقدمون، و فيها صورهم مجسمة و كذلك صور غيرهم من الأعيان.

دار الفرجة و أخرى فيها السلاح القديم و الهدايا

و فى يوم الاثنين ثانى رجب الفرد الحرام، توجهنا لقصر عظيم يسمى عندهم بالطياطرو، و هو معد عندهم للفرجات ليلا، و هو شكل مستدير، فى نصف دوره مائة و ستة و ثمانون خطوة حالة المشى فى وسط النبح الأعلى منه، و فى عرض جداره

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۵

سبعة عشر شبرا، و هو مستدير بالبيوت بعضها فوق بعض، مملوءة شوالى، و كذلك براحه يقال أنه ليس فى اللوندريز عندهم مثله. و تأتى إليه السلطانة فى بعض الأوقات. و أنهم أحصوا من كان فيه ذات ليلة، فزاد بل فكان ما بين الاثنى عشر ألفا إلى ثلاثة عشر ألفا. و قد أحاطت بأعلاه قبة من سقفه. انظر كيف تأتى لهم ذلك مع كون دور قطرها نحو مائة خطوة. و رأينا هناك رجلا معلقا فى سقف النبح و بيده شطابة فى عصا يسمح بها الجدران، و آخرين بالنبح تارة ينزوله و تارة يرفعونه، و قيل إن بعض تجارهم يشترون منفعة بعض تلك البيوت بألف ابرة لمدة من تسع و تسعين سنة، و بعضها بخمسمائة ابرة و هذا، و فيه موسيقا ذات جعاب كثيرة، منها ما طولها أى الجعبة نحو ستة أذرع، و قذر دورها كثلث ذراع، و ما تزال تتصاغر إلى أن تصير فى الرقة مثل القلم الخفيف، و قد جعل فى رأسها كالأنبوب شكل المخروط، و فى جنبيها دوائر كبار/ ۲۳۹/ بها تخدم هذه الموسيقا، و قد سمعنا بأن هذا الطياطيروا سيعمر يوم الأحد الثامن رجب و أن الأخبار صارت بذلك فى طرق السلك.

و فى يوم الثلاثاء الثالث منه توجهنا لدار أخرى فيها تصاوير أناس لابسين الزرد، راكبين على فرسانهم، عليها الذروع و بأيديهم عصى

طوال، و هناك آلة الحرب المعروفة فى القديم بالدبابيز و غيرها و كثير من المكاحيل القديمة و آلة الحرب من السيوف و الكوابيس و السروج. كما شاهدناه فى باريس، و دخلنا إلى قبة أخرى فوجدنا فيها ما كان أهداه بعض ملوك الهند لولد السلطانة حين كان عندهم، و ذلك تحف نفيسة رائعة غاية. فمنها زربية مربعة نحو خمسة أذرع طولا، و مثلها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۶

عرضا، قد رقمت بالصقلى رقما كبيرا، و فى وسطها تربيع أخضر مرقوم كذلك برقم بديع، و هى مبسوطة معلقة فى جدار هذه القبة، و زربية أخرى طولها نحو سبعة أذرع، و عرضها نحو ثلاثة و نصف على تلك الصفة، و أخرى مثلها نحو ستة أذرع طولا، و ثلاثة عرضا، و أخرى تغطيه نحو ثلاثة أذرع و نصف طولا و نحو ذراعين عرضا، و عربة مجلدة من ظاهرها بفتقيات مع العاج، فيها توريق رائق نافد، و سرير عليه قبة، كل ذلك مذهب فيه صورة خروج ملك الهند للحرب و هو جالس فيه محمولا على أعناق رجال، أمامهم فيلان مركوبا عليهما، و الكل مموه بالذهب و غير ذلك من أوانى الذهب، ثم دخلنا إلى قبب أخر وجدنا فيها العدة من المكاحيل، من العينة الجديدة. بتواقيلها رقاق كالسكاكين، و هى مصطفة صفا فوق صف بين موائد من عود قيل فى هذه المخازين منها مائة و عشرون ألفا و عشرة آلاف من السيوف، و غير ذلك من الكوابيس و السكاكين، معلقة فى الجدران و فى السقف على كيفية عجيبة، بحيث يجعلونها دوائر، و تكون السكاكين كأنها أنصاف أقطارها و الكوابيس كذلك.

و فى يوم الأربعاء ورد على الباشدور كتاب من وزير الأمور البرانية بواسطة ولد الباشدور النجليز يقول فيه نحبك/ ۲۴۰/ تخبر سيدنا الباشدور سيدى الحاج محمد الزبيدى بهذا الأنور، يعنى المزية العظيمة و الاعتناء الكبير. و هو أن السلطانة أذنت بطلوعه هو و أصحابه إليها فى الجزيرة التى هى فيها يوم الخميس الآتى، يعنى خامس رجب و أخبره بانور آخر و التى فى غده نعين له الوقت الذى يطلعون فيه، فسرنا ذلك غاية، لأننا لما دخلنا إلى اللوندريز وجدنا سلطانتهم انتقلت إلى جزيرة من جزر بلادهم بقصد تمريض ولد لها هناك كما قيل. و العادة عندهم أنها إذا خرجت من البلد لا تتلاقى مع أحد ممن يفد إليها حتى ترجع. و وجدنا هناك باشدورات آخرين من الأتراك و الهند سبقونا بنحو شهرين، و لم يتلاقوا بها إلى الآن، و كان ساءنا ذلك غاية، و كان ولد باشدور انجليز يطلب من الباشدور الإكثار من الخروج

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۷

للفرجات و الملاقاة بالناس، فكان يمتنع و يجيبه بقوله إننا لم نأت للفرجات و لا للملاقات مع الناس الأجانب، و لا غرض لى فى ذلك حتى يتم الغرض الشريف الذى أتيت لأجله، و بقى مصمما على ذلك حتى أذنت سلطانتهم بالطلوع إليها، و هو أمر سعادة مولانا المنصور بالله. و كراماته الواضحة و الحمد لله على ذلك.

دار البانكة و ضرب السكة

و فى يوم الأربعاء الرابع منه، توجهنا لدار البانكة. أى دار ضرب السكة و طبع كواغدها، و هى دار عظيمة كأنها مدينة مشتملة على ديار و طرق دفقها من الحديد. و قناطيرها كذلك، خوف وقود النار. فدخلنا أولا لتربيع منها فيه أناس

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۸

كثيرون، أمام كل واحد منهم نحو قفة صغيرة من الابرة ملقاة على طبلة.

و إحدى كفتى الميزان الذى أمامه خمسمائة من الابرة، و هو يزن بها من الابرة الموضوعة أمامه، و يجعل فى كل خنشة صغيرة ألفا من الابرة. هذا شغل هؤلاء الناس، فزاد معنا كبيرهم و أوصلنا إلى تربيع آخر فيه بعض كتاب هذه الدار، و كلهم مشتغلون بالتقييد فى الكنانيش، فسألنا عن عددهم فقيل فى هذه الدار/ ۲۴۱/ من الكتاب ثلاثة آلاف، و ألف واحد من سائر الخدمة. ثم أوصلنا كبيرهم إلى كبير مطبعة سكة الكاغد ، و هكذا شأنه لا يجاوز أحد منهم محل خدمته و شغله إلى محل غيره، فوجدنا مكينات تدور و صبيانا

دون بلوغ يقابلون ناعورة الطبع، و كيفيتها إن هذه الناعورة كقطعة من سارية تدور منصوبة موازية لسطح الأرض، و تحتها شيء كالثوب مربع مقبوض من الطرفين إلى جهة السقف، و بدوران هذه الناعورة يتحرك هذا الثوب عن يمين الناعورة و عن يسارها، و قد جعل في كل من طرفي هذا الثوب كالمحفظة التي يجعل الطلبة فيها كراريس الكاغد. و قد جلس صبيان عن يمين الناعورة و آخران عن يسارها. فأما اللذان عن يمينها فيأخذان ورقات الكاغد الذي لم يطبع، و يضعانه بيديهما معا على محل من الناعورة. و عند وضعه تخرج أربعة أصابع حديد تمسكه من يديهما، و تدور به فإذا كانت الناعورة به في غاية الانخفاض ترتفع من أسفلها لوحة حديد قد ركبت فيها حروف طبع تلك الورقة، فتماس تلك الورقة الممسوكة فتطبع و ترجع بها الناعورة إلى الصبيين اللذين كانا ركبا هذه الورقة، و عند وصولها إليهما ترتفع عنها تلك الأصابع من الحديد، فيتركانها و يجعلانها في تلك المحفظة التي في طرف الثوب الذي من جهتهما، و يطويانها على الورقة و يضعانها مع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۸۹

غيرها. هذا شغل هؤلاء الصبيان الأربعة لا يفترون عن هذا العمل، و الناعورة و ذلك الثوب يتحركان على نسبة عملهم، فلاهم يتمون عملهم و يتربصونه على تحركهما، و لا هما يسبقان الخدمة في شيء ما. فكلما فرغا من عمل وجدا عملا آخر مهيئا.

و لا يمكنهما الالتفات إلى شيء أو التأني في الخدمة، لأنهما إذا تركا الخدمة نحو دقيقة واحدة و الناعورة تدور فتخبر المجانة التي هناك مع المكينة بعد دوران الناعورة اللازم عند مثله من الكاغد المطبوع، فيكون في ذمة الكبير، و قد رصدت عدة أدوار إحدى النواعير في الدقيقة الواحدة، فكانت ثلاثين دورا بثلاثين/ ۲۴۲/ كاغدا.

و انظر كم في الكاغد، فإنه من خمس ابرات إلى مليون منها، فكيف يمكن خدمتها مع التأني أو العبث، و حيث رءاني كبيرهم أرصد دوران بعض النواعير و المجانة في يدي، فأخبر أن هذه الدار يطبع فيها كل يوم مليون من الابرة. و إن مثل ذلك يوجد من الليبرة في كل يوم. ثم خرجنا من هذا المحل إلى محل آخر فيه خزانات، بعضها فوق بعض أربع طبقات مملوءة كواغد مطبوعة. كل رزمة كأنها سفر ثماني، غلظه نحو أصبعين و زيادة، فيه ميلون من الابرة. و انظر كم عدد الملايين، هناك أوقفونا على بعض الكواغد زورها عليهم بعض من الفرنصيص، و تداولها أناس بالدفع، و عند رجوعها لدار المطبعة تفطن لها الكتاب من جهة النمروس لا غير، و ما عداه من النقش و الأرقام قالوا إنه أصف من عملهم، و حيث رجعت هذه الورقة المزورة لأيدي الكتاب، و وجدوا ذلك النمروس و التاريخ لا زال لم يخرج من الدار، أخبروا به، وجدوا في طلب من زوره حتى وجدوه، و حكم عليه بالسجن ثلاثين عاما، و هذه الكواغد التي ترجع إلى هذه الدار، و يقبضون أصحابها بدلها ابرة عند احتياجهم إليها. تجمع و تجعل في صناديق و يختم عليها، و تبقى هناك خمس سنين مدفونة في

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۰

تلك الصناديق ليلا يتوقف أحد على شيء منها، ثم بعد ذلك تحرف بمحضر الكتاب و الأمناء و يجمع رمادها و حرفها- و الله أعلم- و رقتين بل بعد ورقة ليمكن عد حرقها، و لأنهم أرونا بعض ورقات محروقة و هي مبسوطة بين ورقتين بل بين لوحتين، و الرقم لا زال ظاهرا في الورقة بعد حرقها، و بعد حرق ما يحرق منها يجدد طبعه مرة أخرى و هكذا .

ثم دخلنا إلى محل، آخر فيه اثنتان و ثلاثون طبلة عودا، على كل طبلة مائة بارة ذهب كهيئة ابرة شكلا، إلا أن البارة أغلظ، كل ابرة عليها رقم ميزانها، قيل تقطع ثمانمائة ابرة بإضافة بعضها إلى بعض، فيكون فيها مليونان من الابرة و خمسمائة ألف و ستون ألفا من الابرة، و منها خناشي طول كل خنشة نحو ذراع غير ربع، و عرضها ذراع، مملوءة نحو نصفها ابرة. و هي موضوعة/ ۲۴۳/ بعضها فوق بعض، ذكر أنها وجدت ناقصة في الوزن، و أنها بصدد الرجوع إلى الدار، ثم سرنا إلى محل آخر وجدنا فيه موازين الابرة، يجعلون الابرة في جعبة منحدرة، و هي تنزل واحدة بعد واحدة على صنجية لطيفة مثل جرم دائرتها، فإذا كانت تامة الوزن خرج مسمار و ضربها في حرفها فتنزل إلى ناحية اليمين، و إذا كانت ناقصة خرج مسمار آخر من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۱

جهـة اليمين و ضـربها فى حرفها و يـدفعها إلى جهـة اليسار، ثم تجمع هذه الابرة الناقصة و تجعل فى جعبة أخرى و تصـير تنزل واحدة بعـد واحدة، و كلما نزلت واحدة ضـربها شاقور ضـربة واحدة فيشـقها إلى النصف، و بعد ذلك تجمع فى الخناشـى و تزاد على بارات الحديـد، ثم اقتصـرنا على رؤيـة تلك الأماكن من هذه الدار، و رجعنا و عند رجوعنا وجدونا كتاب وزير الأمور البرانية قد أتى به إلى الباشدور، يخبره بالنهوض إلى سلطانتهم.

النهوض للملاقات مع عظيمة دولتهم

فى الساعة التاسـعة من يوم الخميس المذكور، ركبنا فى بابور البر قاصدين الجزيرة التى هى فيها، و سافرنا فيه ثلاث ساعات، ثم ركبنا فى بابور فى البحر و سافر بنا ساعـة و نصـفها، و وصـلنا إلى هذه الجزيرة التى تسـمى بما معناه الجزيرة الخضـراء فركبنا فى أكداش، و توجهت بنا إلى العرصـة التى فيها دار سـلطانتهم، فدخلنا إليها و تقدم وزير الأمور البرانية إلى الدار و نحن فى أثره، فدخلنا من قبة إلى أخرى حتى انتهينا إلى القبـة التى فيها السـلطانة، فتأخر وزير الأمور البرانيـة، و تقدم الباشدور مع الترجمان و كاتبه الأمين عن يمينه أى الباشـدور، فأومـأت أولاـ بالتحيـة فردت عليهـا، ثم شـرع الباشـدور فى إملاء مخاطبتها بما يناسب المقام، و كان كتاب إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۲

مولانـا الشـريف بيـد كـاتبه ملفوفـا فى سـبنية بيضاء من حرير عمل الروم، فحين انتهى إلى ذكر الكتاب الشـريف التفت إلى فناولته له، فرفعه لها، فتلقته منه بسـرور و فرح، و حين تم مخاطبتها ترجم ذلك المترجم و هى مع ذلك مبتسـمة و السرور يظهر فيها، و ما قصرت فى الترحيب و الفرح، ثم سألت الباشدور عن حال سيدنا أعزه الله، فأجابها بما يناسب، و بين لها أسماءنا و مراتبنا فأشارت بالترحيب ...

.

صفة دار البلار و بعض ما رأيناه

/ ۲۵۰/ ... الحديـد، و حين دخلنا إليها وجدنا فيها حوانيت و قببا مختلفة الأشـكال، من العود لا من البلار، و حين توسـطناها سألت عن طولها و عرضها بواسطة الترجمان، فأجاب بأنه قريب من خمسمائة يارضة ، و هى مربعة كما تقدم، و علوها من جهة زواياها نحو اثنتى عشـرة يارضـة، و زيـد فى علو وسـطها نحوت يارضـات، و زيـد فى وسـط هـذا العلو الثـانى نحو أربع يارضات، و جعل عليه قبو فصار كالقنوط، و امتد من الجهتين كذلك حتى تلاقى القبوان فى وسطها، فكان هذان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۳

القبوان همـا سـقفها، و كـل ذلك من البلار الغليظ، بحيث جعل ألواحا ممسوكـة بين قضـبان الحديـد كما تمسك ورقات الزاجـة فى سراجم البيوت بين العود، لكن قضبان الحديد أرق و ألطف من دور تلك السراجم، و امتدت جدرانها و قببها على هذا الوصف. و فى داخلها الأبنية و الدرج و الطبقات من العود، فالطبقات مرفوعة على قناطير لطيفة أيضا من الحديد، و فى وسـطها رياض بجوانبه أشجار صغيرة و كبيرة و نخل صـغير ممتـد مع طولها، و فى وسـطه حوض مملوء ماء يـدخل إليه ما فاته من الرخام ممتـدة من الرياض، يجعل وسـطه أنصاف دوائر من الرخام خارجـة عن تربيعـة، و بطرفيه كـذلك، و الماء الذى فى هذا الحوض أظن عمقه نحو شبر واحد، و قد رصـفت فى وسـطه و جوانبه محابيق فيها نبات، و وضعت فى الماء غير أنه أى الماء لا يصل إلى النبات، منها ما فيه ألوان النوار، و منها مالا نوار له.

ثم صـعدنا إلى طبقـة منهـا فـدخلنا إلى قبـة سـقفها من البلار مبنى كما ذكر، و أما جـدرانها فكلها جلـدت بمرءات كبيرة يجعلون فيها التصاوير. طول هـذه القبـة نحو نصف طول الـدار، و عرضـها نحو اثنى عشـر ذراعا، و كلها امتـدت بالتصاوير التى ترى من البعد كأنها

أجسام، و حيث تقرب منها تجدها رفعا من كاغد- و الله أعلم- بالألوان/ ۲۵۱/ و من هذه الصور صورة امرأة جالسة على شيلية، و شمعة فى حسكة توقد بقربها، و لهب الإيقاد على لون لهب الشمعة حين توقد، و هى قريبة من وجهها لكنها التفتت إلى امرأة أخرى كأنها تشد رأسها، فبقى ضوء تلك الشمعة مقابلا لخدها الأيسر، فصار منيرا كأنه تلك الشمعة، و امتد ظل أنفها إلى جهة حاجبها الأيمن، و هناك تصاوير تمثال حربهم مع بعض الأجناس و كيفية قتالهم إلى غير ذلك من التصاوير العجيبة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۴

ثم نزلنا منها فخرجنا فى ذلك الرياض المتقدم ذكره، و وجدنا فى بعض حياضه صور عبيد، أجسام واقفة عراة عدا طرف من عمامة أدير على سوءاتهم و بأيديهم مزاريق يقاتلون بها. و فى حوض آخر صور أناس من الهند سمر الألوان، و فى حوض آخر صور أناس من المار كان عراة، كما ذكر يحكون بذلك كيفية قتالهم، و فى وسطه خصة من البلار كرسيها أسفل مستدير ، قطر دوره نحو ذراعين، و يرى فى دوره تفريج فى ذات البلار داخلا و خارجا، ارتفاع هذا الكرسى نحو ذراعين، و فوقه خصة بلار، دورها أزيد من ثلاثة أذرع، بينها و بين الكرسى فى العلو مقدار ذراع و نصف من جعبة بلار، و فوقها خصة أخرى دونها، بنهما جعبة فيه، لكنها أى هذه الخصة ركبت فى الجعبة مقلوبة، فصار مقعرها من جهة الخصة التى أسفلها، و محدبها إلى فوق، ثم جعل فوق محدبها خصة أصغر منها لاصقة بمحدب الأخرى، و جعل فوق هذه خصة أصغر، بينهما جعبة بلار نحو ذراع فى رأى العين، و جعل فى وسطها الجعبة التى يخرج منها الماء، إلا أن فى رأسها ثقبا ذات انحراف إلى الجوانب و الله أعلم، بدليل خروج الماء على سموت مختلفة، و عند بلوغه غاية الارتفاع ينحدر إلى تلك الخصص مستديرا كأنه صورة ثرية معكوسة. ثم صاروا بنا إلى كوات فى الجدران، و هى ألواح من البلار، فى أحدها صورة بابور البر الصغير، طوله نحو أربعة أصابيع، و وراءه عربات متصلة/ ۲۵۲/ به، لكنه يسير حتى يرمى إليه شىء من الدراهم من فرجة بخد الكوة، فإذا رمى إليه شىء منها ينزل بجهد على النقشة التى توقفه، فيسرح للتحرك فيرى كأنه مسافر يجر العربات وراءه، و لا ترى تلك النقشة و لا شىء من آلة الحركة، لأن ذلك كله عجيب، و إنما يرى البابور و العربات، فى كوة أخرى صور أناس راكبين على الخيل، و هم صفوف بعضها فوق بعض، و لا يمشون حتى يرمى إليهم شىء من الدراهم.

ثم صعدوا بنا إلى قبة مستديرة من عود، دورها أقل من دور الطراحية، و علوها إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۵

نحو ستة أذرع، و فى وسطها دائرة من عود، ارتفاعها نحو ذراع و نصف، بين محيطها و محيط هذه القبيبة نحو ذراعين، و هذه الدائرة الوسطى مغطاة بكاغد، و عند دخولنا إليها سد بابها فصارت مظلمة شيئا ما، ثم أخذ بعضهم يحرك ذلك الكاغد، فظهر فيه خيال صور أناس يمشون، و هذه الصور ظلال لا غير، و هى صغار طولها نحو أربعة أصابع، و هى تمشى إلى جهات، و بعضهم حامل شيئا فوق رأسه، و آخر يجرى و ظلال سناجق تخفق بها الرياح، و كنا نظن أن تلك الظلال ظلال من يمشى أسفلنا فى هذه الدار، لكن رأينا فى بعض الظلال صورة دخان فابريكة يتصاعد، و لم يكن فى هذه الدار فابريكة، و كانت تلك السناجق خارجة عن الدار. و عند خروجنا التفت إلى سقف هذه القبيبة فرأيت فى وسطه قبيبة صغيرة من البلار كهيئة المكب الصغير، فتخيل لى أن شعاع الشمس حين يمر بها و يتصل بمن يمشى على الأرض يحكى صورته فى ذلك الكاغد بسبب الطلاء الذى فيه و الزاجة التى أسفله و الله أعلم.

مثال جامع قرطبة

ثم دخلنا إلى صحن كأنه صحن مسجد مربع نحو ثلاثين خطوة طولا و أربع و عشرين عرضا فى وسطه صهريج مربع حافاته بالرخام، و غرقه نحو شبرين، و أرضه فرشت بالمربع الملون، و مثلثاته. و فى وسط حافاته المستطيلة/ ۲۵۳/ من جهة مدخل إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۶

القبة الآتى ذكرها ساريتان من رخام مربعتان رقيقتان نحو نصف ذراع أو أقل، و طولهما نحو ذراعين. و بينهما نحو ذراعين كذلك. و مد عليهما سارية أخرى مثلهما من رخام، فى وسطها أنبوب رقيق يخرج منه الماء إلى ذلك الصهريج، و على هذا الصحن قبة بلار

أيضا، و هذا الصحن يحيط به بيوت صغيرة كالبناديق كأنها مدرسة، ثم يقابل هذا الصحن قبة مربعة بينهما مدخل مربع، سقفهما من العود سقف سما، و القبة مربعة نحو خمسة و عشرين ذراعا طولا و عرضا، و مع ذلك فيها ثلاث صفوف سوارى رخام، فى كل صف سبع سوار.

ثم خرجنا من هذا الصحن إلى صحن آخر مربع، فيه نبحان متقابلان، فى كل نبح أربع سوار مذهبة. اثنتان حيطيتان و ثنتان فى الوسط عليها ثلاث قسى مورقة توريقا بديعا مموها ذهبا، و بجدرانه حيطى من الزلايج كزليج فاس، إلا أن ألوان زليج فاس أفضل من تلك الألوان، طول هذا الحيطى نحو أربعة أذرع، و الجداران الباقيان اللذان لا نبح قدامهما بنى فيها أبواب، عليها قسى ذات الشوكة كالحناية فى بيوت الغرب، و قد بنى ما فوق قوسها بالمقربس الرقيق البديع، و عمر بالتذهيب و الزنجفور، و جعل داخل كل باب فى وسطه ساريتان، عليهما ثلاث قسى فوقها المقربس كذلك إلى تلك الحناية. و فى هذا الجدار الخارجى ثلاث حنايات على هذه الصفة، بين كل ثنتين مقدار ستة أذرع، فقد نقش فيها كنقش الجباصة، مثل مدارس فاس و قبب دور المخزن، و كتب فيها بقلم عربى «لا غالب إلا الله» بين النقش و التوريق، و امتدت الجدران كذلك طولا و علوا، و عمر هذا النقش بالتذهيب و الزنجفور، و جعل متصلا بهذا الصحن قبة مربعة نحو اثنى عشر ذراعا طولا و عرضا، و قبتها مستديرة شكل نصف بيضة بالمقربس الرفيع المموه كما ذكر، و جداراتها نقشت نقش الجبص كما تقدم. و كتب فيها اسم الجلالة دائرة مع الجدران طولا و علوا، هذه/ ۲۵۴/ القبة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۷

محترمة عندهم لا يدخلها أحد، على بابها مجدول حرير ممتد بين خدى مدخلها علامة على عدم الدخول إليها.

ثم خرجنا منه فوجدت الباشدور تقدم مع بعض الرفقاء، و عند خروجى التفت فوجدت جدار هذا المسجد امتداده نحو مائة خطوة، و قد نقش الجبص و التمويه كما ذكر، فبينما أنا أتأمل ذلك و أقيد ما أراه إذ قدم على ثلاثة أناس على رؤوسهم طرابيش حمر، و بقية لباسهم كلباس الروم. فحيوا بالسلام بلسان فصيح، فرددت عليهم و سألتهم من أى بلدهم، فقال أحدهم إنه مراكشى و قال الآخران إنهما من سوس الأقصى، فقلت و ما تفعلون هاهنا فقالوا قد ألقت بهم الأقدار إلى هذه الديار، و أنهم حين سمعوا بباشدور الغرب بباريس كانوا عزموا على القدوم عليه بقصد صلة الرحم معه، فقيل لهم إنه بصدد القدوم إلى اللوندريز، و أن هذا اليوم عندهم كعيد من أعيادهم حين منّ الله عليهم برؤية الباشدور و أصحابه، و فهمت من حالهم أنهم يقصدون و يأملون منه المواساة، حيث سمعوا به يواسى الفقراء فى كل بلد، فقلت لهم سوف نخبره بحالكم بحول الله فسروا بذلك، ثم ودعتهم.

الرجل الذى يغوص بصهريج الماء و كشف الحيلة فى ذلك

و لحقت بالباشدور، فوجدتهم داخلين لبيت صغير فيه صهريج من عود كالصندوق، طوله أزيد من قامتين، و علوه كذلك، و عرضه أزيد من قامة، و هو مملوء ماء، و فى وسط غاربه أى عرضه كوة عليها ورقة بلار قد سدت بها، و رأينا رجلا واقفا فى وسط الماء و الماء فوقه بأزيد من قامة أخرى، و هو لابس كبوطا و سروالا لعلهما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۸

من جلد، و رأسه مغطى كقب الجلابة الرباطية لأنهم يجعلونه قصيرا لنية هناك، بخلاف السلويين لأن بعضهم يجعل قب الجلابة مستطيلا للمناسبة أيضا، و إنما استطرد هذا هنا لأنهم ينكثون على أصحاب القب الطويل، و على وجه ذلك الرجل زاجة محيطة بحواشى قب ذلك الكبوط، و لا يرى من ذات هذا الرجل إلا وجهه و يداه من مبدأ الكف، و كان قابضا لوحا من حجر بيده اليسرى، و فى اليمن قلم و هو يكتب فيه، فلما فرغ من الكتابة أدار تلك اللوح و أرانا ما كان يكتبه فيه، فقرأه الترجمان/ ۲۵۵/ فقال إنه يقول مرحبا بكم هذا يوم مبارك. ثم صعدنا إلى فوق هذا البيت حتى وصلنا إلى سطحه فوجدنا ذلك الصهريج فى وسط السطح، و طلع ذلك الرجل الذى كان راسيا فى الماء، و بقى على وجه الماء فأتى صبى و فك الزاجة التى كانت على وجهه محيطة بحاشية قب

الكبوط، فوجدنا فى وسط القب مصرانة لعلها من ثوب القلاع طويلة، و أخرى فى قفاه، بحيث يرسب فى الماء يكون ولد فوق السطح قابضا يدا من حديد يرفعها و يخفضها فينشأ من ذلك ريح يسرى فى المصرانتين و يصل إلى وجه الرجل الراسب فى الماء . و انظر من أين يخرج ذلك الريح، إلا أننا نرى أثر التنفس فى الماء حين رسوبه كما يفعله العوامة عند رسوبهم فى الصهاريج، فيتنفسون و يظهر أثر ذلك فيعلم منه الموضع الذى هم فيه، ثم إن هذا الرجل دفع له كاغد الدخان المعروف عندهم بكارو، فقبضه بفيه، و سد على وجهه بتلك الزاجة، و رسب فى الماء و هو يشرب ذلك الدخان، و لعله يظهر بذلك أن الماء لا يدخل إليه، و لا يبعد أن يكون فى محل من كسوته التى هو لابسها ثقبة ضيقة يخرج منها الريح الذى يدخل فى تلك المصرانتين، لأنه إذا استمر الريح خارجا خروجا قويا فإنه يدفع الماء و لا يدعه يدخل للكسوة، بدليل ظهور أثر التنفس، و طول المكث فى الرسوب و بهذا العمل- و الله أعلم- يصطادون المرجان و اللؤلؤ من قعر بحارها.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۲۹۹

ثم خرجنا منه و أوتى بنا إلى بيت مظلم بنى بجدرانه صناديق زاج ملئت بماء البحر، و فى أرضها الرمل و الصم الصغير ، و فى جوانبه الثلاثة حجر لعل به طينا كحجر البحر، و الحوت فى هذه الصناديق على اختلاف أشكاله و ألوانه، و هو يتوالد هناك، و فى بعضها عكريشة كبيرة تقرب من جرم الحمامة، لها عشرة أرجل طوال رقاق، و فى رأسها أربعة قرون طوال كذلك، و لها ذنب ذو قفى ينثنى و ينبسط، و فى صندوق آخر رطالات ذات الذوانب لاصقة بالحجر، تمص فيه على عادتها، ثم ألقى إليها من فوق الماء عكريشة صغيرة من التى تكون بالشاطئ فالتقمتها و أكلتها فرأتها رطالات أخر تخرج من الحجر فألقى إليها عكريشات أخر فالتقمتها كذلك.

و هذا الماء الذى يدخل إلى/ ۲۵۶/ الصناديق يدخل إليه الهواء من سطح الماء الأعلى، و يرى أثر دخوله فى وسط الماء، قيل أنه سبب حياة الحوت هناك، و فى بعض الصناديق المملوءة بهذا الماء فى قعرها حجر من حجر البحر، ينبت فيه المرجان، أتى به من قعر البحر بحجره، و جعله فى ذلك الصندوق، و قيل إن المرجان يكبر هناك و يقطع، و نحن رأينا كرؤوس المرجان لاصقة بذلك الحجر لا غير.

طياطرو دار البلار و لعبة الأفيال فيه

ثم أوتى بنا إلى طياطروا فى إحدى جهات هذه الدار، فى وسطه دائرة، أرضها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۰

تراب، قطرها نحو عشرين خطوة، أحاط بها سور من عود، علوه يزيد على ذراع واحد، ثم أحاطت به الشوالى متوالية الدوائر، كل دائرة أعظم مما تحتها و أعلى منها ليمكن الاستشراف، و بقى بعد ذلك السور و الدائرة الأولى من الشوالى، و عدد دوائر الشوالى المتصاعدة اثنتا عشرة دائرة و الله أعلم، متفاضلة فى العدد كتفاضلها فى الكبر، ثم بنيت بيوت من عود محيطة بدائرة الشوالى العظمى، كل بيت يسع أربع شوالى أو ست، و الشوالى و البيوت كلها مبطنة بتوب الموبر الأحمر، ثم جعلت بيوت فوق تلك البيوت و أخرى فوقها، و هكذا حتى صارت خمس طبقات من البيوت، بعضها فوق بعض، ثم جعلت قبة من البلار على الطبقة الفوقية، قناطيرها رقيقة لطيفة من الحديد، و عند دخولنا هذا الطياطروا أنزلونا ببيت متسع غاية بالطبقة الأولى قريب من محل لعبهم، و وجدنا جل تلك البيوت و الشوالى الأرضية عامرة، على كل شيلية منها رجل و امرأة ثم جعلوا فى وسط تلك الدائرة التى وسطها تراب مضربة، حشوها بتبن و الله أعلم. و نصبوا خشبة خارجة عن دائرة العود بنحو ذراع، مرتفعة عن الأرض بنحو ذراعين، و نصبت ألواح من عود امتدت منها إلى الأرض بنحو ثلاثين خطوة، ثم أتى أناس نحو اثنى عشر رجلا، كل واحد منهم يجرى فوق تلك الألواح، و عند وصوله إلى الخشبة المنصوبة يقفز منها و يرتفع فى الهواء و يتقلب و ينزل واقفا فى وسط تلك المضربة، و هم متتابعون فى الجرى و الانقلاب، و تكرر عملهم هكذا، ثم أتوا بفرسين و أوقفوهما فى الأرض الترابية بين المضربة و سور العود.

ثم أتوا يعدون و قفزوا فوقها متقلبين و كل واحد ينزل واقفا على المضربة، ثم أتوا بفرس ثالث و قرن مع الآخرين، و وقف/ ۲۵۷/ رجلان فوقها، كل واحد منهما جعل إحدى رجليه على شق ظهر فرس و الأخرى على شق الفرس الذى فى الوسط و قبضا بيديهما على عناق الخيل كهيئة الراكع حيث يهوى إلى السجود، ثم قفز أولائك الناس فوق الرجلين اللذين فوق الخيل، و تقلبوا واقعين على المضربة، ثم جاء رجل ثالث و وقف على ظهرى الرجلين اللذين فوق الخيل على هيئتهم و قفزوا فوقه كذلك، ثم نزلوا و أتى بفرسين آخرين و قرنا مع الثلاثة الأخيرة فصارت خمسة و انقلبوا فوقها كذلك، و لم يزالوا يزيدون فرسين بعد فرسين حتى صارت تسعة من الخيل مصطفة بين المضربة و سور العود، و انقلب كل واحد منهم عليها و نزل واقفا على المضربة، و منهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۱

الرجال الثلاثة الذين لقيتهم عند خروجى من مثال جامع غرناطة. و ذكروا أن أحدهم مراكشى و الآخران من سوس و هما- و الله أعلم- ممن تقدمت لهما الخدمة مع أولاد سيدى أحمد و موسى نفع الله به، ثم ردوا تلك الخيل إلى محلها و صاروا يتقلبون من الخشبة كأول مرة، فأتى رجل منهم و قفز قفزة عظيمة فى الهواء و انقلب مرتين فى الهواء و نزل واقفا، فصار أولائك الناس المتفرجون يصفقون بأيديهم جميعا يستحسنون بذلك عمله على عادتهم. ثم أتوا بالخيل و صاروا يلفون بها كما تقدم فى بعض وصف طياطروا باريس. و هؤلاء الأناس الذين كانوا يلعبون بالقفز على الخيل، على كل واحد منهم سروال من ثوب خفيف ساتر قدمه كهيئة التقاشر حتى تجاوز سرته أو كان بها لاصقا على جسمه، و على صورة كبوط صغير لاصق على صدره و ظهره، و رأسه مكشوف علته- و الله أعلم- الإعانة على خفة حركته بذلك، لأنهم لو كانت لهم ثياب وافرة لتخللها الهواء عند جريهم و انقلابهم فتثقل بذلك حركاتهم، لأن الهواء المتولد من ذلك يكون عاسكا لهم، ثم إنهم أتوا ببسطيليات و هى فى عرف العدوتين أنصاف البراميل الكبار، و وضعوها داخل الدائرة مقلوبة على الأرض، و أتوا بأفيال كبار و صاروا يلعبون بها لعبا عجيبا، حتى أن الأفيال ترقص على الأرض و تحادى برقصها نقط أصحاب الموسيقى و تقف فوق تلك البسطيليات و تجمع يديها و رجليها فوقها مع صغر قعر البسطيلية، و تدور فوقها، و لم يكتفوا بهذا بل جعلوا بسطيليات صغيرة فوق الكبيرة مقبوضة عليها بمسامير و طلع الأفيال/ ۲۵۸/ فوق البسطيليات الصغيرة و رقصوا فوقها كذلك، و كلما تكلم معها بكلام تفهمه و تمثله، حتى إن فيلا منها وقف على يديه و رأسه و رفع رجليه و هو يصيح كأنه يطلب الإعفاء من تلك المشقة، ثم ربضت إلى محلها و أتوا بفيل عظيم، و صار يلعب كلعب الأفيال

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۲

التى انصرفت، و بقى معه نصرانى واحد فى تلك الدائرة، فعندما يريد الركوب عليه يكفه فيحنى له زلومه فيقف فوقه ثم يرفعه الفيل فيقفز النصرانى و ينزل على ظهر الفيل، ثم نزل و كلمه و فتح فاه و أدخل النصرانى رأسه فيه و بقى هنيئة و أخرجه ثم كلمه أيضا فلوى زلومه على النصرانى و حمله، و خرج به.

لعبة الكلاب و وصف الرياض المجاور لها

ثم أتوا بشوالى صغيرة خمس وضعت داخل الدائرة الوسطيمع بعض محيطها، و جعل و سادتان صغيرتان بطرفى صف تلك الشوالى، و أتوا بكلاب صغيرة و أدخلوا لتلك الدائرة كلبا بعد كلب، و كل واحد منهم طلع لشيلية و وقف عليها، ثم أتت بنت صغيرة و صارت تكلمهم. فنزل الأول من الشيلية الأولى و صار يجرى و ينقلب، و تارة يقف على رجليه فقط و يجرى عليهما، ثم رجع إلى شيلية و نزل الذى يليه و فعل كمثله و رجع لمحله، و نزل الثالث و هكذا حتى لعب هؤلاء الخمسة، فنزل كلب أصغر منها كان فوق الوسادة الطرفية التى من جهة الكلب الذى تقدم للعب و فعل مثل فعلهم و رجع لمحله، ثم أتت تلك البنت بقنبة و قبضت طرفها بيدها و نزل كلب و قبض الطرف الآخر بفيه و صارت ترفع طرف القنبة و تضعه، و الكلب متابع لعملها، و أتى كلب آخر و وقف بينهما و القنبة تدور عليه، و عند نزولها للأرض يقفز و تخرج من تحته، و تكرر عملهم كذلك، و هذا نزر يسير من بعض أوصاف هذا الطياطرو و لعب أصحابه،

ففيه كفاية للمتطلع لأخباره.

ثم خرجنا منه و صعدنا إلى طبقة مشرفة على رياض أنيقة فيها أنوار عجيبة، ذات

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۳

ألوان و أشكال، مع التناسب و حسن الوضع، و امتد هذا الرياض مع امتداد طول دار البلار، و هو خارج عنها و أدير بدربوز حديد فيه قضبان منه محددة الرؤوس كهيئة الحربة،/ ۲۵۹/ ثم جلسنا على الشوالى قبالة دربوز هذه الطبقة، و بقينا مستشرفين على ذلك الرياض و على ما قابلنا من مدينة اللوندیرز، و بساتينها و أنهارها، ثم أناس يلعبون على الخيل بين الرياض و جدار الدار، و كل واحد منهم واقف على فرسين كل رجل من رجليه على ظهر فرس، و اليدان بلجامها و هى تجرى بهم على كيفية المسابقة، لكنهم يتقدمهم رجل راكب على فرسين كما ذكر و يتبعه آخر كذلك و هكذا، و يبتدءون المسابقة من محل معلوم عندهم، و يدورون حول ذلك الرياض حتى يعودوا إليه. و هذه الخيل من الخيل المعلمة عندهم، لأنها تعرف المراد منها حين يشار إليها أو يكلمها بشىء، كما كانت تسير سير العسكر فى الطياطرو و غير ذلك من الأعمال، فلذلك لا يتباعد الفرسان عند جريهما حالة ركوب الرجل الواحد عليهما معا، و جريهما إذ ذاك جرى متوسط بخلاف المسابقة حيث يكون كل رجل راكبا فرسا واحدا. ثم خرجت خيل أخرى يركبها بنات، كل واحدة على فرس، و صرن يتسابقن و هن واقفات على ظهور الخيل، و تكررت مسابقتهن كذلك وقوفا و جلوسا، و كانت هذه الفرجات خاتمة العجائب التى شاهدناها بدار البلاد، و إنما رأينا منها شيئا لا نسبة له باعتبار ما فيها و ما يكون فيها من العجائب و الغرائب فى كل يوم خميس، و نحن لم يتيسر لنا الذهاب إليها فى ذلك اليوم لأننا توجهنا فيه للملاقاة مع السلطانة. و كان قصد الترجمان الذى مع الباشدور التأنى لخميس آخر لتكمل الفرجة، و لم يكن الغرض فى الفرجة و لكن فى هيئة الدار و كيفيتها فقط،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۴

ثم رجعنا إلى محل النزول و بينه و بين دار البلار مسير ساعة تامة فى الأكداش سيرا سريعا.

التوجه إلى مدينة ولت لرؤية دار بها

و فى يوم الاثنين التاسع من رجب ، توجهنا عن إذن السلطانة لدارها فى مدينة ولت بالتاء المعجمة فى بابور البر، بينها و بين محل نزولنا بل المحل الذى ركبنا منه فى البابور نحو ساعة واحدة، هذه الدار هى فى قصبة محيطة بالأبراج على رأس ربوة، و عند وصولنا إليها خرج إلينا المكلف بها ففرح غاية/ ۲۶۰/ الفرح، و أخبر عن لسان الترجمان أن هذه الدار غير مفرشة ، لأن سلطانة الدولة مسافرة، فدخلنا لاسطوانها و وجدنا فيه صفين من الشوالى، طوله نحو خمسين خطوة، و عرضه نحو خمس عشرة خطوة و مدخله من وسطه، و سقفه سقف سما. و كذلك القبب الآتى ذكرها، كلها سقفها سقق سما، إلا أنها مختلفة الأشكال، ثم صعدنا فى درج عن يسار الباب، ينتهى الاسطوان إلى قبة مربعة فيها صورة امرأة على شيلية، و فيها إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۵

مدفع على كريطته قيل من مدافع الهند، ثم قبة ثانية طولها نحو أربعين خطوة، و العرض نحو خمس عشرة، و كذلك بقية القبب لونها متقاربة، قد علقت بجدرانها مكاحيل و سيوف، و الثالثة فيها مدفعان أصفران و قطعة من صارى قطر دوره أزيد من ذراع، فى وسطه ثقبة نافذة فى وسطه من الجهتين بكرة، قيل أصابته كرة حين قتالهم مع الفرنصيص، ثم الرابعة و الخامسة فيهما شوالى مغشاة، السادسة فى جدرانها مرءاة التصاوير، و جدرانها مجلدة بالكمخة، و فيها ستة سراجم بالزاج طوال، يشرف منها لى المشور. و السابعة مثلها فى سقفها ترابيع مثمنة بقضبان مذهبة، و فى وسطها ثرية بلار مغشاة. الثامنة فيها خزانات الكتب المذهبة، امتدت الخزانات مع جدرانها طولا و عرضا منتهية إلى السقف، و فيها شوالى مبطنة بالجلد الأحمر، و فى وسطها كورتان كبيرتان أرضية و فلكية، التاسعة مثلها بالكتب، فى وسطها خزانتان بالزاج منتهيتان إلى السقف مملوءتان كتبا، العاشرة فى وسطها خزانات ثلاث إلى السقف بالكتب. و هى مربعة صغيرة نحو سبعة أذرع طولا و عرضا كذلك. و فى سقفها خواتيم و دوائر بالتذهيب و فى تربيع، منها نصف دائرة فيه سراجم

أربعة كبار مشرفة على المدينة، و فيها كناش فيه صور ما يرونه فى جرم القمر، كل من/ ۲۶۱/ رأى فيه شيئا من الصور بالمرءاة المعدة لذلك أثبت فى ذلك الكناش، حتى أنهم ذكورا أنه رأى فى جرم القمر عالما مثل عالم الأرض، ثم خمس قبب كبيرة متوالية جدرانها بالكمخة، فى بعضها ثريات، و فى بعضها سراجم مشرفة، فى كل واحد شوالى و موائد مغطاة، و القبة الخامسة عشرة طولها نحو أربعين خطوة، و العرض نحو خمس و عشرين سقفها سقف سما، به تكفيف كبير، و سبانى تحته بتوريق الذهب، و فى وسط السقف خمس تربيعات، فى وسط كل تربيعة جبانة عظيمة من البلار معلقة فى الوسط، ذات شراريف قطرها نحو ذراعين و نصف، و قد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۶

خرج من الشراريف من داخلها قضبان بلار طوال إلى نحو السقف، و هى أى الجبانات مورقة توريقا أنيقا لا تذهيب فيه، و فى أعلا الجدران سراجم طوال انتهت إلى السقف، فى كل جدار خمسة و عشرون سرجما، بلارها بالألوان، و قناطير السقف و سواريه المحيطية مورقة و مذهبة، و تربيعات السقف التى فى وسطها الجبانات صبغت علجاء، و رقعت نجوما تذهيبا ذ قيل بنيت هذه القبة عندما غلبهم الفرنصيص سابقاذ، السادسة عشرة طولها نحو خمسين خطوة. سقفها كظهر حمار على قناطير، ثلاث طولا و أربع عشر عرضا، و التربيعات المتقاطعة بالسقف فى وسطها، كمثال سناجيق الأجناس بالألوان و التذهيب، و فى وسطها طبلة طويلة و أخر صغيرة، ثم الجامع قبته كهيئة الطست مورقة بالتذهيب، و فى وسط جداره سراجم بالبلار الملون، و الثامنة عشرة سقفها مربع الطول، و زيادة أنصاف دوائر من جهة اليمين فقط، فيه أى الجدار اليمين عشرة سراجم مشرفة، و جدرانها عليها ستور، و التسعة عشرة مربعة، فى كل ربع من ثلاثة أرباعها أبواب ثلاث من الزاج، و الربع الرابع مشرف فيه ستة أبواب بالزاج مشرفة على براح متسع غاية، فيه حياض بألوان النوار، منها ما هو على هيئة الزرابى مربع للطول، و منها ما هو مربع طوله كعرضه، و منها ما هو دوائر، و منها ما هو مربع مع أنصاف دوائر محيطة به. و قد غرست بالألوان، و روعى تناسبها و توريقها، كما تراعى نقامة الزرابى ذلك التناسب/ ۲۶۲/ و تلك النوار إنما تعلو من الأرض بنحو شبر، مع تساويها فى الارتفاع، و ازدحام غرسها. فبذلك تكاد الزرابى تشببها، لأنها تشبه الزرابى، و بين كل حوض من هذه الحياض طرق عريضة طويلة، فيها نبات أخضر يانع، قصير القامة، و فى وسط ذلك البراح خصة كبيرة يحيط بها حوض مستدير، دائرته رخام، يبقى الماء جاريا فيه. ثم القبة العشرين مستديرة الشكل محيطة بالسراجم. ثم خرجنا منها إلى اسطوان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۷

عرضه نحو خمسة أذرع، و طوله يزيد على مائة خطوة، فى جداريه دكاكين عليها أبواب الزاج، و بداخلها العدة معلقة داخل تلك الدكاكين، و فى بعض الدكاكين شيلية ذهب مكللة بالدرر، كانت للسلطان فاندى بالهند سنة ۱۸۱۵ م، و سيف غمده مكلل بأحجار الديامنظ ثم الواحدة و العشرون مربعة، فيها شوالى و كنابيس مذهبة مبطنة بالحرير الأخضر، و هى مغطاة، لكن كشف عن إحداها، و بها سراجم مشرفة على تلك الحياض المذكورة، ثم الثانية و العشرون فى وسطها ثريا مشرفة عليه أيضا، ثم الثالثة و العشرون صغيرة مربعة نحو خمسة بل عشرة أذرع طولا و مثلها عرضا، فيها صورتا آدميين من رخام أبيض واقفين على كرسى رخام، أحدهما قابض على يد الآخر، قد التفت كل منهما بوجهه إلى الآخر، ثم اسطوان آخر كالاسطوان المذكور لكنه انعطف يمينا مرتين فصار فيه اسطوانات ثلاث، فى طول كل واحد نحو مائة خطوة، و فيه سراجم مشرفة، و فى جدراته مرءاة التصاوير، و فى الثالث سراجم اثنا عشر، بين كل سرجمين موائد من المرمر مرفوعة على أعمدة، منه متصلة بالجدار، و فيه قبتان صغيرتان، فى كل واحدة منهما فراش بوسادته، قيل ذلك لخدمة السلطانة و متعلماتها، ثم كنيسة فيها ثلاثة بلاطات، و سقفها ظهر حمار فيها سبعة أقواس مقابلة لمثلها، و سبع سوار مقابلة لمثلها، و السوارى مربعة، و زيد فى كل ربع من أرباعها سارية مربعة أصغر من الأصلية، فصارت فى الحقيقة خمس سوار، واحدة كبرة وسطها، و الأربعة فى أرباعها، و هى من المرمر الرفيع، قد نقش فيها تكافيف داخلة و بارزة، و الجدار المشرف على الفضاء فيه سراجم بالبلار الملون، ثم كنيسة أخرى مثلها، غير أنها ليس فيها سراجم، و فيها أسرة عود، على/ ۲۶۳/ كل سرير كتاب

صغير. ثم قبة أخرى مستطيلة، أرضها مزلجة بألوان المرمر ذى النقش العجيب و الشكل الغريب، محيطة بشوالى من المرمر، فى الجدارين الطويلين أقواس من البلار الملون. و سقفها مقبى مستدير بقطعتين دائرتين كالدائرة المشوكة، و يخرج من رأس سوار هذه القبة قضبان حديد مذهبة كهيئة قطع من دوائر تتقاطع فى سقف إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۸

تلك القبة، و بين التقاطع توريق مذهب، و يقرب الجدارين المذكورين قبب من عود، طول كل واحدة نحو خمسة أذرع، و العرض نحو ذراع و نصف، منصوبة واقفة بعضها قرب بعض. و قد بذل النجار فيها غاية مجهوده فى التوريق و اللطافة و التجويف، حتى صير كل واحدة كأنها شمعة من الشمعات التى تعلق فى أضرحة الصالحين، و تحت السراجم المذكورة تربيعات فيها تصاوير. و فى هذه القبة قبر زوجها أى سلطانة الدولة، و قد توفى قبل بنحو ثمانية أعوان كما قيل، و حزنت عليه حزنا عظيما حتى أنها لم تتلاق بأحد بعد وفاته مدة من عامين. ثم خرجنا و رجعنا إلى محل نزولنا باللوندريز.

التوجه إلى مدينة و نزه

و فى يوم الثلاثاء عاشر رجب ، توجهنا عن إذن سلطانة الدولة لمدينة و ينزه، فيها فابريكات تصنع المدافع و الكراريط و الكور و غير ذلك من آلة الحرب. و عند

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۰۹

وصولنا إليها دخلنا إلى حزين فيه كراريط عظام، قطر دور خزنة مدافعها سبعة أشبار و زيادة، و فيه فلك مرفوعة فوق كراريس معدة لعبر الأودية فى أيام الحرب، و كروصة خاصة بالحداد الذى يكون معهم فى الحركة، و كراريس فيها نواعير و السلك ملتو عليها يرسلونه فى طريقهم فى الحركة و يتركونه وراءهم ليتكلموا به و يخبروا بما لهم، و كروصة فيها فراش المجاريح، فوقها غطاء من الكرية يقى المرضى من الحر و الريح و شبههما، مرفوع بجنبها سلم صغير متقارب الدرج لأجل العرض. ثم دخلنا للمكينة فوجدنا قطعة من حديد مربعة الشكل، طولها نحو ذراعين و نصف، و عرضها كذلك. و سمكها نحو أربعة أذرع، و فى رأسها منقار محدد، و هى ترتفع و تنخفض، و يوضع تحتها بارة حديد غلظها نحو أصبعين، و الطول أكثر من شبر. و عند نزول ذلك المنقار عليها يشقها بسرعة كما يشق الخبز بالحديد. و يقرب هذا المنقار طرف حديد/ ۲۶۴/ مستدير غير محدد بل مستوى الرأس و الأصل، غلظ دور رأسه نحو أصبعين، يوضع تحته تلك البارة فيخرقها خرقا مستويا بسهولة كما تخرق الثياب بالابر. ثم وجدنا أناسا مقابلين لمكينة يصنع بها رويضات العود، و هناك مناشير تشق لعود على الوجه المقصود، و بعد شقه يركب أجزاء دور الرويضة فى مكينة أخرى تملسه و تصير أجزاء الدور مستوية فى الرقة و الغلظ، كأنها أفرغت فى القوالب، و كل جزء من أجزاء ذلك الدور يجعلون بأحد طرفيه ثقبة ببريمة تدخل فيه بسهولة، و يأخذون من طرفه الآخر بالمكينة على كيفية المخرطة، و يتركون فى وسطه قطعة مخروطة يمكن دخولها فى مثل ثقب البريمة فى الطرف الآخر، و عند تألفها أى أجزاء دور الرويضة يدخل المسمار من العود المخروط من كل جزء فى ثقب جزء آخر. ثم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۰

تصنع المكينة أجزاء أنصاف أقطار الرويضات، بعد نشرها تركب فيها و تلمسها، و تسقط زواياها المربعة، و يصير كل نصف قطر منها أحد رأسيه رقيق، و هى الرءوس التى تلتقى على قطب الرويضة، و رؤوسها الأخر غليظة. برؤوسها أيضا مسامير عود من ذاتها مخروطة، تدخل فى ثقب دور الرويضة و هى على نسبة واحدة فى الغلظ و المرمة و الثقب، لأن فعل المكينة بها ما ذكر كالقالب لها، فلا يمكن أن تخرج جزءا ناقصا أو زائدا على الآخر، و عندما يريدون تأليف الرويضات يأتون بأجزائها إلى دائرة فى الأرض أعظم بقليل من دائرة الرويضة، و يجعلون أجزاء الرويضة داخل تلك الدائرة الأرضية مماسة لها، و ينصبون أنصاف أقطارها داخلها، و يرسلون المكينة على تلك الدائرة الأرضية، لأنها من الحديد فتصير تتضايق و تصغر، و بهذا العمل تلتئم أجزاء الدور، و يدخل مسامير

أحد أطرافه فى ثقب الأطراف الأخر، و كذلك تدخل مسامير أنصاف الأقطار فى ثقب الدور، و تلتقى أطرافها الأخر على قطب دور الرويضة، و يبقى فى الوسط ثقب مستدير قطب الرويضة، ثم يرفعون هذه الرويضة من ذلك/ ۲۶۵/ و ينقلونها لمحل آخر، و يضعونها فوق طبلة من حديد مستديرة، و يخرجون من بيت النار بارة حديد مستديرة تامة الدائرة، و يضعونها على الرويضة بحيث تكون البارة محيطة بها ما بين مقعرها محدب الرويضة، فتلتهب نار بين الرويضة الباردة و الرويضة حتى كأنها كانت سقيت بالغاز أو شبهه، و يتركونها تلتهب كذلك نحو نصف دقيقة، ثم يحركون نقشة فتنحدر الطبلة التى فوقها الرويضة، و يعلوها الماء، فيطفئ لهب تلك النار، ثم يخرجونها و قد التأمت أجزاؤها بعضها على بعض . هكذا شهدنا هذه الأعمال هناك.

ثم مررنا بمنشار ينشر أوراق الحديد، غلظها نحو بلكضة أو أزيد، و ملاسة تملس ورقات الحديد. و وجدنا جنب كريطة مرفوعا بالبوجى، ميزان مدفعها كما قيل خمسة و ثلاثون طنا، و الطن عشرون قنطارا، ثم وجدنا كريطة تامة، جنباها مثل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۱

الجنب المذكور، و طرفاها موضوعان على بارتين من حديد كقطعتى دائرة، و رجلان لا غير يديرانها بمدفعها إلى الجهتين، و هذا المدفع عمارته قنطار و ثلاثون رطلا، و ميزانه ثمانية و ثلاثون طنا، و فورمته ثنتا عشرة بلكاضة و نصف، و ميزان كورته ثمانية قناطير، و إذا رفع عشرة أدراج يرمى من خمسة آلاف يارضة إلى ستة آلاف، ثم خرجنا من هذا المحل.

و دخلنا إلى دار من الديار المعتبرة عندهم. فوجدنا بها صالات أرضية طولها نحو أربعين ذراعا، و العرض نحو خمسة عشر، فى وسطها مائدتان طويلتان محيطتان بالشوالى، سقفها سقف سما، محيط به تكفيف كبير، تحته سبنية، و كل ذلك مورق بالتذهيب، و فى الجدارين الطويلين أربع مرايا عظيمة، بين كل اثنتين فى أحد الجدارين صورة سلطانتهم. و فى الغارب أبواب طوال من الزاج، يشرف منها على المدينة. و فى السقف ثلاث ثريات بلار، و بقرب هذا المحل دويرة صغيرة قد امتدت مصطفة مع أحد جدرانها، فوقها رخامة بيضاء، بنى فيها صلاليب رخام أو بديع، فوق كل صلاب بزبوزان ينصب منهما الماء الحار و البارد عند الحاجة إليه، و بقرب/ ۲۶۶/ كل صلاب قالب صابون و زيوف بيضاء، و فوق هذه الدويرة بيوت الخلاء، فى كل بيت كرسى من العود، و أرضه مفرشة بالكاغد المورق، و فى سقفه زجاجة مربعة نحو ذراع و نصف طولا- و عرضا، يدخل منها الضوء للبيت دون شعاع، و هذه الدار هى لبعض كبراء العسكر، و قد أكرمونا هناك، و أتوا بأنواع الحلواء و فواكه الوقت و القهوة.

الحيلة المستنبطة لتغريق المراكب فى البحر

ثم خرجنا منها إلى خزين، فوجدنا فيه قراطيس ، طول كل واحد ثلاثة أشبار، إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۲

و قطره شبر و نصف، مملوء بالضوبل المستدير، قيل فى كل واحد ألفان من الضوبلى، ثم وجدنا فى خزين آخر مثل سارية مجوفة محددة الرأسين، طولها نحو ستة أذرع، و فيها حوتة كحوتة الفلك التى تستقر عليها، و قد ملئ نحو ربعها بارودا، و ضوبلى من جهة رأسها المحدد المخروط، و باقيها فارغ، و بذنبها أرياش تسير بها، قيل إنها ترسل فى البحر عند محاربتهم مع بعض الأجناس إلى البابور الذى يريدون رميه بها بعمل هندسى، فتسير فى داخل الماء قاصدة ذلك البابور لا تخطئه. و عند مصادمتها له يدخل رأسها فيه، فيشتعل ذلك البارود فى جوف البابور كأنه مينة، فيكون ذلك سبب هلاكه و هلاك من فيه، و لا يمكنهم من ذلك فرار، بل هناك قبرهم إلى دار القرار، هذا مع إرسال حوتة واحدة فكيف إذا أرسل منها عدد كثير، و قيل هذا من مخترعات حكماء الأنجليز التى لم يسبق إليها، و أنها ليست موجودة عند غيره من الأجناس.

كيفية خدمة الخفيف

ثم دخلنا إلى محل آخر يخدمون فيه الخفيف الذى يركب مع البارود فى عمارة المكاحيل، فوجدنا طناجير عظيمة توقد النار تحتها و

هى مملوءة خفيفا مذابا، و يرمى فيها بارات منه عظيمة فى تلط الطناجير، و بأسفل كل طنجير قادوس، يخرج/ ۲۶۷/ منه الخفيف المذاب، و يجرى فى ساقية على وجه الأرض، و يمر فى قواديس من حديد، و ترتفع فى باطن طناجير أخر قبالة تلك الطناجير، غير أنها مغطاة، و فى وسط الغطاء ثقب يخرج منه قضيب من الخفيف، فيمسكه رجل بيده، بعدما يجعل بيده خرقا من ثياب، و يجذبه و يركبه فوق حرف ناعورة، و تأخذ تلك الناعورة فى الدوران، و ذلك القضيب يلتوى على حرفها حتى يملأ حرفها المجوف، فترفع و يوتى بأخرى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۳

و هكذا. ثم تنقل هذه الناعورة التى ملئ حرفها بقضيب الخفيف، و تركب قرب مكينة أخرى تقبض رأس ذلك القضيب، و تصير تجذبه و ناعورته تدور دورانا خفيفا. و كلما مر منه مقدار خفيفة طولا ينزل عليه طرف حديد محدد يفصله من القضيب، و ينزل إلى الأرض. ثم يجمع ما ينزل منه إلى الأرض، و يوضع أمام صبيان صغار مقابلين لميكنات أخر، فيها نواعير مبسوطة محفور فيها قوالب القطع من الخفيف الذى وضع أمامهم، و هم يركبون كل قطعة منه فى قالبها، و تلك الناعورة تدور دوران الرحى، و ينزل على كل قالب قطعة حديد، تلقاه قطعة الخفيف، فتصير أحد رأسيه مخروطا به ثقب، و الآخر مبسوطا، لكن فيه تقصير ثم يرسل إلى نواعير أخر ثلاث غير هذه لتمام تصفية تلك الحقيقة. و هذا الموضع الذى يخدم فيه هذا الخفيف طويل جدا عريض كذلك. و المكينات منصوبة فيه مثل مناسج الطرازة، مكينة قرب أخرى. و من شدة طول هذا الموضع حتى أنه لا يتميز الرجل من المرأة من الناس الذين بمنتهاه، و فيه من الخدمة ستة آلاف كما قيل، كلها مكلفة بخدمة الخفيف.

كيفية صنع الكور

ثم دخلنا إلى محل آخر يفرغون فيه الكور المستطيل المخروط الرأس على هيئة القوالب من السكر، فوجدنا هناك قوالب مربعة،/ ۲۶۸/ يجعلون فى وسطها قالب الكورة التى يريدون فرغ مثلها، و يملأون ما بين القالب و الكورة بالتراب و يدركونه دكا كثيرا، ثم ينزعون الكورة منه و قد بقى مثالها فى وسط القالب، فيفرغون من التخليطة التى تذوب، و يتركونه هنيئة حتى تجمد، ثم يضربون القالب بميجم من عود طويل اليد، فينحل القالب، و يتساقط التراب، و تبقى الكورة صامتة و فيها حفر مربعة كانت محفورة فى القالب، يجعلون فيها بعد هذا مسامير مربعة نحاسا، تبقى نائتة عن جرم الكورة بمقدار نصف أصبع، لأن مثالها محفور أيضا فى جوف مدفعها،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۴

و ذلك مما يقوى سيرها عند خروجها من المدفع، و هذا الكور الذى يخدم كما ذكر هو على عينات فى الصغر و الكبر، ثم يرفع إلى مكينات تصفيته و ثقبه بالمخرطة، ثم وجدنا أناسا يعمرون الكور الصغير فى الصناديق، ثم آخرين يملأون زنابيل بالخفيف، فى كل واحد منه مائتان و أربع و ثلاثون خفيفة، و يصبون عليها الرجينة مذابة.

كيفية صنع المدافع العظام

ثم وجدنا أناسا فى مكينة يصنعون المدافع العظام ، و أصلها ألواح من التخليطة، يتخذون ستة ألواح أو سبعة، طول كل لوحة نحو ثلاثة أذرع و نصف، و عرضها أقل من نصف شبر، و غلظها نحو أصبع، و يدخلون هذه الألواح لبيت النار بعد ما تصفى، و يجعل لوحة فوق أخرى، ثم يخرجونها و يجعلون رأسها بين ساريتين منصوبتين من حديد، قد حفر فيهما حفر مربعة متفاضلة فى الكبر و الصغر، يجعلونها أولا فى الكبرى، ثم تدور الساريتان على تلك الألواح و تخرج من تحتها، و قد التأم بعضها ببعض، و صارت قطعة واحدة أطول و أرق مما كانت، ثم يخرجونها من باقى الحفر المذكورة واحدة بعد واحدة، و هى بين ذلك ترق و تطول حتى يصير غلظها مثل غلظ جرم المدفع الذى يريدون صنعه منها، و تصير بارة طولها نحو عشرة أذرع، و تربيعها نحو ثمن ذراع، و يصنعون بارات كثيرة

مثلها، ثم ينصبون هذه البارات فى بيت نار طويل و يصلون بين أطراف البارات، و لم أقف على كيفية الوصل، و إنما وقفنا برأس بيت النار فوجدنا سارية أيضا،/ ۲۶۹/ منصوبة بمنتهى رأس بيت النار، و رأس البارة خارج بيت النار، بحيث وصل إلى السارية، رفعوا رأس البارة و سمروه فى السارية، و الماء يصب عليه حالة تسميره صبا قويا. و مع توالى صبه يبقى رأس البارة أحمر كأنه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۵

لم يمسه ماء. و العلة فيه- و الله أعلم- لصلابة رأس البارة و تقويته و بقائه مسمرا فى السارية، لأنه لو لم يصب عليه الماء لتخرم الثقب الذى برأس البارة لليونته عند خروجه من بيت النار، مع ثقل البارة الخارجية، و يخرج البارة و دوران تلك السارية تصير البارة تلتوى عليها حتى تخرج البارة كلها. و قد التوت على تلك السارية، ثم ينزعون السارية من البارة الملتوية فيبقى بين اللّى فرج، ثم يدخلونها لبيت النار أيضا و تبقى به، فإذا مضت المدة التى يستحق بقاؤه ببيت النار فيها يخرجون تلك البارة الملتوية، و يقفونها تحت مزبرة بين جدارين من حديد، و يرسلون عليها جرما مربعا من حديد، و يصير يرتفع و ينزل على البارة الملتوية ذو الماء ينزل عليه كالمطر ذفتلتئم لياتها و تصير كأنها ذات واحدة، ثم يجعلون فى وسطها قطعة من حديد مستديرة، و يرسلون عليه ذلك الجرم المذكور، فيقوص فى باطن تلك الليات، ثم يقلبونها و يرسلونه عليها أيضا فيخرج و تصير تلك البارة قطعة من مدفع ، أما خزنته أو وسطه أو عنقه، لأنهم يصنعون المدفع يومئذ على ثلاث قطع، فالخزنة أعظمها، و وسطه دونها و عنقه أرقها، و البريمة واحدة، و ذلك الجرم الذى يرسلونه كما ميزانه كما قيل ثمانون طنا، أى مائة و ستون قنطارا.

وصف هذا المدفع

ثم وجدنا مدفعا عظيما طوله سبع يارضات، و دور خزنته ست يارضات، و فورمته

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۶

ست عشرة بلقظة، كورته سبع عشرة مائة ابرة، عمارته ثلاثة قناطير و أربعون، ميزانه ثمانون طنا هكذا ذكر مهندسهم، و هو لهدّ الأبراج و الحصون، و البابورات التى تصنع من الحديد، فى قطر يديه شبران حيث جعل فى بورد، و القراصير تسع بلقاضات حديد، أحدثوا هذا المدفع يخرق ست عشرة بلقضة و البابور إنما يحمل منه واحدا فقط ... .

إكرام بعض التجار للباشدور باللوندريز

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۷

الجزء الخامس

الرجوع إلى بر الفرنصيص و التوجه منه للطليان

/ ۲۷۴/ ... و كان مدة سفرنا فى هذا البحر ساعة واحدة و نصفها. فكان وصولنا لمرسى مدينة كالى المذكورة فى الساعة الحادية عشرة و أربعين دقيقة، و هناك دعوت على هذا البحر بأن يسلط الله عليه العفاريت النجليزية يحفروا فى أسفله طريقا دهليزية، يمر الناس فيها من تحته و يزهدون فى ركوب فراشه و تخته. و هناك ودع الباشدور الترجمان المذكور* بعدما أسلمنا فى يد ترجمان الدولة الفرنصوية ذلأنه قدم من باريس* لاستقبال الباشدور و أصحابهذ، و عند نزولنا أخرجوا المدافع و رفعوا سنجق الإسلام أيضا فى مدينة كالى.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۸

الدخول إلى مدينة باريس

و بعد مرور نصف ساعة من زوال شمس هذا اليوم، ركبنا في بابور البر قاصدين قاعدة باريس، فمر بنا أيضا على مزارع و أنهار و بساتين و أشجار، و لم يزل يقطع بنا تلك الأنهار و الأشجار و يمر بنا على القرى و الأمصار، حتى حطت المحبوبة النقاب، و رفعت عن محياها الجلباب، فأشرفنا على طلعتها مستبشرين، و نودى ادخلوها بسلام آمنين، و خرجنا من ضيق القبور إلى فضاء القصور و طابت الأنفس و انشرحت الصدور. و كان دخولنا إليها في الساعة السادسة و نصف من مساء اليوم المذكور. فاسترحنا من التعب مع أنه لم يمسنا- و الحمد لله- في ذلك نصب، و أنزلتنا الدولة الفرنصوية أيضا في أوطيل الذي كنا فيه عند مرورنا، و قامت بالضيافة أتم قيام على العادة من الاحترام و جزيل الإكرام.

و في يوم الأحد منتصف رجب ركبنا الأكداش في مسائه، و خرجت بنا إلى أطراف البلد فمررنا على أجنة ذات أشجار و أنهار و فلك جاريات، أسرت غزلانا و أقمار متكلم مع الحادي و أشير إليه بالنزول بشاطئ الوادي، بقصد الاستراحة هناك.

فجدير أن تجد يا لبيب مقصودك و مناك، فنزلنا هناك هنيئة من الزمان و سرحنا الأبصار في المرائي الحسان، و قلت عند نزولنا في هذا المكان.

بالله عرج على تلك الجنان و لاتحيد عنها فما عليك من حرج

فلج معاهدها و اقصد حدائقهاذات ابتهاج بقرب نهرها الهائج

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۱۹ بالله قف بالرفاق و اغتنم لذةفالنفس حقا غدت بذاك تبتهج

و انظر إلى الفلك في الانهار سابحةتصيد ريم البيدا نضئ كالسرج

و انظر لأشجارها بالشاطئين غدتتهدى السلام بميل غصنها البهيج

يا لائمي حسدا جرب و إلا قمتحزنا فما أنت إلا من ذوي العرج

و لما اطلع على هذه الأبيات بعض رفقائنا. قال: قد أحسنت إلا أنك لم تذكر الأناس الذين كانوا في الماطشات ، كل رجل مع زوجه في ماطشة يطيشان بها منفردين، فقلت إن أحببت ذلك فزد فيه.

القبة التي تطير بمن يعلو بها

و عند رجوعنا في تلك العشية، رأينا جرما مستديرا عظيما مرتفعا غاية في الهواء، و له رأس مستطيل إلا أنه معكوس إلى جهة الأرض، يقال إن أناسا يركبون في مجالس محيطة بذلك الرأس نحو العشرة. و ذلك الجرم المستدير منفوخ بالغاز من شأنه الصعود، فيطير بالجالسين بتلك المجالس بعدما يتفهمون على كيفية حركتي الصعود و النزول و مدتيهما. و كنا نسمع بأن أناسا يركبون في قبة تطير بهم و تنزل بهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۰

في محل آخر، لكن الذي نقل إلينا أن الأناس يكونون خارجين عن جرم القبة، لأنها مملوءة بالغاز و هم بالمجالس المحيطة بها من أسفلها، و أنهم يكتبون مكاتب و يرمونها من أيديهم، بعدما يجعلون بها خيطا رقيقا و ورقات كبار من الكاغد مصبوغة بالسواد لترى عند نزولها، و يخبرون في تلك الكتب بما يرونه من أحوال الجو و المدن و غير ذلك، و يختارون لذلك يوما لا ريح فيه، و أنهم ينتهون في صعودهم إلى محل يفقدون فيه الهواء و تضيق أنفسهم و يشتد بهم البرد،/ ۲۷۶/ حتى أنهم لا يرون إذ ذاك إلا الفلك من فوقهم و من تحتهم، و لا يرون أرضا و لا بحرا و لا مدنا و لا غيرها. و ربما مات بعضهم من شدة البرد و ضيق النفس، و كان يقال إن هؤلاء الصاعدين يقبضون على الصعود مالا معتبرا. فقيل لنا هم الذين يدفعونه لأجل الصعود و الفرجة و نيل تلك الرتبة و الافتخار بها.

الدار التى تصنع الخبز للعسكر

فى يوم الثلاثاء السابع عشر منه، خرجنا إلى دار يصنعون فيها الخبز للعسكر، وجدنا فيها بيوت النار عديدة و خناشى كثيرة مملوءة بالدقيق الخالص الصافى، و خزانات فيها خبز كبير موضوع. قسمت واحدة بسكين فإذا هى من ذلك الخالص، و أما الرحى التى تطحن الزرع بالمكينة، فقيل إنها عندهم بمحل آخر، و وجدنا بعضا من العسكر يفتحون صناديق من العود مثل صناديق الكبريت فى الجرم، و يخرجون منها الفجماط يزيلون الغبرة التى به و يمسحونه و يردونه إلى تلك الصناديق، ليكون موجودا وقت الفيرة ، و قيل إن ذلك الفجماط يصير فى تلك الصناديق ثمانية عشرة شهرا، و أن تلك الدار يصبخ فيها من الخبز ما يكفى خمسين ألفا من العسكر إذا احتيج إلى ذلك.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۱

فابريكات الكور و غيره و العدة التى فى الخزين

ثم خرجنا إلى دار فيها فابريكة صنع رويضة الكراريط من العود، فابريكات صنع الخفيف للمكاحيل و الكور المستطيل ، مثل ما تقدم بيانه فى بعض مدن اللوندريز، إلا أن تلك الخدمة أقوى و أكثر بكثير منها فى باريس، ثم إلى خزائن العدة فيها مكاحيل مصطفة فى أسرّة عود طولا و عرضا من الأرض إلى السقف، و كذلك الكوابيس و السيوف، و لم نسأل عن عدد ما فى هذا الخزين من العدة، غير أنى وجدت فى طوله مائة خطوة و عشر خطوات بين كل ست خطوات سريران، أحدهما عن اليمين و الآخر يسارا، كل سرير ممتد مع الأرض بنحو ثمانية أذرع، مرتفع إلى السقف و فيه ست طبقات، بين كل مكحلتين نحو سدس ذراع، فيكون فى اللوحة السفلى من/ ۲۷۷/ المكاحيل، من أحد الأسرة التى عن اليمين ست و تسعون مكحلة، تضرب فى ستة عدة طبقات السرير الواحد، يكون فيه خمسمائة و ست و سبعون مكحلة، تضرب فى ستة عشر، عدة صفوف الأسرة طولا التى عن اليمين، يكون فيها من المكاحيل واحد و ستون ألف و ست و خمسون، و مثلها يكون فى صفوف الأسرة التى عن اليسار، يكون جميع ما يسعه هذا الخزين من المكاحيل مائة ألف و اثنين و عشرين ألف و مائة واحدة و ثنتى عشرة مكحلة، لكن بعض الأسرة فارغة قيل إن مكاحيلها بيد العسكر تمسح، و كلها فى غاية النظافة كأنها خرجت الآن من قوالب صنعها، و كلها من العينة التى تعمر من الخزنة، و وجدنا هناك كبابيط من ورقات الحديد، كل كبوط ينفصل إلى ورقة إحداها تجعل على الظهر و الأخرى على البطن و يجمع بينهما، وزن كل كبوط كما قيل ثمانية كيل، نحو خمسة عشر رطلا بالعطارى، و فى بيت آخر كورة صغيرة مستطيلة على هيئة الجوزة الكبرى، و قد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۲

رصفت بمسامير، قيل هى مما كان يرمى عليهم البروصيا، و أن واحدة منها نزلت فى طريق طويل عريض و تفرقعت هناك فقتلت خمسين منهم، و طفئت الفنارات التى كانت فى ذلك المحج، و سقطت سراجيمه، و أصاب طرف منها الجلنار كان مع السلطان فى كروصة فقتلته، هكذا ذكر ترجمانهم، ثم إلى بيت آخر وجدنا فيه عينات من المكاحيل مهما ظهرت عينة جديدة عند جنس من الأجناس، يوتى لهم بعدد منها فيسلمونه للمعلمين المهندسين يختبرونها و يقلبونها و يخبرونهم بما يظهر لهم منها، و بينوا لنا عينة أحدثها الفرنصيص يفتح خزنة الجعبة و يجعل فيها عمارات من البارود، فتكون العمارات مدفوعة فى طول السرير من قرب رأس الجعبة إلى الخزنة، فإذا تمت عمارتها يجدب القرص فتخرج العمارة الأولى، و بنفس خروجها تدفع جعبة السلك العمارة الثانية إلى الخزنة، ثم بفتحها فتلفظ الخزنة الجعبة التى كان فيها البارود و تطير منها بجهد، و عند ذلك/ ۲۷۸/ تستقر العمارة الثانية فى الخزنة، فى الموضع الذى خرجت بدفع السلك الملتوى بها إلى الخزنة، و هكذا العمل بها حتى تخرج العمارات الثمان، قيل إنهم يدركون بهذه العينة خروج أربعين عمارة فى الدقيقة الواحدة.

سكويلة العسكر و الخروج من باريس إلى اليون

ثم أدخلونا إلى سكويلة من سكويلات العسكر، و معناها الدار التى يتعلمون فيها العلوم الحربية، فوجدناها مملوءة بفئة من العسكر كانوا جالسين على الأسرة من عود،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۳

و كل واحد قدامه كتاب و كبيرهم مقابل لهم، فعند إشرافنا على الدخول عليهم تكلم معهم الكبير فوقفوا و أشاروا بالسلام، و ذكر أنهم يأتون إلى هذه الدار فى الساعة الخامسة من صباح كل يوم ، و لا يخرجون منها حتى تصل الساعة الحادية عشرة ليلا، فيكون مدة مقامهم بهذه الدار ثمان عشرة ساعة، و تبقى لهم من اليوم بليلته ست سوائع للنوم و الاستراحة، و لهم فى هذه الدار مطابخ عديدة و مواضع للأكل و طوابل و شوالى على عادتهم، و فى بعض المواضع موسيقا حيث دخلنا إلى تلك المواضع تقدم بعض المتعلمين إلى تلك الموسيقا و صار يخدم بها هنيئة بنغمات عجيبة لطيفة.

و فى الساعة التاسعة عدا ثنتى عشرة دقيقة، ركبنا فى بابور البر من باريس قاصدين مدينة اليون، للمرور عليها إلى بر إيطاليا، ذلك من ليلة الجمعة العشرين من رجب ، و خرج معنا ترجمان الدولة الفرنصوية مع ترجمانهم الذى كان طلع من طنجة.

زيارة رأس بعض جبال ليون

و كان دخولنا إلى ليون فى الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة، فتكون مدة السفر بينهما إحدى عشرة ساعة و ثنتى عشرة دقيقة، باعتبار مقام البابور و وقوفه فى بعض المدن التى بينهما لنزول بعض الناس فيها و حمل آخرين منها على العادة، و هذه المدينة يحيط بها الجبال من بعض الجهات و هى معمورة أى الجبال، و مع ذلك تصعد الكراريس إلى أعلا جبالها فى طرق بها/ ۲۷۹/ ارتفاع يسير ينطوى فى طول هذه الطرق ارتفاع تلك الجبال، و تكون الخيل التى تجر الكراريس فى هذه الطرق المرتفعة تسيرا سيرا مهلا.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۴

و فى مساء يوم الجمعة المذكور أوتى إلينا بالأكداش و ركب الباشدور مع الترجمان الذى طلع من طنجة، و نحن فى أثره و توجهت بنا إلى بعض تلك الجبال المسكونة، فوصلنا إلى رأس جبل، فخرج إلينا رجل و استدعانا للدخول لقبة هو فيها هناك مع بعض عياله، و هى مربعة صغيرة نحو عشرة أذرع طولا و مثلها عرضا، و فيها سراجم بالزاج بجدرانها يشرف منها على المدينة، و على ما وراءها من الجبال حتى على جبال إيطاليا كما بينها لنا صاحب القبة المذكورة. و له فى هذه القبة أثاث و حوائج بقصد بيعها كالمراءات التى يرى بها ما بالبعد مختلفة فى الكبر و الصغر. منها ما هو أصغر من الأنملة لكن لا يرى بها بعين واحدة. و يرى فيها بعض الصور و الأشكال، و له هناك صنيدقات من العود صغار فى كل واحدة زاجة و فى وسطه ورقات كاغد، فى بعضها صور طرق ليون و كيفية بناء ديارها و قببها و القناطير التى يمر البابور فوقها و الماء يجرى تحتها، و غير ذلك من الهيئات، و ثمن هذا الصندوق خمسة و أربعون من الافرنك، أعنى تسع ريالات، فمن كان عنده هذا الصندوق فكأنه يرى مدينة اليون عيانا، ثم خرجنا منها و رجعنا مع أطراف المدينة بين أشجارها كأشجار الغابة، و طرقها منسقة و الوادى جار فيها، و بقرب شاطئه أماكن مزروعة بالنوار فيها حياض

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۵

عجيبة على عادتهم، و عبرنا على قناطر عديدة على ذلك الوادى، و رجعنا إلى نزولنا بعد ما غربت الشمس.

فابريكات خدمة الحرير و الديباج به

و فى يوم السبت الواحد و العشرين منه توجه بنا الترجمان المذكور فى ضحاه إلى دار فيها فابريكة صبغ الحرير الأسود فقط، فوجدنا

فيها صناديق من عود مجلدة بالنحاس معمرة بماء الصباغة، و مدجات الحرير تجعل على أعواد و ترسل فى ذلك الماء و تنصب/ ۲۸۰/ على حرفى الصندوق طولا، و رأينا صندوقا ينصب فيه ماء الصباغة من جعبة طويلة قطر دورها يقرب من ربع ذراع. و ذكر أن هذه الدار تصبغ خمسمائة ألف كيلو فى السنة، و أن فيها ثمانمائة من الخدمة.

و بعد صلاة الظهر توجهنا إلى بعض فابريكات صنع الديباج و الحرير، و توجه معنا عامل البلد، و عند دخولنا إليها وجدنا أولا رجلا قدامه منسج و هو ينسج فيه بوضربة من الحرير الأحمر و الأخضر من العينة التى تأتى للغرب، و ما يرى فى بوضربة و غيره من التوريق و التشجير، ينسجونه فى خيوط و يلفونه فيها، و يركبونها فوق المنسج فى لوحة تمسك فيها و ترسل إلى أسفل، و تمر بين خيوط السدا التى ينسج فيها و تخرج منها حتى تقرب إلى الأرض، فيربطون بطرف كل خيط كالخيط من الرصاص ليبقى نزول كل خيط مستقيما من السدا إلى الأرض، و أما بقية كل خيط من فوق السدا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۶

إلى اللوحة التى تمسكه، فيكون منحرفا فيه تعريج، و المعلم الذى ينسج أسفل رجله اليمنى خشبتان كالجائزتين، تارة ينزل رجله عليهما معا و تارة على إحداهما فقط، و عند الخدمة تارة ينزل بعض تلك الخيوط المثقلة بالخفيف و تارة ترتفع، و هو يخدم بنزق واحد، فيرسله بيده اليسرى فيمر بين خيوط السدا ثم يجذب خيطا بيمناه فى ناعورة، فوق المنسج و فى وسطه، فيرجع ذلك النزق وحده بين خيوط السدا من اليمين إلى اليسار، و بعض المعلمين يخدمون النزق من الجهتين بتلك الناعورة، و يكون قابضا بإحدى يديه القنبة المعلقة فى تلك الجرارة، و بالأخرى الدقاق الذى يدق به عند النسج، و كلما جذب تلك القنبة إلى جهة يأتى النزق إليها، و وجدنا رجلا آخر يخدم الموبر البرانية، و له سداوات ثلاث فى منسج واحد إحداها حرير صافى، و الأخريان من قطن، و هو يجعل بين السدا ثلاثة قضبان من السلك الرقيق مجعوبة و مشقوقة، و يصلها بمحل النسيج و يرسل النزق ثلاث مرات/ ۲۸۱/ ثم يأخذ حديدة لطيفة أرق من الميزق، و يشق برأسها الحرير الذى التوى على ذلك السلك المشنوق، فيقطع الحرير و يلقى الميزق ذلك الشق الذى فى السلك، ثم يخرجه، و هكذا فيشق ذلك الحرير تطلع الوبرة على وجه الموبر، و هناك أناس آخرون يخدمون ثيابا فاخرة مشجرة بالذهب و بالحرير على أشكال و ألوان لا تكاد تحصى كثرة. و طولعنا بعينات منها عندهم مهيئة يرسلونها لمن يريد شراء شيء منها، فمنها ما ثمنه يزيد على أربعين ريالا للقالة. و منها ما دون ذلك إلى أقل من ريال واحد للقالة.

و وجدنا هناك مكينة فيها مناسج عديدة، عرض كل منسج خمسة أمتار تخدم ثوب المسوس، و آلات النسج تخدم بحركات المكينة لا يمسها أحد إلا من يقابلها لمباشرة ما، كوصل خيط عند انفصاله أو شبه ذلك. و وجدنا طرفا منها منسوجا فى غاية اللطافة و الرقة و الليونة، و ظننا أنه منسوج من الحرير، فأخبر كبير الفابريكة أنه من الحرير و شعر المعز أنصافا، و خيطه مبروم أرق من الشعرة بأضعاف، ة حتى قيل إن وزن أوقية من هذا الخيط يكون طوله ثلاثين ألف متر، و أيضا فالثوب الذى وجدته منسوجا عرضه خمسة أمتار، و طوله سبعة عشر مترا، قيل وزنه كيلو واحد، و ثمنه أربعون ريالا، فإذا قسم هذا المنكب الذى طوله خمسة أمتار، و هى تعدل تسعة أذرع تقريبا، على قالة و نصف يكون فيه ستة مناكب، و إذا قسمت هذه القطعة نصفين

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۷

عرضا صارت ثنتى عشرة شقة، طول كل واحدة أزيد من خمسة عشر ذراعا، و المنكب من نحو ذراع و نصف، فيكون ثمن الشقة حينئذ ثلاث ريالات و ثلث، و هو إذن أرخص بكثير من المسوس المصنوع من الخيط الذى يجلب للغرب، غير أن شعر المعز الملفق مع الحرير فيه ما فيه من/ ۲۸۲/ توهم عدم تزكية المعز التى يأخذون شعرها لذلك.

مستملحة استظرفتها هنا

مستملحة جرت بينى و بعض رفقائى مداعبة، اقتضتها المرافقة و المصاحبة، و ذلك حيث طال بنا السفر و صرنا كالمقيمين بلظى أو

سقر، و الأيام تمتد و تطول، و الليالى، تبخل بالنوم و تصول، فذكرنى ما سلف من الغرائب، و ما شاهدناه فى ديار الطياطيرو من العجائب، و بلسان الحقيقة نصحنى و وعظنى، و كان بلسان الغرور بستر تلك الزلة وعدنى، و قال كيف بك يا رفيق حتى سلكت ذلك الطريق، و ولجت تلك الديار، و هتكت الأستار، و خلعت بها العذار، و غرست فى أرض قلبك بذر هذا النبات، و سرك دوران رقص تلك البنات، مع أنك لدى القاضى من العدول المبرزين، و الاخلاء المغربين، و لا بدّ لى أن أكشف له عن حالك، و أبين له ما صرت إليه فى مثالك، و أودّى لديه بذلك شهادتى، و لا تأخذنى لومة لائم فيما فيه سعادتى،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۸

فأجبته و وفيت له بالمكيال الكبير، و لم يكن قلقى فى هذا الميدان قصير، و ما ظلمته و الله أعلم، و لكن الخير بالخير و البادى أكرم. أما علمت أنك كنت لذلك طالبا مشتاقا، و متشوقا إليه و فيه راغبا، و توجهت إليه بقلبك، بعدما أخذ حبه بمجامع قلبك، و كنت تتأمل فى ذلك تأمل المشتاق، و تتمايل طربا تمايل العشاق، و تتصدر فى المواضع التى لها اشراف، و جاوزت فى تلك حد الاشراف، و أكدت ذلك بالاستحسان و زكيته بالثناء و طول اللسان، حتى كأنك تثنى على مريم و آسية، و يسليك ما انطوت عليه تلك القلوب القاسية، و تتلذذ به مساء و صباحا، و كأنك ارتكبت أمرا مباحا، و ما غضضت عن ذلك النظرة و سلكت مسلك أولائك النفر، و لأنشرن خبرك فى الأوطان، و أشرح حالك فى حضرة مولانا السلطان/ ۲۸۳/ فيعرف منزلتك بين التجار، و يعطل تجارتك بخدمته الشريفة فى الأقفار و البحار، أو يدنيك من قربه و هذا جزاؤك و المرء مقتول بما قتل به، و أما ما رميتنى به من الفجر، و الأفك و بّينات الزور، فإن القاضى له عقل حاد، من الأذكياء النقاد، لا يسمع منك تلك الدعوى، و ربما تجر عليك البلوى، فإن من الهوى و الفضول، اتباع العورات لا سيما تجريح العدول، و قد علمت أنى توجهت معكم جبرا، و لم يكن لى بذلك خبر ، و مع ذلك كنت ممن تركوا بدارهم القلوب و الأرواح، و توجهوا بالأجسام و الأشباح، و تأخرت باختيارى فى ذلك المجلس إلى وراء، و نبذت ما هناك بالعراء، و لم يكن لى لذلك التفات، و لم تصحبنى نظارة و لا مرءاة، و أخذتنى هناك سنة من النوم، حتى استغرب ذلك الترجمان من القوم، و لا منى على نومى، مع أنى ظللت نائما جل يومى و ها أنا أشرح للقاضى قصتى لينصفنى و أستريح من غصتى، و أبينها فى بحر خفيف ذى قافية، فإنه ممن يراقب من لا يخفى عليه خافية، و هذا أوان رقم تلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۲۹

الدعوى فى الأسطار، و ترتيب فصولها فى هذه الأشطار :

قد رفعت إليك يا علم الوقت، و مفتى الأنام قاضى القضاة

قصتى، فاستمع و بالحق فاحكمو ارحم ضعفى، و فيض ذى العبرات

قاسنى من رفيقى ظلم و جورلكن كان مقصوده مسرّاتى

كلفونى دخول دار (الطياطرو)أوقفونى مواقف الشبهات

فامتنعت، و قلت ذاك حرامفاتقوا الله عالم الخفيات

ثم جاءوا و قد تمالاوا طراعلى ظلمى بباطل الدعوات

/ ۲۸۴/ زعموا أنه يسرنى- جورا-مثل ما سرهم من رقص البنات

أوعدونى برفع ذلك للقاضىليرى ذاك ساقطا شهاداتى

ليس للقوم حجة و لا رسملا برهان لهم، و لا بينات إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۳۲۹

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۰ لست أبغى وكيلا عن هذهالدعوى إذ شأنه الميل للفليسات

و حلفت يمينا عن صدق قولىو استوفاها منى أخو الترهات

فاستمع نصها و علمه للعدلالمزكى، لردع كل البغاة

فبحق سهام تلك الجفونو قسيّ كرمى الرماة

و بهز القرود عند التثنيو بحق احمرار تلك الوجنات

و بلثم الوقوح تلك الشفاهفازمن زعمه بتلك اللذات

بالصدور، و ما بها من رمانبانكشاف الذوات لا العورات

ما نظرت إلا بناظر عينيلا بقلبى لا بضوء المرآة

لا تقل أن الحكم يجرى علىالظاهر ، دون التفات للخفيات

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۱ فقد بان صدقى، و عندى فتاوىإن ذاك من معفو العترات

و افتح بابا إلى التأويل ... و إلافلنا رب يغفر السيآت

ثم أن سيدنا الرئيس اطلع على ما هنا من الدار النفيس، و تأمل هذه القضية نظما و نشرا، و فاح لديه طيب شداها صنعا و نشرا، و تأمل فى فصول ذلك القسم، و سره حتى ضحك و ابتسم، فقال لا تثريب عليك و لا ضير، فاستصلح بينكما و الصلح خير، و لا ترفع/ ۲۸۵/ ذلك لأحد من الولاة، و لا تطالع به الوشاة، و صنه صينة النفس الشحيحة بما لها، و استره ستر الحسناء العفيفة بجمالها، فرجعت القهقرا، و تأخرت إلى وراء ثقة بعدله كما وعده و صرت لا أبالى بعد بمن قام أو قعد، و لا أرفع رأسا لمن أبرق أو أرعد، و لكن شرطت عليه أن يحضر خصمى، و يشترط عليه عدم تمزيق رسمى، لأن فى تمزيق الرسوم تضييع الحقوق، إذ ربما ينشئ عنها الإنكار و العقوق، فكان بذاك كفيلا، و كفى بالله وكيلا، ثم المطلوب من الواقف على هذا الجمل الواهية الأساس المركبة على غير قياس، أن لا يبادر إلى الإنكار، بما تبديه بديهة الأفكار، فإنك إن جلت فى غربتى، و تبين لك حالى و كربتى، و لخرجت من فرقة الإنكار، إلى فرقة من يلتمس الأعذار، و صرت لى من خير الفرقتين، و قلت عذرا لك يا من جسمه برومة و القلب بالعدوتين.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۳

الجزء السادس

أخبار بعض بلاد الطاليان

و كان خروجنا من ليون فى الساعة الثامنة ليلا- من ليلة الأحد الثانى و العشرين من رجب ، و خرج مع الباشدور ترجمان الدولة الفرنصوية مع ترجمانهم بطنجة، و ركبا معه فى بابور البر فى عربة منتخبة و قطعنا الليل كله سفرا، و فى الساعة الرابعة صباح الأحد المذكور، وصلنا إلى مدينة تسمى رمضان ، و هى الحدادة بين الجنسين الطاليان و الفرنصيص، و يقال إنها مشتركة بينهما فى الحكم كل جنس منهما يحكم فى نصفها الذى من جهته، و هناك تلقى للباشدور نائب الطاليان، و هو

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۴

القونصو و هو رجل ذو عقل و أدب يحسن النطق باللغة و القلم العربى، و كذا غيرها من اللغات و له خلق حسن و له مكانة معتبرة عند الدولة، و وجدناه قد هيأ عربة أنيقة كبيرة، فيها عشر شوالى/ ۲۸۶/ كبيرة مبطنة بثوب حرير أحمر فيه تشجير، و بين كل شيليتين مائدة مستديرة قائمة على كرسى من عود، عليها أشكال من الحلواء و العنب و البطيخ و غيرهما من فواكه الوقت، و كذلك من الحليب و القهوة و أوانى الماء من البلار الرفيع المدفون فى وسطه الثلج، و فى العربة سراجم ثمانية بالزاج من الجهتين كبيرة، على كل سرجم ستر من ذلك الحرير المذكور طويل مع مجاديل غلاظ منه، فى كل واحد كبالة كبيرة من الحرير لربط ذلك الستر به، و ستر آخر من حرير أزرق يرسل تارة على الزاج وقاية من شعاع الشمس، و سقفها و بقية ما بين السراجم منها كله مبطن بذلك الحرير، و بداخل هذه العربة بيت الخلاء، و الماء يجرى بحلابة عند إدارة تنظيفه و بها حلاب آخر فى الجهة اليسرى عند الدخول لبيت الخلاء ينزل

الماء إليه من بزبور فوقه عند الاحتياج إليه. و لم يقصر هذا القونصو فى البرور و التعظيم و الترحيب.

ثم سافر البابور بنا بعدما رجع ترجمان الفرنصيص الذى كان طلع من طنجة، و بقى معنا ترجمان الدولة الوارد من باريس، و توجهنا إلى مدينة طورين ، و هى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۵

مدينة عظيم الدولة، و ما بين هاتين المدينتين جله من جهة مضان، جبال شاهقة مرتفعة فى الهواء تطاول السحاب طولا و تجاوزه وصولا- و على رؤوسها من الثلج عمائم لا يزال حتى فى أيام السمائم ، فكان البابور يمر بنا فى مواضع ضيقة بين تلك الجبال و قد شمخت بالفضاء و التوسعة فى ذلك المجال، و تارة تعارضنا الجبال الشاهقة، فيمر البابور تحتها حتى لا يدرى من الجهات الغاربة من الشارقة، فمنها ما يطول سيره تحتها نحو ثلاثين دقيقة، و منها ما هو أقل من ذلك، و تارة يتلاقى بابوران تحت تلك الجبال فيمر كل على طريقه/ ۲۸۷/ فتحدث أصواتا مرهبة، و العربات تمر كالبرق باختلاف حركتيها بين مقبلة و مدبرة، و حين قربنا من مدينة طورين المذكورة، تركنا تلك الجبال وراءا و خرجنا إلى التوسعة و الفضاء، فوجدنا هناك بساتين و أنهارا و مزارع و أشجارا، و اتصل ذلك فى الجهتين إلى أن وصلنا إلى تلك الديار.

الدخول إلى طورين

و كان وصولنا إليها أى مدينة طورين فى الساعة الثامنة و خمسين دقيقة من يوم الأحد المذكور، و تلقى هناك للباشدور عامل تلك البلد و شيخها و الجلنار، بالفرح و البرور و التعظيم و السرور، و ذكروا أنهم ماموورون من قبل أمير الدولة بالوقوف معه و البرور به و التوسعة عليه و على من معه و تنفيد جميع ما يحتاج إليه من الضروريات و المقضيات، اعتناء بجانب مولانا الشريف و اهتماما بشأنه المعظم، فجازاهم الباشدور عن ذلك بلين الكلام، ثم ركبنا فى الأكداش و دخلنا البلدة المذكورة، أنزلونا بأوطيل معتبر، فيه فرش عديدة و كنابيس و شوالى من الموبر و الحرير، و كانت على أيدينا فيه قبب عديدة، كل قبة مخالفة للأخرى فى الهيئة و الزخاريف و الفرش، إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۶

و كان بقربنا بيوت الماء عديدة فى كل بيت صندوق من حديد أو غيره، ينزل إليه من بزبوزين الماء الحار و البارد، و لم نر مثله فى موضع إلا- فى أوطيل باريس، لكن الذى فى باريس تسد تلك البيوت فى الليل كله، و عليها حراس موكلون بها بخلاف البيوت التى فى أوطيل طورين، فإنها مباحة لا- تسد لا- ليلا- و لا- نهارا. و لم يكن أحد موكلا بها، و هذا الأوطيل يشرق منه على فضاء متسع كالمشور، قدامه دار أمير الدولة، و كان قبل وصولنا خارجا عن هذه المدينة فى نواحيها، يقصد الأماكن الباردة لشدة حرارة الوقت، و حيث كنا باللوندريز أتى إلى الباشدور يوم دخولنا إليها قونصو الطاليان بها، و أخبره أن كبير دولتهم بصدد الخروج/ ۲۸۸/ إلى نواحى بلده، و أنه لا يرجع إليها حتى تمر نحو خمسة و عشرين يوما من شهر غشت العجمى، و كان مقصوده بذلك أن يبين له فى أى يوم يكون خروجه من اللوندريز، و كان أجابه إذ إذاك بأن الزائر فى قبضة المزور، و أنه لم يدر فى أى يوم يكون خروجه منها، و لم يكتف بهذا فقال له: إن خرج أمير دولتكم للصيد فى تلك الجبال فإنى أتوجه إليه بها بحول الله، لأنى مولع بالصيد ، و لى به شغف كبير فسر بذلك سرورا عظيما، و قال فى هذه الساعة يتكلم مع دولتهم فى طريق السلك بما أجابه به الباشدور، و قد بالغت هذه الدولة فى الإكرام و بسط موائد الأنعام بسطا كبيرا، لم نعهد مثله فيما تقدم، و يتوالى ذلك منهم بتوالى الأوقات، و مع هذا كله يتفقد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۷

القونصو المذكور أحوالنا و يتردد إلينا و يسألنا هل نحن محتاجون لشىء، و أخبر أنه مأمور من قبل الدولة بالتوجه بنا إلى بعض مدنهم كرومة و فرينسى و غيرهما، بقصد رؤية ذلك و بسط الباشدور و كمال الفرح و السرور، و أقمنا هناك فى مدينة طورين المذكورة.

مدينة فرينسى و ما رأيناه فيها

إلى الساعة السابعة عدا خمس دقائق من مساء يوم الاثنين الثالث و العشرين من رجب، و فيها ركبنا فى بابور البر فى تلك العربة الموصوفة، و ركب معنا القونصو المذكور و صحب معه أنواعا من الحلواء و الفواكه و الماء أيضا، و من هناك رجع ترجمان الدولة الفرنصوية بعد ما سافر البابور شيئا يسيرا، و هذا البابور كان يقف فى بعض المدن التى فى طريقه فينزل منه أناس، و يحمل آخرين على العادة، و فى كل مدينة يقف نحو خمس دقائق فأقل، و مهما وصل وجد الناس مهيئين للركوب ليلا، و كذلك المكلفين بالبابور فى تلك المواطين و الأماكن لا يغفلون عن أشغالهم ليلا و نهارا، و لكن يخلفهم فى تلك الخدمة غيرهم فى بعض الأوقات، ففى الساعة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۸

السابعة و خمسين دقيقة، وقف البابور فى مدينة اقس و فى الثامنة و ثلاث و ثلاثين دقيقة وقف فى بلدة تسمى سكندرية ،/ ۲۸۹/ و طلع إلى الباشدور عامل البلد و بعض أعيانها، و رحبوا به غاية الترحيب، و فى التاسعة و نصف وقف فى مدينة طرطونه ، و فى التاسعة و الإحدى و الخمسين دقيقة وقف فى بفير ، و فى العاشرة و العشرين دقيقة وقف فى اسطرديلا ، و فى الحادية عشرة عدا خمس دقائق وقف فى ابياجنصا ، و فى منتصف الليل و زيادة عشرين دقيقة وقف فى طالما ، و فى الساعة الأولى و ثلاثين دقيقة وقف فى موظنا ، و فى الساعة الثانية و ثلاثين دقيقة وقف فى بلونيا ، و كان سلط الله على فى هذه الليلة ذميا يخبرنى بهذه المدن بعد ما يبحث عنها، و مهما كادت تأخذنى سنة من النوم لسعنى كالبرغوت حتى ضاق خاصرى من ذلك، و لم يجمل بى نهره عن ذلك و تدرعت بالصبر الجميل، فصرفه الله عنى بعد ذلك، و خرج من تلك العربة و ما رجع إليها حتى وصلنا إلى مدينة فرينسى فى الساعة السابعة صباح يوم الثلاثاء الرابع و العشرين من رجب، و هذه المدن التى كنا نمر بها هى مدن عظيمة، و كنا نشاهد حالة السفر ضوءا كثيرا فى مدن أخرى بعيدة عن طريق البابور عن اليمين و اليسار، و عند وصولنا لمدينة فرينسى المذكورة، تلقى للباشدور عامل البلد و شيخها عند النزول من البابور، ثم ورد كبير الجلنار و آخران معه من كبراء العسكر، ثم إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۳۹

خليفة وزير الأمور البرانية، و شاهدنا من أدبهم و برورهم و شدة فرحهم ما تعجبنا منه، ثم أنزلونا فى أوطيل متسع مزخرف غاية أيضا، و بالغوا فى الإكرام و البرور و الاحترام.

و فى مساء هذا اليوم أتوا بالأكداش فركب الباشدور و نحن فى أثره، و توجهوا بنا إلى دار قديمة البناء بهذه المدينة، يقال أنها بنيت قبل نحو ثنتى عشرة مائة سنة كانت تعرف عندهم بدار الحكومة ، فصعدنا إلى قبة مربعة فى طولها نحو ستين خطوة، و فى عرضها نيف و أربعون، فيها خزانات من الزاج فيها أوانى كبيرة من الطاوس، قيل إنه من عمل إيطاليا فى القديم، ثم إلى أخرى فيها خزانات زاج أيضا فيها صور آدميين و غيرهم من العاج، و فى أسفل إحدى الخزانات عظم سرج من العاج شبيه بعظم سرج الغرب، و قبة أخرى فيها/ ۲۹۰/ صور عبيد سود من نحاس مختلفى الأحوال، ثم إلى طبقة فوق هذه وجدنا فى قبة كساوى مرصة بالذهب و الأحجار، و فى بعضها تصاوير مرقومة بما ذكر و بالحرير قيل ذلك مرقوم بالإبر، و فى قبة أخرى صور من الودع لاصقة الجدران، و فى أخرى فى جدرانها ستر من الحرير مرسوم فيها صور آدميين أيضا، و فى أخرى خزانات بالزاج فيها قوالب و طوابع سكك قديمة من ذهب و غيره، ثم خزين بأسفل الدار فيه سلاح قديم و فيه مدفع نحاس عظيم، قيل هو فى الأصل من عمل إيطاليا، و كان أهداه لهم بعض ملوك تونس، و بقرب خزنته الغبر رقم سبعمائة و أربعة قيل ذاك تاريخ صنعه.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۰

الدخول إلى دار المهندسين و الفلكيين

و فى يوم الأربعاء الخامس و العشرين منه أى رجب، توجهنا لدار العلماء المهندسين و الفلكيين. فصعدنا إلى قبة بها فتلقانا كبيرها

بالتعظيم و الترحيب و وجدنا فى جدرانها خزانات من الزاج فيها إسطرلابات عديدة ذات أشكال مختلفة و متفاوتة فى الكبر و الصغر، و رأيت فيها إسطرلابين من عمل المسلمين ، أحدهما لعرض ست و ثلاثين و نيف، و الآخر لعرض ثمانية و ثلاثين و نيف، فذكر أنهما صنعا قبل تاريخه بأزيد من خمسمائة عام، فتناولت أحدهما من يد و وضعت حرف المضادة على أول درجة من الحمل، فوافقت اليوم الخامس عشر من مارس، فقلت له هذا الإسطرلاب صنع قبل بأزيد من ستمائة سنة عجمية، و أشرت له بأن أول الحمل كان إذ ذاك فى خامس عشر من مارس، و أما اليوم ففى السادس منه تقريبا، فسلم ذلك، و هناك آلات أخر من نحاس، و مرءاة لعلها للرصد، و دخلنا إلى قبة وجدنا فيها دوائر لعلها من حديد بعضها داخل بعض، و عددها إحدى عشرة دائرة و هى مختلفة الوضع، منها ما هو من المشرق إلى المغرب، و منها ما بالعكس و منها ما هو بين ذلك، و فى وسطها كرة مركزها خارج عن مركز/ ۲۹۱/ الدائرة الثامنة، و هم يحكون بذلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۱

صورة الأرض و الأفلاك المحيطة بها و محور الدائرة الثامنة مار بالدوائر السبع التى فى جوفه، عدا الأرض فهى خارجة عن ذلك المحور، و بدوران الدائرة الثامنة تدور الدوائر السبع التى بداخلها. و فى هذه القبة جعبة صفر صغيرة طولها نحو ذراع و نصف، و قطر دورها نحو ثمن ذراع، و بأحد طرفيها زاجة مستديرة قطرها نحو ذراع غير ربع، و هما مرفوعان من الأرض نحو نصف قامة الإنسان، و وراء الزاجة يد حديد عمد إليها بعضهم و اشتغل بتدويرها، و أتى آخر و قرب يده منها فخرج منها شرار نار زرقاء، و لصقت بالجعبة فتعجبنا من ذلك فقيل لى ادن منها و قرب يدك إلى تلك الجعبة فقربت منها، فخرجت من يدى شرر من تلك النار الموصوفة، و جذبتها الجعبة و عند خروجها من يدى أحسست بمثل لسع البرغوث، ثم وضع يده رجل منهم على تلك الجعبة، فصارت ذاته تجذب النار عند ما يقرب يده إلى يده، أو إلى أنفه بمشاهدتنا لذلك، كما كانت تجذبه الجعبة بواسطة وضع يده عليها تسرى فيه تلك الكهرباء، و تكسبه قوة الجذب التى تجذبه هى.

ثم أدخلونا إلى قبب الأطباء و علماء التشريح ، فوجدنا صورة امرأة متجردة ملقاة على سرير كأنها ميتة، يحكون أنها مثال امرأة ماتت نفاسا، و فى جدران هذه القبة صور الجنين الذى يكون فى الرحم من بعد ثمانية عشر يوما، إلى الأربعين إلى شهرين، و ثلاثة و أكثر، إلى تسعة أشهر، و كل صورة منفردة بمحل وحدها. ثم صورة امرأة بقر عن بطنها و المولود الذى فيه قد نكس رأسه كأنه يريد الخروج، و فى محل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۲

آخر صورة التوءمين كيف يكونان فى البطن رأس أحدهما عند رجل الآخر، ثم صورة آدميين كبار فتح على بطونهم، و صوروا صورة الأمعاء و القلب و الكبد و الرئة و غير ذلك، و تبينوا جميع العروق التى فى البدن القوية و الضعيفة و كيفية تشابكها/ ۲۹۲/ فى بدن الإنسان، و فتحوا حتى على الرقبة و الصدر و رسموا فيها، مثال ما هو فى باطن الإنسان من العروق و العصب و اللحم، ثم صورة آدميين آخرين رسموا فيها العظام لا غير و كيفية التئام بعضها ببعض من الرأس إلى القدم، و كشفوا عن صورة العينين و الأذنين و الرأس و غير ذلك، ثم وجدنا صورة آدمى واقفة لم يبق منها إلا العظام ملتئمة بعضها ببعض، و هى عظام حقيقية ليست مصورة، تركوها مثالا ليتحقق الناظر أن ما صوروه هو موافق عندهم للواقع فى ذات الآدمى، و لم يكتفوا بهذه بل صوروا كبشا مسلوخا برأسه و قرنيه موضوعا على سرير مذبوحا، فلو أوتى به بديهة لمن لا خبرة له به فربما يتمنى غذاءه منه، ثم صوروا أنواعا من الحوت على أشكال مختلفة لا تكاد تحصى، و فى قبة أخرى صور طيور غريبة الخلقة و السباع العادية و الحيات العظيمة و التمساح و الطيور الصغيرة التى فى جرم البلوطة إلى النعامة المعروفة، و كذلك الجراد فما دونه من الحيوان الذى على شكله، كبوقفاز منه أشكال فى مرءات خاصة بهذا النوع، و جل هذه الصور من الطيور و السباع كانت بوصف الحياة و بعد موتها حشيت و سقيت بالكافور، و تركت فى هذه الأماكن و جعل لها من يتعهدها و يتفقدها فى تلك القبة العظيمة، و انظر ما ألجأهم إلى ذلك و ما جعلهم عليه و- «لو شاء ربك ما

فعلوه».

ثم خرجنا من هذه الدار و توجهوا بنا إلى دار من ديار المخزن، ينزل فيها كبير دولتهم حيث يكون فى هذه المدينة، و هى دار عظيمة كأنها حومة فى مدينة لأنهم لم يكتفوا فى وضعها فى تربيعة واحدة و محل واحد، بل عمدوا إلى مواضع مربعات و بنوا فيها قصور و قببا، و تركوا الطريق لناس من بينها، و أشركوا بعضها ببعض من إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۳

أعلاها بقناطر و قيسى فى بعض المواضع لا غير، بحيث يمكن للإنسان الطواف بجميعها، و ينتقل من تربيعة إلى تربيعة بواسطة القسى الجامعة بينها/ ۲۹۳/ و مما يدلك على عظمة هذه الدار، أنى سألت عن عدد القبب التى فيها حيث رأيت كثرتها و عدم إمكان إحصائها فى الوقت، فقيل مائتا قبة و ثلاث و ثمانون قبة، و لا تكاد ترى قبة على شكل أخرى بل لا بد من مغاير و اختلاف فى الوضع و الهيئة و اختلاف السقف، و كذلك اختلف فراشها أى شواليها و كنابيسها فى الألوان، فمنها ما هى من الحرير الأحمر المشجر أعنى تبطينها و تبطين جدرانها، و منها ما هو من الأخضر و من الأصفر و من جل الألوان مع تمويه الشوالى و جوانب المرايات العظيمة، و فى قبة من تلك القبب إحدى عشرة ثرية من البلار، و أخرى بها كرسى الملك يصعد إليه بأربعة درج مبطنة بالموبر الأحمر، و فوق الكرسى كالمظل مبطن به أيضا، و أخرى فيها فراش على ناموسية عليها ستر من الحرير، و فى قبتها كالمظل مبطن به أيضا، مع ترييش بالحرير و الذهب و فيها ثريتان عجيبتان أسفلهما كأسفل القصعة، فى قبة أخرى خزانة من العود البرازيل مرصعة بالحجر اليمانض على ألوان مورقة به، و خزانة أخرى من ذلك العود مرصعة بألوان المرمر، و أخرى مرصعة بالعاج، و فيها مائدة مبسوطة من رخام مرمر، و حواشيها مرصعة بتوريق حجر المرمر من ألوان، بحيث حفر فى الرخامة أولا- ذلك التوريق و اتخذ مثله من ألوان المرمر، و دفن فى حفر التوريق و صار مبسوطا مع الرخامة، فمن حيثية النظر يرى ذلك التوريق كأنه طلاء لطيف، و إذا مرت عليه اليد فلا تحس بشىء من أثر حفر ذلك التوريق، و كنت تكلمت مع الترجمان، فقلت هذا التوريق أصله طين يحل و يورق به و يطل على الجميع حتى يصير كأنه ذات واحدة، فقال لا بل هو حجر المرمر مورق مدفون فى ذلك المرمر الآخر، و عند خروجنا من هذه الدار، و شروعنا فى المرور فى اسطوان طويل

).

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۴

فى بعض الطبقات، وجدت فى هذا الاسطوان أربعمائة خطوة و خمسين خطوة على ست/ ۲۹۴/ واحد، و عند خروجنا منها طلب من الباشدور بواسطة الترجمان، التاجر القائم بصنع تلك الموائد من المرمر ليرى كيفية النقش و التوريق، لعله أراد بذلك دفع ما كنت أتوهمه من أن ذلك التوريق إنما هو طلاء، فساعده و توجهنا معه إلى دار و صعدنا طبقة بها، فوجدنا أناسا ينشرون المرمر بخيط من السلك معقود بين طرفى عود مقوس كقوس الرباب، و عند النشر يأخذ يسيرا من الماء بقصبة كالقلم و ذلك الماء مختلط بشىء على لون الرماد، فسألت عنه ما هو، فقيل هو حجر الديمانط الذى يتساقط منه يدق و يحل فى هذا الماء و يدهن به محل النشر، و لولاه ما أثر فى هذا المرمر شىء، ثم أناسا آخرين يورقون هذا الحجر بالمخرطة، بحيث يركبون فى المخرطة مغزلا، و رأسه كروى يجعل به شىء من ذلك الدهن، و يحرك المخرطة و يأخذ من المرمر برأس ذلك المغزل عند دورانه الكيفية المرادة من التوريق، و أمامه مغازيل كثيرة رقيقة و غليظة، كل واحد منها يخدم به فى محله من التوريق، و وجدنا رخامة من المرمر قد حفر فى وسطها محل التوريق، و صار بعضهم يضع فى تلك الحفر الحجر من المرمر المورق، و يركب واحدة فوق واحدة، حتى رأينا كيفية ترصيف ذلك التوريق فى المرمر، ثم صعدنا إلى طبقة أخرى فوجدنا فيها موائد من المرمر على ألوان تامة الصنعة مورقة، منها ما هو على شكل البيضة طولها ستة أشبار، و لون مرمرها أسود و التوريق بوسطها و بالحواش بألوانه، و منها ما هى مستديرة، و منها ما هى مربعة مستطيلة، إحداها فيها سبعة أشبار ناقصة طولا و ثلاثة أشبار و زيادة عرضا، و بقربها ورقة معلقة بخيط مبين فيه ثمنها قدره مائة ألف من الافرنك و سبعة عشر ألفا منه و ستمائة، و منها ما هو دون هذا الثمن إلى خمسة آلاف من الافرنك، فاستحسن الباشدور عملهم و

شكر صنعتهم، و خرجنا راجعين إلى/ ۲۹۵/ محل النزول.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۵

التوجه إلى رومة

و فى ليلة الخميس السادس و العشرين من رجب ، سافر بنا بابور البر من فريسنى قاصدين رومة بحول الله و قوته، و خرج لوداع الباشدور عامل البلد و الجلنار كبير العسكر بها، و توجه معنا ترجمان الدولة السابق ذكره، و صحب معه أنواعا من الحلواء و فواكه الوقت و الماء المدفون فى الثلج، و كان سفرنا فى العربة التى تقدم وصفها و لم يكن بها إلا الباشدور و الأمين و كاتبه، و لم يكن معنا اليهودى الذى طلع ترجمانا مع الهدية من طنجة إلى هذا الجنس المحب، فحيث كان يقف البابور فى بعض المواضع كنت لم أجد من يخبرنى عنها، و قوى عزمى على تقييدها عند رجوعنا بحول الله، و إن رجعنا على هذا الطريق، ثم نادتنى النفس الأمارة، و قالت قد ظهر عليك من التكاسل كم من أمارة، فخذ حظك من النوم فقد ظللت متعوبا فى هذا اليوم، فقلت كيف يمكننى النعاس مع هذا الارتعاش الذى ليس للنفس معه راحة و انتعاش، فقالت اقرن بين شيليتين فاتكئ على إحداهما و ارسل على الأخرى الرجلين فملت إلى ذلك، لكن كان فيه شبه محظور بسبب القرب من الباشدور، فقلت له يا سيدى لو قربت هذه الشيلية لسيادتك من أختها و مددت رجليك عليها لأصابك من الاستراحة شىء يسير، فإن المدة طويلة و البابور جاد فى المسير، ثم قرنت له ما بينهما و اضطجع عليهما، و كأنه استحسن هذه الحالة على الأخرى، و هى كذلك بل من باب أولى و أحرى، و قال: قد فطنت إلى الدسيسة التى قصدتها و علمت النتيجة التى ركبتها و رصدتها، فقلت: و كيف يا بحر الدرر و النفائس الذى لا تخفى عليه المقاصد و الدسائس، فقال: إنك أتحفتنى بهذه التحفة و لكن لأمر ما جزع قصير أنفه، لأنك أردت النوم على هذه الهيئة فمنعك الأدب، فاصنع لنفسك مثلها يا شريف النسب، فمنت كذلك طول ليلتى، و حمدت نتيجة حيلتى، فاستيقظت فى وقت الغلس، فوجدت الباشدور قد/ ۲۹۶/ قام و جلس، فحييت سيادته على العادة، و قال: كيف ليلتك، قلت: دون غطاء و وسادة، ثم سرحنا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۶

الأبصار عن اليمين و اليسار، فوجدنا بساتين و أنهارا و أجنة و أشجارا، و بعدنا عن الجبال و حافاتها، و سلمنا المولى سبحانه من آفاتها، ثم أشرفنا على مدينة رومة الكبرى التى شاعت ذكرا و خبرا، فبان طرف من سورها القديم و به قسى عالية مما بنى فى تلك الأيام الخالية، و قد أبلاه مرور الأعوام و الشهور و أبقت عليه توالى الدهور، و لم يبق له إلا السقوط و السجود، للملك الحق المعبود، و كان دخولنا إليها فى الساعة السادسة و نصف من صباح يوم الخميس المذكور، و تلقى كبراء البلد للباشدور بالترحيب و التعظيم و التبجيل و التكريم، و أنزلتنا الدولة فى أوطيل ذى منافع و مرافق و قبب و قصور ذات فراش و ستور، و ما قصروا فى بسط موائد الطعام و توالى الفواكه و الأنعام.

الملاقات مع وزير الأمور البرانية و كبير الوزراء

و فى يوم السبت الثامن و العشرين من رجب ، خرج الباشدور و نحن معه إلى ملاقاة وزير الأمور البرانية بداره، فتلقانا بالتعظيم و الترحيب، و هيأ إكراما كبيرا من الطعام على مائدة عظيمة من أنواع الحلواء و الفواكه و الحليب حتى الأتاى، فشكر الباشدور صنعه مع ما صدر من الدولة من مثل ذلك، فقال إنهم مامورون من قبل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۷

أميرهم بالإكرام و التوسعة و بسط موائد الأنعام، و أن فى ذلك إشارة إلى تعظيم الجانب الشريف و كمال الاعتناء بشأنه الفخيم، و أنه سيبذل غاية الجهود فى كل مراد و مقصود، و بعد رجوعنا ورد على الباشدور عامل البلد و معه أعيانها يهنئون سيادته و يحمدون

سلامته و عافيته.

و فى ليلة الأحد التاسع و العشرين منه توجه الباشدور و نحن معه إلى دار الفرجة و كان معه عامل البلد، ثم أتى و جلس معنا هنيئة و كان معنا الترجمان الذى طلع من طنجة ، فسألته عن بانى رومة، فقال: هو/ ۲۹۷/ رجل كان يسمى روم، فقلت هل هو ملك أو حكيم. قال: لم يكن ملكا و لكن كان كبير آية الأربعين، و سألته عن تاريخ بنائها، فقال: وجدوا تاريخها عند روم المذكور، يقول أن بعد بنائها بأربع عشرة مائة سنة، ببعث نبى العرب سيدنا محمد، هكذا نطق به بلفظ السيادة بواسطة الترجمان، على نبينا أفضل الصلاة و السلام، فقلت: و هل دخلها نبى الله سيدنا عيسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام، أو أحد من أصحابه الحواريين، فقال: أما هو فلم يدخلها، و يقال إن رجلا من الحواريين دخلها و ان مسجونا بها،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۸

و أراد أهل البلد قتله فقال إنه ولد رومة، و كانت عادتهم أنهم لا يقتلون من ينتسب إلى رومة، و سألته هل فى هذا البلد قبر أنبياء، قال: لا يعرفون بها قبر نبى. لكن بعض الناس يقولون إن فى هذه المدينة قبر راهب كان من أصحاب سيدنا عيسى على نبينا، و عليه الصلاة و السلام، و بعض الناس ينكرون ذلك.

و فى يوم الأحد المذكور توجه الباشدور إلى كبير الوزراء قاطبة، و نحن معه بحيث وصلنا إلى داره و دخلنا لبراحها، وجدنا فيه أزبالا و نباتا فى بعض المواضع، و لم نعهد ذلك فى مطلق أماكنهم، و صعدنا إليه فى درج لم نجد فيها زرابى على العادة، و فيها أزبال أيضا بحيث انتهينا إلى القبة وجدناه واقفا فيها و معه أناس و هو رجل مسن، و فى تلك القبة شوالى بالية و فيها زربية صغيرة بالية، و حاله حال أهل التقشف، فسلم على الباشدور و رحب به غاية، و جرى بينهما كلام بالسؤال عن الأحوال و خبر البلد، و خرجنا إلى قبة أخرى وجدنا فيها كنابيس كثيرة و موائد الكتابة و آلاتها.

ثم خرجنا من عنده فأخبر الترجمان أن هذا الوزير عندهم من الزهاد، و أنه لم يتزوج قط و أن له راتبا وافرا لكن يأخذ منه قدر الكفاية، و الباقى يتصدق به على فرقة من الضعفاء، و أنهم يتشاورون/ ۲۹۸/ معه فى الشادة و الفادة، و أنه ملحوظ معتبر عندهم فى المهمات و جميع الملمات، و عند رجوعنا رجع هذا الوزير فورا إلى الباشدور، و تلاقى به فى القبة المخصوصة بالملاقاة مع أعيانهم. إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۴۹

دار المرضى بها

و رجع على العادة فى ذلك، ثم طلب من الباشدور الخروج إلى دار السبيطار، أى المرضى فساعد و خرجنا معه، فلما انتهينا إليها تلقت للباشدور امرأة راهبة من راهبات تلك المدينة، عليها جبة صوف و لها قب من صوف ينزل إلى ظهرها منفصل على الجبة و تحته مثله من ثوب أبيض، و هى مغطية رأسها فرحبت غاية، و هى امرأة جميلة تميل للصغر ذكرت أنها من جنس الفرنصيص، و أنها سلمت فى زوجها و أهلها و حبست نفسها على خدمة المرضى الذين بهذه الدار، و معها ثلاث نسوة هى مقدمتهن، فدخلت بنا إلى قبة أرضية وجدنا فيها نساء كبارا و صغارا مرضى، من أعينهن فمنهن من تبصرت لا تبصر شيئا، و منهن من يبصرن قليلا، ثم أدخلتنا إلى خزين بقربها وجدنا فيه خزانات بجدرانه فيها كساوى هؤلاء المرضى من الصوف و من القطن للحر و البرد، و أخرجت تقاشير خشينة من صوف و طاكيات منها، ذكرت أنها من عمل بعض المرضى يشتغلن بصنع ذلك، و يكتسين منه. و ذكرت أن زوجة ولد أخ السلطان، هى القائمة بالصائر على من بهذه الدار من المرضى، ثم إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۰

أدخلتنا إلى قبة أخرى فيها كنانيش الصائر على هذه الدار بخط يدها كما ذكرت، و فيه الصائر اليومى ملخصا كل يوم على انفراده، لصائر أضلاع من اللحم بأنواعه و الإدام و الدقيق و غير ذلك، و كناش آخر فيه تقييد تلك الكساوى و عدد كل نوع من أنواعها، و حصر داخلها و خارجها، ثم مرت بنا بوسط هذه الدار فوجدناه مربعا انباح كبيرة فى كل ربع ثمانية/ ۲۹۹/ قسى على أسوار عظام، و

بوسطه رياض ذو أشجار كبار و صغار و نبات ذو أنوار، ثم دخلت بنا إلى محل أكلهم فى قبة أخرى، فوجدنا موائد ممتدة مع الجدران بينها و بين الجدران مواضع الشيليات التى يجلس عليها للأكل، و على الموائد قدام كل شيلية طبسيل و زيف و كأس للماء، و المواضع الموصلة إلى هذا المحل نصب خشب مع جدرانها على مسامير خارجة من الجدران، فإذا وضعت أوانى الطعام للبصرى على تلك المواضع و يوذن لهم فى الطلوع إلى ذلك المحل، يضعون أيديهم على تلك الخشبة و يمرون معها حتى ينتهوا إلى ذلك المحل الذى فيه غذاؤهم، ثم يأخذون فى الدخول واحدا بعد واحد قابضين على تلك الخشبة و يعدون المسامير التى تلقاهم، و بها يعرف كل واحد شيليته، بحيث يكون المسمار نمر كذا هو محل جلوس فلان، و قدامه مائدته ثم يخرجون إلى مواضع غسل أيديهم و قد جعلوا حلاليب مدفوفة فى مصطبة. فوق كل واحدة بزبوز ينزل منه الماء و بقربه زيف، ثم يرجعون إلى محلهم ثم إلى مواضع نومهم، كل واحد له بيت صغير خاص به فيه مضربتا صوف فوق أعواد من حديد كالناموسية الصغيرة و غطاء من ثوب قطن نظيف، و وسادتان لينتان، و محل آخر فيه فراشات متعددة واحد حذاء الآخر، فقال الترجمان لهذه الراهبة: أين محلك، فهل هو منتخب، قالت له لا، فراشها كفراشهم بلا فرق، نعم أدخلتنا إلى بيت فيه سراجم و موائد عليها غطاء نظيف، و فيه زربية و شوالى ذكرت أن ذلك المحل معد لقدوم زوجة ولد أخ السلطان المذكورة، و أنها تأتى مرة واحدة فى كل جمعة إلى هذه الدار، و تتفقد بنفسها أحوال المرضى، و تأتى إلى ذلك المحل المذكور و تحضر لها الكنانيش و تحاسبها على الداخل و الخارج، ثم أتت بنا إلى محل آخر يطبخ فيه لهم أكلهم فوجدنا ثلاثة طناجير منصوبة، لكن ليس فيها إلا الماء إذ لم يكن ذلك الوقت وقت الطبخ، و بمحل آخر حطب كثير، و هناك ميزان قيل لأى شىء هذا الميزان، قالت: نقسم به الطعام عند تفريقيه/ ۳۰۰/ فى الأوانى،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۱

وقت الأكل ثم أتت بنا إلى رجال فى قبة أخرى مرضى أيضا من أعينهم و هم جالسون قبالة رياض آخر فيه أشجار و نبات و أنوار، و ذكرت أن بعض المرضى توجهوا يغسلون فى البحر، و دخلنا أيضا إلى بيت آخر وجدنا فيه خزانة فيها مطارب و فيها ماء على ألوان، قالت ذلك محل الطبيب الذى يأتى لمداواة المرضى، ثم خرجنا من هذه الدار.

المحل القديم البناء برومة

و توجه بنا الترجمان إلى محل فيه بناء قديم مستدير على هيئة البرج ، و جدرانه مرتفعة جدا و الجدار المحيط به خارجا فيه أبواب عديدة باب قرب باب ليس بينهما إلا الجدار الفاصل بينهما، غلظه نحو خمسة أذرع، و كل باب فوقه قوس يدخل إليه لوسط هذا البرج كالأسطوان، و فى الجدران نطاقات من بارات الحديد غلظ كل بارة نحو ثمن ذراع و عرضها نحو ثلثه، و اختلفت فى الطول و القصر، و هى كالنطاقات فى الجدران طولا و عرضا، و قطر دائرة هذا البرج نحو ثلاثمائة خطوة، و بداخله بيوت متصاعدة بعضها فوق بعض من أعلاه إلى أسفله، و كان معنا ترجمان يهودى، فأتى إليه رومى حين رأى فى يدى القلم و القرطاس و أنا أقيد تلك الآثار، فقال لليهودى: إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۲

قل لهذا الكاتب إن هذا المحل بناه الملك طوطوس الذى خرب بيت المقدس و أتى بعشرة ءالاف من اليهود أسارى، هم الذين كانوا يخدمون فى بناء هذا المحل، فتبسم اليهودى و أخبرنى بذلك و زادنى أن هذا الرومى ليس عنده تحقيق الخبر لأن ذلك الملك كان أتى بعشرة ءالاف من بيت المقدس كما ذكر، و ثلاثة ءالاف أخرى من غيرهما، و لم يومنوا به لأنه كان يدعى الربوبية، و عاش مائتى سنة و إحدى و أربعين سنة. و إن هذا المحل كان عنده فيه سباع و أسد فى مغارات بنيت لأجلها و أن من لم يؤمن به، كان يدخله إلى وسط ذلك البرج و يرسل عليه السباع و تكون تلك البيوت التى به مملوءة بالناس يتفرجون فى ذلك/ ۳۰۱/ الذى ترسل عليه السباع، و أنه من أحد الملوك الذين ملكوا الدنيا بأسرها شرقا و غربا، و أنه أوتى إليه ذات يوم برجل ممن لم يؤمن به فأمر بإلقائه للسباع فألقى إلى سبعين، فحين خرجا إليه و الناس يتفرجون فى تلك المواضع فرا منه و رجعا إلى محلهما، ثم أرسل عليه ثلاثة سباع أخرى،

فحين رأوه تـأخروا و رجعوا، فـأخبروا الملـك بـذلك فأمر بإتيانه فأوتى به إليه، فسأله عن ربه و دينه فأخبره أنه مومن بالله عز و جل لا يشـرك به شـيئا، و أنكر ربوبيته. فأمر بإحراقه فأخفاه الله عنهم، و لم يجـدوا له أثرا هكذا أخبر ذلك اليهودى حيث غاظه ما كان تكلم به ذلك الرومى فى شأن أسـراهم، ثم قلت لليهودى: و هل تدرون من الرجل الذى فرت منه السباع، قال: نعم هو من أصحاب نبى الله سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا و عليه الصلاة و السلام.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۳

ثم توجه بنـا إلى جبل مرتفع غايـة، فصـعدناه راكبين الأكـداش حتى انتهينا إلى رأسه فوجـدنا هناك قبـة مبنيـة و محيط بها دربوز من حديد بقربه شوالى عديدة.

فخرجنا من القبة إلى الدربوز و جلسنا على الشوالى و أشرفنا على من تحتنا، فوجدنا فئة من العسكر من أصحاب الموسيقا و هم دائرون كالحلقة و واحد منهم فى وسطها يشير لهم بكيفية الخدمة بالموسيقا، و هم يتبعونه و معهم من الخلق عدد كثير نساء و رجالا و صبيانا، و أتوا إلينا هناك بموائـد من الحلواء عديـدة و من الأشـربة الطيبة على أشـكال، و قد أشـرفنا من تلك الجهة على أشـجار كالغابة، من أسـفل القبـة بل الجبل إلى ما وراءه إلى الجبال التى فى ذلك الأفق، و الأبنيـة من بينها و الديار، ثم أشـرفنا من جهة أخرى على مدينة رومـة، فقابلنا نحو الثلث منها فـذكر بعض القواد الـذين كانوا معنا أن شـكل مدينة فاس المحروسة بالله أعظم من هذا القدر الذى يرى من رومـة، ثم رجعنا إلى محل النزول مع ترجمان الدولـة، و هذا من فرحه/ ۳۰۲/ و اعتنائه لأننا شاهـدنا منه برورا عظيما و هو يخبر أنه مأمور بـذلك من قبل عظيم دولتهم، و هو القونصوا عنـدهم بحلب و اسـمه بوزيوا، و هو يحسن اللغـة العربيـة نطقا و كتابـة، و كذلك التركية، و غيرهما من الألسن.

قدوم أصحاب الطرب على الباشدور و كيفية خدمتهم

و فى ليلـة الاثنين الثلاثين من رجب ، قدم على الباشدور للدار التى كان نازلا بها برومة، جماعة من أصـحاب الطرب بنحو أربعة عشـر رجلا بأيـديهم كثرات و أعواد مثل الآلة التى تسـتعمل فى الغرب، و صاروا يخدمون فى براح الدار بعد ما وضـعت لهم الشوالى، فقدم ذلك الترجمان على الباشدور و أخبره بهؤلاء و أشار عليه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۴

بالإذن لهم بـالطلوع للقبـة الكبيرة، لأنه ينبغى الاعتنـاء بهم كما ذكر، فأذن بـذلك فطلعوا و طلع معهم جماعـة من النسوة اللواتى كن جالسات فى براح الـدار، و أخـذ كل واحـد من المعلمين موضـعه و أخذت النساء مواضـعهن من تلك القبة، و صاروا يخدمون بتلك الآلات بنغم مسـتعذبة تشـبه النغم التونسية، و صار خدمة هذه الدار يتواردون بموائد الحلواء و الثلج و الأشربة الطيبة الملونة، و يطوفون بذلك على الجالسين واحدا بعد واحد، ممن كانت له شهوة فى شىء من تلك الأطعمة و الأشربة فأخذ منها ما أحب و من لم تكن له شهوة فى شىء منها يشير لصاحب المائدة إشارة من لا غرض له فيها، فيمر و هكذا ضيافتهم و إكرامهم فى هذه البلدة و فى غيرها فيما شاهدناه فى بعض بلاد الروم، و بقى أصحاب الطرب فى تلك القبة نحو ساعتين و انفصل ذلك و خرجوا شاكرين إحسان الباشدور و جزيل إنعامه.

الفرجة التى أنشأت إكراما للباشدور و فرجة الطياطرو

و فى ليلـة الثلاثـاء فاتـح شـعبان المعظم، أتى القونصوا بالأكـداش و طلب من الباشـدور التوجه هو و رفقاؤه إلى فرجـة أنشأها المخزن إكراما و فرحا بقدومكم، فركبنا الأكداش و توجهت بنا إلى براح متسع قرب ذلك البرج الذى تقدم وصـفه، فوجدنا هناك خلقا كثيرا و جماعات/ ۳۰۳/ من أصحاب الموسيقا متفرقين كل جماعة فى موضع، و كلما مررنا بجماعة منهم أو بقربهم اشتغلوا بخدمة الموسيقا

إعلانا بالفرح و التعظيم، حتى قربنا من ذلك البرج المذكور، و وقفنا هناك فاشتغل أصحاب الموسيقا بخدمتها فى كل موضع، و كانت عندهم قناديل كالحسك موضوعة فى فرج بجدار ذاك البرج، فى الجهة المقابلة لنا و فى الاسطوانات الموصلة إلى داخل ذلك البرج، و فى مواضع قدامها و كنا نرى ذلك المحل مظلما غاية، فحين وقفنا فى ذلك المحل

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۵

صاروا يطلقون الحراقيات على ألوان و أشكال، و بنفس خروج الحراقيات جعلت تلك القناديل فى مواضعها المذكورة، فكان بعضها له لهب أحمر كالدم يخرج معه دخان كثير فحيث انشر و بلغ إلى جدارات ذلك البرج صارت تلك القطعة من ذلك الجدار حمراء على لون ذلك الضوء و لهيبه، و كذلك طرف من الأرض التى قدامه، حتى أن من يمر بها يعلوه ذلك اللون، فيتخيل كأن نارا توقد فى ذلك الموضع، و الذى يمر به كأنه يحترق هناك، و بعض تلك القناديل لهبها أخضر إلى البياض يخرج منها دخان أخضر، ينتشر كذلك فى الجدارات و المواضع القريبة منها فيرى كأن نارا خضراء توقد فى تلك الجدارات، من يمر بتلك المواضع يتلونون بذلك اللون، و يظهرون من البعد كأنهم بقرب من البعيد عنهم، و كأن نارا خضراء تشتعل فى ذلك الموضع جميعه فوقفنا هناك نحو ربع ساعة و أصحاب الموسيقا يخدمون، و لا يكاد يحصى من كان هناك من الخلائق فى هذه الفرجة، و حيث أخذنا فى الرجوع و استدبرنا ذلك البرج، و استقبلنا بناء آخر هناك قديما مرتفعا، أطلقت حراقيات أخر فأوقدوا فى تلك الجدارات نارا ذات لهب أحمر و أخضر مثل النارين الموصوفتين فوقفنا هنا حتى قرب إنطفاؤها ثم أخذنا فى المسير و كلما مررنا بمحل قامت الموسيقا/ ۳۰۴/ على ساق، و اشتغلت بالخدمة على ذلك النسق، فبينما نحن مارون بتأن و مهلة إذ رأينا شعاعا عظيما خارجا من كوة عالية فى جدار مرتفع، جرم تلك الكوة مستدير فيما يظهر كجرم الشمس و الشعاع كشعاعها، إلا أنه أبيض يميل إلى الخضرة، و يمكن للإنسان إمعان النظر فيه، و بانتشار ذلك الشعاع انتشر الضوء على جميع تلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۶

الخلائق الذين كانوا هناك حتى كأنه النهار، و يرى البعيد منهم كما يرى القريب، و يرى ظلال المارين على الأرض و بالجدران كما ترى الظلال بالنهار، و تعجبنا من عقول هؤلاء الشطار كيف تخيلوا و صيروا الليل كالنهار، و ليس ذلك من قبيل قلب الأبصار و الأعيان، بل هو محقق الوجود ظاهرة للعيان، و بقى ذلك الشعاع منتشرا نحو خمس دقائق فقط، ثم أخذ فى النقص و الرجوع فتقدمنا إلى أمام فوجدنا جماعة أخرى من أصحاب الموسيقا اشتغلوا بخدمتها عند وصولنا إليهم ثم أرسلوا شعاعا آخر من جدار آخر كالشعاع الذى تقدم وصفه، و أشرف على الأرض و أضاءت به و استنارت كما وصف، و أخبر الترجمان أن هذه الفرجة لا يصنعها أهل هذا البلد إلا عند حلول الأمير بها فرحا به، و قد أمرهم المخزن بصنع هذه الفرجة لتعلموا من ذلك ما انطوت عليه قلوب الدولة من محبة سلطان الغرب سيدى حسن نصره الله، و تعظيم جانبه الشريف و فرحا بقدومكم، و لم نزل راجعين و نحن نجد فى الطرق جماعة بعد جماعة من أصحاب الموسيقا.

حتى وصلنا إلى دار فيها فرحة الطياطرو، فطلب الترجمان من الباشدور الدخول إليها هنيئة ما، فساعده فدخلنا فوجدنا جماعة من أصحاب الموسيقا ببراح اسطوان الدار، فصعدنا فى درج عديدة و كلما انعطفنا مع الدرج إلى جهة سمعنا جماعة أخرى تخدم الموسيقا حتى وصلنا إلى بيوت الفرجة، فدخل الباشدور لبيت مع الترجمان، و دخل باقينا لبيوت غيرها، فحين استقر بالباشدور/ ۳۰۵/ فى محله و نحن قدامه، أعرض الناس الذين هناك عن فرجة الطياطروا و أقبلوا بالتصفيق على الباشدور و علينا، يشيرون بذلك إلى فرحهم و انبساطهم و سرورهم بدخول الباشدور عليهم، و تلك عادتهم مهما استحسنوا شيئا و طابت به نفوسهم أخذوا فى التصفيق إعلانا منهم بما يجدونه من الفرح و السرور و بموجبه الذى حملهم على ذلك، و أتوا إلينا هناك أيضا بموائد الحلواء المعقودة على الثلج و الأشربة الطيبة، فتناولنا منها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۷

يسيرا ثم نهضنا للرجوع، فأخذ الناس قاطبة فى التصفيق كأنهم يطلبون زيادة الجلوس معهم، ثم رجعنا إلى محل النزول و شكر الباشدور للترجمان صنيع أهل البلد فى هذه الليلة ما دل على كمال محبتهم و تمام اعتنائهم.

قدوم أصحاب الطرب على الباشدور و كيفية خدمتهم

و فى ليلة الأربعاء الثانى من شعبان ، قدمت جماعة كبيرة من أصحاب الطرب أيضا للدار التى نحن نازلون بها، و عددهم خمسة و ثلاثون رجلا، و قيل ستة و ثلاثون، و هم ممن يخدمون بالطرنبطات على أشكال فى الهيئة و فى الكبر و الصغر و بالمزامير و غيرها، و لم يكن الإذن لطلوعهم لتلك القبة لكثرتهم، و لأنهم يخدمون واقفين يصنعون دائرة منهم، بوقوف واحد قرب واحد مع انعطاف ما بقدر ما يقتضيه عددهم، حتى يتصل آخرهم بأولهم كحلقة المداح، و كل واحد منهم ينصب قدامه ثلاث أعمدة تجتمع رؤوسها قدامه، فينصب على رأسها أعوادا رقاقا مربعة الشكل ليضع عليها الأوراق التى تبين له فيها خدمة طبائع الموسيقا التى يخدمون بها، فإذا نصبت تلك الأعمدة قدامهم و وضعت الأرواق فوقها على أعوادها، و وقدت لكل واحد شمعة قدامه، فيتقدم واحد منهم و يقف فى وسط الحلقة، و ينصب ثلاث أعمدة كذلك قدامه، و يوقد له الضوء و يأخذ بيده قضيبا و يشتغل بالنقر به على رأس تلك الأعمدة نقرا خفيفا لا يسمع له أثر، و إنما فيه إشارة ... .

وصف مدينة رومة

/ ۳۱۰/ ... متعددة، منها ما هو مستقيم كالذى فى وسطها، و منها المنحرف و هو ما

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۸

قرب من الوسط لأن المحل الذى فى وسط الخصة كهيئة كسكاس من النحاس، ثقب وسطه مستقيمة و غيرها اختلف انحرافها، فإذا خرج الماء من تلك الثقب كل واحد متوجه إلى سمت من السموت و انحدر إلى الخصة يكون رائى هيئة ذلك الماء كهيئة ثرية من بلار عظيمة، و تارة يجعلون حوضا متسعا و صور سباع باركة بحافاته و الماء ينبع من أفواهها إلى ذلك الحوض، و تارة يجعلون للماء مخارج يفجرونها من بين معادن الحجر كالماء الذى يشاهد تفجيره من بعض أسفل الجبال، و يجعلون أسفله حوضا متسعا، ينزل إليه و يديرون به صورا من رخام أو حجر على هيئة الحيوان الآدمى و غيره، و يشق هذه المدينة وادى عظيم جل بعض طرقها، و ينصبون عليه قناطير محكمة البناء و الإتقان، و لون هذا الماء متغير كلون ماء بوفكران بل أشد تغييرا فى رأس العين حين مروره فى الوادى، و أما الماء الذى يوتى به إلينا فنجده صافيا لا أثر تغيير به، و بعض الناس ينصبون شبكة الاصطياد فى هذا الوادى على شكل الميزان، بحيث يتخدون عمودا طويلا جدا، و يعلقونه من وسطه كعمود الميزان، و يجعلون كفتيه من خيط الشبكة، و يكون فيها استرحاء، و شاهدنا هذا الميزان من بعد، و رأينا إحدى الكفتين تنزل و تنحذر إلى الماء قيل حتى تصل إلى قعر الوادى و ترتفع فإذا صادفت شيئا من الحوت مارا يعلق بها، ثم تصعد و بصعودها تنزل الكفة الأخرى و هكذا، و فى هذه البلدة نعم كثيرة. فالإجاص فيها قريب من البادنجنة الصغيرة و العنب المسكى كعنب الغرب، و كذلك الدلاح كله أحمر يباع عندهم مقسوما، كل واحدة تقسم نصفين ليشترى كل واحد ما تميل إليه نفسه، و كذلك من التين و البطيخ و الخضر ماطيشة و غيرها، و جل الحوانيت تباع فيها هذه/ ۳۱۱/ الخضر و الفواكه، و بعضها فيها حوائج لباسهم و أثاثهم، و أما التجارة فأمرها ضعيف هناك و الله أعلم.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۵۹

الرجوع من رومة إلى فرينسى

و فى الساعة الحادية عشرة عدا عشر دقائق من يوم الأربعاء المذكور، و هو ثانى شعبان شرع بابور البر بالسفر بنا من رومة إلى بلد

فرينسى بحول الله، و كان خرج لوداع الباشدور عامل البلد و خليفة وزير الأمور البرانية و الجلنار، و كان ركوبنا فى تلك العربة الملوكية الموصوفة، و أتى الترجمان بكوب كبير فيه حجر الثلد و دفن فيه إبريقا من بلار مملوءا ماء، ثم سلة فيها أنواع من الحلواء لكنا لم نحتج إلى شىء منها، و مررنا على بلاد كثيرة لها سياج من الخشب كهيئة المامونى يجعلونه- و الله أعلم- حدودا بينها و بين البقر الذى يرعى هناك، و البقر الذى هناك جله أبيض اللون أو رمادى و قليله أسود. و فى الساعة الحادية عشرة و إحدى و أربعين دقيقة، وقف البابور فى مدينة تسمى باص و كريزى سبع دقائق، و فى منتصف الليل و زيادة ست عشرة دقيقة وقف فى شمليانوا (۲) دقيقة أو أقل، و فى تسع و أربعين دقيقة وقف فى أطى (۲) سبع دقائق، و فى الساعة الأولى و أربعين دقيقة، وقف فى كاسطى اليونى (۲) سبعا و عشرين دقيقة انتظارا لمرور البابور الآتى على طريقه، و فى الساعة الثانية و سبع و عشرين دقيقة وقف فى أربيدى (۲) ثلاث دقائق، و فى الساعة الثالثة و خمس و عشرين دقيقة وقف فى اديوسى (۲) تسع دقائق، و فى الخمس و أربعين دقيقة مررنا بمرجة عظيمة (۲) هناك، كأنها بحر و الجبال محيطة بها شرقا و بقيت مصاحبة لنا نحو ثلث ساعة، و فى الساعة الرابعة و عشر دقائق وقف فى طرنطلا (۲) أربع دقائق، و فى الخمس و ثلاثين دقيقة وقف فى اسطبون فلرنطن (۲) خمس دقائق، و فى الخامسة و دقيقتين وقف فى الريشدا (۲) خمس دقائق، و فى السادسة وقف فى صان اجوانى (۲) خمس دقائق، و فى ثمان و عشرين دقيقة وقف فى بنط الرنيالوا (۲) أربع دقائق، و فى الساعة السابعة وصلنا إلى فرينسية (۲)/ ۳۱۲/ و الحمد لله. فمدة السير إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۰ بين رومة و فرينسية ثمان سوائع و عشر دقائق، فإذا أسقط منها مدد وقوف البابور و مجموعها ساعة واحدة و ست عشرة دقيقة، تبقى مدة السير سبع سوائع عدا ست دقائق، و عند وقوف البابور و وصوله إلى فرينسية طلع إلى الباشدور عامل البلد و أعيانها، و تلقوه بالتعظيم و الترحيب، و نزلنا إلى المدينة فى الأكداش التى كانت مهيئة هناك، و أنزلونا بأوطيل الذى كنا فيه إذ ليس عندهم أفضل منه و لا أنظف كما قيل، و عند دخولنا إليه وجدنا الموائد منصوبة و عليها أنواع فواكه الوقت و أنواع شتى من الحلواء و ثريات عظام توقد بالشمع، لكل فريق مائدة تخصه على هذه الصفة، فبتنا بها ليلة الخميس ثانى شعبان المذكور، و أقمنا بها ذلك اليوم فى غاية الإكرام و البرور و الاحترام.

الرجوع إلى طورين

و فى الساعة السابعة و خمس و أربعين دقيقة من ليلة الجمعة ، شرع بابور البر فى السير بنا من فرينسية (۲) قاصدين طورين للقاء عظيم دولة الطاليان بها، فى تلك العربة التى تقدم وصفها، بعد أن خرج لوداع الباشدور عامل البلد و أعيانها، و فى الساعة الثامنة و خمس عشرة دقيقة وقف البابور فى مدينة ابرلطوا (۲) دقيقتين، و فى الأربعين دقيقة وقف فى بسطويا (۲) تسع دقائق، و فى التاسعة و العشرين دقيقة وقف فى لطيتوا (۲) خمس دقائق، و فى العاشرة و ست دقائق وقف فى راكنا (۲) خمس دقائق، و فى العاشرة و ست عشرة دقيقة وقف فى ارشا (۲) ثمان دقائق، و فى الحادية عشرة و عشرين دقيقة وقف فى بركاتوا (۲) دقيقتين، ثم خرج الترجمان من هذه العربة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۱

إلى غيرها، فلم أجد بعد من يخبرنى بالمدن التى كان يقف فيها البابور بعد.

و فى الساعة الثامنة و خمسين دقيقة من يوم الجمعة المذكورة، وصلنا إلى مدينة طورين و وجدنا أهلها فرحين مسرورين، و وجدنا بالمحل الذى وقف فيه البابور جما غفيرا من العسكر متهيئين للقاء الباشدور خيلا و رماة، و طلع إليه للعربة عامل البلد و الجلنار و أعيانها مهنيئن له فى السلامة و العافية،/ ۳۱۳/ و عند نزولنا من العربة أخذ أصحاب الموسيقا يخدمون بها، و وجدنا الطرق قد سدت و امتلأت بازدحام الناس و مسابقتهم كأنهم يتسارعون إلى رؤية ملكهم أو أعظم، و امتدت الطرق التى مررنا عليها على هذا الازدحام، حتى وصلنا إلى المحل الذى أنزلونا به، فوجدنا هناك فئة أخرى من العسكر و معهم أصحاب الموسيقا، فاشتغلوا بخدمتها حتى صعدنا إلى المواضع التى هيأت للنزول، و كان هذا المحل الذى أنزلونا به مقابلا لدار عظيم دولتهم، بينهما براح متسع كالمشور مربع منعطف

كهيئة أكدال، و امتد مع جدراته أعمدة قائمة من نحاس كأنه مخروط مورق جعل على رؤوسها فنارات خمس توقد ليلا، و هذا المشور دائما يمر الناس به راجلين و فى الأكداش و عربات الوسق و غيرها.

اللقاء بعظيم دولة الطليان و ببعض الأمراء

و بعد نزولنا تقريبا ورد الإعلام للباشدور بالطلوع للملاقاة مع عظيم الدولة غدا،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۲

أعنى يوم السبت فى الساعة العاشرة منه، فعند ذلك أحضرت صناديق الهدية و فتحت و تفاوض مع الترجمان فى تقديمها لدار عظيم الدولة قبل اللقاء به، فاستأذن فى ذلك و استحسن هذا الرأى، فوجهها فى عشية ذلك اليوم. و فى يوم السبت الرابع من شعبان ، فى الساعة السابعة و نصف من صباحه، أخذ العسكر فى التهيىء للملاقاة و صاروا يأتون أفواجا أفواجا من كل طريق من الطرق التى توصل لذلك المشور خيلا و رماتا، و كل طنبور معه أصحاب الموسيقا و يصطفون بذلك المشور صفا وراء صف حتى أخذ كل واحد و كل طنبور موضعه، و امتدت الصفوف من باب الدار التى كنا بها إلى باب دار عظيم الدولة، و عند وصول الساعة العاشرة أتت عربات ثلاث، كل عربة يجرها أربعة من الخيل و معها أربعة من العسكر لابسين ثيابهم الفاخرة، فخرج الباشدور و ركب العربة الأولى و معه الترجمان، و ركبت مع الأمين الثانية و معنا/ ۳۱۴/ كبير المخازنية، و ركب المخازنية الأربعة العربة الثالثة، لكن أذن للعساكرية الأربعة الذين يسوقون العربة التى نحن فيها بالتقدم، فتقدمت

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۳

و تبعتها عربة الباشدور و تأخرت عربة المخازنية، و تقدمت فئة من فرسان العسكر قدامنا فى أحسن ما يكون من الزى و التهيىء، و من خروجنا و الموسيقا تتكلم عند كل طنبور نصل إليه، و العسكر يشير بالسلام متأدبا على عادته، حتى وصلنا إلى باب دار عظيم الدولة ، فنزلنا و وقفنا حتى تقدم الباشدور و تبعناه و المخازنية وراءنا، و صعدنا قبب هذه الدار و وجدنا قليلا من العسكر بالدرج التى مررنا بها حتى قابلتنا القبة التى فيها عظيم الدولة، و كان واقفا بالباب أحد كبراء العسكر ففتح باب القبة و تقدم الباشدور للدخول و تبعه الترجمان فقط، و كان عندنا الإذن بالوقوف بباب القبة عند دخول الباشدور، حتى يؤذن لنا بالدخول و عند دخولهما سد ذلك الباب، و وقفنا نحو ست دقائق ثم فتح ذلك الباب و أذن البواب لنا بالدخول، فتقدم مقيده- عفا الله عنه- و تبعه الأمين وفقه الله، و فى أثره كبير المخازنية و بعده باقيهم، فلم يكن فى تلك القبة إلا عظيم الدولة و الباشدور و الترجمان لا غير، فبادر عظيم الدولة بالإشارة بالتحية فأجبناه، ثم عرفه الباشدور بكل واحد منا و بمرتبته، و مهما عرفه بواحد أعاد التحية أيضا لكل واحد بخصوصه، و أجيب بمثلها و ظهر فيه من الفرح و السرور ما لم نره من غيره، و كذلك من كبراء دولته و أهل بلدانه و خصوصا أهل هذه البلدة أعنى طورين.

ثم خرجنا من عنده و رجعنا، فوجدنا العسكر لا زال كل واحد بمحله، و توجهنا إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۴

إلى دار ولده للملاقاة معه و هو الذى كان سلطانا عند دولة الصبنيول حين تقاتلت تلك الدولة مع عظيمها، ففرح بقدومنا عليه فرحا كبيرا، و كذلك توجهنا فى هذا اليوم لدار خال عظيم الدولة/ ۳۱۵/ و هو رجل مسن يستخلفه عظيم الدولة فى سفره، ففرح كذلك فرحا عظيما و عند رجوعنا إلى محل النزول، أخبر الباشدور أن من جملة ما تكلم به عظيم الدولة مما يدله على تعظيمه للجانب الشريف- أسماه الله- و اعتنائه به، أن قال له أنه كان مسافرا فى بعض نواحى بلده و أنه إنما قدم لأجل الملاقاة به، و أنه غدا أى يوم الأحد راجع للمحل الذى كان فيه و أنه أذن لولده يصنع لنا وليمة إكراما و فرحا منه بقدومنا، و يكون ذلك بداره أى عظيم الدولة، فلأجل ذلك طلب منه اللقاء بولده فأذن به و سره ذلك سرورا كبيرا.

و فى منتصف هذا النهار أتى الترجمان و معه كاتب سر عظيم الدولة بتحف ،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۵

و قال إنها من عظيم الدولـة و دفع كل تحفـة منها لكل واحـد منا بيـده فتلقيناها بالقبول، ثم تركت ما كان دفعه لى منها الترجمان على مائـدة بيت الباشدور، و توجه كل واحد بتحفته لمحله، فقال لى مالك تركت حوائجك هنا، فقلت لا ينبغى لى حيازة شـىء منها حتى يعرض ذلـك على حضـرة مولانـا العاليـة بـالله أدام الله عزها، و هو أعزه الله يجود عنا برضاه الـذى هو الكيفيـة العظمى، و هو الإكسـير الأـكبر و الكبريت الأـحمر، فسـر بمـا سـمعه منى، و قال: إنه لكـذلك و أذن لى بحوزها حتى نعزم على الخروج و تجمع فى صـندوق يخصها.

الفرجة التى أنشأها عامل طورين

ثم إن أهل هـذا البلـد أنشأوا فرجـة عظيمـة فى الليلـة القابلـة بعد هذا اليوم، و هى ليلة الاثنين و ذلك بأنهم عمدوا إلى جدارى الركنة الخارجة فى هذا المشور، و جعلوا فى أحد جداريها خاتما كبيرا من المصابيح الصغيرة، و جعلوا فيها ماء على ألوان و جعلوا الزيت فيها و جعلوا فى وسط الخاتم حروف الاسم المفرد من تلك المصابيح و جعلوا فى الجدار الآخر صورة كرونة عظيم دولتهم من المصابيح، فى وسط تربيعة من المصابيح أيضا، و جعلوا صفا ممتدا لدخول الغاز مع جدرات المشور، و نصبوا مائدة مثمنة بوسط المشور قريبة من الـدار التى نحن بهـا و هى من/ ۳۱۶/ العود، و هى متسـعة فى طولهـا و عرضـها نحو اثنى عشـر ذراعا، و مثلها فى كل جهـة من جهات التنميق، و نصـبوا أعمدة دائرة مع هذه المائدة، و فى رأس كل عمود خمس وردات حمر من الورد المصـنوع، كل وردة فى الكبر مثل جرم كرة أربعة و عشرين، و كان بقرب تلك الركنة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۶

الخارجة من المشور أشـجار ممتدة معها، نصبوا بين أغصانها و أوراقها كواغد على شكل المخروط كالمكب، و هى على ألوان أضا و حيث قرب الغروب أوقـدوا تلك المصابيح و الفنارات الممتدة مع جدران المشور، و جعلوا سـرجا بداخل ذلك الورد المصـنوع الذى على رؤوس الأعمدة المحيطة بتلك المائدة، و فى الأشـجار المذكورة فى وسط الكواغد الملونة، ثم أتى أصـحاب الموسيقا و أحدقوا بتلك المائدة و دخل واحد منهم وسـطها على عادتهم، و صاروا يخدمون و امتلأ ذلك المشور ليلا بالخلائق رجالا و نساء و صبيانا، و أتت فى ذلك الوقت جماعـة من أعيان أهل البلـد، و تلاقت بالباشدور و أخبروه أن فرحهم بقدومه و اعتناءهم بجانب مولانا الشـريف هو الـذى حملهم على إنشاء هذه الفرحة، فشـكرهم على ذلك ثم قال الترجمان للباشدور، ينبغى لك أن تخرج إلى ذلك السـرجم و تقابل الناس الـذين اجتمعوا هناك و تشـير لهم بالترحيب، فخرج و خرجنا معه، فحين أشـرفنا عليهم أخذوا فى التصـفيق جميعا و تلك عـادتهم إذا كـانوا مجتمعين فى موضع و رأوا مـا يسـرهم، ثم جلسـنا هنيئـة على الشوالى بين الـدربوز و جـدار الصالـة الـتى كـان فيها الباشـدور، و كلما قام الباشـدور و رام الـدخول يأخذون فى التصـفيق، يريدون بذلك الرجوع إلى الجلوس، فيجلس حتى تكرر ذلك منهم مرارا فقام و أشار لهم بالسلام و دخل لمحله فتفرقت الناس و راح كل لمحله.

و فى يوم الأحـد الخامس منه، أتى الترجمان بالأكـداش و خرجنا معه إلى عرصـة لعظيم الدولـة قريبـة من داره، و لعلها متصـلة بها من بعض الجهات فوجدنا/ ۳۱۷/ أنواعا من السـباع فى أقفاص من الحديـد، لا حاجـة إلى إعادة ذكرها و بيانها لتقـدم ذلك و بيانه غير ما مرة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۷

زيارة سجن مدينة طورين

ثم خرجنا من تلك العرصـة و ذهب بنا إلى سـجن هـذه البلـدة، فـدخلنا إليه فوجدناه مسـتديرا كالبرج، و قد أحدقت به بيوت صـغيرة بعضـها فوق بعض، و لعلها خمس طبقات و لكل طبقة سراجم و درابيز من قضبان الحديد، و الضوء منتشر فى جميعه حتى قيل لهم من

ضاقت عليه المعيشة منهم يرتكب جريمة فيدخل لهذا السجن فلعله يجده أفضل من محله، فانبسطوا لذلك ثم سرحت بصرى فى قطر دائرة هذا السجن، إذ فيه طرق متقابلة هى أقطار دائرته، و ظننت أن قطرها يكون نحو ثلاثمائة متر، و لم أكتف بهذا فسألت الترجمان فاستفهم عنه كبير السجن، فقال إما يزيد على ثلاثمائة متر أو ينقص. و هناك أناس يخدمون منهم النجارة يستخدمونهم بعض الناس، و السجان يقبض لهم أجرتهم و لا يدفع لهم إلا ما يتوقفون عليه من النزر القليل. و عند خروجهم يتحاسبون معه، و يدفع لهم ما يجتمع عنده، و منهم أناس يغزلون الخيط كأن القيطان فى نواعير على هيئة الشراطة فسئل أحدهم عن سبب سجنه، فقال إن رجلا سرق سرقة و أخفاها عنده، فسجن لأجل ذلك و حكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام، و قد مر منها عام و نصف، و منهم أناس يصنعون صنيدقات من الكاغد للوقيد، قيل يخرج كل يوم من هذا السجن سبعون ألفا من تلك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۸

الصنيدقات، و فى هذا السجن مطبخة يقوم بها المخزن عندهم للمسجونين، و به عراصى محدقة به فيها أشجار و أنوار و خضر، و فى كل عرصة يبنون فى وسطها دائرة كالبرج الصغير يكون قطرها نحو ستة أذرع، و قد فتح فى جدار دائرتها شراريف، يقال أن المساجين يخرجون كل يوم لتلك العراصى و عند خروجهم يدخل بعض العساكرية لتلك الدائرة التى فى وسط العرصة بالمكاحيل، فإذا رأوا أحدا من المساجين يتنازع مع آخر يصربه بالبارود/ ۳۱۳/ هكذا الحكم عندهم.

الإكرام بدار عظيم الدولة

و فى الساعة السابعة و نصف من ليلة الاثنين سادس شعبان ، توجهنا لدار السلطان للوليمة التى كان وعد بها، و أنه كلف بها ولده فحين طلعنا لقبب الدار و وصلنا إلى القبة التى فيها ولد عظيم دولتهم، وجدنا معه جماعة كبيرة من الوزراء و الأعيان، ثم أدخلونا إلى قبة الإكرام و هى مستطيلة سقفها نصف دائرة مموه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۶۹

بالتذهيب و التوريق، و فى السقف خمس ثريات عظيمة من البلار توقد بالشمع، و جدران هذه القبة فيها مرايا عظيمة، و بين كل مرءاتين ثريات صغيرة من صفر، بعضها فوق بعض توقد بالشمع، و فى وسط هذه القبة مائدة قائمة على أعمدة ممتدة من مدخل القبة إلى قرب منتهاها، و جعلوا على هذه المائدة ثلاثا و عشرين حسكة من المعدن، كل حسكة فيها ثنتا عشرة شمعة و منها ما فيه أقل، و فى وسط كل حسكة مشموم من ألوان النوار قد رصف على نسب عجيبة و أشكال غريبة، و لكل حسكة طاس تستقر عليه كالطبقة الكبرى، رصف أيضا بالنوار كأنها زربيات، و بين كل حسكتين مشموم عظيم من النوار أيضا، منصوب على حسك أخرى، و وجدنا هذه المائدة قد حفت بالشوالى، و على المائدة قبالة كل شيلية ورقة فيها اسم الرجل الذى يجلس فى تلك الشيلية و قدامه طبسيل من الطاووس العجيب و كؤوس بلار عديدة، و جنوى و فيجكة و معلقة كلها مموهة بالذهب، فجلس كل واحد منهم فى شيلية، و أجلسوا كل واحد منا بمحله و كان جلوس الباشدور عن يمين ولد عظيم دولتهم، و عن يمينه الترجمان و نحن فى الجهة الأخرى مقابلون له، ثم أخذوا يأتون بأطعمتهم على عادتهم، فما تناولنا منها إلا الخبز و الزبدة و أنواع الحلواء، و كانوا يعرضون علينا أنواع الطعام التى يطوفون بها عليهم، فكنا نشير إليهم بالامتناع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۰

منها فيعرضونها على غيرنا، و كل واحد منهم يأخذ منها حاجته، و فى آخر الإكرام أخذ الخدمة يطوفون بأوانى الحلواء فى احكاك صغار/ ۳۱۹/ مثل بيضة بلارج، و منها ما هو مستدير فكان منهم من يأخذ حكا واحدا، و منهم من يأخذ حكين، فحين وصل إلى الذى يطوف بها أشرت له بعدم الأخذ منها، فمر و أخذ الذى كان عن يمينى بل يسارى حكما وضعه قدامه، و حيث رآنى لم آخذ منها، أخذ حكا آخر و وضعه قدامى، ثم قام الناس فأخذ كل واحد حكه و وضعه فى جيبه، فقمت و تركت الحك الذى كان قدامى

فلحقني به الـذى كان وضـعه قـدامى، و أشار إلى بأن جميع الناس أخذوا حككهم، و أشار إلى بوضـعه فى جيبى فقلبته إذ ذاك، فمن هـذا الاحكاك ما هو من زاج و منها ما هو من الكاغـد، و بها تزويق و تذهيب و الحلواء التى بداخلها كالحبوب ملونة، و هى إنما تليق للعب الصبيان، و هم يأكلون ذلك فى مواضـعهم افتخارا و رفعـة لهم، ثم خرجنا من تلك القبـة إلى غيرها، و صار الناس واقفين بها و ولد عظيم الدولة يقف مع كل واحد منهم هنيئة و يكلمه بانبساط و تبسم، حتى وصل إلى الباشدور فتكلم معه بما يناسب و تشكر عن اعتنائهم بالجانب الشـريف أسـماه الله، ثم أخـذ الوزراء يأتون إلى الباشـدور واحـدا بعـد واحـد و يرحبون به حتى مروا عن آخرهم، و خرجنا و انصرفنا إلى محل النزول.

الخروج لى الصيد مع ولد عظيم الدولة و الوزراء

و فى صباح الاثنين المذكور أتى الترجمان إلى الباشدور، و أخبره أن ولد عظيم الدولة يحاول الخروج للصيد فى الغابة حول المدينة، و أنه يأذن لنا فى الخروج معه للصـيد، و يخرج معنا الطباخ الذى يطبخ لنا ليهيء لنا الغذاء هناك، لأنه ذكر أنه رءانا لم نأكل شـيئا من طعامهم فى تلك الوليمة، و ألمه ذلك غاية لكنه سره عدم أكلنا منه من جهة محافظتنا على شرعنا، فخرجنا فى الساعة العاشرة من يوم الاثنين المـذكور، و لم يكن من المخازنية إلا قائدهم، فسـرنا فى الأكداش نحو ساعة فى طريق محفوفة بالأشـجار عن اليمين و اليسار، حتى انتهينا إلى دار

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۱

عظيمة كأنها قصـبة، فدخلنا إلى قبة بأسـفلها مرفوعة على أربع سوار عظيمة، و فيها حياض و أنوار و محابيق، ثم خرجت مع الأمين إلى باب هـذه القبة، فوجدنا ولد عظيم الدولة قد أتى راكبا كرسـى الكدش و بيده سوط، و هو الذى/ ۳۲۰/ يزجر الخيل التى تجر الكدش الذى فيه أتى معه من أعيانهم، فتعجبنا من سياسـته و لطافته ثم دخلنا و أتى بنا إلى قبة أخرى فيها مائدة أكلهم، فجلس كل واحد منهم على شـيليته و جلسـنا نحن كذلك، و كان الطباخ قد هيأ لنا الغداء هناك، و بعد الغداء ركبنا الأكداش و ذهبنا إلى الغابة، فوصلنا إليها فإذا هى كالأجنة و الطرق ممتدة فيها طولا و عرضا، و هى خاصة بعظيم الدولة، و لا يصـطاد أحد فيها شـيئا، و قيل هى مربعة تكسيرها خمسة و عشـرون ميلا، و عند خروجنا إليها كانوا دفعوا لكل واحد كاغدا مستديرا قدر جرم الريال، فى كل واحد حرف أو حرفان من حروف الغبار، ليقف كل واحـد فى الموضع الـذى فيه النمر الـذى فى الكاغـد الـذى دفع إليه، ثم نصـبوا أعمـدة ممتـدة مع تربيعة من تربيعات هذه الغابة، و فى رأس كل عمود لوحة جعل فيها حرف أو حرفان من حروف الغبار، و بين كل عمودين نحو أربعين خطوة و أقل و أكثر، و كل واحد منهم يقف مع النمر الذى فى كاغده، فإذا وقفوا يتكلم واحد ببوق فيدخل العسـكر إلى تلك التربيعة بأيديهم العصى، و يتشغلون بضرب الأشجار

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۲

فتطير الطيـور فيحشـرونها إلى جهـة الرمـاة، فمـن مر فى طريقه طير أخرج فيه مكحلته، حـتى يصـل العسـكر إلى الرمـاة، ثم انتقلنـا إلى تربيعات أخرى، واحـدة بعد واحدة، و كل واحدة يعملون فيها مثل العمل الأول، فضـربوا طيورا كثيرة، و كان الباشدور أكثرهم إصابة، و فى كـل تربيعـة يضـرب فيهـا طيرين أو طيرا، فتعجبت النصـارى من رمـايته و إصابته، و كان جملـة ما أصاب من الطيور إما سـبعة أو ثمانية، و شاع هذا عندهم و جملة الطيور التى أصيبت فى هذا الصيد قيل نيف و خمسون طائرا، و أرنب واحدة.

ثم رجعنا إلى تلك الـدار التى خرجنا منها، فوجـدنا قـد نصبت موائـد فى البراح الـذى قـدام بابها، و عليها أوانى شـرابهم فـدخلنا إلى الدار./ ۳۲۱/ ثم خرج ولـد عظيم الدولـة إلى ذلك البراح الـذى فيه تلك الموائـد، و كانت قد هيأت للعسـكر الذى كان يحشـر الطير للرمـاة، فجلس معهم على تلـك الموائـد حتى شـرب معهم ثم رجع إلى الـدار و جلس مع الباشـدور و أوتى بـأنواع من حلواء الثلـج و غيرها، فتناولنا منها ما تيسر ثم ركبنا الأكداش راجعين إلى المدينة، فنشأت غبرة كثيرة فى الطريق من جرى الخيل التى تجر الأكداش،

فقلت فی سری زد هذه علی حرارة الشمس التی ظللنا نتقلب فیها من مکان إلی آخر، و قیدت إذ ذاک حین الرجوع هذه الأبیات :

فما الصید فی وقت الربیع و لا الصیفمن دأبی و لا أبغی التقلد بالسیف

و لکن أحب الصید فی غسق الدجابیت غزال ناعم الکف و الردف

تعاطینی کأس الشوق صاف شرابهو تمزجه عتبا و تسمح بالعطف

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۳۷۳ و قبل انصداع الفجر یحلو تهجّدیو ما أنا ممن یعبد الله عن حرف

ولی قلم یبری إذا هاج غیظهیراعی ذمام السیف من شدة الخوف

ففیه اکتسابی و افتخاری و رفعتیو نعم الرفیق فی الشتاء و فی الصیف

و کان ولد عظیم الدولة أمر الطبجیة یخرجون لرمی الإشارة بالمدافع، و یجربون الرمی بمدفع عظیم أحدثوه وزنه ثمانیة و ثلاثون طنا، و طلب من الباشدور الخروج للحضور معهم فی ذلک الرمی.

الخروج لرمی الإشارة مع الطبجیة

فخرجنا فی الساعة الثامنة من یوم الثلاثاء ثامن شعبان، راکبین الأکداش و فی الساعة الثامنة و نصف رکبنا فی بابور البر متوجهین إلی الموضع الذی یرمون فیه الإشارة، فمر البابور بنا علی أرضین مربعة لیس فیها إلا الربیع الأخضر لسریان الماء فی حدود هذه الأرضین، و قد غرست الأشجار فی الحدود و سویت صفوفها و تقاطعت طولا و عرضا، ثم مر/ ۳۲۲/ بنا علی أجنة العنب، و هم ینصبون مع کل ساق دالیة خشبة برأسها أعمدة تنزل علیها أغصان الدالیة، لما یرون فی ذلک من المصلحة لها فتخلخل الریح و الهواء فیما بین الأغصان و ما بتحتها، و إشراق أشعة الکواکب علیها، بخلاف الدالیة التی فی بعض مدن الغرب، فإنهم یترکون أغصان الدالیة یترامی بعضها فوق بعض حتی یلتئم غالبها، و لا یمکن السلوک بینها إلا بمشقة

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۳۷۴

لا- سیما فی الصباح بعد نزول الندی، و یبقی غالب عناقید العنب إذ ذاک منحجبا بین الأغصان و الأوراق عن تمام نفود الهواء و الأشعة، و ربما یکون تتولد آفة للعنب من ذلک و الله أعلم.

و فی الساعة التاسعة و ثلث نزلنا فی المحل الذی یرمون فیه الإشارة بالمدافع، فوجدنا هناک بعض کبراء طبجیة العسکر فتلقوا الباشدور بالتعظیم و الترحیب و غایة الأدب، و وجدنا هناک مدافع الجر صغیرة من العینة التی تعمر من وراء، و مدفعا آخر عظیما جدیدا هو الذی أحدثوه و أرادوا تجریب الرمی به فی هذا الیوم، و هو کذلک من العینة التی تعمر من رواء لکن علی کیفیة أخری، لأن قعره مبسوط مستو لیس فیه انعطاف داخلا و خارجا، و المحل الذی یعمر منه فیه و شک کوشک خزنة المکاحیل، لکن قسموا دائرة هذا الوشک، و هی الباب التی یعمر منه إلی ستة أقسام و أسقطوا و شک سدسها حتی صار مستویا مع الخزنة، و ترکوا و شک سدسها الثانی بارزا علی حاله و أسقطوا و شک السدس الثالث کذلک، و ترکوا الرابع کما ذکر، و أسقطوا الخامس کالأول و ترکوا السادس علی هیئته، فصار فم الخزنة بهذا فیه أی فی دائرته ثلاثة أسداسها، وشکها بارز و الثلاثة الأسداس الأخری أزیل وشکها و سویت مع الخزنة، و اتخذوا جرما من الحدید اسطوانی الشکل، و جعلوا فیه و شکا/ ۳۲۳/ مثل و شک الخزنة مقسوم علی ستة أجزاء أسقطوا و شک ثلاثة أجزاء، و ترکوا بینها و شک الأجزاء الثلاثة الباقیة، و بهذا الجرم الاسطوانی یسدون الخزنة علی عمارة هذا المدفع، لأنه أی هذا الجرم المذکور، مقبوض بحلقة من حدید من طرفه الذی یبقی بارزا عن الخزنة عند السد به، و لهذه الحلقة طرف حدید ناتئ منها ممتد إلی جرم خزنة المدفع من جهة الیمین، و وصل هذا الطرف المذکور بجرم الخزنة بهیئة

إتحاف الأخیار بغرایب الأخبار، ص: ۳۷۵

البزکرات، و فی جرم الخزنة أیضا فوق تلک البزاکرة ناعورة من حدید فی جرفها درج بها یفتحون الخزنة و یخرجون منها ذلک

الجرم الـذى تسـد به، و بها تسـد، فإذا عمروا هـذا المـدفع و أرادوا سـده يدفعون بأيديهم ذلك الجرم حتى يقابل رأسه فم الخزنة لأنه ممسوك بتلك البزاكرة، و عند مقابلة رأس ذلك الجرم لفم الخزنة و عزمه على الدخول إليها يكون وشكه و وشك الخزنة متغايرين، أعنى تكون الأـجزاء الساقطة من وشـك الخزنـة مقابلـة للأـجزاء الساقطـة من وشك الجرم، و البارزة منها مقابلـة للبارزة الأخرى، فلا يمكن السـد به على هـذه الحالـة فعنـد ذلك يـديرون تلك الناعورة و بـدورانها يأخـذ الجرم فى الدوران حتى تسامت الأجزاء الثلاثة الساقطـة من وشـكه الأجزاء الثلاثة البارزة من وشك الخزنة، فعند ذلك يدخلون طرفا من رأس الجرم فى فم الخزنة، ثم يديرون تلك الناعورة فيصـير الجرم يـدور داخلا فى الخزنة لتطابق الوشك إذ ذاك بعضه مع بعض حتى يصل إلى منتهاه، هذه كيفية فتح خزنة هذا المدفع و سدها على حسب ما ارتسم فى خيال مقيده و سامحه مولاه.

كيفية عمارة هذا المدفع

و أما كيفية عمارته، فإنه أتى رجلان من العسكر كل واحد منهما حامل على

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۶

ظهره برميلا ـ فيه خنشـة من البـارود، و وزنهما معا كما ذكروا ثمانيـة و سـتون كيلوا، و هى تعـدل قنطارا و سـتة و ثلاثين رطلا تقريبا، /۳۲۴/ و وضعوهما بين أيدى الطبجية قرب المدفع، ثم أتوا بكورته فى كدش و هى مستطيلة محددة الرأس، و رفعوها بالبوجى المتصل بكريطـة هـذا المـدفع، و أداروا البوجى عنـد رفعه لهـا حتى سـامت فم الخزنـة و دفعوها إليها حتى حلت محلها من الخزنـة، ثم ألحقوا بهاتينك الخنشتين من البارود، و سـدوا الخزنـة على الجميع بالكيفيـة السابقـة، و سـغنسوا أى تقبوا خنشة البارود من ثوب الخيش على الكيفية المعهودة، و ركبوا النيشان الذى يحققون به الإشارة التى يرمونها فى الجهة اليسرى من خزنة المدفع لا فوقه أو وسطه، و حققوا به مسامتـة الإشارة، و ركبوا فى الخبش حلقة النار التى بها يخرجون عمارته، بعد ما ركبت فيها قنبة طويلة، ثم تكلم واحد منهم بالبوق للإعلام بخروج هذا المدفع ليكون منه على بال من جهة الإشارة من الناس، و بعد ذلك أخرجوه، فكان له صوت مرهب لم أسمع مثله قط، و حسست بشىء يروم الخروج من أذنى و بقى بهما طنين كثير مدة من الزمان، و حريق مؤلم كما تتألم العين بالفلفل، و سبب هذا أنى كنت عن يمين المـدفع مسامت لفمه، و بانتشار صوت المدفع لتلك الجهة أصابنى ما أصابنى و الحمد لله على السـلامة، و أما من كـان وراء هـذا المـدفع بعيـدا عنه أو قريبا فإنما تعجب من ذلك الصوت الهائل و تشـكى بأذنيه أيضا، و قالوا إن هـذه الكورة أصابت رأس اللوحـة التى كانت منصوبة إشارة، لكنى لم أر أثرا لذلك لأن بينهما و بين المدفع اثنتا عشـرة مائة متر، و كانوا أخرجوا عمارات بمدافع الجر الصـغيرة قبل هذا و رموا بها ألواحا أخرى منصوبة، و قالوا إنها كانت تصيبها تلك الكنبرة، و الذى كنت أشاهده أن تلك الكنبرة عند وصولها للوحة الإشارة تتفرقع هناك، لأنها مملوءة بالخفيف المصـنوع من روح التوتية كما قيل، أو منهما معا، فحين رأونا وقع لنا الشك فيما يقولونه من إصابة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۷

الإشارة، طلبوا منا الانتقال إلى قرب/ ۳۲۵/ الألواح المنصوبة إشارة لنرى إصابتها معاينة، و أتوا بالأكداش فركبنا حتى وصـلنا إلى قربها و نزلنا و وصـلنا إلى تلك الألواح المنصوبـة، و هى متفرقـة فى مواضع متعددة، و طول كل لوحة نحو ثمانية ذروع و عرضـها نحو سـتة ذروع و غلظهـا أزيـد من بلكاطـة، و هى كهيئـة الدفـة و كـل لوحـة بكل طرف من أعلاها خشـبتان نازلتان منه إلى الأرض لتنفـد منها الكونبرة، و تبقى واقفة أى اللوحة، و رأينا فى اللوحة الأولى فورمة ثمان كونبرات كأنها نزعت منها بالبريمة، فالفورمات المتباعدة على هـذه الكيفيـة و المتقاربـة تكسـر العود الـذى بينها، لأجل المقاربة و منها فورمة واحدة على رأس السواد الذى فى وسط اللوحة، و فيها تقب عديـدة بالخفيف الـذى رمته الكونبرات التى كانت تتفرقع هناك، و منه الـذى لا زال مغروسا فى جرم اللوحـة، و هذا الأثر الذى فى هذه اللوحة هو ضـرب مدافع الجر، ثم سـرنا إلى اللوحة التى رموها بالمدفع الكبير، فرأينا كونبرة الضـربة الأولى خرقت وسـطها، و الضـربة الثانيـة أخـذت طرفا من أعلاها، فحين وقفنا على ذلك و شاهـدناه معاينـة، تأخر بنا ما كان معنا من النصارى و ترجمانهم عن

تلك الألواح، و كانوا قد نصبوا السلك من المحل الذى فيه المدافع إلى محل الإشارة، فتكلم أصحاب السلك بمحضرنا الذين بمحل الإشارة مع الآخرين و أعلموهم بأن الباشدور و أصحابه قد رأوا ذلك و تأخروا، فعند ذلك تكلم الآخرون بالبوق و أجابوهم الذين معنا يعلمون بذلك بعزم خروج المدفع، ثم رأينا دخان الخبش قد صعد و شاهدنا أثره تلك الكونبرة العظيمة قاصدة تلك اللوحة كأنها قربة ماء، و أصابت تلك اللوحة و رحلت بها و طارت، و لها صوت بين الجبال كالصاعقة، و نزلت بحجر جبل و ارتفعت منه غبراء كثيرة/ ۳۲۶/ فتقدمنا إلى تلك اللوحة التى سقطت، فرأينا الضربة فى السواد الذى فى وسطها.

هيئة السواد الذى فى وسط لوحة الإشارة

و أما هذا السواد الذى فى وسطها، فهو شكل مربع غير مستطيل بل متساوى الأضلاع و لعله- و الله أعلم- يمكن أن يكون هذا المربع محيطا بدائرة خزنة المدفع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۸

الكبير، هكذا ترجم عندى، و دليله الخط المفتوح على رق الشعرة الذى فى وسط النيشان الذى يركبونه عن يسار خزنة المدفع، إذا توهم نزول هذا الخط المفتوح إلى الأرض، يكون مماسا لدائرة خزنة المدفع عمودا على الخط الخارج من نقطة التماس المار بمركز دائرة الخزنة، و حيث يكون النيشان مركبا على هذه الكيفية، فالناظر فى الخط المفتوح فى النيشان حالة تحقيق مسامته للإشارة، بحيث يكون تحريك الكريطة و دورانها يمينا أو يسارا، إنما ذلك لعدم انطباق الشعاع الخارج من بصره النافذ من الخط المفتوح فى النيشان على الضلع الأيسر من المربع الذى فى وسط لوحة الإشارة المصبوغ بالسواد، و لا يكون يطلب إلا مسامتتهما لأنه لو كان يطلب غير مسامتتهما لكان إما أن يطب وقوع خط النيشان على السواد أو خارجه، و فى ذلك من الخلل ما لا يخفى، و أيضا فعند مسامتة الخطين مسامتة حقيقية و انتصاب المدفع انتصابا لا- ميل له إلى جهتى الارتفاع و الانخفاظ، يكون قطب دائرة فورمة المدفع مسامتا لقطب الدائرة المتوهمة فى سواد لوحة الإشارة، المماسة لأضلاع مربعة، لأنه لا يمكن مسامتة قطبى الدائرتين المذكورتين إلا بمسامتة خط النيشان لخط الضلع المقابل له من أضلاع مربع السواد المذكور و الله أعلم. هذا ما ظهر لى فى ذلك و العلم لله، و لم يتقدم لى عمل مع الطبجية فى علم رمايتهم، لكن كان منهم من ينتمى إلى، و يأخذ عنى قواعد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۷۹

حسابية يستعين بها على خطته، فكان ينتفع بها/ ۳۲۷/ لكنهم سامحنا الله و إياهم، يبخلون عن متعلميهم بكشف دسائس الرماية، و إظهار علل أعمالهم، «و لو صدقوا الله لكان خيرا لهم» . و قد خرجنا عن الموضوع و لكن للحديث شجون، و ليس ذلك بممنوع، رجع اللوحة التى سقطت عند نفود الكنبرة فى سواد وسطها، كانت منصوبة وسطا و عن يمينها لوحة و عن يسارها أخرى، كل منهما مثل الوسطى طولا و عرضا، و هما غير متصلتين بالوسطى بل بينها و بين كل واحدة من اللوحتين نحو نصف أصبع، و الوسطى ليس لها خشبتان من ورائها بخلاف الأخريين، فلذلك حين أصابتها الكونبرة رحلت بها بتمامها، و بقيت اللوحتان الأخريان فى مكانهما، ثم انتقلنا إلى ألواح آخر منصوبة إشارة أيضا قريبة من الألواح الأخر لكن جعلوها على كيفية صفوف العسكر، بحيث نصبوا ألواحا متصلة بعضها ببعض فى صف واحد وراء ألواح أخر مثلها فى صف آخر، ثم ألواح أخر جعلوها كالصف الثالث و طول الصف نحو ثلاثين خطوة، و صاروا يضربون هذه الصفوف بالكونبرات بمدافع الجر.

فضربوها أولا- بأربع كونبرات واحدة إثر أخرى بينهما مقدار قراءة سورة الإخلاص مرة واحدة، ثم ضربوها أيضا بأربع أخرى ثم كذلك مرة ثالثة و رابعة و خامسة، و فى كل مرة يكون تتاريع الكونبرات أقل مدة من تتابعها فى المرة قبلها، و غالب هذه الكونبرات كان يتفرقع بين صفوف تلك الألواح و الناذر منها كان يتفرقع بقربها أو بعد مجاوزتها بقريب، و فى المرة الأخيرة أخرجوا المدافع كلها فى لحظة واحدة فتفرقعت كونبراتها بين الصفوف كخروج الحاضرون، ثم تقدما إلى تلك الألواح التى كانوا يضربونها،

فوجدناها كالغرابيل من/ ۳۲۸/ شدة نفود خفيف الكونبرات فيها، و بعضه لم ينفد و بقى مدفونا فى وسطها، و هذه الألواح مدعمة بالخشب من وراء فبذلك لم تسقط، فتعجبنا من ذلك غاية العجب، و ذكر الترجمان إذ ذاك أن بعض العسكر الذين كانوا معنا يقولون عند رؤيتهم نفود الخفيف فى تلك الألواح، هكذا تكون ذوات بعضهم عند الحرب، و العجب الكبير إنما هو من إصابة الكونبرة الكبرى بالمدفع

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۰

الكبير السواد الذى فى وسط لوحة إشارته، مع البعد الذى بينهما، و هو ثنتا عشرة مائة متر، أزيد من ميل واحد بكثير.

ثم رجعنا إلى الطبجية و شكر الباشدور حسن رمايتهم و شدة إتقان قواعدها فتأدبوا معه أدبا كبيرا، و قالوا قد أسعدهم الله به و بقدومه لهذا المحل و حضوره لتجربة الرمى بذلك المدفع الكبير، و قد سخر الله لهم فيه بسببه، هكذا ذكر ترجمانهم عنهم فأجابهم بما يقتضيه الحال و ودعوه متأدبين مع سيادته، ثم رجعنا فى الأكداش و فى بابور البر إلى طورين، بعدما دخلنا لأوطيل فى الطريق كان خرج إليه الطباخ و خدام آخر يهيئان لنا فيه الغداء، و تغدينا هناك، و ذلك المدفع الكبير ذكروا أن كورته وزنها ثلاثمائة كيلو و خمسون كيلو، و هى تعدل سبعة قناطير إلا نزرا يسيرا، و أنها تخرق بوردول المركب من الحديد، إذا كان فى عرضه أن البوردول تسع بلقاضات، و لو كان فى مراسى مولانا السعيدة منها شىء فى أبراجها، لكان ذلك من الاستعداد بالقوة الظاهرة فى الوقت بحسب الاستطاعة، لا بحسب العناد بحيث تكون العدة التى عندنا مماثلة للعدة التى عند النصارى كيفية و عددا، لأن فى ذلك حرجا و مشقة، و المولى جل علاه سلك بهذه الأمة المحمدية/ ۳۲۹/ مسلك اللطف و الفرج . فقال عز و جل وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و إنما أمرنا سبحانه بالاستعداد بحسب الاستطاعة، فقال تعالى وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ و لم يقل مثل استعدادهم لطفا بهذه الأمة و رحمة بها، فله الحمد على هذه المنن الواقية و الألطاف الخافية أدى الله عنا شكرها بفضله آمين، آمين، آمين.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۱

الخروج لفابريكات الحرير بطورين

و فى يوم الأربعاء التاسع منه، توجهنا فى الأكداش لفابريكات الحرير، فدخلنا أولا لدار يبيعون فيها الحرير شعرة خام، لكن رقة شعرته أظن مقدار ست شعرات منها إذا فتلت تكون كرقة شعرة الإنسان، و هو يميل للبياض قد رأيت مثله فى مدينة من مدن غربنا، و كل مدجة منه عليها ميزانها و طول شعرتها و هم يزنونه بميزان الرمانة ، و غاية ما يزن بهذا الميزان مائتى كيلو، فحين رأونا نتأمل ذلك الميزان أخذوا خمسة اكرام و هو من الصروف الرقيقة عندهم، يقال أن الأوقية فيها مائة و خمسون من الأكرام، وضعوا تلك الأكرام الخمسة فى طرف العمود الذى يضعون فيه السلع عند وزنها، و فى طرفه الآخر موزى يمر رأسه بدائرة رسم فيها عدة الاكرام لتحقيق الوزن عند وقوف صرف الوزن الكبير بين شرطتين من خطوط العمود، و لم يدر نسبته القدر الزائد الذى وقف فيه الصرف خارجا عن الخط، فهذا الأكرام يبينه تحقيقا، و عند وضع تلك الأكرام الخمسة فى طرف العمود صار ذلك الموزى يدور حتى وقف فى رقم خمسة، علامة وزن ذلك الصرف الصغير الذى وضع فى طرف العمود، و هذا الحرير لا يبيعون شيئا منه يبيسونه بالنار اللطيفة، و كيفية يبسه أنهم صنعوا صناديق من ورقة النحاس و جعلوا تحتها نارا لطيفة ينصبون/ ۳۳۰/ فوق كل صندوق ميزانا له عمود يجعلون بأحد طرفيه خيطا يربطون فيه مدجة من الحرير، و يرسلونها إلى الصندوق من فرجة فى وجهه، و فى الطرف الآخر من العمود صرف فيه وزن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۲

تلك المدجة من الحرير، فإذا مرت عليه مثلا ساعة واحدة و هو مرسل بداخل الصندوق يعرفون كم نقص بسبب يبسه، و إذا مرت عليه ساعتان زاد النقص، و يجعلون لكل عينة من الحرير ثمنا على حسب طول مكثه فى ذلك الصندوق، ثم وجدنا نساء مشتغلات

بتحويل الحرير و يجعلونه مدجات متساوية، و شعرات الحرير حين تمر من الناعورة الكبرى إلى النواعير الأخر، تمر على قضبان رقاق من البلار معكوفة الرؤوس كهيئة رأس البريمة الصغيرة، و بقرب الناعورة مجانة تخبر بقدر طول الخيط من الحرير الذى مر عند التدوير، فإذا مر منه طول أربعمائة متر و خمسين مترا، تقطع الخيط وحده فتزال تلك المدجة و تستأنف أخرى، و هكذا و الغرض منه ليكون النساج على بال من طول شعرات المدجات كما قيل، ثم أوقفونا على ميزان يعرفون به قوة الحرير و صحته، و ذلك أنهم يأخذون شعرة منه طولها نحو ربع ذراع، و تمسك فى لوحة من حديد و يجعلون فى طرفيها ثقالة و يديرون ناعورة صغيرة، فتأخذ تلك الشعرة تمتد إلى أسفر و تطول حتى تتقطع، فعند ذلك ينظرون الدرجة التى تقطعت فيها، و منها يعرفون قوة ذلك النوع من الحرير/ ۳۳۱/.

ثم توجهوا بنا إلى دار فابريكة نسج الحرير، فوجدناها على الهيئة التى ذكرناها فى مدينة ليون، و فيها من ألوان الكمخة عينات شتى، منها ما فى عرضها أزيد من قالتين، و كذلك من أنواع المشجر منه ما هو من لون واحد و منه ما هو من ألوان.

ثم دخلوا بنا إلى دار يبيعون فيها الثياب المنسوجة من الحرير، و صاروا يفتحون الشقق و الأطراف الميشطرات و ينشرونها أمامنا، فقيل لهم إننا لم نأت بقصد التجارة لكن دخلنا إلى هذه الدار بقصد رؤيتها فلا تتعبوا أنفسكم، فقالوا أنهم فرحوا بدخولنا لدارهم و من حقهم و اعتنائهم أن يبينوا لنا جميع العينات التى عندهم. ثم يطوى ذلك و يرد لمحله فكانت تلك العينات لا تكاد تحصى، لكنها من الحرير فقط، أو حرير أو قطن لا شىء فيها من الصقلى.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۳

الدخول لميلان

و عند الغروب من هذا اليوم، خرجنا من طورين و ركبنا فى البابور، ذو خرج عامل البلد لوداعنا مع جماعة من أعيانهمذ، قاصدين مدينة ميلان، فقطعنا الليل كله سفرا و وصلنا إليها فى الساعة الثامنة نهارا، من يوم الخميس عاشر شعبان و أنزلونا بأوطيل من الأماكن المعتبرة فى هذه البلدة، فوجدنا الفرش منصوبة، لكل فراش يخصه فى محله، و فيه ما يحتاج إليه من الضروريات مثل الماريو لوضع حوائجه، و طبلة الكتابة و شواليها و المرايا العظيمة، و أوانى الماء و الزيوف النقية، و وجدنا موائد الفطور منصوبة/ ۳۳۲/ مهيئة على العادة، و بعد ما تناولنا من تلك الأطعمة ما دعت الحاجة إليه، أتوا بالأكداش و طلبوا منا الخروج و الركوب فيها،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۴

فساعدناهم فمررنا على كنيسة عظيمة ، ما رأينا مثلها فى الكبر و لطافة البنيان و النقش البديع و الشكل الرفيع و القبب اللطيفة المحيطة بها، و التى فى وسطها، و يقال إنه ليس فى بلاد الروم مثل هذه الكنيسة، فى الرقة و اللطافة، و كذلك الديار التى تبنى بها الآن فهى أفضل و ألطف حتى من بناء دیار باريس، و قيل إنه يحيط بها وادى عظيم و هو يشقها طولا و عرضا بمواضع متعددة، و فيه فلك كبيرة ينقلون فيها بعض الأمتعة من مكان إلى مكان، فإذا كان الفلك مارا مساعدا لجريان الماء، فيكتفى بدفع الماء للفلك، و عند الرجوع يربطون الحبال فيها، و يعلقونها فى أشراك الخيل فتجرها فى الشاطئ.

فابريكات الفخار

ثم توجهوا بنا إلى دار فابريكة صنع الفخار ، فحين دخلنا إليها وجدنا الحجر

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۵

موضوعا صلبا كأنه رخام، يفرشونه و تدور عليه الأرحاء على حرفها فتسحق ذلك الحجر سحقا حتى يصير غبراء، ثم يجعلونه فى براميل مصفوفة عندهم فى خزين آخر، و يجعلون فيها الماء، و فى وسط كل برميل خشبة من حديد رأسها الذى فى البرميل فيه

ريشات حديد، و الرأس الآخر صاعد إلى قناطير منصوبة أسفل السقف طولا و عرضا،/ ۳۳۳/ و رؤوس الخشب من الحديد المذكور، كلها مسمرة فى تلك القناطير و هى أى القناطير بسبب اتصال بعضها ببعض، صارت كذات واحدة و المكينة تديرها دورانا رحويا، و بسببه تدور رؤوس الحديد ذات الأرياش التى فى داخل البراميل، و بذلك يتحرك الماء و التراب الذى فيها حتى ينحل ذلك التراب و يلين، ثم تقدموا بنا إلى محل آخر وجدنا فيه مثال سارى مجعوبة منصوبة على الأرض، و فى أحد طرفيها فرجة مواجهة إلى نحو السقف، و أتوا بالطين المعجون و رموه فى باطن تلك السارية من تلك الفرجة فصعد من باطن السارية قطع من الحديد، و صارت تجدب ذلك الطين المعجون و تدكه فى باطن السارية إلى الطرف الآخر، و فيه فرجة أخرى يخرج منها ذلك الطين عند دكه و يتصاعد، فيفصلونه بخيط قطعا قطعا و يرمونها فى الفرجة الأخرى، فتدكه المكينة ثانيا و ثالثا، و هلم جرا، هذه هيئة عجن الطين عندهم، فإذا تم عجنه و طاب يرفعونه إلى المتعلمين فيعجنون شيئا يسيرا على الهيأة المعهودة فى غربنا، ثم يناولونه للمعلمين فوجدناهم يصنعون منه طباسى كبيرة إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۶

و صغيرة، و طباسى كؤوس الأتاى على نواعير يديرونها بأيديهم، و منهم من يديرها بأرجلهم على الكيفية المعروفة إلى غير ذلك من الكيفيات، و وجدنا أناسا آخرين يصنعون الغراريف الكبيرة التى يكون فمها منعطفا إلى أسفل، و لها قوالب لكل واحد قالبان قد حفر فيهما نصف/ ۳۳۴/ الغراف بنصف فيه، و كيفيته ذلك أنهم يأخذون قطعة من الطين و يبسطونها حتى تصير كالرغيف الكبير، و يأتون بنصف القالب و يرمون فيه يسيرا من غبرة كالرماد، و يجعلون فيه ذلك الطين المذكور، و يلصقونه بداخله و بسائر جوانبه و بفمه ثم يدلكونه حتى يصير مستويا، و يفعلون بنصف القالب الآخر مثل ذلك، يم يؤلفون القالب و يجمعونه نصفا لنصف و يشدونه شدا محكما، هذا ما رأينا من صنعة هذه الغراريف.

كيفية تزويق الفخار

ثم أتوا بنا إلى محل آخر، وجدنا فيه نساء كثيرات مشتغلات بتزويق الطباسى التى خرجت من النار، و كيفية ذلك أن النقش و التزويق الذى يكون فى الطباسى، من لون واحد يكون منقوشا عندهم فى لوحة من حديد، و يجعلون عليها طلاء من اللون المراد، ثم ينشرون فوقها ورقة كاغد لطيفة ألطف من العنكبوت، و لهم ناعورة فيها لولبان كبيران، قد لف عليهما بل على كل واحد منهما بحدته لبدة الصوف، و يجعلون تلك اللوحة بورقتها بين اللولبين، و يديرونهما باليد المعدة لذلك، فتمر الورقة من الحديد من بينهما فيضعونها فوق صندوق من حديد، فى داخله نار لينة و بوضعها عليه يأخذ أحدهم طرفى ورقة الكاغد، و يرفعها بلطافة من ورقة الحديد فتنفصل عنها و قد رقم فيها ذلك التوريق الذى فى لوحة الحديد، و لا يتمزق شىء منها مع شدة لطافتها و لعله بواسطة النار التى فى داخل ذلك الصندوق/ ۳۳۵/ ثم يدفعه لبنت صغيرة، فتأخذ القدر الزائد من الورقة بمقراض، و تدفعها لأخرى فتبسطها على الطبسيل و تدلكها بقطعة من عود حتى تنبسط كلها، ثم تضع هذا الطبسيل على يمينها حتى تزيد عليه نحو أربعة أو خمسة، فعند ذلك تأتى متعلمة أخرى، و ترفع تلك الطباسى و توصلها إلى امرأة أخرى، و تضعها فى كوب عن يمينها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۷

فيه ماء، و تأخذ واحدا بعد واحد و تزيل منه الكاغد بشطابة، فيزول الكاغد و يبقى التوريق بحاله لاصقا فى الطبسيل، ثم تجمع هذه الطباسى و يوتى بها إلى آخرين فيرسبونها فى كوب فيه ماء أحمر، و لعلهم يردونها بعد ذلك إلى بيت النار، و ذلك لتزليجها و به يزيد ضياؤها و لمعانها، و أما الأوانى التى تكون فيها ألوان كثيرة فبعدما يفرغون من اللون المفرد الغالب، و يبقى فيها مواضع الألوان يتولى أناس أخر وضع تلك الألوان فى الأوانى بشطيطبات صغيرة على عادة الزواقة، هكذا شاهدنا بعضهم يزوق بعض الأوانى، و الألوان بين يديه، ثم مروا بنا على فرينتى بيتى النار التى يطبخون فيها الأوانى، فوجدناهم يخرجونها من إحداهما فى أحكاك من فخار، كل حك يرصفون فيه أوانى قدر ما يسع، و يجعلون عليه غطاء على قدره من الفخار كشقفة مبسوطة، و هم يخرجونها حكا بعد

حک، ثم صعدوا بنا إلى طبقة هذه الدار، فوجدونا فيها عينات من الأوانى التى لا تكاد تحصى، منها الأبيض الذى لا تزويق فيه، و منه ما فيه لون واحد أسود منه ما فيه ألوان و هو قليل، و وجدنا على مائدة آنية كبيرة كهيئة الجلاسية، و تزويقه كتزويق أوانى الطاووس، فقالوا أنها من عمل تلك الدار ثم خرجنا منها بعدما شكر الباشذور عملهم و استعظمه لهم، فسروا بذلك غاية السرور و رجعنا إلى محل النزول، فبتنا فى هذه المدينة ذلك اليوم .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۸

التوجه إلى جنوة

و فى يوم الجمعة بعد صلاة ظهرها فى الساعة الثانية عدا ثلاث عشرة دقيقة و هو الحادى عشر من شعبان سافر بنا بابور البر من ميلان إلى جنوة بعد ما خرج عامل البلد و الأعيان للوداع على العادة، و كثر وقوفه فى الطريق فى مدن لأجل الوضع و الحمل على عادته، و أحصيت عدة وقوفه فكان تسع عشرة مرة و جمعت مدد الوقوف بعضها ببعض فكانت ساعتين غير دقيقتين، و كان وصولنا إلى جنوة فى الساعة التاسعة من ليلة الأحد بل السبت الثانى عشر منه فمدة سيرة البابور على هذا خمس سوائع و ربع.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۸۹

ناذرة من نواذر الزمان ترشد إلى اتخاذ الحذر فى بلاد الأمان

و ذلك أننا لما رجعنا إلى مدينة طورين فى يوم الجمعة الرابع شعبان ، و بنفس وصولنا و وصول صناديق حوائجنا إلى محل النزول، أذن الأمين الحازم الضابط الطالب السيد بناصر غنام أحد الخدمة بفتح الصندوق الذى فيه مال المخزن، و ذلك من حزنه كما هو دأبه مهما غاب عنه هنيئة ما يرجع و يفتحه ليطمئن خاطره،/ ۳۳۷/ فحين أزال الخدام الذى كان شده، القنبة التى كانت مشدودة عليه، و رام الأمين فتح قفله بمفتاحه وجد القفل مفتوحا، فرفع غطاءه و بحث عن الخنشة التى كانت فيه فلم يجد إلا محلها فى وسطه فارغا، فطار لبه و اضطرب قلبه و اعترته ألوان و تقصلت منه الشفتان، فقلت هذا العارض الذى غيرك و أى شىء حدث فحيرك، فقال:

فقدت خنشة من المال على التمام و الكمال، فيها ألف لويز و ضرب اليمين بالشمال، فتكدرنا لذلك غاية الكدر مع أنه لم يكن منه تقصير فى الحزم و الحذر، و من العجب أنه كان بهذا الصندوق خنشة أخرى على وجهه مفتوحة فيها تسعون لويزا، فوجدها بمحلها، و التى كان مدفونة فى وسطه لا زالت على شدها هى التى فقدها، و كانت العادة مهما عزمنا على الخروج من بلد لأخرى، يأتى نائب المخزن و تسلم إليه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۰

الصناديق و سائر الحوائج و لا يبقى لنا التفاة إليها، و يتولى حراستها و حفظها حتى يدفعها لأمناء سكة البابور، فيتولون حراستها حتى يأتوا بها إلى محل النزول فى البلد التى ننزل بها، ثم إن الأمين تكلم مع الخدام الذى كان شد ذلك الصندوق بتلك القنبة. ثم كيف وجده، هل على شده كما شده بيده أو تغير شده، فقال: لا وجدته على شدة كما شددته بيدى، فقال: لا بد من تقليب حوائجكم ظنا منه أن النصارى لا يمدون اليد لمثل ذلك، فقال: سمعا و طاعة، و قلب بمحضر مقيده/ ۳۳۸/ حوائج الجماعة فلم يجد لذلك أثرا و لا وقف له على خبر، ثم أخبر بذلك الباشدور فقال: أعد البحث فى الصندوق الكبير، ففتحه و أخذ يضع منه الحوائج التى فيه على الأرض، فدخل ترجمان دولة الطليان علينا و نحن فى تلك الحالة، فهاله ما رأى و سأل عن الأمر المهم و الخطب الملم، فقال له الباشدور: حدث لنا أمر غريب و شىء عجيب لكن لم يكن فى ظنى أننا نخبرك به، و لكن حيث قدمت علينا بغتة و عثرت على هذه الفلتة، فلا بأس بإخبارك بما وقع فأخبره الخبر من أوله إلى آخره، و قال له إنى لا أشك فى أحد و لا أتهم أحدا و لا أشكوا لأحد بشىء، و الخلف على الله سبحانه، فقال الترجمان: اتركوا ذلك الصندوق مفتوحا على حاله، و خرج غاضبا، فلم يكن إلا يسير و إذا به

أتى و معه رجلان ، أحدهما قيل من عدولهم و الآخر من خاصة عامل البلد، فرأوا ذلك الصندوق و قلبوه و تكلم معهم الباشدور بم تكلم به مع الترجمان المذكور، فانصرفوا و قال الترجمان ما مضمنه، لا تخافوا و لا تحزنوا بل ابشروا و بشروا فسيقبض السارق و لو كان يطير كالبارق، ثم تبعهم و بقينا متكدرين محزونين متغيرين، فغاب عنا الباشدور هنيئة من الزمان، و رجع متهللا كأنه ما به فزع، و قال: ما بالكم قد أسرفتم فى الكدر دعها سماوية تجرى على قدر، فسيظهر الفرج و يجعل الله من هذا الضيق المخرج، فإن باطنى قد سكن و عادته إذا سكن

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۱

/ ۳۳۹/ باطنى من أمر مهم تكون عاقبته محمودة، و استقرأت ذلك من أحوالى مرارا، و حتى أنه إذا لم يظهر هذا المال فما يفيد الحزن و الكدر، فالمصيبة فى المال نعمة عظيمة بالنسبة للمصيبة فى الأبدان، ففرج عنا بعض الفرج، ثم إنى خرجت قاصدا محل الوضوء بعد أذان الظهر، فصادفت يهوديا كان خرج من طنجة ترجمانا أيضا، فأخبرنى أنه ورد الخبر فى السلك بقبض واحد من السراق فى مدينة مضان، و بيده بعض المال ما يزيد على ثلاثمائة لويز، و أقر بسرقته و أن معه رجلين آخرين، و هم أمناء البابور الذين كانوا يحرسون صناديق الباشدور ليلة السفر، و كانت مرت تلك الليلة كلها مطرا و رعدا و برقا، و أنهم جادون فى البحث عن الرجلين الآخرين، فأدخل على سرورا عظيما، و رجعت إلى الباشدور و الأمين فأخبرتهما بذلك، فقال لو كان هذا الخبر حقا لأخبر به ترجمان الدولة، إذ هو الذى طاف برجله على ثلاثين دارا من ديار السلك، و وقف على ذلك حتى انتشر الخبر فى جميع المواضع، و أخبر بانتصاب العيون و الجواسيس على هؤلاء السراق، و لكن نرجو الله أن يحقق ذلك، ثم توضأت و صليت ظهر الجمعة، و سألت الله تعالى بإضطرار كبير أن يكشف عنا ما نحن فيه، ثم إن ترجمان الدولة لم يرجع إلى الباشدور حتى فاتت المغرب، و عند دخوله بشره بظهور المال و قبض أحد السراق كما أخبر ذلك اليهودى، و قال: فى الغد بحول الله يظهر الباقى/ ۳۴۰/ إن شاء الله، و فى صباح يوم البت الخامس منه ، شاع الخبر بقبض الثانى من السراق فى محل لم أثبت عليه، فحين طلعوا عليه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۲

لقبضه تردى و رمى بنفسه على رأسه من كوة إلى الأرض، ثم أقر الثالث الذى كان معهم و عرف به و مات بعد ذلك، و فى وقت الضحى ورد الترجمان و أخبر الباشدور بهذا الخبر، و إن جملة ما وجد عند هذا الثانى خمسمائة لويز و زيادة، و مجموع هذا مع ما وجد عند الأول ثمانمائة لويز و ثمانية و ستون لويزا، و بقى لتمام الألف مائة لويز و اثنان و ثلاثون، فأجابه الباشدور بقوله: لا أقبل منكم شيئا من هذا حتى تأتوا بالخنشة التى كان فيها المال، فإن ظهرها مرقوم فيه عدد ما كان فيها من اللويز و وزنه بخط نائب مولانا بطنجة، فقال: سيبحثون عنها و تأتى بحول الله، ثم بعد ذلك قبضوا الثالث الذى كان أقر به الآخران، فأنكر فسجنوه و بحثوا فى داره غاية البحث، فوجدوا العدد الباقى من اللويز قد أخفاه مع كواغد أخر فى جعبة الدخان، و بعد ظهور هذا الحق و وضوحه و إقرار ما أقر من السراق، أتى وكيل المخزن و وكيل السراق و عدل واحد، و سمعوا من الأمين المذكور دعواه و قيدوا جميع ما سمعوه منه، و سألوه عن اسمه و نسبه و بلده و سنه، و هل هو متزوج أو لا، و هل له أولاد، و طلبوا منه رؤية الصندوق الذى كان فيه المال، فأخذوا قياس طوله/ ۳۴۱/ و عرضه و ذهبوا و طلبوا من الترجمان أن يحلف يمينا على أن الباشدور سرق له الألف لويز، فقلنا له ما معنى هذا بعد إقرار بعض السراق و وجود العدد المسروق بتمامه دون زيادة و لا نقص، فقال: إنهم يقولون ربما يكون من أقر خرج عقله و أنه لا بد له من الحلف برومة- و الله أعلم، ثم تحير هذا الترجمان من قول الباشدور: لا أقبل الدراهم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۳

إلا إذا حضرت الخنشة ، و من طلبه بالحلف و هو نعم الرجل ذو أخلاق حسنة يحسن اللغة العربية نطقا و كتابة و التركية و غيرها من لغات الروم، و هو القونصو عند هذا الجنس بحلب، و أتى منها عند إذن عظيم دولتهم للقاء الباشدور فى الحدادة فى مدينة مضان كما تقدم، ثم إنه ذهب إلى السجن و سأل المسجونين عن الخنشة التى كان فيها المال، فقالا حين اقتسموه ألقوها فى الوادى ليلا يعثر

عليها، و بعد ذلك أتوا بالعدد الذى كان عند الأولين، و دفعاه للباشدور و تأخر دفع الباقى بعد ذلك بنحو أربعة أيام، حتى قيدوا الدعوة فى الكنانيش على وجهها و كيفية فصلها، بعد ذلك أتوا بتلك البقية و دفعوها، و حازوا خط يد الأمين برد الألف لويز له على التمام و الكمال، و حين كنا دخلنا السجن بطورين تلاقينا مع الحباسة ، و وجدنا لهم عدة كنانيش فى خزائن فى ذلك المحل، ففتحوا كناشا و وجدنا فى وسطه تقييد المسجونين فى أى يوم دخلا للسجن، و سبب سجنهما، و سن أحدهما ست و ثلاثون سنة و الآخر نيف و أربعون سنة./ ۳۴۴/ .

... فى تلك المدة حتى يئس من الدراهم التى كان أعطاها له، و تيقن أنه أفسدها، و بعد ذلك قدم عليه لمصر، و دفع له دراهمه بتمامها و أضعافها من واجبه فى ربحها، فامتنع من قبولها منه و تركه عنده فى حكاية يطول ذكرها على حسب ما ذكره لنا،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۴

و حين تأملت فى حاله و قضيته قلت فى ذلك من البحر الطويل.

تيقن بأن الله يعطى و يمنعو يخفض أحيانا و تارة يرفع

له الفضل و الإحسان فى كل حالةفسلم ففى التسليم فضل موسع

و كن واثقا بالله فى نيل رزقهو خل سبيل الحرص إذ ليس ينفع

و لا تترك الأسباب منك توكلاو باشر و لكن بالتى هىّ أرفع

و إن ضاف عنك الرزق يوما فى بلدةفدعها لعل الرزق عنك مخبع

و سارع إلى أخرى فلست ممجداو خيرها مصر طالبت فيه المزارع

تحل بوصف الصدق فى كل موطنصحتك فاقبل منى إن كنت تسمع

و إن فتحت أبواب الرزق تكرماعليك فكن للشكر دائما تفزع

زيارة مدينة بيلى

و فى يوم الأحد الثالث عشر منه ، توجهنا فى بابور البر إلى مدينة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۵

بيلى بجوار جنوة من جهة غربيها بينهما نحو ساعة غير ربع بمسير بابور البر و هناك جبال مشرفة على البحر، فلما وصلنا إليها طلع بنا القونصو، أى الترجمان الذى معنا إلى أوطيل، صعدنا إليه فى درج من الرخام طول كل درجة نحو أربعة أذرع، و أتى لنا بشىء من الفواكه و حلواء الثلج، ثم خرجنا منه إلى سطح مربع طوله/ ۳۴۵/ ستون خطوة و عرضه ثنتا عشرة خطوة، و هو مفرش بالرخام رخامة بيضاء و أخرى زرقاء و هكذا، و له دربوز من الرخام الأبيض محيط بجهاته الثلاث، له شراريف من الرخام مخروطة الشكل من الوسط خرطا فيه تعريج، و أطرافها مبسوطة و القناطير التى توضع على هذه الشراريف من الرخام طول كل قنطرة تسعة عشر شبرا بشبر مقيده، فوقفنا هناك هنيئة تارة مستشرفين على البحر، و تارة على الجبال المقابلة له و العراصى و البساتين التى بها و القبب المبنية فيها، ثم نزل الترجمان و طلب من الباشدور الدخول إلى إحدى تلك العراصى التى فى تلك الجبال القريبة إلينا، فساعده فمشينا راجلين فى طرق متسعة فتحت فى هذا الجبل، و غرس عن اليمين و اليسار أشجار كأشجار البلز متصاعدة مع الجبل بعضها فوق بعض، فانتهينا فى الطريق إلى قبة مربعة فى كل ربع نحو عشرة أذرع، فى كل ربع باب كبير دفتاه من الزاج المورق بالألوان، و أحاط بربعها نبحان فى كل واحد قوسان على سارية من الرخام، و قد نقشت هذه القبة و النبحان نقشا رقيقا لطيفا كنقش الجباصة بفاس، فسئل الترجمان عن هذه العرصة لمن هى، فقال: لتاجر من التجار، و أن هذه القبة بناها صاحب هذه العرصة اعتناء بملكة النامسة كانت دخلت لهذه العرصة، و جلست للاستراحة فى ذلك الموضع الذى بنيت فيه القبة و ذلك قبل بنائها، و بعد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۶

خروجها شرع ذلك التاجر فى بناء تلك/ ۳۴۶/ القبة احتراما لذلك الموضع و تعظيما له. ثم تقدم بنا إلى قبة أخرى شبيهة البناء بالأخرى، غير أنها مثمنة الشكل فى كل ثمن زاجة من الزاج الملون المورق، منها زاجة ذهبية تقابلها أخرى مثلها، و كان أصابها شعاع الشمس، فيكون الناظر فيهما معا يرى وراء الزاجة المقابلة كأنه يلتهب نارا، و على كل زاجة شبكة من السلك الرقيق مظفورة ظفرا عجيبا محافظة على الزاج، ثم ذهب بنا إلى جبل صنعوه باختيارهم و نصبوه على وفق مرادهم، فحين وصلنا إليه دخلنا فى مغارات فى وسطه واحدا إثر واحد، و الشمع موقود فى الطرق و سقف هذه المغارات و طرقها من الطين قريب من ررؤوسنا، و فيه طين بارز صغيرا و كبيرا كأنه كان يتقاطر منه الماء، و كل ذلك من مبانيهم و أعمال المهندسين منهم، يحكون بذلك كهوف بعض الجبال و مغاراتها و طرقها، فساروا بنا حتى وصلوا إلى طرق فى وسطه قد غمرها الماء، و فى هذا الماء فلكان صغيران فركب الباشدور و الترجمان فى فلك، و ركبنا نحن فى الآخر و المخازنية معنا، و أخذ أصحاب الفلكين يديرونهما بالمقاديف بين الطرق و المغارات، لأن الطرق ليست على سمت واحد بل تنعطف يمينا و يسارا، و هذا كله و نحن فى وسط هذا الجبل المصنوع، و هم يسيرون بنا فى وسطه على تلك الحالة حتى خرجوا بنا إلى بركة كبيرة من الماء راكض فيها لا يتحرك، و لم نر له مخرجا فنزلنا من الفلكين/ ۳۴۷/ إلى العرصة المذكورة، فدخل بنا إلى قبة صنعت من أعواد الشجر مستديرة الشكل، و قد غرس بأسفلها نبات كاللوابة ، فالتوت أوراقها على القبة بأجمعها، و سقفها على شكل البيضة، فدخلنا إليها فصار الماء يتقاطر علينا من القبة كالظل حتى ظن بعضنا أنه مطر مع أنه لم يكن سحاب ، و لم ينزل شىء من هذا الظل خارج هذه القبة، فتأملنا فيها فوجدناهم أجروا إليها الماء فى جعبات من الحديد قائمة مع القبة و متصاعدة فى سقفها، و فيها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۷

ثقب رقيق جدا، فإذا أرادوا إرسال الماء بداخل القبة بقصد الفرجة أرسلوه إليها من خارجها، ثم يصرفونه عنها باختيارهم، و لم يكن الباشدور بداخل القبة وقت إرسال الماء إليها، و لعله كان خارجا عنها ينظر من بعد، و فى هذه العرصة حياض فيها نوار على ألوان و أشكال، و فيها شجرة كشجر الرمان الصغير مثل قامة الإنسان، و لها أوراق خماسية كل ورقة من الورقات الخمس رقيقة مستطيلة محيطة بشق المنشار إذا ضرب الإنسان بأصبعه رأس إحدى ورقة من الورقات الخمس تلتوى كلها، و تنحدر إلى الأرض حتى تكاد تسقط من أصلها، ثم توضأنا وصلينا الظهرين هناك، و رجعنا فى الأكداش إلى جنوة، إلى محل النزول.

ملاقات رئيس الفركاطة

و كان أتى رئيس الفركاطة التى هيئت لسفرنا فيها إلى الباشدور، و تلاقى به مع كبرائها و أخبروه أنهم مأمورون بامتثال أمره، يسافرون فى البحر بنظره بحيث إذا أحب المرور على الجرنة أو غيرها،/ ۳۴۸/ من المدن يساعده و يقف هناك حتى يأمره بالسفر، فشكرهم على ذلك، و أخبر القونصوا أى الترجمان أنه لا بد من إقامتنا بجنوة إلى الأربعاء القابل، بقصد الاستراحة فأقمنا بها يوم الاثنين و يوم الثلاثاء منتصف شعبان المذكور.

الخروج من جنوة

و فى يوم الأربعاء السادس عشرة منه ، فى الساعة التاسعة منه، خرجنا من

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۸

جنوة و خرج لوداع الباشدور عامل البلد و كبراؤها، و تهيأ العسكر بشاطئ البحر مع أصحاب الموسيقى، و هيأوا أربعة من الفلك لركوبنا فيها إلى الفركاطة، و تبعتنا فلك عديدة فيها نصارى رجال و نساء بقصد الفرجة على عادتهم، و أخرجوا المدافع من أبراج

المدينة على حسب القانون فى ذلك، و عند طلوعنا إلى الفركاطة وجدنا الرئيس و كبراءها متهيئين للقاء، فتلقوا بفرح و سرور و أدب و برور، و حملوا ما فيه الكفاية من الفريشك الدجاج و الضأن و الخضر و الفواكه الموجودة فى الوقت.

مكينة صنع ماء الثلج

حتى من الثلج بقصد تبريد الماء. و المكينة التى يصنع بها الثلج فى نحو ربع ساعة، بحيث إذا تم ذلك الثلج تكون هذه المكينة مهيئة لصنعه، و طلبت من الرئيس ذات يوم الحضور لصنع هذه الثلج فى تلك المكينة، فساعدنى و أحضرنى إلى بيته فوجدت هذه المكينة، كهيئة زنبيل الأتاى المستدير الذى يسع نحو رطلين من الأتاى، و هو مبسوط الطرفين و له يدان بوسطه ينزلانه على وقافتين ناتئتين/ ۳۴۹/ من كرسيها الذى يوضع على الأرض أو على طبلة عند الخدمة بها، ثم نزع هذا الزنبيل و هو من العود و وضعه على الطبلة، و فتح فاه و أفرغ فيه كأسا من حجر الشب و كأسين من النشادير و كب عليهما الماء، و بوسط هذا الزنبيل حاجز بداخله، ثم سده سدا محكما و ركبه من يديه على تلك الوقافتين، و كان فى غطاء الزنبيل عروة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۳۹۹

بها يخدمه بحيث يقبضه منها، و يأخذ يجدبه إليه و يدفعه أمامه، و الشب مع النشادر ينحل كل منهما فى الماء بسبب حركة الخدمة، و بعدما مرت ربع ساعة مجانية فتح الزنبيل من الجهة الأخرى، و أفرغ منها ماء أصفر على لون الأتاى القاطع، و له رائحة كريهة، لأنى شممته قصدا فصعدت فى جعبتى أنفى رائحة كريهة و معها حرارة قوية، ثم أفرغ هذا الماء فى البحر، و فتح الجهة الأخرى ذات العروة، فإذا فيها ماء كأصفى ما يكون فأفرغ منه كأسا و ناولنيه فبقيت كالمتردد فى قبضه منه، فتبسم و شربه كله، ثم أفرغ آخر و دفعه إلى فشربته فوجدته كالماء الذى كنا نضع فيه الثلج فى البرودة، و ترددى فى شرب الأول لكونى استقدرته من ذلك الماء الذى خرج منه و قبح رائحته، و لم أدر هل ذلك صفى منه أو كان هناك على حالته قبل وضع الشب و النشادر و الماء فى الجهة الأخرى، و هذا كان بعد تمام الثلج الذى كان صحب معه فى البابور. من جهة الفريشك لكن حيث أنجر الكلام على الفريشك

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۰

و من جملته الثلج و مكينته ناسب ذكرها هنا و بسط ما شاهدته من خدمتها/ ۳۵۰/ و كيفيتها. و فى الساعة العاشرة من يوم الأربعاء المذكو، شرعت الفركاطة فى السير قاصدة سمت ثغر طنجة المحروسة بعناية الله، من غير تعريج لبلدة أخرى، حيث تبين للرئيس أن الباشدور ليس عنده غرض فى الجرنة و لا- فى غيرها، و ذلك بعدما استقر الباشدور فى المحل المنتخب من القامرة، و تعيين بقية بيوتها لأصحابه و لمن معه من المخازنية و الخدمة. لكل واحد بيت يخصه، ثم جدت فى السير من ذلك الوقت ليلا و نهارا، و نحن فى عافية و بسط من فضل الله و سعادة مولانا المنصور بالله.

الوصول إلى مدينة طنجة

إلى يوم الاثنين الواحد و العشرين من شعبان، و تبين أنه الثانى و العشرون منه، فأرست الفركاطة المذكورة بنا بمرسى طنجة فى الساعة العاشرة منه، فطلع منها إلى الباشدور التاجر الأخير الطالب السيد الحاج محمد باركاش لكونه أوجده الحال بها لغرض له هناك، و معه كاتب والده نائب مولانا المؤيد بالله الفقيه السيد الجلالى السلوى و غيرهما من الأعيان، فعند ذلك تهيأ كبراء البحرية و الرئيس و لبسوا ثيابهم الفاخرة المرصعة بالذهب، و على كل واحد نيشان مرتبته، و خرج الباشدور و ودعوه و ودعونا كذلك، و نزل الباشدور إلى الفلك الأول و تبعناه فى أثره، ثم تعلق أولائك البحرية فى درج قنانيب الفركاطة واحدا بعد واحد، و نزعوا شماريرهم و صاحوا صيحة واحدة بصوت واحد ثلاث مرات، و هم يشيرون بشماريرهم من رؤوسهم إلى أسفل،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۱

و ذلک منهم وداع خاص يفعلونه للخاصة و الأعيان من الدول./ ۳۵۱/ ثم التفت إليهم الباشدور أشار إليهم بيده للوداع على حسب عرفهم، و حيث قرب الباشدور إلى البر أخرجت المدافع القانونية من أبراج طنجة، و عند النزول بساحلها قرب المرسى وجدنا هناک نائب مولانا المذکور و خديمه القائد الجلالى بن حم، و الأمناء و أعيان البلد متهيئين للقاء الباشدور، فتلاقوا به هناک و نحن کذلک و طلعنا إلى محل النزول بدويرة رياض القصبة التى هناک، فنزلنا بها و حمدنا الله سبحانه حق حمده على ما أسدى إلينا من العافية و السلامة اللتين هما للعاقل غاية مطلبه و قصده، و سألناه من جوده و کرمه أن يختم لنا هذه السياحة المبارکة بالطلوع إلى حضرة مولانا الشريفة، و التمتع بالنظر إلى طلعته السعيدة المنيفة، بقصد أن نلتمس من سيادته أعزه الله صالح الدعاء، و جلب رضاه و زيارة الأولياء الأموات منهم و الأحياء، عسى ربنا سبحانه يکفر عنا بذلک ما اقترفناه من السيئات، و يستمر عنا بکرمه ما اجترمناه من الزلات و قبيح العترات، فإنه على ذلک قدير و بالإجابة جدير.

تمت الرحلة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۳

ملاحق

اشارة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۵

ملحق ۱ ترجمة للأعضاء المرافقين للرحالة فى السفارة

ترجمة الحاج محمد الزبيدى (۱۲۲۰ ه- ۱۳۰۲ ه)

«... ح محمد ابن الحاج الطاهر ابن أحمد الزبيدى الأندلسى الأصل الرباطى، کان رحمه الله من الوجهاء و أکابر الأمناء، ولد بالرباط عام ۱۲۲۰ ه و کان فى أوائل أمره يتعاطى التجارة و حج مرتين و ولاه مولاى عبد الرحمان عاملا على الرباط عام ۱۲۶۰ ه ...» و قد ذکر المؤرخ الناصرى تفاصيل الطريقة السلمية التى سلکها الزبيدى لإزاحة عامل الرباط الحاج محمد السوسى، و توحيد رأى أهل الرباط على تقديمه مکانه، و تصلبه فى موقفه حتى أرغم السلطان مولاى عبد الرحمان على تزکية تعيينه مؤقتا عاملا على الرباط بظهير شريف بتاريخ ۲۳ رمضان عام ۱۲۶۱ ه، و بعد ستة أشهر نزل السلطان بالرباط و قبض على الزبيدى و رفاقه و بعث بهم إلى فاس، فسجنوا بها ثم سرحوا بعد حين، و عفى عنهم و قربه إليه «... ثم أسند له بعد أمر المالية و الأشغال الخارجية التى ترد من النائب السلطانى بطنجة إلى الأعتاب الشريفة، و کان وجهه السلطان سيدى محمد لمباشرة قضية تطوان مع الإصبنيول ...

کنائب سلطانى بجانب محمد الخطيب بتاريخ ۱۴ ربيع الأول عام ۱۲۷۶ ه لتفادى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۶

قيام الحرب، و قد علق الزبيدى عن مهمته هذه فى کناشة توجد عند نجله الحاج أحمد الزبيدى.

يقول «و لما وصلت لطنجة وجدت سفير الإصبنيول رکب البحر فى مرکبه، و أن النائب محمد الخطيب قد سلم المطالب الأربعة التى کان يطلب الإصبنيول التى وجهنا سيدنا أيده الله لأجلها، و ظهر لى من المصلحة موافقة الخطيب عليها، ثم إن النائب الإصبنيولى بعد دخوله لطنجة أمر جميع من هو من جنسه مغادرة طنجة و الرکوب حالا- فى البحر، و أعلن الحرب من غير مفاوضة ... خلافا لبعض المؤرخين کالناصرى فى «الاستقصا»، و ابن زيدان فى «الإتحاف».

و قد تنبه الزبيدى أن الجيش المخزنى المتواجد بتطوان بقيادة مولاى العباس کان قليل العدد و العدة «... و قد أعلمت الوزير بعدد

العسكر الذى أنزل العدو بسبتة حسبما وصلنى تفاصيله من جبل طارق و قدره ستون ألفا، و طلب منه التعجيل بتوجيه عدد وافر من المقاتلين و استنفار القبائل و التعجيل ...» .

و بعد هزيمة حرب تطوان عين «... أمينا لاختيار الكنانيش و مراقبة الحسابات التى ترد الحضرة العالية من قبل أمناء المراسى ...» .

بعد تولية السلطان الحسن الأول الحكم عين الزبيدى على رأس مصلحة تقوم بتخليص القوائم الواردة من المراسى و غيرها و تسجيلها بالدفاتر المعدة لها فى إطار إصلاح هياكل الدولة المغربية، بعدها مباشرة اختاره سفيرا رغم كبر سنه لأربعة دول أوربية، و قدمه لعظماء هذه الدول «... و قد اخترناه من أحظى خدام داخلية عتبتنا العزيزة و كبراء حاشيتنا حيث اقتضت خدمته و نصيحته تمييزه لما عرف به من السبقية

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۷

فى الخدمة أيام سيدنا الجد و مولانا الوالد قدس الله روحيهما ...» . و بعد عودته من أوربا أسند إليه عدة مهام مخزنية كالإشراف على التشاور مع سفراء الدول لضرب الريال الحسنى، و استيراد الأسلحة و غير ذلك. كما سيرد بتفصيل فى الدراسة .

و ختم دينية الرباطى ترجمة الأمين أبو عبد الله الزبيدى فى كتابه «... و لما كبر سنه طلب من السلطان المذكور الإنعام عليه بالاستراحة. و إسناد وظيفته إلى ولده الطالب العربى، فولاه عند ذلك أمينا بمرسى الرباط عام ۱۳۰۲ ه، و ولى مكانه فى وظيفة المذكور ولده المذكور، توفى المترجم صبيحة يوم الجمعة ۱ ربيع النبوى عام ۱۳۰۴ ه و دفن بالعلو ...».

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۸

ملحق ۲ ترجمة أمين السفارة ابن ناصر (بناصر) ابن أحمد غنام (۱۲۶۲ ه، ۱۳۳۴ ه).

ولد بالرباط حوالى ۱۲۶۲ ه من أسرة منحدرة من قبيلة الغنانمة المغربية التى تمتد مواطنها ما بين سوس و إقليم التوات، و من يرجح أن يكون أصلها أندلسيا حسب رسوم عدلية، و والده أحمد تولى نظارة الأحباس بالرباط سنين طويلة، فلما توفى فى ذى الحجة عام ۱۲۹۰ ه، تولى ابنه محمد النظارة بدله و صار مترجمنا بناصر خليفة له، سرعان ما عينه السلطان الحسن الأول فى عام ۱۲۹۲ ه بتزكية من السفير الزبيدى عضوا برتبة أمين رفقة سفارته، ثم عينه أمينا للمال، ثم ترقى فى أوائل سنة ۱۳۰۰ ه إلى رتبة أمين الاختيار، و كانت تعنى مفتش المالية و فى سنة ۱۳۱۵ ه نقل أمينا لمرسى طنجة، ثم عين بدار النيابة سنة ۱۳۱۸ ه مستشارا للنائب السلطانى الحاج محمد بن العربى الطريس، و من أعماله هناك تفاوضه سنة ۱۳۱۸ م على ضرب الريال و كسوره بأنجلترا، و ذهابه سنة ۱۳۱۹ م فى سفارة إلى فرنسا و روسيا صحبة عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية المغربى آنذاك، ثم أرسل سنة ۱۳۲۰ م إلى الجزائر موفدا من قبل السلطان مولاى عبد العزيز لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمدينة و هران مجاملة، ثم عين فى اللجنة المكلفة بالتعويضات المتعلقة بالخسائر التى لحقت بمدينة الدار البيضاء سنة ۱۹۰۷ م، و بعد ثورة السلطان مولاى عبد الحفيظ على أخيه حاول أن يعينه خليفة لمحمد الجباص نظرا لخبرته و تجربته الطويلة، لكن السفارة الفرنسية ثارت على هذا الترشيح بدعوى عدم استشارتها، و وصفته أنه رجل متعصب من قبل الأجانب، فأرسله مولاى عبد الحفيظ عضوا فى سفارة أحمد ابن المواز إلى إسبانيا. ثم استراح المترجم بعد تأسيس الحماية إلى أن توفى يوم الخميس ۱۵ صفر عام ۱۳۳۴ ه/ ۲۲ دجنبر سنة ۱۹۱۵ م، و قد رثته جريدة السعادة «... كان

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۰۹

كثير الحذر شديد الانتقاد، صادق الوطنية لحد المبالغة فى بعض الأحيان، و كان فيه نزعة للساسة الفرنساوية ... و لعل تلك النزعة كانت مستمدة من نصائح الوزير عبد الكريم بن سليمان ... لكنه كان يضطر غالبا لإظهار غير ما يضمر نظرا للحالة المخزنية و اختلاف آراء رجالها فى ذلك الوقت، و سعايتهم ببعضهم البعض، و قد جمع ثروة طائلة خلفها لأولاده ... مات مأسوفا عليه و دفن بعد صلاة العصر فى الزاوية الناصرية ...» .

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۰

ملحق رقم ۳: اعتذار من مقيده للمحب الصادق الأمين الطالب السيد عبد القادر غنام

اشارة

يا فريد الإحسان صدقا و وداو حفيظ العهود قربا و بعدا

قد أتانى منك ألف سلامو شذاه يفوح مسكا وندا

فعليك السلام فى كل حينو ثناء عليك شكرا و حمدا

لكن فى ذلك السلام عتابفاق لطفا وراق قدحا و هجدا

أنت مولاى عبد القادر غنام الأمين الشهير صدقا و جدا

فبما لك عندنا من أيادو وداد و فضل لا يحصى عدا

قد ملكت قلبى يا قرة العين فصرت إذاك رقا و عبدا

كيف أنساك و الفؤاد شهيد؟منك سله يفدك شوقا و وجدا

ما سهوت و لا تغافلت إلارد بى الخوف من عتابك ردا

أو تظن؟ فالظن بعضه إثمحسن الظن، فهو أجمل رقدا

فلولا الفضل منك ما كنت عنىسائلا، و قصدتنى به قصدا

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۱ و إلا فما قيمتى و ما قدرىمع ضعفى حتى تجاوزت حدا

غير أنك ذو أياد فحليتنىمن أنفس التحية عقدا

فتجاوز، و سامح بالفعل عنىلا ترانى مغيرا لك عهدا

قد أرخته قائلا فى الدعاء:دم يا قرة العين صادقا جدا

۴۴+ ۹۱۱+ ۱۶۰+ ۱۶۶+ ۱۲- ۱۲۹۳ ه مجموع الأرقام لعله يشير إلى تاريخ نظم القصيدة و هو أواخر المائة الثالثة بعد الألف.

تقييم القصيدة من حيث الشكل

حاول المؤلف فى قصيدته أن يصوغ مشاعره الجياشة تجاه أخ عزيز عليه- صياغة شعرية مهما كان حالها. فاختار لها إيقاع الخفيف، لكن نظمها جاء مختلاـ فى جل أبياتها، الأمر الذى يدل على أن المؤلف قاصر فى نظم الشعر، و لاـ سيما فى تعامله مع التفاعيل العروضية الخليلية.

فالقصيدة يطغى عليها تكسير الإيقاع، فى جل أبياتها علاوة على بساطة أسلوبها تركيبا و تعبيرا، مما يفيد أن ناظمها لم يكن له إلمام واسع بفن الشعر، و لا بأدواته الضرورية.

و يبدو هذا جليا فى بعض تركيباته اللغوية، و صياغاته النظمية التى هى أقرب ما تكون إلى النثر منها إلى الشعر، و ذلك لخلوها- فى الغالب- من المميزات و الخصائص الفنية التى يتسم بها هذا الفن الأدبى الرفيع.

غير أن المؤلف له عذره، و من غير أن نلتمسه له. فهو لم يكن شاعرا بالمعنى الأدبى المفهوم من الشعر اليوم. و إنما كان- على عادة أهل زمانه- مشاركا فقط

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۲

و يمارس شعره على ما هو عليه كتعبير ثانى إضافى، يستعين به على تسجيل ما يقع تحت ألحاظه من مشاهد و وقائع و أحداث، بعد أن ينتهى من تسجيلها بنثره المسجوع، دون اكتراث بما يقع فيه- أثناء النظم- من محظور فى صياغته الشعرية.

و يمكن أن يطرد هذا الحكم على سائر ما نظمه فى هذا المجال. لهذا لا أرى فائدة فى تصيد هفواته العفوية المتكررة، و الملحوظة فى تضاعيف القصيدة، ما دام عذره فى ذلك واضحا و مقبولا (انظر دراسة أحمد الطريس، الشعر المغربى فى ق ۱۹ م» بكتاب الإصلاح و المجتمع المغربى فى ق ۱۹ م. ص ۳۷۳).

ملحوظة: توجد هذه القصيدة بالصفحة الأخيرة من رحلة الجعيدى. ربما كان الجعيدى ينوى إهداء هذه النسخة لسيدى عبد القادر غنام الذى نبهه إلى جانب أحمد الناصرى السلوى على ضرورة كتابة رحلته هذه السفارية.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۳

ملحق رقم ۴: بعض قصائد إدريس الجعيدى التى لم ترد فى الرحلة

لما عاد الجعيدى من الوجهة الفرنجية صحبة السفير الزبيدى، مدح السلطان الحسن الأول بقصيدة جيدة فيها إحدى و ستون بيتا كما صرح به ناظمها فى كتاب كتبه لأحمد الناصرى ، ذكر له منها الأبيات الثلاث الأول و ستة أبيات من الأخر (الاستقصا، ج ۷: ۱۵۱) و قد نقلها عن الناصرى العباس بن إبراهيم المراكشى (الاعلام، ج ۳: ۳۹) حرفيا بدون زيادة أو نقصان.

لكننى وجدت بعض أبيات هذه القصيدة فى كناشة أحمد الصبيحى «الفالودج» رقم ۱ ب خ.ع. ص بسلا تحت رقم ۴۲۶ تزيد ب ۱۳ بيتا عما ذكره الناصرى.

أسالم دهرى فى المرام و فى القصدفينقض ما أبرمت للصلح من عقد

و اسأله الرحمى فيبدى ازوراره‌و نفرته عنى فيأعظم ما يبدى

و كم لى أسترضيه و هو مغاضب‌و لا يرعوى عما جناه على عمد

انتهى ما ذكره الناصرى، و يضيف أحمد الصبيحى:

لى الله كم لاقيت فى طرف الهوى‌لى الله كم جرعت من غصص الصد

لى الله كم قاسى الفؤاد من النوى‌و شدته حتى بلغت إلى الحد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۴ لى الله ما جملت فى الحب من ضنى‌و ما بى حب فى سعاد و لا دعد

فياليت شعرى هل أرى الدهر منصفى‌فيذهب عنى ما برانى من وجد

و اطرح عنى عتبه و شكاته‌و انزع عنى ما لبست من الجهد

صبرت و إن الصبر صبر مذاقه‌و لكن مثال الصبر أحلى من الشهد

لئن لم أنل من ذا الزمان لبانتى‌فإنى عليه ما حييت لمستعدى

و من ينصف المظلوم منه و يكتفى‌به غير من يسعى إلى الأجر و الحمد

سأقصد مأوى العدل و الحلم و الندى‌عسى عطفة تبدو من الطالع السعد

و من لى بلقياه و بينى و بينه‌كمثل الثريا و التراب من البعد

بلى بابه المقصود كل يؤمه‌فيظفر بالمطلوب فورا و بالرفد

عليك به فانهض سريعا مبادراو سابق إلى ظل من العدل ممتد

شريف اسمه منه اقتبس كل مطلب‌تساعدك الأقدار بالنجح و الرشد

يعود أحمد الناصرى لذكر ستة أبيات من الأخر:

و هذى بنات الفكر منى هديةإلى الملك المنصور ذى الجود و الرفد

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۵ فإن أهملت عدلا فإنى مهملو إن صادفت وقت القبول فيا سعدى

و ما كنت فى باب القريض مبرزاشهيرا و لكن تعاطيته جهدى

لأجل امتحانى لذت فيه بربنافأصبحت ذا وجد و قد كنت ذا فقد

فها أنا ضيف زائر لحماكمو حسبى رضاكم فهو نفس المنى عندى

و يا ربنا اعط الأمير مرامهو ظفره بالمطلوب منك و بالقصد

كما ذكر أحمد الصبيحى فى كناشته العلمية- الفالودج بعض القصائد الأخرى لسيدى إدريس الجعيدى السلاوى لم يذكرها المؤرخ الناصرى و لا غيره:

القصيدة الأولى: يجيب فيها الشيخ الجليل سيدى، الحاج العربى بن مولانا بنداوود الشرقاوى العمرى (بزاوية أبى الجعد) رسالة جواب:

دعونى إلى من قد هويت أسيرو لو أنى فى قيد الذنوب أسير

و خلوا سبيلى إن شوقى زائدو من شدة الأشواق كدت أطير

و لا سيما و الحب أعلن معلمابشوق إلى ذى النظم و هو حفير

و جاد بمجد لست أهلا لنيلهو لكنه بالصدق منى خبير

فلبيك يا مولاى إن عزيمتى تبشرنى صدقا بأنى أزور

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۶ رجال أبى جعد إليكم تشوقىو للقطب بنداوود قلبى شكور

و فى تلكم الأعتاب يحلو تطارحىو يشفى سقام ضاق منه صدور

و يجمع شملى بالخليل و سيدىمولاى العربى فالشأن منه كبير

فيا أيها الحبر العلى جنابهلكم مدد يتلى و فضل شهير

و يا من حوى جل المحامد و الثناو من لعلاه الخلق طرا يشير

حباكم إلاه العرش كل فضيلةلكم عزة من أجلها و هور

و أسراركم معهودة و جليةلنا من ذكراها غبطة و سرور

فعطفا على عبد كسير جنابهوجد بعلاج القلب فهو نفور

و سل نى من القطب الشهير أبيكمصلاحا و سترا فالنوال كثير

القصيدة الثانية: ذكرها أحمد الصبيحى فى مخطوطه (كشكول الصبيحى) ج ۳ رقم ۴۲۸ ب خ. ع. ص بسلا يقول فى ص ۳۵:

قصيدة لأبى العلاء الجعيدى.

الحمد لله طلب بعض الأدباء من الأديب الشريف أبى العلا سيدى إدريس الجعيدى السلاوى كتاب المنية لابن غازى فوجهه له و كتب عليه ما نصه و من خطه نقلت.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۷ قد وصلت إلى ديار التهانىو ارتقيت إلى مقام التدانى

فابشرى بالمنى يا نفس فإنىصرت من خدم الأديب ابن دانى

هذه منيتى تزوره شوقاكل ما يشتهى بها متدانى

فهى قائمة مقام أنيسو هى غانية عن صوت الأغانى

كم شربت من ثغرها كأس رائقو سلوت بها عن نقر المثانى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۸

ملحق، رقم ۵: خزانة الكتب التى تركها سيدى إدريس الجعيدى السلاوى حسب التريكة

اشارة

(خزانة نجله سيدى عبد القادر الجعيدى بسلا) نسخة من الشفا بالمطبعة المصرية (القاضى عياض).- إحياء علوم الدين (الإمام الغزالى) فى أربعة أسفار.- الإتقان فى علوم القرآن (الإمام السيوطى).- شرح جسوس على عقيدة الرسالة (أبى زيد القيروانى) شرح سيدى عبد القادر الفاسى.- حسن المحاضرة للسيوطى.- حاشية الدسوقى على الدردير (شارح الشيخ متن خليل) فى أسفار.- القاموس فى سفرين (البحر المحيط فيرزبادى).- سعود المطالع فى سفرين (الفلك و التوقيت).- تذكرة الشيخ داوود فى سفرين (الأنطاكى).- شرح الطرابلسى على المرشد المعين.- حكم بن عباد (الصوفية).- حياة الحيوان فى سفر (الكبرى الدميارى).- ميزان الشعرانى فى سفر و العمود أيضا و الطبقات الكبرى.- نزهة الصفورى.- المستضرف (من كل فن طرف).- ريحانة الألباء للخفاجى.- الجغرافية.- اختصار السويدى للشعرانى.- تألثف تفسير الرؤيا لابن سيرين حسن.- كتاب ابن معشر الفلكى.- النصف الثانى من كشف الغمة للشعرانى.- تبصرة بن فرحون و بهامشه ابن سلمون.- سفران فى علم التنجيم لابن البنا.- منهاج الطالب فى التوقيت و التعديل.- مقامات الحريرى بخط مغربى.- شرح بنيس على الهمزية بالمطبعة الفاسية.- سلوانات ابن ظفر.- كتاب القرطاس.- روضة الأزهار.- حاشية التسولى على التحفة.- التاودى.- ابن حجر على الهمزية الجزء الأول و الثالث من سيدى الخرشى و كتب أخرى.- ثلاثة أجزاء من الخطاب و من الذكاء إلخ.- نسختان من المصباح.- البيرونى فى التنجيم.- مجموعة فى عمل الاسطرلاب.- كتاب فى الصلاة على النبى.- كراريس ۲۰ من القاموس.- كراريس مختلطة فى التنجيم.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۱۹

كما ترك سيدى إدريس الجعيدى العديد من آلات الرصد الفلكية

- كرتان للتعديل روميتان.- قوس الارتفاع من صفر.- ميزان الهواء.- مجانة قزدير مستديرة و مجانة مستديرة.- شاخص بمدفع و بيت الابرة.- ءالة المساحة.- اصطرلاب من صفر.- كابوسان روميان و الكثير من الأسلحة الأخرى و الأثاث و الحلى و المجوهرات.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۱

كشاف حضارى و فهارس

اشارة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۳

كلمات و عبارات عامية و أجنبية وردت فى الرحلة

- أ-

- الأجناس: جمع جنس و يطلق على الشعب الأجنبى فيقال جنس الطليان مثلا و يجمع على جنوس أو على أجناس كما جمعه الجعيدى و هو استعمال فصيح و تعنى كل الشعوب الأجنبية.
- أخرجت المدافع: بصيغت التفعيل بمعنى أطلق أى جعل المدفع يرمى قذيفته و تستعمل لكل الأسلحة النارية.
- الإشارة: جمع الإشارات و هو ما يتخذ هدفا و يشار إليه ليضرب خصوصا فى التداريب العسكرية.

- إصبانيا: إسبانيا.

- الإقامة: ما يقام به الشيء من مواد و غيرها مثل إقامة البناء و المدافع و الشاى.

- الأمين: أى المؤتمن على مال الدولة، و قد كان هذا اللفظ فى النظام الإدارى المالى بالمغرب يطلق على الموكل بالخزينة و بكل ما يرجع للمال قبضا و صرفا.

- الأوقية: نصف ثمن الرطل أى ۱ من ۱۶ منه- ۳۴۹، ۲۸ غ حسب الأحوال.

- ب-

- البابور: تعنى الباخرة و هى مشتقة من كلمة فابور VaPor الإسبانية أى البخار Babord . إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۴۲۳ بانيو: حمام Ba ?no .

- البراح: المتسع من الأرض لا شجر فيه و لا بناء.

- البرانية: أى الخارجية و الكلمة عربية (برا) و قد تنطق (بره) تعنى خارجا فى معظم الدارجات العربية، و البرانى بالمغربية الغريب عن البلد.

- البرمة: فى اللغة قدر من حجارة، و برمة الحمام تطلق على الحوض الذى يصب فيه الماء الحار.

- بطّن: جعل ثوبا للتدفئة أو للتقوية داخل اللباس، و هذه اللفظة فصيحة إلا أنها

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۴

تعمم فيقال بطن الحائط بالخشب مثلا.

- بقرج: وعاء القهوة و هى كلمة تركية معناها الغلاية.

- البلاغى: الأحدية المغربية المحلية.

- البلجيق: بلجيكا.

- البوجى: الرافعة.

- البوط: مكيال للخمر أو غيره سعته ۹۳۳ لتر.

- بونبة: مأخوذة من الكلمة الإسبانية Bomba و هى القذيفة التى تجعل فى المدفع.

- بيت النار: مفرد بيوت النار هو المحل من الفرن الخاص بطبخ الخبز، يطلقه المغاربة على محل النار من الأسلحة.

- ت-

- التبريم: التدوير، و أصل الكلمة من البرم الذى هو الفتل.

- التصاوير: جمع تصويرة أى صورة و قد يقصد بها أحيانا التماثيل.

- تقاشير: الجوارب مفردها جورب.

- التوريق: هو التزويق فى عمل الجبس و النقش على الخشب.

- ترييش: منسوج من الخيط أو الحرير، نسجا فنيا مزخرفا تنمق به أطراف الأروقة و حواشيها.

- ج-

- الجعبة: فى الأصل «كنانة النشاب» ثم استعيرت لكل ما كان كالقناة و منه جعبة البندقية.

- الجلنار: يعنى الجنرال Ge ?ne ?ral ضابط عسكرى.

- الجمعة: تعنى الأسبوع.

- جنان: مفرد أجنة و من خصائص العربية المغربية إطلاق الجمع على المفرد فى كلمات كثيرة، كرياض بمعنى روض و قبور بمعنى قبر و آفات بمعنى آفة. و الجنان تعنى الحدائق و البساتين.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۵

- الجنوى: السكاكين التى كانت تصنع فى مدينة جنوة الإيطالية ج. جناوى و تصدر إلى المغرب تسمى الجنوى فتطلق على كل سكين.

- الجوائز: مفردها الجائز خشبة معترضة بين حائطين، ج. جوائز و جوزان و جيزان و اجوز (الكايزة).

- ح -

- الحبة: أو بوحبة، كريات صغيرة من الخفيف تجعل الواحدة منها تحت الزناد فى البندقيات القديمة فعندما تدق تشتعل فينفجر البارود.

- الحركة: تحرك الجيش من جهة لأخرى و يقصد بها الغزوة أو الحملة لتأديب العصاة و المتمردين.

- الحسك: الشمعدان أى ما يثبت فيه للإنارة.

- حوائجنا: جمع حاجة و المراد بها متاع الرجل و ما يأخذه معه أثناء السفر.

- الحوانيت: جمع حانوت و هى الدكان.

- الحوت: تعنى السمك (كما ورد فى القرآن فى سورة الكهف و سورة القلم) صغيرة كانت أو كبيرة، و هى عربية فصيحة و يسمى صائد السمك و بائعه بالحوات.

- خ -

- الخابية: جرة ضخمة من طين.

- الخدمة: مفردها خدام أى الخادم فى الاستعمال الدارجى و هو الشخص الذى يتدرب على مهنة ما و لم يرتقى بعد إلى مستوى المعلم، أو الصانع و بالتالى يمكنه أن يستقل بنفسه.

- الخرصة: دائرة حديدية أو نحاسية تلصق عادة بأبواب الديار لتدق بها و تطرق.

- خصة: و تجمع خصص و خصات و معروفة فى الشرق العربى بالفسقية.

- خناشى: جمع خنشة، و تجمع كذلك خنشات، و هى وعاء من ثوب لحمل الدقيق أو القمح أو البارود و غير ذلك، و الأصل العربى الخشاش، حل الادعام فى العامية و عوضت الشين الأول بنون- مثلا اجاص بتشديد الجيم الذى صار انجاص.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۶

- الخنقاطرة: الحيلة.

- د -

- دارموزى: يقصد المتحف.

- الدرابيز: جمع دربوز دخيل معناه الحاجز الحامى فى السطح أو الدرج أو الشرفة و قد وضع له مجمع دار العلوم مقابلا عربيا الجلفق.

– دفف: جمع دفة و هى الباب أو دفة الكتاب مثل الغلاف.

– دويرة: تصغير دار أو منزل، و بويبا تصغير باب، و بويت تصغير بيت.

– ذ–

– الذراع: ما بين المرفق و الأصبع الوسطى أى نحو نصف متر تقريبا (۴۸، ۰ متر) و تقديراته خاطئة و مختلفة، و قد بطل العمل به فى آخر القرن الماضى.

– ر–

– الرابوز: الكير و هو من أرابوز البربرية حسب دوزى (المستدرك على المعاجم العربية).

– الربيعة: صندوق صغير و تطلق أيضا على الصندوق الكبير و هى الربعة فى الفصيح، تحفظ فيه الأشياء و غالبا ما تصنع من الخشب.

– الرجلية: تعنى الرجالة فصيحة لجمع راجل أى الذى لا مركوب له و يمشى على قدميه، و كذلك يقول رجلهم أى أرجلهم.

– الرحى: الطاحونة.

– الرزمة: بالكسر عربية فصيحة و معناها ما شد فى ثوب واحد و يقال رزم الثياب ترزيما شدها و هى تطلق مجازا على كل الكتل التى تجمع كما هنا.

– الرطل: جزء من مائة من القنطار، و لكنه أثقل من الرطل الأنجليزى الذى لا يزن إلا ۴۵۳ غراما. القنطار– ۱۰۰ رطل أى ۵۴ كلغ).

– الرمى: هنا هو مدى ما تبلغه القذفة.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۷

– الروز: الأرز.

– الريال: كلمة إسبانيةReal معناها ملكى، اسم عملة أدخلت فى النظام المالى المغربى.

– ز–

– الزاج: الزجاج اختصارا فى اصطلاح المغاربة.

– الزكروم: المزلاج.

– الزناد: زند– زندا أى قدح النار و أخرجها من الزناد أو البندقية، و الزنايدى هو المشتعل بصناعة البنادق التقليدية و إصلاحها بالمغرب.

– الزنجفور: الزنجفر أو الزنجفر معدن متفتت بصاص أحمر يصبغ به و يدهن به الحديد ليسلم من الصداء.

– الزيار: فى الفصيح خشبتان يضغط بهما بشدة.

– زيوف: مناديل، ج. منديل.

– س–

– ساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق تجمع سوابيط و ساباطات.

– الساج: شجر عظيم صلب الخشب ج سيجان الواحدة (ساجة).

– ساعة مجانية: أى ۶۰ دقيقة للتعريف بين ساعة بمعنى الوقت الحالى مطلقا، و ساعة بمعنى وحدة زمانية. و الثلث ۲۰ د، و الربع ۱۵ د

و القسم ۵ د.

– سامته: قابله و وازاه.

– سبنية: خرقة من حرير و نحوه تغطى به عادة الرسائل السلطانية.

– سراجم أو سراجب جمعها سراجيب و أصلها فى العربى الفصيح شرجب (بالشين) و هى النافذة، و شرجب كلمة فارسية أصلها جها رجوب.

– سرير: فى الاصطلاح المغربى ما يحمل عليه مطلقا.

– سكويلة: يقصد المدرسة و بالإسبانية Escuella .

– السلك: يقصد به ما نسميه اليوم البرق أى التلغراف.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۸

– ش –

– الشب: ملح معدنى أشبه بالزاج الذى هو ملح يستخدم فى الصباغة.

– الشبر: ما بين طرف الإبهام و الخنصر ممتدين بالتفريج المعتاد.

– شمرير: مفرد شمارير و هو القبعة و أصله من الإسبانية Sombrero .

– شواقير: جمع شاقور و هو سكين عريض يقطع به الخشب و نحوه و يستعمل كذلك فى الحروب، و فى الفصيح الساقور بالسين المهملة أو ساطور (المقدة).

– الشوالى: جمع شيلية تعنى الكرسى و الكلمة إسبانية Silla .

– الشيطت: الفرشات.

– ص –

– الصائر: النفقة يقال صير أى نفق و هو المصروف أيضا.

– صالة: أو صالات مفردها صالة، كلمة فرنسية تعنى القاعة الكبيرة.

– الصبنيول: تعنى الشعب الإسبانى.

– صغار: صغيرة.

– صينيات: ج صينية كان النحاس مشهور باسم الصينى و منه جاء اسم صينيات الشاى النحاسية.

– ط –

– طبسيل: الآنية كلمة من الدارجة المغربية.

– طبلة: ج طوابيل، كلمة فرنسية تعنى Table و هى الطاولة أو المائدة التى يتناول عليها الطعام.

– طرونبة: المضخة.

– الطنابرية: هم قارعوا الطبول المصاحبون للجوقة الموسيقية استعمال دارجى عند المغاربة.

طناجير: جمع طنجرة أو طنجير و هى لفظة تركية معناها قدر من نحاس.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۲۹

- ع -

- العاج: أنياب الفيل.
- العساسة: مفرد العساس و الجمع العسة أو العساسة و يقصد من يعس أو يحرس بالليل.
- عمارته: ما يعمر به جوف المدفع أو البندقية مرة واحدة.

- غ -

- الغار: المغارة أو الكهف.
- غانجوا و مخطاف: آلة حديدية عبارة عن قضيب معوج الرأس تجتدب به أشياء بعيدة أو صعبة الملمس لحرارتها أو نحو ذلك.
- غراف: جمع غراريف اسم آلة الشرب.
- الغرب: من معانيها المغرب.
- الغربال: المنخل.
- غلالة: الحلزون (القشرة).

- ف -

- فابريكة: كلمة إسبانية Fabrica المصنع.
- الفرجية: (تشبه الجلباب و تنسب إلى القائد فرجى مملوك السلطان أحمد المنصور السعدى) و هى للشخصيات و الخواص، و فى الغالب لباس المخازنية و العوام.
- الفردى: و الفرد أيضا يعنى مسدس ذو طلقة واحدة.
- الفركاطة: سفينة حربية تسمى بالإسبانية. Fragata .
- الفرنصيص: الفرنسيين و يقال الفرنسوية أى الفرنسية.
- فورمة المدفع: عيارة أو شكله Forma كلمة إسبانية.
- فريشك: Fresco و refresco كلمة إسبانية معناها الطرى من المواد الغذائية التى يتزود بها البحارة من المراسى التى تقف بها سفنهم.
- الفصالة: تعنى تصميم.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۰

- فلك: مفردها فلوكة تعنى زورق صغير و هى كلمة عربية فصيحة. فلك- بضم الفاء و سكون اللام-.
- الفنار: مشكاة بداخلها مادة منيرة Farial كلمة إسبانية و أصلها من اليونانية فانوس التى استعيرت نفس المعنى بالمشرق ج. الفنارات.
- فيجكة: مخطاف صغير يشبه الغانجو.

- ق -

- قائد المشور: تطلق على الشخص الذى يقدم الزائرين للسلطان فهو بمثابة رئيس التشريفات.

- القاع: القعر.

- القالب: ما تفرغ فيه الأشياء المنصهرة ليكون مثالا لها لما يصاغ منها.

- قالة: و هى تماثل إجمالا ذراعا و أصبعا، و قياسها مختلف حسب نوع الثوب المراد قياسه.

- القامرة: كلمة إسبايةCame ?ra و هى المكان الرفيع فى المنزل أو الباخرة.

- القامة: من الإنسان: قده.

- قبا البناء: يقبوه جعله على هيئة القبة و قبا الشيء قوسه.

- قدم: حيث فسر القدم بخطوة الرجل المتوسط أى نحو ۷۰ سنتم و المعروف أن القدم فى اصطلاح الأنجليز ۳۰،۴ - Foo سنتم.

- القربة الوطب: أى وعاء يجعل فيه اللبن أو الماء و غيره.

- القرطوش: يطلق على قذائف الرصاص التى تجعل فى المسدسات و البندقيات و هى من الإسبانيةCartcecho .

- قريقيات: أقفال خشبية أو حديدية تربط بين قطعتين من الخشب أو غيره.

- القصبة: القلعة المحصنة أو المدينة أو القرية.

- قطب الرحى: محورها.

- قناطر: ج. قنطرة تطلق فى اللغة على الجسر و كل ما يعبر عليه، و لها دلالة أخرى عند المغاربة، مثلا: تطلق على عماد غليظ من خشب يوضع فوق جدارين

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۱

متوازيين و يبنى عليه.

- قنطار: يساوى ۱۰۰ رطل أى حوالى ۵۴ كلغ.

- القونصو: القنصل.

- ك -

- الكابوس: المسدس متعدد الطلقات جمعها كوابيس.

- الكاغد: جمع كواغد أى الورق، فى العامية المغربية الكاغيط.

- كبوط: جمعها كبابيط و تعنى المعطف.

- كرت بريطن: بريطانيا العظمى.

- كدش: جمعها أكداش تعنى كوتشىCoche بالإسبانية أى العربة التى يجرها الخيل أو البغال.

- كدية: الأرض الصلبة الغليظة أو الهضبة الصغيرة.

- الكروصات: مفردها كروسة و هى كلمة إسبانيةCarroza تعنى عربة خشبية تجرها الدواب و لكنها تستعمل فى الغالب لنقل البضائع.

- كريطة: جمعها كراريطCarreta بالإسبانية هى عربة ذات عجلتين لحمل الأحجار أو الأسلحة الثقيلة كالمدافع.

- الكمخة: نسيج حريرى سميك تبطن به حواشى الأروقة و الستر و الملابس الرفيعة.

- الكنابى: ج كنبيات تعنى أسرة للاستراحة أو متكأ متسعCanaPe.?

- كناش: مفرد كنانيش و هو الدفتر.

- الكنطردة: معناها العقد أو اتفاق يعقد بين شخصين أو أشخاص.

- الكوفرى: الصنيديق من الخشب.Coffret

- الكير: زق ينفخ فيه الحداد.

- گ-

- الكنبورة: جرة أكبر من الطنجية يخبع فيها السمن أو العسل و نحوهما، شبه

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۲

شكل قذيفة المدافع بها.

- الكيرة: تعنى الحرب Guerra .

- ل-

- لانبات: المصابيح الغازية ذات الشكل الأنبوبى.

- اللقاط: الملقط و هو ما يلقط به كملقط الحداد. ج ملاقط.

- اللواية: كل نبات تطول أغصانه و تتلوى على الأشجار و الأعمدة و تطلع مع الجدران و نحوها.

- اللوندريز: مدينة لندن، مأخوذة من لوندريس الإسبانية.

- م-

- ماريو: الدولاب أو الصوان أو الخزنة Armoir .

- المبرد: آلة البرد.

- المجانة: الساعة و أصل الكلمة من اليونانية Magganon مكانون، فحرفها المغاربة إلى مجانة، الآلة التى تعرف بها ساعات اليوم.

- مجدول: جمعها مجاديل و هو حبل مفتول من الحرير أو غيره تقبض به الأروقة و الحجب.

- مخازنية: أعوان أحد ممثلى المخزن يبلغون أوامره أو يوجهون لتنفيدها و خدمة من يعملون تحت إمرته.

- مركان: نوع من القماش كان يسمى Americanos .

- المسوس: الثوب المخرم و المثقب.

- مشموم: و هى باقة من الزهور.

- مضرب: اصطلاح مغربى كاللحاف و هى تعنى فراش محشو بالصوف أو القطن و نحو ذلك.

- مطيشة: أرجوحة أو خسدعة.

- المعلم: الخادم الصغير أو المبتدئ و عكسه المعلم.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۳

- مقبو: مغطى سقف مقوس و يطلق خاصة فى المغرب على السرداب المقوس السقف.

- مقرج: أو بقرج و هو إناء يغلى فيه الماء لتحضير الشاى و الكلمة تركية الأصل (مرجل).

- المكحلة: لها معنيان فى العامية فهى الوعاء الذى يوضع فيه الكحل و هى البندقية أيضا.

- المكينة: لفظة إسبانية Maquina و هى الآلة.

- الملف: ثوب ناعم من صوف كان أساس لباس المغاربة فى فصل الشتاء و يظهر أن أصل الكلمة من أمالفى Amalfi و هى مدينة

إيطالية.

– مموه: اصطلاح فى الزخرفة المغربية.

– المنشار: آلة ذات أسنان ينشر بها الخشب و نحوه، ج. مناشير.

– منشار الدور: مصدر الحركة (تحرك و عاد إلى حيث كان أو إلى ما كان عليه) بمعنى دوره أى جعله مدورا.

– مهاريس: جمع مهراس أو مهراز، و هو فى الأصل الهاوون الآلة التى تدق فيها الحبوب و نحوها.

– المواجير: القمطر.

– الموبر: ثوب مصنوع من الوبراى الثوب المشعر.

– الموسكو: يقصد مدينة موسكو عاصمة الإمبراطورية الروسية.

– الموسيقات: جمع موسيقى مفرد موسقة و يقصد بها الآلات الموسيقية.

– المون: يقصد رصيف الميناء.

– ميد: هو دوار البحر أى ما يصيب راكب السفينة من انزعاج من المزاج و غثيان.

– الميل العادى أى ۱۶۰۹ متر أما الميل البحرى ۱۸۵۳ متر.

– ن –

– الناعورة: آلة لرفع الماء فيها دولاب و قواديس.

– ناقوس: مفرد نواقيس و هو الجرس و يسمى أيضا الجلجل.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۴

– نبح: ممر أو معبر.

– نشان: أو ينشان كلمة تركية لها معان، و تعنى الوسام.

– نمير أو نمرا: أى رقمNume ?ro .

– النوارة: الزهر (واحدته نوارة).

– النون: فى العربية هو الحوت، و يطلق فى المغرب على الحوت النهرى الذى يشبه الحنش.

– النيلة: غبرة لونها أزرق تصبغ بها الثياب و الجدران و غير ذلك.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۵

فهرس الأعلام البشرية

– أ –

آدم (عليه السلام): ۹۴، ۲۳۰، ۲۳۳

أبراهام سكس: ۲۲۲

إبراهيم (عليه السلام): ۳۵۲

أجو سطينو دى بريتيس: ۳۴۸

الأحبابى: ۲۲

أحمد الأخضر غزال: ۳۷

أحمد بنانى الفاسى: ۲۲

أحمد بورقيبة: ۲۲

أحمد حلمى إبراهيم: ۱۷۲، ۲۵۶، ۲۷۴

أحمد الزبيدى: ۱۱۴، ۴۰۶

أحمد السويرى: ۲۲

أحمد شمس الدين الحجاجى: ۶۴

أحمد الصبيحى: ۱۲، ۲۳، ۲۵، ۳۶، ۱۰۴، ۴۰۱، ۴۱۳، ۴۱۵، ۴۱۶

أحمد الطريس: ۴۱۲

أحمد العمارى: ۲۶، ۴۳، ۱۷۴.

أحمد الكردودى: ۱۱، ۳۵، ۴۹، ۹۹

أحمد محمد عبد الخالق: ۱۷۹

أحمد معنينو: ۹۳

أحمد مفتاح البقالى: ۲۷۷، ۳۶۷

أحمد بن المواز: ۴۰۸

أحمد المنصور الذهبى: ۲۸۴

أحمد الناصرى: ۱۲، ۲۰، ۲۳، ۲۶، ۲۷، ۳۱، ۳۵، ۳۶، ۵۴،

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۶

۶۶، ۷۹، ۸۳، ۱۰۲، ۱۰۴، ۱۰۶، ۲۱۹، ۴۰۱، ۴۰۵، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۱۴

إدريس بنعلى: ۸۱

إدريس الجعيدى: ۱۱، ۱۲، ۱۳، ۱۵، ۱۶، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۳، ۲۴، ۲۸، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۴، ۳۵، ۳۶، ۳۷، ۳۸، ۳۹، ۴۰، ۴۵، ۴۶، ۴۷، ۴۸، ۴۹، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۱، ۶۲، ۶۳، ۶۴، ۶۵، ۶۶، ۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۲، ۸۴، ۸۵، ۸۸، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۳۱، ۱۳۹، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۵۰، ۱۵۹، ۱۸۰، ۱۹۸، ۱۹۹، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۶، ۲۱۸، ۲۲۷، ۲۳۸، ۲۴۰، ۲۴۲، ۲۴۴، ۲۴۸، ۲۴۹، ۲۶۳، ۲۷۵، ۲۸۳، ۲۹۷، ۲۹۸، ۳۰۲، ۳۰۳، ۳۱۰، ۳۱۴، ۳۱۶، ۳۱۷، ۳۲۳، ۳۲۸، ۳۳۰، ۳۴۰، ۳۴۶، ۳۶۲، ۳۸۴، ۳۹۱، ۳۹۳، ۴۰۱، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۱۵، ۴۱۶، ۴۱۸، ۴۱۹

إدريس الشاوى: ۲۲

إدريس العمراوى: ۲۸، ۴۹، ۱۲۴، ۱۹۲، ۳۲۵

إدوار غالب: ۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۱

الأمير إدوارد: ۲۷۸

إدوارد ستانلى دربى: ۲۸۰

أدولف تيرا: ۱۷۰

أرسطاليس: ۱۹۵

أرمان سادوان: ۲۴۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۷

أرنيست دالون: ۳۳، ۵۳، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۱۱، ۲۱۵

أستور: ۷۱

أفا عمر: ۱۸۷

إقليدس: ۲۲، ۳۶، ۶۶، ۱۶۰

الأمير ألبيرت: ۲۸۷، ۲۹۱، ۲۹۲، ۳۰۳، ۳۰۷، ۳۰۸

إليزابيث الأولى: ۲۸۴

أندروكليس: ۳۵۲

إيزابيلا الثانية: ۳۶۴

إيمى داكان: ۱۱۳

- ب -

برادة ثريا: ۵۱، ۵۶، ۲۱۹، ۳۱۵، ۳۷۵

بركش بن سعد: ۱۲۹

البستانى: ۱۹۰

بسمارك: ۳۱، ۴۷، ۱۶۶، ۱۷۰

القديس بطرس: ۳۴۷

أبو بكر بن محمد عواد السلاوى: ۲۱

ابن البنا: ۴۱۸

بناصر غنام: ۳۰، ۳۲، ۳۵، ۱۰۲، ۱۰۹، ۳۲۷، ۳۸۹، ۴۰۸

بنسعيد السلاوى: ۱۱، ۳۲، ۵۸

بنيامين دزرائيلى: ۲۸۷

بوزيو: ۳۳۴

القديس بولس: ۳۴۷

البيرونى: ۴۱۸

بيير نوفان: ۳۱، ۵۱

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۸

- ت -

التاودى: ۴۱۸

تاوريوت: ۴۳

التسولى: ۴۱۸

السفير تميم: ۹۱

تياريس: ۳۰

تيتو ليفيو: ۳۴۷

تيودور ويبر: ۴۷، ۴۸

- ج -

جاك كيلى: ۳۱، ۴۲، ۴۴، ۱۰۹، ۲۳۴، ۴۰۰

جان لوى ميج: ۱۱۳

الجباص: ۵۸

جبرائى جبور: ۳۵۲

د. جبور عبد النور: ۳۹۸

جرمان عياش: ۲۷

جعفر أحمد الناصرى: ۲۰

جلاد ستون: ۲۸۷

جلال يحيى: ۳۱، ۵۱

الجلالى السلوى: ۴۰۰

جون هاى: ۲۰۳

جون هوب: ۳۰۶

جيل مونج: ۳۴۷، ۳۹۱

الجيلالى البخارى: ۱۱۵

الجيلالى بن الحاج: ۳۰۰

الجيلالى بن حمو: ۱۰۸، ۱۳۳، ۴۰۱

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۳۹

الجيلالى رابح: ۳۰

الجيلالى الرحالى: ۲۱

- ح -

الحريرى: ۴۱۸

الحسن الأول: ۱۲، ۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۷، ۲۸، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۶، ۴۰، ۴۵، ۴۷، ۴۸، ۵۱، ۵۳، ۵۶، ۵۹، ۶۸، ۷۸، ۸۰، ۸۲، ۸۳، ۸۶، ۸۸، ۸۹، ۹۹، ۱۰۱، ۱۰۳، ۱۰۸، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۷۶، ۱۹۰، ۲۰۷، ۲۲۱، ۲۴۴، ۲۷۶، ۲۷۸، ۲۹۰، ۳۱۴، ۳۵۶، ۳۷۸، ۴۰۶، ۴۰۸، ۴۱۳

أبو الحسن على بن مسعود الجعيدى: ۱۶

الأمير الحسن بن محمد: ۳۰

د. حسين محمد فهيم: ۷۱

(الثائر) أبو حمارة: ۵۸

حواء: ۹۴، ۲۳۰، ۲۳۳

– خ–

خالد بن الصفار: ۱۴۷

خديجة الصابونجي: ۱۸، ۲۴

الخفاجي: ۴۱۸

ابن خلدون: ۴۹، ۶۹، ۱۹۸

خليل بن إسحق: ۱۹۰

– د–

داروين: ۲۸۴

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۰

اللورد دربي: ۲۹، ۴۴، ۲۸۱، ۲۹۲، ۲۹۷، ۳۱۶

دريموند هاي: ۳۳، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۷۲، ۷۸، ۸۱، ۸۲، ۸۴، ۸۶، ۸۷، ۹۹، ۱۱۳، ۲۷۶، ۲۷۸، ۲۹۰

ده فيرنوبي: ۱۱۳

الدور ديكاز: ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۷۰، ۲۰۵

دي أميسيس: ۳۴

ديزرائلي: ۳۳

ديكان: ۲۲۹

– ر–

روبرت هاي: ۵۵، ۲۰۳، ۲۷۲

روجرز: ۳۳، ۸۲، ۸۴، ۲۷۶، ۲۷۸

– ز–

زكي مبارك: ۱۹۲

أبو زيد القيرواني: ۴۱۸

ابن زيدان: ۱۶، ۲۲، ۲۶، ۳۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۴۸، ۵۲، ۵۴، ۵۶، ۷۰، ۸۶، ۸۷، ۹۴، ۱۰۶، ۱۰۸، ۱۱۵، ۱۴۵، ۱۵۴، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۹۰، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۴، ۲۱۷، ۲۲۹، ۲۴۰، ۲۹۰، ۳۰۱، ۴۰۰، ۴۰۱، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷

– س–

ستيفانوسكو فاصو: ۵۷

سكيرج: ۳۸، ۷۸

ابن سلمون: ۴۱۸

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۱

السلطان سليمان: ۱۶، ۲۶، ۸۰

سليمان بن حمزة: ۱۷۴

د. سهيل إدريس: ۳۹۸

ابن سودة: ۱۲

سوزان ميلار: ۱۴۷

ابن سيرين: ۴۱۸

الإمام السيوطى: ۴۱۸

– ش –

شارل أندرى جوليان: ۲۶

شارل جوزيف تيسو: ۱۱۳

الشعرانى: ۴۱۸

شكسبير: ۲۸۴

شيفر: ۱۲۴

– ص –

الصفار التطوانى: ۱۱

– ط –

الطاهر الأودى: ۸۸

الطاهر الفاسى: ۸۶، ۹۹، ۲۷۳، ۲۸۷، ۲۸۹، ۲۹۳، ۲۹۶، ۳۰۹

الطهطاوى: ۴۹، ۵۰، ۶۴

الطيبى ابن هيمة: ۴۸، ۲۵۶

السفير طيسو: ۳۰، ۹۹، ۱۵۴

الملك طيطس: ۳۵۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۲

– ظ –

ابن ظفر: ۴۱۸

– ع –

عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها): ۱۰۵

عباس بن إبراهيم: ۲۲، ۲۳، ۴۰۱، ۴۱۳

السلطان عبد الحفيظ: ۴۰۸

السلطان عبد الحميد: ۱۶

السلطان عبد الرحمن: ۲۶، ۲۸، ۴۹، ۱۰۸، ۳۷۸، ۴۰۵

عبد الرحمن العاجى: ۲۸، ۴۳

عبد الرحمن بن عبد العزيز عواد: ۲۲

عبد السلام بن الخياط الجعيدى: ۱۶، ۱۹

عبد السلام بن سودة: ۱۸

عبد السلام بن طلحة: ۲۱

عبد السلام السائح: ۳۸

عبد السلام العلمى: ۲۱، ۳۴۰

عبد العزيز بن عبد الله: ۲۶، ۵۰، ۵۸، ۴۰۸

عبد القادر أشعاش: ۲۸

عبد القادر الجعيدى: ۱۲، ۱۳، ۱۶، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۴، ۲۵، ۳۶، ۶۰، ۱۰۵، ۱۵۸، ۱۹۸، ۱۹۹، ۲۰۰، ۲۲۸، ۲۳۰، ۲۳۳، ۳۶۹، ۳۸۰

عبد القادر غنام: ۳۵، ۱۰۳، ۴۱۰، ۴۱۲

عبد القادر الفاسى: ۴۱۸

عبد الكريم بن سليمان: ۴۰۸، ۴۰۹

عبد الكريم بن محمد بريشة: ۹۳

عبد الله أحمد: ۱۱۵

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۳

عبد الله البرنوى: ۱۰۵

عبد الله الجرارى: ۱۲، ۱۸، ۲۳، ۳۶، ۱۰۴

عبد الله بن خضراء: ۲۳

عبد الله بن سعيد: ۱۰۱

عبد الله صبرى: ۲۲۲

عبد الله بن محمد: ۳۰

عبد الله محمد بن الطيب القادرى: ۱۶

عبد المجيد بن جلون: ۱۱۶

السلطان عبد الملك بن إسماعيل العلوى: ۴۳، ۱۵۶

عبد الهادى التازى: ۳۰، ۳۳، ۴۷، ۲۵۶، ۳۰۴

عبد الهادى بن القايد: ۱۰۶

عبد الوهاب بن منصور: ۲۷، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۱۰۶، ۴۰۸

ابن عثمان المكناسى: ۷۶

العربى بريشة: ۴۸

العربى بن داوود: ۴۱۵

العربى بن سعيد: ۱۰۱

علال الفاسى: ۵۰

على حسين عاصم: ۱۹۱، ۱۹۳

ابن على الدكالى السلاوى: ۱۳، ۶۰

على بن أبى طالب رضى اللّه عنه: ۱۰۵، ۱۱۲

على بن عبد الله الريفى: ۱۱۲

على بن العروسى: ۳۰

على بن محمد العرائشى: ۱۰۶

على المسفيوى: ۲۷۸

على المليح: ۲۵

العمروى: ۱۱

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۴

القاضى عياض: ۴۱۸

عيسى (عليه السلام): ۳۴۷، ۳۴۸

- غ -

ابن غازى المكناسى العثمانى: ۳۵۸

الغسال: ۱۱، ۴۹، ۲۷۳، ۲۸۲، ۳۰۵

الغزال: ۳۵، ۵۲

الإمام الغزالى: ۴۱۸

غليوم الأول: ۴۸، ۲۵۶

غليوم الثانى: ۴۷

الأمين غنام: ۹۱، ۹۲

الغيغانى: ۳۸

- ف -

الفاسى: ۱۱

فاطمة بنت الأمير الحاج محمد عواد: ۱۸، ۲۴

فاندن بوش: ۲۶۸

السلطان فاندى: ۳۰۷

ابن فرحون: ۴۱۸

الملك فكتور إيمنويل الثانى: ۳۴۹، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۶۸، ۳۷۱

الملكة فكتوريا: ۴۶، ۲۷۹، ۲۸۷، ۲۹۱، ۲۹۲، ۳۰۷، ۳۰۸

الأمير فليب: ۲۲۰

فليب الثانى: ۲۳۲

د. فليب حتى: ۳۴۷، ۳۵۲

فؤاد مسعود: ۲۴۸، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۳، ۲۶۴

الفيروز أبادى: ۱۹۰

البارون فينطال: ۲۰۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۵

- ك -

كوليش: ۴۷

- ل -

لبيب رزق: ۳۳، ۸۲، ۸۴، ۲۷۶، ۲۷۸

لسان الدين بن الخطيب: ۱۹۵

لويز الثالث عشر: ۱۹۰

لويس الرابع عشر: ۱۶۵، ۱۸۸

ليلى أبو زيد: ۷۹

ليوبولد الأول: ۲۰۶

ليوبولد الثانى: ۲۰۶

- م -

ماك مهون: ۳۱، ۵۱، ۱۵۳، ۱۵۵، ۱۶۹، ۱۷۰

ماكلين: ۵۴

النبى محمد صلى اللّه عليه و سلم: ۹۷، ۹۸، ۱۰۵، ۱۱۵، ۲۰۹، ۳۴۷، ۳۶۶

محمد أحمد السويدى: ۹

محمد أحمد الناصرى: ۲۰

محمد الأمين البزاز: ۶۸، ۸۹

محمد بركاش: ۲۸، ۳۰، ۳۱، ۴۴، ۵۴، ۷۸، ۱۰۳، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۴۶، ۱۵۶، ۲۰۳، ۲۱۷، ۴۰۰

د. محمد أبو بكر إبراهيم: ۲۲۲

محمد البوزيدى: ۲۶

محمد الحاج بوعراقية: ۱۱۲

محمد التريكى الرباطى: ۲۲

محمد تطوان: ۱۶

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۶

محمد الجباص: ۴۰۸

محمد الجعيدى: ۱۲، ۱۶

محمد الجيلالى الحمادى: ۲۱

محمد بن حسن الحجوى: ۵۰، ۵۸

محمد الحلوى: ۲۲۹، ۲۳۳

محمد الخطيب: ۱۱۱، ۴۰۵، ۴۰۶

محمد داود: ۲۷، ۹۳، ۱۰۶، ۴۰۶

محمد الدباغ الفاسى: ۱۰۵

محمد دعى ابن إدريس: ۲۵

محمد دينية: ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷

الأمير محمد الرابع: ۲۲، ۸۳

الحاج محمد الزبيدى الرباطى: ۱۲، ۲۵، ۲۸، ۲۹، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۵، ۳۶، ۳۷، ۴۰، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۴۷، ۴۸، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۹، ۷۸، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۹۲، ۹۳، ۹۵، ۱۰۰، ۱۰۷، ۱۱۰، ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۲۴، ۱۳۲، ۱۴۶، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۲۰۱، ۲۰۵، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۱۱، ۲۱۴، ۲۱۷، ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۳۰، ۲۳۶، ۲۴۰، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۶۸، ۲۷۸، ۲۸۱، ۲۸۶، ۲۹۰، ۲۹۲، ۲۹۷، ۳۱۵، ۳۱۶، ۳۳۶، ۳۳۷، ۳۴۹، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۶۴، ۳۶۷، ۳۷۱، ۳۸۳، ۳۸۴، ۳۸۵، ۳۸۷، ۳۸۸، ۳۹۳، ۴۰۱، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۱۳

محمد بن سعيد السلاوى: ۲۸، ۳۲، ۱۰۱، ۱۲۴

محمد السنوسى التونسى: ۳۰۴

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۷

د. محمد السيد عبد السلام: ۱۸۴

محمد بن الشريف الصونجبى: ۲۴

محمد الصفار: ۴۹، ۵۰، ۵۲، ۶۴، ۷۶، ۸۹، ۹۹، ۱۴۷، ۱۵۱، ۱۹۹، ۳۱۸

محمد الطاهر الفاسى: ۲۸

محمد بن طلحة الصباحى: ۲۱

محمد عابد الجابرى: ۶۹، ۱۹۸

السلطان محمد بن عبد الرحمن: ۴۳، ۴۷، ۴۸، ۸۰، ۱۰۱، ۱۰۸، ۲۱۸

محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوى: ۲۱

محمد عبد الكريم الشرقى: ۲۸، ۱۰۱، ۱۲۴

السلطان محمد بن عبد الله: ۱۶، ۱۹، ۷۹، ۸۴، ۱۴۱، ۱۸۵، ۲۷۱، ۴۰۵

محمد عبد الله عنان: ۱۹۵

محمد العربى الطريس: ۱۱۱، ۴۰۸

محمد العربى الفاسى: ۱۰۶

محمد العلو السلاوى: ۲۱

محمد على باشا: ۴۹، ۱۹۳

محمد بن على الدكالى: ۷۸، ۱۳۹، ۲۲۸

محمد الفاسى: ۵۲، ۵۵، ۲۷۳، ۴۰۵

محمد القائد أحمد زنبير: ۱۰۶

محمد بن الكعاب الشرقى: ۲۴۱

محمد المامون بن عمر الكتانى الحسنى: ۷۹، ۱۴۱

محمد مخا التازى: ۱۰۳

محمد المختار السوسى: ۳۰۱

محمد بن المدنى: ۱۰۳، ۱۰۸

د. محمد مصطفى أنور: ۲۲۲

د. محمد مصطفى صفوت: ۳۳

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۸

محمد المصورى الطنجى: ۱۳۳

محمد المنونى: ۵۳، ۵۴، ۷۰، ۸۳، ۱۹۰، ۲۴۱، ۲۴۶، ۳۴۰

السيد المختار الرغاى: ۲۲

مسعود بن تكال بن يجعد: ۲۰

مصطفى بو شعراء: ۱۰۱، ۱۱۱، ۱۲۴، ۲۰۶، ۲۲۲، ۳۱۰

ابن معشر الفلكى: ۴۱۸

ابن المكى: ۳۰

اللورد ملبورن: ۲۸۷

موسى بن أحمد البخارى: ۴۴، ۵۳، ۵۴، ۷۸، ۱۱۵، ۱۴۶، ۲۱۷، ۲۴۰، ۳۳۷

موسى حييم نطيفيورى: ۴۸

موسى مونج: ۱۱۴، ۱۳۲

الوزير ميليكارى: ۳۴۶، ۳۶۱

ـ ن ـ

نابليون: ۷، ۲۶، ۱۰۱، ۱۲۴، ۱۵۷، ۱۶۵، ۱۶۶، ۱۶۷، ۱۶۸، ۱۸۴، ۲۳۲، ۲۸۳، ۳۲۲

نوح (عليه السلام): ۲۲۸

ـ ه ـ

هارون الرشيد: ۱۹۵

الحج الهاشمى عواد: ۱۷

الملك هنرى السابع: ۲۸۴، ۳۰۸

- و-

وليم الرابع: ۲۸۷

- ى-

يعقوب سكس: ۲۲۲

الملك اليوبولد الثانى: ۷۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۴۹

فهرس الأماكن الجغرافية و المدن

- ا-

ابروسيا: ۴۷، ۵۱، ۵۲، ۱۶۶، ۱۷۰، ۲۵۶، ۲۸۳، ۳۲۲، ۳۳۸ إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار ؛ ص۴۴۹

روكصيلا: انظر بروكسيل

الإثمد: ۲۴۴

أثينا: ۱۱۳

أنجرة: ۲۴۴

إنجلترا: ۱۱، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۲، ۳۳، ۴۴، ۴۵، ۴۶، ۵۲، ۵۵، ۵۶، ۵۷، ۶۱، ۸۶، ۸۷، ۸۹، ۱۱۴، ۱۵۷، ۱۹۶، ۲۰۵، ۲۰۷، ۲۲۱، ۲۳۲، ۲۴۵، ۲۵۶، ۲۶۶، ۲۷۸، ۲۸۱، ۲۸۴، ۲۸۷، ۲۹۷، ۲۹۹، ۳۱۷، ۳۲۱، ۳۳۴، ۳۳۶، ۳۴۰، ۴۰۸

إسبانيا: ۱۱، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۴، ۹۳، ۹۹، ۱۱۸، ۲۰۷، ۲۲۱، ۲۳۲، ۴۰۸

أستراليا: ۱۸۱

أسطانذ: ۲۶۸

إسطنبول: ۱۱۳

أسفى: ۴۸

الإسكندرية: ۲۳۳

إفريقية الغربية: ۱۶۶، ۲۰۷

أكدال: ۳۶۱

أكراى: ۲۰۷

ألمانيا: ۲۹، ۳۳، ۴۷، ۹۹، ۱۶۶، ۱۷۰، ۲۲۲، ۲۵۶

أم درمان: ۲۱۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۰

أمريكا: ۶۹، ۸۱، ۳۴۰

الأندلس: ۱۰۱، ۱۶۳، ۲۳۳، ۲۹۶

أنفيرس: ۵۴، ۲۵۸، ۳۰۳

أنطاكيا: ۳۴۷

أوروبا: ۱۱، ۱۲، ۲۲، ۲۳، ۲۶، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۱، ۳۲، ۳۵، ۳۶، ۳۷، ۴۰، ۴۱، ۴۵، ۴۶، ۴۹، ۵۰، ۵۱، ۵۹، ۶۲، ۶۳، ۶۶، ۶۹، ۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۷، ۸۴، ۸۶، ۸۸، ۸۹، ۹۵، ۹۸، ۹۹، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۶۰، ۱۷۰، ۲۰۷، ۲۶۷، ۲۷۷، ۳۱۴، ۳۲۲، ۳۴۸، ۳۷۶، ۴۰۷

إيطاليا: ۲۲، ۲۸، ۲۹، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۴۷، ۴۸، ۵۸، ۶۵، ۷۳، ۹۰، ۹۲، ۹۳، ۱۱۴، ۲۳۲، ۳۲۴، ۳۳۳، ۳۳۶، ۳۳۷، ۳۳۸، ۳۳۹، ۳۴۰، ۳۴۴، ۳۴۶، ۳۴۸، ۳۴۹، ۳۶۱، ۳۶۳، ۳۶۸، ۳۷۱، ۳۸۵، ۳۸۷

- ب -

باب حساين: ۱۲، ۱۹، ۲۱، ۳۶، ۱۰۵

باريس: ۱۴، ۱۵، ۴۳، ۴۹، ۵۱، ۵۷، ۶۲، ۶۴، ۶۷، ۶۹، ۷۰، ۷۲، ۷۵، ۸۴، ۸۵، ۸۷، ۹۱، ۱۱۰، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۳۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۲، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۷۱، ۱۹۲، ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۰۹، ۲۱۰، ۲۳۱، ۲۵۷، ۲۸۵، ۲۹۰، ۲۹۲، ۲۹۷، ۳۰۱، ۳۰۳، ۳۰۴، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۲۱، ۳۲۳، ۳۳۴، ۳۳۶، ۳۴۰، ۳۸۴

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۱

بحر الشمال: ۲۶۸، ۲۶۹

بحر المانش: ۳۱۷

البحر المتوسط: ۱۱۰، ۱۲۰

البرازيل: ۲۹

البرتغال: ۹۹، ۲۲۱

برسلونة: ۳۰۳

برالفرنصيص: ۱۴

برلين: ۳۳، ۳۴، ۴۱، ۱۶۶، ۲۵۶

برمنكهام: ۸۶

بروكسيل: ۴۶، ۵۲، ۵۳، ۶۳، ۶۹، ۷۳، ۱۵۶، ۲۰۶، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۲۱، ۲۳۰، ۲۳۶، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۹، ۲۵۲، ۲۵۶، ۲۶۶، ۳۰۳

بريطانيا: ۳۳، ۴۸، ۶۹، ۸۲، ۱۷۰، ۲۰۳، ۲۱۷، ۲۷۴، ۲۷۸، ۲۸۴، ۲۸۷، ۲۹۲

البلاد الحجازية: ۲۳

بلاد السودان: ۲۹

يلاد الصين: ۱۶۳

البلاد العربية: ۳۳

بلجيكا: ۲۸، ۲۹، ۳۲، ۳۳، ۴۶، ۴۷، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۵۷، ۸۸، ۱۱۴، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۱، ۲۱۴، ۲۲۲، ۲۲۹، ۲۴۱، ۲۵۶، ۳۲۱

بوهيميا: ۲۹۲

بيت الله الحرام: ۲۳، ۱۰۵

بيت المقدس: ۳۵۲

بيروت: ۱۷۹، ۳۴۷، ۳۵۲، ۳۹۸

بيلى: ۳۹۴، ۳۹۵

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۲

- ت -

تانجنيقا: ۱۲۹

تركيا: ۳۴، ۴۹، ۳۶۶

تطاوين: ۲۰

تطوان: ۱۶، ۱۹، ۲۷، ۳۱، ۱۰۳، ۱۰۸، ۴۰۵، ۴۰۶

تفيلالت: ۲۱۱

تنزانيا: ۱۲۹

تونس: ۱۱۳، ۱۹۵، ۳۳۹، ۳۶۶، ۳۸۸

تيوت: ۴۳

- ج -

جامع قرطبة: ۲۹۷، ۳۰۱

جبال الألب: ۳۳۴، ۳۴۳

جبل ألتيسيمو: ۳۴۳

جبل البلاتين: ۳۵۳

جبل طارق: ۳۳، ۷۲، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۸، ۲۷۸، ۴۰۶

جبل الفاتيكان: ۳۴۷

الجديدة: ۱۱۶

الجزائر: ۲۶، ۲۹، ۴۳، ۴۷، ۵۱، ۶۲، ۷۲، ۱۵۳، ۱۵۶، ۱۷۴، ۳۸۸، ۴۰۸

جنوة: ۲۹، ۳۴، ۳۳۶، ۳۸۸، ۳۹۵، ۳۹۷، ۳۹۸

- ح -

حلب: ۳۳۴، ۳۹۳

حومة العيون: ۱۶، ۱۹

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۳

– د –

الدار البيضاء: ۳۵، ۹۹، ۱۱۱، ۱۱۶، ۴۰۸

دار السلام: ۱۲۹

دمشق: ۳۴

دوبلن: ۳۰۳

دوفر: ۲۶۸، ۲۷۱، ۲۷۲

الدول الأوروبية: ۴۲، ۸۱، ۸۴

– ر –

الرباط: ۲۲، ۲۷، ۳۰، ۳۲، ۳۸، ۴۲، ۴۴، ۴۹، ۵۰، ۵۶، ۵۸، ۶۴، ۶۹، ۷۰، ۷۹، ۸۱، ۸۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۴، ۱۰۸، ۱۱۱، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۲۵، ۱۴۱، ۱۴۷، ۱۸۰، ۱۸۷، ۱۹۰، ۱۹۵، ۲۰۰، ۲۱۱، ۲۱۹، ۲۷۷، ۳۱۵، ۳۲۴، ۳۶۷، ۳۷۵، ۴۰۵، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۰۹

روسيا: ۱۷۰، ۴۰۸

روما: ۲۹، ۳۴، ۶۵، ۶۹، ۷۰، ۳۳۱، ۳۳۷، ۳۳۸، ۳۴۵، ۳۴۶، ۳۴۷، ۳۴۸، ۳۴۹، ۳۵۱، ۳۵۲، ۳۵۳، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۳۶۳، ۳۶۸، ۳۹۲

– ز –

زنجيبار: ۱۲۹

جزيرة سانت هيلين: ۱۶۶، ۲۸۳

– س –

سبتة: ۲۸، ۲۴۴، ۴۰۶

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۴

سدنى: ۳۰۳

سراين: ۲۴۱، ۲۴۶

سردينيا: ۳۳۴، ۳۶۳

سلا: ۱۲، ۱۶، ۱۷، ۱۸، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۴، ۲۵، ۳۲، ۳۵، ۳۶، ۵۸، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۵، ۱۲۵، ۱۳۹، ۱۵۸، ۲۰۰، ۳۷۸، ۴۰۱، ۴۱۳، ۴۱۶

سوران: ۷۷

سوريا: ۳۵۲

سوس: ۶۹، ۲۴۴، ۲۹۷، ۳۰۱، ۴۰۸

سويسرا: ۳۴۶

– ش –

شارلروا: ۲۶۰

الشام: ۲۱، ۳۳۴

شرق إفريقيا: ۱۲۹

شولی: ۲۰۷

شيكاكو: ۳۰۳

- ص -

صفرو: ۱۶

الصويرة: ۱۱۶، ۲۰۳، ۲۴۴، ۲۷۱

الصين: ۲۳۶

- ط -

طامير: ۲۶۴

طرنی: ۲۰۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۵

طنجة: ۱۴، ۱۶، ۲۶، ۲۸، ۳۰، ۳۱، ۳۳، ۳۵، ۴۴، ۴۷، ۵۳، ۵۶، ۵۷، ۶۳، ۶۸، ۷۸، ۸۶، ۹۳، ۹۹، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۴۵، ۱۹۰، ۱۹۲، ۲۰۳، ۲۰۷، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۲، ۲۴۴، ۲۵۶، ۲۷۱، ۲۷۲، ۳۱۶، ۳۲۴، ۳۳۳، ۳۳۴، ۳۴۵، ۳۴۷، ۳۹۱، ۳۹۲، ۴۰۰، ۴۰۱، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۸

طورين: ۴۷، ۵۷، ۷۴، ۹۰، ۹۳، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۶، ۳۳۷، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۳، ۳۶۵، ۳۶۷، ۳۷۴، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۳، ۳۸۹، ۳۹۱، ۳۹۲، ۳۹۳

- ع -

العرائش: ۱۰۶، ۱۱۶

العين الصفراء: ۴۳

- غ -

غرناطة: ۱۹۵

- ف -

الفاتيكان: ۳۶۳

فاس: ۱۶، ۱۹، ۲۲، ۲۶، ۳۰، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۳۷، ۴۴، ۵۶، ۵۸، ۹۹، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۹، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۷۶، ۱۹۵، ۲۷۶، ۲۹۶، ۳۵۳، ۳۸۸، ۳۹۵، ۴۰۱، ۴۰۵

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۶

فانطی: ۲۶۶

فرانكفورت: ۳۱، ۵۱

فرنسا: ۱۱، ۲۱، ۲۲، ۲۶، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۰، ۳۱، ۳۲، ۳۴، ۳۸، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۷، ۴۹، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۶، ۵۷، ۶۴، ۷۶، ۸۴، ۸۶، ۸۷، ۸۹، ۹۹، ۱۰۱، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۲۴، ۱۳۳، ۱۴۴، ۱۴۷، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۶۲، ۱۶۶، ۱۷۰، ۱۷۵، ۱۸۵، ۱۸۸، ۱۹۰، ۱۹۳، ۱۹۴، ۱۹۶، ۲۱۷، ۲۲۱، ۲۴۱، ۲۵۶، ۲۹۵، ۳۱۷، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۳۱، ۳۳۸، ۳۴۷، ۳۶۳، ۴۰۰، ۴۰۸

فرينسى: ۳۳۷، ۳۳۸، ۳۴۲، ۳۴۵، ۳۵۹، ۳۶۰

فكيك: ۲۶

فلسطين: ۳۵۲

فيلادلفيا: ۳۰۳

فيينا: ۳۰۳

- ق -

قادس: ۲۰۷

القاهرة: ۲۱، ۶۴، ۱۷۹، ۱۸۵، ۱۹۰، ۱۹۵، ۲۲۲

القسطنطينية: ۳۴

قسنطينة: ۱۷۶

قناة السويس: ۴۰

قناة مرسيليا: ۱۳۶، ۱۳۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۷

- ک -

كالى: ۲۰۶، ۳۱۷

كرومة: ۳۳۷

الكونغو: ۲۱۱

كيفى: ۲۰۷، ۲۰۸

- ل -

لاكن: ۲۰۶

لبنان: ۳۵۲

لندن: ۲۹، ۴۴، ۴۶، ۵۷، ۶۴، ۶۸، ۶۹، ۷۴، ۷۶، ۸۵، ۹۴، ۱۱۳، ۱۹۶، ۲۷۲، ۲۷۶، ۲۸۵، ۲۹۰، ۲۹۲، ۲۹۷، ۳۰۴، ۳۰۸، ۳۱۶، ۳۳۴، ۳۳۶، ۳۷۱، ۳۹۹

لوفاير: ۲۳۵

اللوندريز: ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۶، ۲۸۶، ۲۹۷، ۳۰۳، ۳۰۸، ۳۱۶، ۳۲۱، ۳۳۶

ليزانفليد: ۶۹، ۱۶۵، ۱۶۷، ۲۳۱

ليون: ۳۲۲، ۳۲۳، ۳۲۴، ۳۳۳، ۳۸۲

لييج: انظر الياج

- م -

المحيط الأطلسي: ۱۱۰، ۲۱۱

المحيط الهندي: ۱۲۹

مدريد: ۲۷، ۲۸، ۴۵، ۹۳، ۱۱۱، ۱۹۵، ۳۱۶

مراكش: ۲۲، ۲۳، ۳۱، ۳۲، ۵۶، ۸۱، ۱۰۸، ۱۰۹، ۲۴۶، ۴۱۳

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۸

مرسيليا: ۱۴، ۶۸، ۸۰، ۱۰۷، ۱۱۳، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۳۲، ۱۳۶، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۲، ۱۵۳، ۲۰۶، ۳۴۶

مصر: ۷، ۲۱، ۲۶، ۴۹، ۵۰، ۷۰، ۸۰، ۸۱، ۱۰۶، ۱۹۲، ۱۹۳، ۲۳۳، ۳۶۶

مضان: ۳۳۳، ۳۳۵، ۳۹۱، ۳۹۳

المغرب: ۱۱، ۱۹، ۲۶، ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۰، ۳۳، ۳۴، ۴۳، ۴۵، ۴۷، ۴۸، ۵۰، ۵۱، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۸، ۵۹، ۶۶، ۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۷۸، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۹، ۹۰، ۹۳، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۴، ۱۴۱، ۱۴۴، ۱۵۱، ۱۵۶، ۱۶۳، ۱۹۰، ۱۹۲، ۲۰۳، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۴، ۲۲۱، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۳، ۲۴۰، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۵۶، ۲۸۱، ۲۹۰، ۲۹۲، ۳۰۴، ۳۱۰، ۳۱۵، ۳۶۶، ۳۷۵، ۳۸۱، ۳۸۸

مكناس: ۲۱، ۱۰۶، ۳۵۸

مكة: ۱۹۸

ملبورن: ۳۰۳

المملكة المغربية: انظر المغرب

ميلان: ۳۸۳، ۳۸۸

ميونخ: ۳۰۳

- ن -

نابولي: ۲۹، ۷۶، ۳۸۸

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۵۹

النجف: ۱۱۲

النمسا: ۳۶۳

نهر التيمز: ۳۰۴، ۳۰۸

نهر الرون: ۱۳۶، ۳۲۴

نهر الساؤون: ۳۲۴

نهر السين: ۱۶۶

نهر لاديرانس: ۱۳۶

نيويورك: ۳۰۳

- ه -

الهند: ۴۶، ۷۲، ۸۱، ۱۶۷، ۱۹۹، ۲۳۳، ۲۳۶، ۲۳۷، ۲۵۴، ۲۷۶، ۲۷۸، ۲۸۱، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۰۵، ۳۰۷

هولندا: ۱۹۵

- و -

وادی إيسلی: ۲۶

وادی الخضر: ۱۰۶

وادی الشبيكة: ۲۱۱

وجدة: ۴۳

الوريورا: ۲۰۷

وهران: ۴۳، ۲۲۲، ۴۰۸

الولايات المتحدة الأمريكية: انظر أمريكا

ويندسور: ۳۰۴، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸

وينزه: ۳۰۸

- ی -

الياج: ۴۵، ۲۳۴، ۲۳۸، ۲۴۱، ۲۴۲، ۲۴۶، ۲۴۹، ۲۶۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۰

فهرس المصادر و المراجع

- أ -

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مكناس، لعبد الرحمان ابن زيدان، المطبعة الوطنية الرباط، ۱۹۲۹- ۱۹۳۳ م، خمسة أجزاء. و العز و الصولة فی معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، ۱۹۶۲ م، فی جزئين.

- الاستقصا لأخبار دول، المغرب الأقصی، لأحمد بن خالد الناصری، الجزء التاسع، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ۱۹۵۶.

- الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام، لعباس ابن إبراهيم المراكشی، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، ۱۹۷۴- ۱۹۸۳، عشرة أجزاء.

- الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين، لمحمد بن علی الدكالی، تحقيق مصطفی بو شعراء، من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، ۱۹۸۶ م.

- الإصلاح و المجتمع المغربی فی القرن ۱۹ م، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات، رقم: ۷، ۱۹۸۶ م. (مشكلة

النقود و محاولات الإصلاح فی مغرب ق ۱۹ م، بقلم أفا عمر، ۱۹۷۳ م. (منشورات كلية الآداب بالرباط، رقم ۶. ۱۹۹۳ م الدار البيضاء). (الشعر المغربی فی القرن ۱۹ م، بقلم أحمد الطريس، ۳۷۳.

– الاستيطان و الحماية بالمغرب ۱۸۶۳ – ۱۸۹۴ م، لمصطفی بوشعراء، المطبعة الملكية بالرباط، جزءان. و التعريف ببنی سعيد السلاويين، الرباط، ۱۹۹۱ م، جزآن.

– الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، لبوجندار محمد، مخطوط خ.ع، رقم: د، ۲۶۱.

– إيليغ قديما و حديثا لمحمد المختار بن علی السوسی، الرباط، ۱۹۶۶ م، و المعسول، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، ۱۹۸۳ م.

– الإحاطة فی أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق عبد الله عنان، الطبعة الثانية ۱۹۷۳ م، الشركة المصرية للطباعة و النشر.

– اختصار الابتسام عن دولة ابن هشام، لمحمد الحجوی، مخطوط بالخزانة العامة

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۱

بالرباط رقم: ۱۴۴ ج؛ و الرحلة الوجدية، مخطوطة بنفس الخزانة، ج ۱۲۳؛ و رسالته إلی الوزير الجباص تحت رقم ۲۰۴.

– أعمال ندوة ابن خلدون، منشورات كلية الآداب بالرباط، سنة ۱۹۸۹ م.

– إبستيمولوجيا المعقول و اللامعقول عند ابن خلدون، لمحمد عابد الجابری، ص.

۷۳.

– أسبوع فی باريز، محمد بن عبد السلام السائح، مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط، رقم ۱۶۱.

– أدب الرحلات لحسين محمد فهيم، (عالم المعرفة: ۱۳۸)، دراسة تحليلية من منظور إنثوجرافی، الكويت، ۱۹۸۹ م.

– أدب الرحلة عند العرب، لمحمد حسين حسينی، مصر، ۶۷۹۱ م.

– ب –

– البخار و الآلات البخارية لمجموعة من الأساتذة، عبد الله صبری، و محمد مصطفی نور و محمد أبو بكر إبراهيم، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ۱۹۵۷ م.

– البدر السافر لهداية المسافر إلی افتحاك الأسارى من يد العدو الكافر لمحمد بن عثمان المكناسی، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم ح ۵۲. و الخزانة الحسنية رقم ۱۲۵۲۳.

– ت –

– تخليص الإبريز فی تلخيص باريس، لرفاعة الطهطاوی، طبعة بولاق، القاهرة، ۱۸۴۴ م، و طبعة ۱۹۰۵، كانت رحلته عام ۱۲۴۱ ه.

– تاريخ الأدب الجغرافی العربی، للمستعرب كراشكوفسكی أغناطيوس يوليانوس، نقله إلی العربية صلاح الدين عثمان هشام، نشر الإدارة الثقافية ی جامعة الدولة العربية ۱۹۵۷ م.

– تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين و ظهور المسيحية فی العصر اليونانی الرومانی لفليب حتی، ترجمة جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ۱۹۵۸ م.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۲

– تاريخ العلاقات المغربية الأنجليزية حتی سنة ۱۹۰۰ لروجز، ترجمة لبيب رزق، دار الثقافة، الدار البيضاء، ۱۹۸۱ م.

– تاريخ تطوان، لمحمد داوود، طبعة تطوان، ۱۹۶۶، القسم الثالث من المجلد الأول.

– تاريخ العلاقات الدولية من ۱۸۱۵ إلی ۱۹۱۴ م لبيير انوفال، تعريب جلال يحيی، دار المعارف، ۱۹۸۰ م.

- التاريخ الدبلوماسى للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، لعبد الهادى التازى، المجلد ۱۰، ۱۹۸۹ م، و كتاب «رسائل مخزنية» تتعلق بأمين الأمناء محمد (مخا) التازى، ۱۹۷۵ م.

- التحفة السنية للحضرة الشريفة الحسنية بالمملكة الإسبنيولية، لأحمد بن محمد بن عبد القادر الكردودى، نشرها عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ۱۹۶۳ م.

- تحفة الملك العزيز بمملكة باريس، لإدريس العمراوى، ترجمها إلى الفرنسية و نشرها زكى مبارك مع النص العربى، تطوان، طبعة ۱۹۸۹ م.

- ج-

- جولات فى مغرب ۱۸۷۲، لعبد المجيد بن جلون، مكتبة المعارف، الرباط، ۱۹۷۴.

- الجيش المغربى و تطوره فى ق ۱۹ لبرادة ثريا، دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط، مساهمة فى دراسة الإصلاحات العسكرية بالمغرب.

- د-

- الدبلوماسية أو البروتوكول (الإتيكيت المجاملة) لأحمد حلمى إبراهيم، عالم الكتب، القاهرة، ۱۹۷۶ م.

- ر-

- الرحلة إلى فرنسا، لأحمد بن العياشى سكيرج، مخطوطة بالخزانة الحسنية رقم ۱۲۴۹۹.

- الرحلة إلى فرنسا، لمحمد حسن الحجوى، مخطوطة بالخزانة العامة، ح ۱۱۵.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۳

- الرحلة الإبريزية إلى الديار الأنجليزية، لمحمد الطاهر بن عبد الرحمن الفاسى، طبعها محمد الفاسى، منشورات جامعة محمد الخامس، فاس، ۱۹۶۷ م.

- الرحلة إلى باريس، لعبد الله محمد بن عبد الله الصفار (۱۹۴۵- ۱۹۴۶ م) مخطوطة بالخزنة الحسنية رقم ۱۱۳، ترجمتها إلى الانجليزية سوزان ميلار، جامعة هرفارد.

- الرحلات المغربية فى القرنين الحادى عشر و الثانى عشر للهجرة، لمحمد مكمان، دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط، ۱۹۸۷.

- الرحلة فى الأدب المغربى لفاطمة خليل، بحث لنيل دكتوراه الدولة فى اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب بالرباط، ۱۹۸۸ م.

- رحلة حجازية، لإدريس بن محمد بن إدريس الجعيدى السلوى، مخطوطة الخزانة العلمية الصبيحية عام ۱۳۴۸ ه، رقم ۴۷۵ بفهرس الخزانة (نشرتها جريدة السعادة، عدد ۱۱۳۵ سنة ۱۹۱۵ م).

- رحلة سفارية إلى فرنسا لمحمد بنسعيد السلوى سنة ۱۸۶۶ م. جزء منها بخزانة الحاج العربى بنسعيد، نشره مصطفى بو شعراء، التعريف ببنى سعيد السلاويين.

و جزء آخر بخزانة الحاج أحمد معنينو بسلا.

- رحلة إلى أنجلترا، لابن على الحسن بن محمد الغسال، مخطوطة فريدة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ۱۴۹۶ م، نشر عبد الهادى التازى، مجلة البحث العلمى، العدد ۲۹- ۳۰، الرباط، ۱۹۷۹ م.

– رحلة الغيغائى الحجازية، لمحمد بن عبد الله بن مبارك الفيغائى الوريكى، مخطوطة الخزانة العامة، الرباط، رقم: ح ۹۰.
– الرحلة فى العصر المرينى لشاهدى الحسن، دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب، الرباط، ۱۹۸۵ م.

– س –

– السفارة و السفراء لعبد العزيز بن عبد الله، منشورات وزارة العدل، الرباط، ۱۹۸۵ م.
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۴

– ط –

– الطباعة الحديثة لعلى حسين عاصم، القاهرة، ۱۹۵۸ م.

– ع –

– العلاقات المغربية البريطانية خلال ق ۱۹ (۱۸۸۶– ۱۸۵۶ م)، منشورات كلية الآداب بالرباط رقم ۳۴، لخالد بن الصغير، سنة ۱۹۹۷ م.
– عالم التكنولوجيا لمحمد السيد عبد السلام، رقم ۵۰: ۱۷۷.
– عالم الطير لأحمد محمد عبد الخالق، القاهرة، ۱۹۶۲ م، ث: ۶۷.

– ف –

– الفالودج، لأحمد الصبيحى، مخطوطة بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا تحت رقم ۴۳۶ (كشكول الصبيحى، ج ۳، رقك ۴۲۸).

– م –

– مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة ۱۸۸۰ م، لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ۱۹۷۷ م. و كتاب أعلام المغرب العربى فى جزءين.
– مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ ابن المحاسن، لمحمد العربى بن أبى المحاسن يوسف الفاسى، المطبعة الحجرية بفاس ۱۹۰۶ م.
– مؤتمر برلين سنة ۱۸۷۸ م و أثره فى البلاد العربية، محاضرات محمد مصطفى صفوت، جامعة الدول العربية، القاهرة، ۱۹۵۷ م.
– مجالس الانبساط بشرح علماء و صلحاء الرباط، لمحمد بن على بن أحمد دينية، الرباط.
– المجلس الصحى الدولى بالمغرب من ۱۷۹۲ م إلى ۱۹۲۹ م، لمحمد الأمين البزاز، دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب، الرباط، ۱۹۸۰ م.
– مؤسسة السجون فى المغرب، لأحمد مفتاح البقالى، الرباط، ۱۹۷۹ م.
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۵
– المقدمة لابن خلدون عبد الرحمان بن محمد المغربى، مطبعة دار إحياء التراث العربى، بيروت.

– ن –

– نتيجة الاجتهاد فى المهادنة و الجهاد، لبو العباس أحمد بن المهدى الغزال، مخطوطة خ. ح. ۳۹۲۱۶ حققها أخيرا إسماعيل العربى، نشر دار المغرب الإسلامى، ۱۹۸۲ م.

– و–

– وثائق و مخطوطات من خزانة نجل صاحب الرحلة سيدى عبد القادر بن إدريس الجعيدى، بمنزله الكائن بباب حساين، سلا.

– وثائق آل الجعيدى بالخزاة العلمية الصبيحية بسلا، و خزانة الحاج العربى بنسعيد بسلا، و خزانة الحاج أحمد معنينو بسلا. و خزانة تطوان، محفظة ۳۳، رسائل وزارية.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۶

الموسوعات و المعاجم:

– الموسوعة فى علوم الطبيعة لإدوار غالب، بيروت، ۱۹۶۶، (فى جزءين).

– موسوعة عربية عالمية مصورة بالألوان، مطبوعة بمدينة جنوة بإيطاليا– (۲۱ ج).

– الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، (۳ أجزاء).

– معجم الفصحى فى العامية المغربية لمحمد الحلوى.

– سلسلة معاجم المركز الوطنى للتعريب بالرباط. منها معجم الأصول العربية و الأجنبية للعامية المغربية، الرباط، ۱۹۶۴ م.

– قاموس المنهل (فرنسى– عربى)، لجبور عبد النور و سهيل إدريس، و المنجد الكبير فى اللغة و الآداب و العلوم.

– دائرة المعارف الحديثة لأحمد عطية الله، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، فى جزءين (موسوعة عامة).

– جريدة السعادة لسان المندوبية السامية الفرنسية، عدد ۱۱۳۵ بتاريخ ۲۳ و ۲۴ شتمبر ۱۹۱۵ الخزانة العامة بالرباط.

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۷

الدوريات

* مجلة دعوة الحق:

– «اوراقة المغربية» القسم الأول بالعدد ۱۶، سنة ۱۹۷۰، ص. ۳۷ و القسم الثانى بالعدد ۱۸ سنة ۱۹۷۱، ص ۱۳۶، بقلم محمد المنونى.

– تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، العدد ۳۱ أكتوبر، ۱۹۸۰. و العدد ۳۲، نوفمبر ۱۹۸۱ بقلم: زكى مبارك.

– الإكسير فى فكاك الأسير، العددين ۴، ۵، السنة ۲، بقلم محمد زنيبر.

– جوانب الأزمة المالية فى المغرب بعد حرب ۱۸۶۰ م، العدد ۴– ۴، السنة ۱۹۶۵، ص ۲۰۰، بقلم جرمان عياش.

– مجلة كلية الآداب

– المثقف المخزنى و تحديث الدولة، العدد ۱۰ مارس، ۱۹۸۴، ص ۵۲، بقلم سعيد بنسعيد، الرباط.

– الرحلة المغربية صلة علم و حضارة، العدد ۸، سنة ۱۹۸۶، بقلم عبد القادر زمامة، فاس.

– مجلة تطوان: «السفارات و البعثات المغربية إلى فرنسا»، العدد ۶ عام ۱۹۶۱، مترجمة عن مجلة: HesPe ?ris –Tamuda ، سنة ۱۹۶۰ م.

– مجلة البيئة: «الرحلات السفارية المغربية السنة الأولى»، العدد ۶، سنة ۱۹۶۲ م، بقلم محمد الفاسى.

– مجلة الثقافة المغربية: «العلائق السياسية للدولة العلوية»، العدد ۸ أبريل ۱۹۴۲ م، بقلم مولاى عبد الرحمان بن زيدان.

– مجلة آفاق: «صواب العامية و خطأ الفصحى، العدد ۳، السنة ۱، بقلم محمد ابن تاويت.

- المجلة المغربية للقانون و السياسة و الاقتصاد: «علاقة بعض المغاربة بالتجارة الخارجية»، بقلم إدريس بنعلى.
- مجلة أبحاث: «تصورات مغربية للعلاقات الدولية خلال القرن ۱۹»، نموذج الرحلات المغربية لأوربا خلال ق ۱۹»، عبد اللطيف حسنى، العدد ۸، السنة ۲، ۱۹۸۵، ص. ۵.

* مجلة الوثائق:

- مديرية الوثائق الملكية بالرباط، بأعدادها الستة.
- مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، العدد الخاص «بأدب الرحلة».
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۸

المراجع الأجنبية

۱- الكتب الأجنبية:

عرّب الدراسة خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب بالرباط، رقم ۲، ۱۹۹۵ م «صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا».
Thornton(Michael)," The British Rooyal Family Since Queen Victorio Royal Feud", - .Cowdon
اعتمدنا فى الموافقة بين التواريخ الهجرية و الميلادية على كتاب:
Cattenoz(H. G), Table de concordance des e? res chre? tienne et he? giriene, Casa (. Ed. - .Technique Nord- Africaine
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۶۹

۲) الموسوعات و المعاجم:

۳) الوثائق و الجرائد الأجنبية مع الاختزالات المستعملة:

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۰
- جريدة جنوة بخزانة عبد الهادى التازى، الرباط.
- وثائق المحفوظات البريطانية (خ. خالد بن الصغير).
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۱

المحتويات

استهلال ۷۰
المقدمة ۱۱
ديباجة المؤلف ۹۷
نص الرحلة ۱۰۷
الجزء الأول: ۱۰۷

ذكر الدخول لثغر طنجة و مدة المقام فيها إلى الوصول لمرسيلية ۱۰۷

دخول الرئيس و مرافقيه لطنجة ۱۰۹

ورود الفركاطة للسفر ۱۱۳

الخروج من ثغر طنجة و الركوب فى البحر إلى الوصول لمدينة مرسيلية ... ۱۱۶

طلوع الباشدور للفركاطة ۱۱۸

علة عدم خروج المدافع ... ۱۱۹

مدة السفر فى البحر إلى مرسيلية ۱۲۱

الجزء الثانى: ۱۲۳

أخبار مرسيلية و باريس ۱۲۳

طلوع الكبراء من مرسيلية لملاقات الباشدور ۱۲۳

ذكر الدخول لمرسيلية و المقام فيها و الخروج منها ۱۲۴

صفة الدار التى نزل بها الباشدور و أصحابه ۱۲۵

صفة الصالة المعينة للباشدور ۱۲۷

كراء هذه الدار فى السنة ۱۳۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۲

بعض أوصاف مرسيلية ۱۳۳

هيئة رأس الماء الجارى عليها ۱۳۶

فابريكة صنع السكر القالب ۱۳۸

نشر قوالب السكر و تقريضه ۱۴۲

الخروج إلى باريس ۱۴۵

بعض أوصاف الطريق بينهما ۱۴۶

وصف الدار المعينة للنزول ۱۴۸

الحمامات ۱۴۹

أوصاف هذه الصالات ۱۵۰

صائر هذه الدار و تحفها ۱۵۱

بعض أوصاف باريس ۱۵۲

الخروج لملاقات عظيم دولتهم ۱۵۳

فرجة المسابقة ۱۵۶

فابريكة أوانى المعدن ۱۵۹

صفة تذهيب بعضها ۱۶۱

الدار التى تباع فيها أوانى البلار ۱۶۲

فابريكة صنع الماريوس ۱۶۴

قشلة مرضى العسكر و قبر نابليون ۱۶۵

قبر نابليون ۱۶۶

صور المحاربين و آلات الحرب فى سالف الزمن ۱۶۷

الحضور لتسراد العسكر و كيفيته ۱۶۸

ضيافة عظيم الدولة للباشدور ۱۷۱

الطلوع بالهدية لعظيم الدولة ۱۷۶

جنان الوحوش ۱۷۸

بعض أوصاف دار السكة ۱۸۵

دار المطبعة ۱۹۰

دار الكتب المطبوعة ۱۹۴

بعض صفات ديار الفرجات ۱۹۵

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۳

صفة طرق باريس و أحوال الخدمة ۲۰۰

الجزء الثالث: ۲۰۵

الإكرام الذى وجهته الدولة للباشدور و أصحابه ۲۰۵

الخروج من باريس إلى جنس البلجيق و ما رأيناه فى بعض مدنهم ۲۰۶

صفة الدار التى نزلنا بها فى ابروكصلاص ۲۰۹

الملاقات مع الوزير ۲۱۰

بعض أوصاف هذه المدينة ۲۱۱

الملاقات مع عظيم دولتهم ۲۱۴

فابريكات المدافع و الرماية بها ۲۱۵

الملاقات مع أخ عظيم الدولة و عامل البلد و صفة داره ۲۲۰

توجهه مع الباشدور لمحل صنع الغاز و شرح كيفيته ۲۲۲

دار الوحوش الميتة ۲۲۷

دار فابريكة النحاس و الصفر ۲۳۰

الحوائج المصونة عندهم فى بعض الأماكن ۲۳۱

صور آدم و حواء على ما زعموا ۲۳۳

التوجه إلى مدينة الياج لرؤية فابريكاتها ۲۳۴

الدار القديمة بها و بعض صفاتها و ما فيها ۲۳۶

فابريكة الصفر و النحاس ۲۳۷

فابريكة صنع الفلايل ۲۳۸

دار فابريكات صنع المكاحيل و غيرها ۲۳۹

الفابريكة العظمى فى مدينة سراين ۲۴۱

مكينة البلار و الزاج ۲۴۷

فابريكة صنع الملف ۲۴۹
القبة العظيمة القريبة من دار عظيم الدولة و الأثاث و عينات الحوائج التى فيها ۲۵۲
ما رأيناه فى ساقية الماء الجارى فى البلد ۲۵۴
الطلوع للضيافة لدار كبير دولة البلجيق ۲۵۵
دار العدة و آلة الحرب ۲۵۸
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۴
شكل السلم الذى توضع عليه المكاحيل ۲۵۸
فابريكات المرايا الكبار من الزاج فى مدينة شارلروا ۲۶۰
ورقات الزاج العظام التى تصنع فى طامير ۲۶۴
مدينة فانطى و الفابريكة التى فيها ۲۶۶
الجزء الرابع: ۲۷۱
أخبار بلاد النجليز ۲۷۱
ملاقات كبراء مدينة دوفر للباشدور ۲۷۱
محل النزول باللوندريز ۲۷۲
قدوم كبراء البلد على الباشدور للتهنئة ۲۷۳
بساتين النوار التى فى الطرق و فى العراصى ۲۷۴
صفة سجن بحومة اللوندريز ۲۷۶
«الكونبطى» أى كرامة فى عرصة ولد السلطانة ۲۷۸
الملاقات بالوزير ۲۸۰
إكرام زوجة وزير الأمور البرانية بالهند للباشدور ۲۸۱
الدار التى فيها صور الآدميين و الخروج لدار العلماء ۲۸۲
دار الفرجة و أخرى فيها السلاح القديم و الهدايا ۲۸۴
دار البانكة و ضرب السكة ۲۸۷
النهوض لملاقات مع عظيمة دولتهم ۲۹۱
صفة دار البلار و بعض ما رأيناه ۲۹۲
مثال جامع قرطبة ۲۹۵
الرجل الذى يغوص بصهريج الماء و كشف الحيلة فى ذلك ۲۹۷
طياطرو دار البلار و لعبة الأفيال به ۲۹۹
لعبة الكلاب و وصف الرياض المجاور لها ۳۰۲
التوجه إلى مدينة ولت لرؤية دار بها ۳۰۴
التوجه إلى مدينة ونزه ۳۰۸
الحيلة المستنبطة لتغريق المراكب فى البحر ۳۱۱
كيفية خدمة الخفيف ۳۱۲

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۵

كيفية صنع الكور ۳۱۳

كيفية صنع المدافع العظام ۳۱۴

وصف هذا المدفع ۳۱۵

إكرام بعض التجار للباشدور باللوندريز ۳۱۶

الجزء الخامس: ۳۱۷

الرجوع إلى بر الفرنصيص و التوجه منه للطليان ۳۱۷

الدخول إلى مدينة باريس

القبة التى تطير بمن يعلو بها الدار التى تصنع الخبز للعسكر ۳۲۰

فابريكات الكور و غيره و العدة التى فى الخزين ۳۲۱

سكويلة العسكر و الخروج من باريس إلى اليون ۳۲۲

زيارة رأس بعض جبال اليون ۳۲۳

فابريكات خدمة الحرير و الديباج به ۳۲۵

مستملحة استظرفتها هنا ۳۲۷

الجزء السادس: ۳۳۳

أخبار بعض بلاد الطاليان ۳۳۳

الدخول إلى طورين ۳۳۵

مدينة فرينسى و ما رأيناه فيها ۳۳۷

الدخول إلى دار المهندسين و الفلكيين ۳۴۰

التوجه إلى رومة ۳۴۵

الملاقات مع وزير الأمور البرانية و كبير الوزراء ۳۴۶

دار المرضى بها ۳۴۹

المحل القديم البناء برومة ۳۵۱

قدوم أصحاب الطرب على الباشدور و كيفية خدمتهم ۳۵۳

الفرجة التى أنشأت إكراما للباشدور و فرجة الطياطرو ۳۵۴

قدوم أصحاب الطرب على الباشدور و كيفية خدمتهم ۳۵۷

وصف مدينة رومة ۳۵۷

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۶

الرجوع من رومة إلى فرينسى ۳۵۹

الرجوع إلى طورين ۳۶۰

اللقاء بعظيم دولة الطليان و ببعض الأمراء ۳۶۱

الفرجة التى أنشأها عامل طورين ۳۶۵

زيارة سجن مدينة طورين ۳۶۷

الإكرام بدار عظيم الدولة ۳۶۸
الخروج إلى الصيد مع ولد عظيم الدولة و الوزراء ۳۷۰
الخروج لرمى الإشارة مع الطبجية ۳۷۳
كيفية عمارة هذا المدفع ۳۷۵
هيئة السواد الذى وسط لوحة الإشارة ۳۷۷
الخروج لفابريكات الحرير بطورين ۳۸۱
الدخول لميلان ۳۸۳
فابريكات الفخار ۳۸۴
كيفية تزويق الفخار ۳۸۶
التوجه إلى جنوة ۳۸۸
ناذرة من نواذر الزمان ترشد إلى اتخاذ الحذر فى بلاد الأمان ۳۸۹
زيارة مدينة بيلى ۳۹۴
ملاقات رئييس الفركاطة ۳۹۷
الخروج من جنوة ۳۹۷
مكينة صنع ماء الثلج ۳۹۸
الوصول إلى مدينة طنجة ۴۰۰
ملاحق ۴۰۳
كشاف حضارى و فهارس ۴۲۱
إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۷

صدر فى سلسلة ارتياد الآفاق

اسم الكتاب/ المؤلف/ المحقق/ المحرر
تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار ۱۱۸۲- ۱۱۸۵/ محمد بن جبير الأندلسى/ على أحمد كنعان
الـذهب و العاصـفة. رحلة الياس الموصـلى إلى أميركا، أول رحلة شـرقية إلى «العالم الجديد» ۱۶۶۸- ۱۶۸۳/ إلياس الموصـلى/ نورى الجرّاح
رحلتان إلى سوريا ۱۹۰۸- ۱۹۲۰/ الشيخ محمد رشيد رضا «صاحب المنار»/ زهير أحمد ظاظا
رحلة الحبشة .. من الأستانة إلى أديس آبابا ۱۸۹۶/ صادق باشا المؤيد العظم/ نورى الجرّاح
الديوان النفيس فى إيوان باريس أو «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز»/ رفاعة رافع الطهطاوى/ على أحمد كنعان
رحلة إلى أعالى النيل الأبيض ۱۸۳۹- ۱۸۴۰/ البكباشى سليم قبطان/ نورى الجرّاح
رحلة إلى أوروبا ۱۹۱۲/ جرجى زيدان/ قاسم وهب
الرحلة الشامية ۱۹۱۰/ الأمير محمد على باشا/ على أحمد كنعان
الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ۱۹۲۹/ شكيب ارسلان/ أيمن حجازى
رحلة باريس ۱۸۶۷/ فرنسيس فتح الله المراش/ قاسم وهب

الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية ۱۹۰۲/ الحسن بن محمد الغسّال/ د. عبد الرحيم موذن

رحلة الوزير فى افتكاك الأسير ۱۶۹۰- ۱۶۹۱/ محمد الغسّانى الأندلسى/ نورى الجرّاح

خطرة الطيف .. رحلات فى المغرب و الأندلس ۱۳۴۷- ۱۳۶۲/ لسان الدين بن الخطيب/ د. أحمد مختار العبادى

رحلة ابن خلدون ۱۳۵۲- ۱۴۰۱/ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى/ نورى الجرّاح

رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك و الروس و الصقالبة ۹۲۱/ أحمد بن فضلان/ شاكر لعيبى

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۸

اسم الكتاب/ المؤلف/ المحقق/ المحرر

رحلة الغرناطى .. تحفة الألباب و نخبة الإعجاب و رحلة إلى أوروبة و آسيا/ أبو حامد محمد الغرناطى/ قاسم وهب

رحلة إلى الهند ۱۸۹۹- ۱۹۰۰/ مار أثناسيوس أغناطيوس نورى/ نورى الجرّاح

رحلة أفوقاى الأندلسى .. مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب ۱۶۱۱- ۱۶۱۳/ أحمد بن قاسم الحجرى «أفوقاى»/ د. محمد رزوق

رحلة المقدسى .. أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ۹۸۵- ۹۹۰/ محمد بن أحمد المقدسى/ شاكر لعيبى

سياحتى فى بلاد الهند الإنجليزية و كشمير ۱۹۱۳- ۱۹۱۴/ الأمير يوسف كمال/ جمال ملحم

النزهة الشهية فى الرحلة السليمية ۱۸۵۵/ سليم بسترس/ قاسم وهب

رحلة الشتاء و الصيف ۱۶۲۹/ الشيخ محمد عبد الله الحسينى/ سامر الشنوانى

الرحلة الأوروبية ۱۹۱۹/ محمد بن الحسن الجحرى الثعالبى/ د. سعيد الفاضلى

رحلة المكناسى .. إحراز المعلم و الرقيب فى حج بيت الله الحرام و زيارة القدس و الخليل و التبرك بقبر الحبيب ۱۷۸۵/ محمد بن عبد الوهاب المكناسى/ د. محمد بوكبوط

الواسطة فى معرفة أحوال مالطة. كشف المخبأ عن فنون أوروبا ۱۸۳۴- ۱۸۵۷/ أحمد فارس الشدياق/ قاسم وهب

الرحلة الأمريكية/ الأمير محمد على باشا/ على أحمد كنعان

الرحلة اليابانية/ الأمير محمد على باشا/ على أحمد كنعان

رحلة شيخ الأزهر إلى أوروبة ..

مذكرات مسافر ۱۹۰۹- ۱۹۱۴/ الشيخ مصطفى عبد الرازق/ أشرف أبو اليزيد

خمس رحلات إلى الجزائر ۱۹۰۴- ۱۹۳۲/ محمد الخضر حسين و آخرون/ د. محمد صالح الجابرى

رحلة ابن حمادوش الجزائرى المسماة لسان المقال فى النبأ عن النسب و الحسب و الحال ۱۷۴۳- ۱۷۴۸/ ابن حمادوش/ د. أبو القاسم سعد الله

رحلة محمد الكبير .. باى الغرب الجزائرى إلى الجنوب الصحراوى الجزائرى/ أحمد التلمسانى/ د. محمد عبد الكريم

إتحاف الأخيار بغرايب الأخبار، ص: ۴۷۹

اسم الكتاب/ المؤلف/ المحقق/ المحرر

بيروت- برلين- بيروت .. مشاهدات فى أوروبا و ألمانيا اثناء الحرب العالمية الثانية/ كامل مروة/ كريم مروة

رحلة إلى صحراء ليبيا/ محمد حسنين باشا/ على كنعان

اسبوع فى بارس ۱۹۲۲/ محمد بن عبد السلام السائح/ د. سليمان القرشى

البرنس فى باريس- رحلة إلى فرنسا و سويسرا ۱۹۱۳/ محمد المقداد الورتتانى/ د. سعيد الفاضلى

سياحتى فى بلاد التيبت الغربية و كشمير ۱۹۱۵/ الأمير يوسف كمال/ جمال ملحم

اتحاف الأخيار بغرائب الأخبار ۱۸۷۶/ ادريس الجعيدى السلوى/ د. عزّ المغرب معنينو

المطالع البدرية فى المنازل الرومية (۹۰۴- ۹۸۴ ه)/ بدر الدين بن محمد العامرى الغزّى الدمشق/ المهدى عيد الرواضية

الرحلة المعينية ۱۹۳۸/ ماء العينين بن العتيق/ د. محمد الظريف

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹